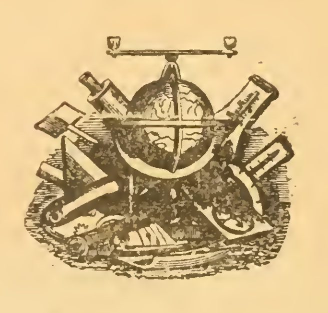


وهو مجموع مقالات ادبية وفصول تاريخية وشذرات علمية
منتخبة من مجلة الآداب فى سنتيها الرابعة والخامسة

﴿ لصاحبها ومحررها ﴾

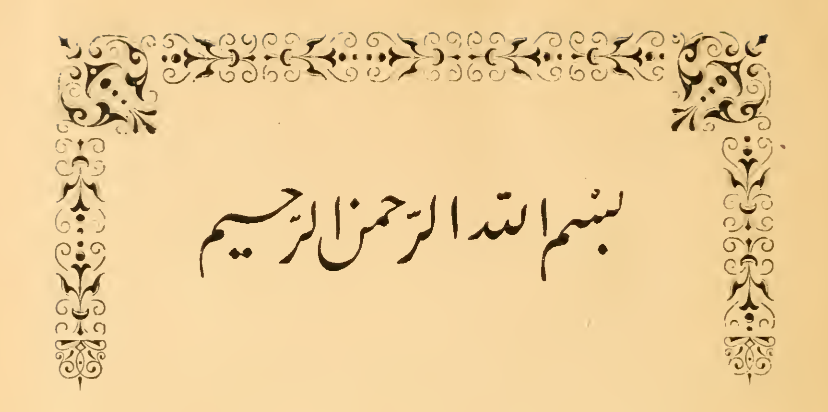
محمود مسعود

محرر جريدة المؤيد



(الطبعة الاولى)

بمطبعة الجمهور بجوار دار الآثار العربية والكتبخانة الخديوية
بمصر القاهرة سنة ١٣٢٤ هجرية



مقدمة

هذه مقالات أدبية وفصول علمية انتقيتها من مجموعة مجلة الآداب للسنتين اللتين صدرت فيهما بادارتي وتحريرى قد أشار على من اشارته حكم أن انظم لآلئها فى سمط مجلد مثل هذا يسهل تداوله بين الايدى اكثر من مجموعة ضخمة يتعذر فيها البحث على الباحث والمطالعة على المطالع . وكما آنس من نفسى انني لم اجار فيها كل مطالع فى انتقاء ما يلائم ذوقه أرجو منه أن لا يعد ذلك تقصيرا فى القيام بالواجب بل قصورا عن ادراك شأو الغاية التي يرمى اليها كل منهم على اختلاف مشاربهم وتباين مذاهبهم

وقد اكتفيت بمقدمة المجلة مقدمة لفصولها المنتقاه التي سميتها (لباب الآداب) وها هي بنصها :

اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا . وانت تجعل الحزن سهلا . فلك جليل المحامد على ما ذللت من الصعاب . وسهلت من المطالب للطلاب . ولك الشكر اضعاف ذلك أن قبلت حمدى . واسعدت بالنجح قصدي . واخصبت عملى . وتوجت بالاجابة أملي . بل أحمدك واشكرك وأثنى عليك يارب الارباب عدد كل حرف من الآداب . كلما باركت في سطورها . وافسحت في مسطورها

ومددت في منشورها . وجعلتها في شرعة الأدب فرقانا . وفي محجة الارشاد تبيانا . فاهدنا بفضلك الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فآمنوا بمحمد واتبعوا النور الذى انزل معه . وواصلوا صلات الصلوات صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وحزبه

أما بعد فهذه صحيفة لآداب قد آن لها أن تتجلى بين أيدى حضرات قرائها بروائها على ماعهدت عليه من خطتها السالفة ونشأتها الاولى التي كان يعهدها عليها الجميع من تقرير الحقائق ونشر الفوائد ونظم الفرائد ويعلم الله انه ماقوى عزيمتي . ونشط همتى . وضاعف رغبتي . فى اعادة نشرها الاماعلمه من اشتياق الجمهور اليها والصفة التي تمتاز بها عن بقية الجرائد العلمية التى تطبع في الشرق . بل الخصيصة التى جعلتها فذة الادب ودرته اليتيمة انها أحيت دارس الفضائل الشرقية وبثت فى هذا العصر كثيرا من مكارم الاخلاق العربية فقد كان من دأبها الحث على الآداب الشرعية اذ لم تجعل متكلها كغيرها على الترجمة والنقل والسرقة والاختزال والانتحال بل كان التفكر والاقتراح من ديدن منشئها الذي كفلت همته ان يثابر على نشرها حتى شغله المؤيد الاغر عن متابعة اظهارها فكان له أعظم عذر في احتجابها ونعم البدل المؤيد . ولما رغبت بعثها الى عالم التحرير كان حضرته لى أعظم مساعد بناء على ما فطر عليه من محبة الخدمة العمومية وفضلا عن ذلك قد حظيت بموازرة الجم الغفير من فضلاء الامة ومشاهير كتاب العصر الذين تفضلوا بالمساعدة في تحريرها ولولا هذه الحظوة الجليلة ماجاشت نفسى وتجرأت على القيام بأمر عظيم كهذا الا وهو اصدار هذه الصحيفة مستهدفا

يراعي للانتقاد ومستعرضا همتي لسهام الجلاد في أعظم جهاد ـ فائن قمت في هـذه الخدمة بالواجب وصـادفت محجة الصواب فمرجـع الفضل لاولئك الافاضل الذين تفضلوا بموازرتي وان سبقت للصحيفة هفوة فهو ولا شك مني وأنا مصدره فليكن عفو الافاضل القراء معوانا لى في سلوك ما انتهجت وقلما يسلم عامل من زلل أو يراع من عثار والله هو المسئول في كل الاحوال أن يرشدنا الى خير ما اردنا وهو ولى الرشاد في كل حال

هذا وقد اخترت أن أعتمد في اصدار صحيفتي هذه على التاريخ العربي فى عصر مولانا العباس الزاهر لتـكون النسبة حاصلة من كل الوجوه فاني شرقى اكتب بلسان عربي مبين في عصر مليك جمع الى شرف المحتد شرف المبادئ الشرقية . وقد آلى على نفسه أن يعيد الى بلاده مجـد تلك الدولة العباسية التي كانت غرة فى جبين ادوار الممالك الاسلامية ولهذه المناسبات توخيت افتتاح عملى فى فاتحة السنه الهجرية اعاد الله عيدها على جميع الامم الاسلامية بالخير والمعزة والاقبال

هذا وقد أطلع حضرة صديقنا الفاضل الشيخ حسين محمد الجمل استاذ اللغة العربيه بمدرسة خليل أغا فاتحفنا على هذه المجموعة بالتقريظ الآتى :

اصبح الـكون مكتظا بأهله متقلا برجله متعثرا في أذيال الحوادث منكفئا فوق صعدات الـكوارث تثور فيه اعاصير العناصر وتهيج فواعل الطبائع معترك تشحذ فيه مواضي العزمات وتتفانى قوى المجهودات وتتغالب نوازع الحياة وتضطرم الآراء وتضطرب العقول . بحر خضم تتدفع امواجه كالجبال ويلتطم عجاجه السيال والناس فيه بين غائص الى الاعماق مع الدفعات

وصاعد الى الاوج مع الزبد والدهر رقيب عتيد ومهيمن شديد لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها يكافيء كلا بما تقتضيه النتيجة ان خيرا فخير وان شرا فشر (وما ربك بظلام للعبيد)

هكذا كتبت يد الاقدار على صفحات الوجود ان من لم يترك في الناس عملا مجيدا او اثرا محمودا ظل تحت اطباق تلك الامواج تكتنفه ظلمات من الخمود والهمود بعضها فوق بعض وسقط اسمه من سجلات التاريخ وبقي ميتا بين الاحياء مقبورا وهو ينتشق الهواء ساكنا وهو متحرك راقدا وهو يقظان

ومن الواجب علينا ان نذكر في مقدمة العاملين حضرة الفاضل (محمد أفندى مسعود) فقد رزق علو الهمة وشرف النزعة ونبالة المقصد وصدق الجد في نصرة الآداب التي هو عنصرها الصريح والفضائل التي هو جوهرها الصحيح فلا يمر عليه زمن الا اتحفه بأثر محمود واروى مغارسة بمترع من حوض يمنه المورود . ومن حسناته المباركة كتاب (لباب الآداب) الذى انتخبه من مجلة الآداب وهي بعض آياته الجيده

قسم حفظه الله الكتاب الى ثلاثة أقسام قسم أدبي وقسم تاريخي وقسم علمي اما الاول فقد انتظم فيه ما يحتاجه الانسان فى جميع شؤونه الاجتماعية القومية فلا تستغنى عنه البنت من مهدها الى خدرها الى عرسها بشكل يصور الفضيلة في ابهى صورها ويرسم الآداب على صفحات القلوب حتى يكاد يجعلها طبيعة راسخة أو ملكة ثابتة . واما الثانى فقد بين فيه الموازنة بين الامم واشهر حوادثهم ومميزاتهم واغرق في اظهار العبرة وكشف الموعظة

وطبق ذلك على مايعتورنا فكان منه اغلى واثمن حكمة يدخرها الانسان فى أوعية صدره لتكون عدته في الشدة ومدده في احتدام الخطب وسراجه في ليلاء الحوادث المدلهمة . واما الثالث فقد جمع فيه ماشاء الذكاء وحسن الاختيار وسلامة الذوق . يري القارى فيه من بدائع الاختراع وحقائق النواميس ونتائج ماتمخض عنه اكبر العقول الانسانية مايظهر العلم فى مجلاه الحقيقى ويرفعه الى أعلى مشاهده التي تمثل مجده افضل تمثيل وتضع اهله في مواضعهم من التجلة وتنزلهم منازلهم من الاعظام وتجعل دولتهم فوق دولة القوة وصولتهم فوق صولة الملوك

ان الاكابر يحكمون على الورى   وعلى الاكابر تحكم العلماء

كل ذلك بعبارة تسبق السمع الى مكان الفهم وتصل قبل رجعة الطرف الى منازل الالهام . وجماع مايقال فيه انه أدب الكاتب وحلية العالم ومسبار المؤرخ (وهدى وموعظة للمتقين)

متع الله بصاحبه الأدب وجعله مسعود الجد ميمون النقيبة واكثر من امثاله المفكرين



القسم الادبي

﴿وكأي من آية في السموات والارض﴾
[يمرون عليها وهم عنها معرضون [1]]

كل ما خلق الله في السموات والارضين وما بدل فيهما وفيما بينهما من احوال وغير من اوضاع آيات للمستبصر وعظـة للمتذكر وعبرة للمتعقلين فلم يخلق سبحانه شيئاً سدى ولاخلواً من الحكمة ولم يبدل من حال الى مغايرها الا لاسباب اقتضت التبديل ولايمكن ان لايكون بين المسببات واسبابها شيء من الارتباط

آيات السموات « وكل ماعلاك فهو سماء » كثيرات كلها نواطق وان كانت صوامت بان بينها و بيننا علائق ولها فينا منافع ولم يصرف نظرنا عنها الااحاطتها بنا وتكرار تداولها علينا فلذلك امرنا بان لايفوتنا التفكر فيهاوالاعتبار بتقلباتها حتي لانصرف عن قريب ولابعيد من العبر والبينات « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب ». وليس قرب للانسان من نفسه وقد امرنا بالتفكر فى خلقنا واحوالنا وقرعنا على ترك التفكر فيها « وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون »

وعلوم الهيئة والطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعي كفلاء ببيان مافي السماء

(١) هذه المقالة بقلم العلامة الفاضل الشيخ عبد الكريم سلمان العضو في محكمة مصر الشرعية العليا الآن وكان وقتئذ وكيلا للجرائد الرسمية ومحرراً للوقائع المصرية

والارض وما بينهما من آيات لقوم يتذكرون وان كانت تلك العلوم الى الآن لم تكشف جميع ماذرأ الله فيها من الحكم الباهرات وما خبأ بينهما من الآيات بل لا يزال يتجدد لنا علمها وكلما علمناه منها اوصلنا الي علم مجهول لنا وليس من دليل على ان لم يبق شيء مجهولا « ان في ذلك لعبرة لأولى الابصار »

وليست آيات السموات على كثرتها وظهورها باكثر فضلا في العقول من آيات الارض وسكانها من الامم ولا أجلى من تبدل الاحوال على اولئك الساكنين الغابرين ولا اشد تأثيرا في التدبر للمعتبرين

كم سكنت هذه المعمورة أمم كانت لهم شؤون واحوال وكانوا في حياتهم على ماقضى به عملهم وخلف من بعدهم خلف لم يعيروا سلفهم جانباً من الفكرة فوقعوا فيما كان عليه ذلك السلف ولوتدبروا الاسباب وروابطها مع المسببات لما ذهبوا في طريق السلف متخبطين

وفيما قص الله في سورة القمر من قصص الرسل واقوامهم وفي تعقيب كل قصة بآية « فهل من مدكر » ما يكفي برهانا للزوم التدبر والتذكر واستعمال ماخلق الله في الانسان من تلك القوه العاقلة المفكرة على وجهها الذي خلقت لاجله وهو الانتقال من الاسباب الى المسببات واجتناب اسباب المضار والأخذ باسباب المنافع ولكل زمان عمل مخصوص وما كان ضارا في زمان ربما كان نافعا فيما سبقه او فيما يليه من الازمان سنة الله في خليقته « ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ماباانفسهم . وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » وكثير من الآيات القرآنية الكريمة ناطق ببيان اسباب العقوبة الدنيوية بحيث لولم يحصل من القوم شئ من اسبابها لنجوا منها وكانت حالتهم مستلزمة للصلاح لا مجلبة للعقاب وفيها كذلك تمثيل بمن خلف من بعدهم وعمل

بعملهم مع قرب الزمن فيما بين الدورين فوقع فيما وقعوا فيه ولوتدبروا وحاولوا الخروج من التمسك بعاداتهم لكانوا من الناجين وكانوا على صلاح حال في هذه الحياة ونعيم بال

ولايقتصر القول في هذا المقام على الغابرين بل يشمل العظة والاعتبار بالمعاصرين والمجاورين فهم اولي بالتدبر في احوالهم والتفكر في تقلبات الدهر بهم من حال الى مخالفها نقصاً اوكمالا رفعة اوانحطاطا قوة اوهزالا وكما يشمل اولئك المعاصرين كذلك يشمل النظر والاعتبار بمجموع الامة نفسها بنفسها الطبقة العالية منها بالطبقة السافلة والسافلة بالعالية والمتوسطة بالاثنتين وهما بها والفرد بالفرد من كل طبقة فحد العظة والعبرة بعيد المدى واسع الاطراف لايمكننا ايقافه في احدى النقط من جهة الزمان ولامن جهة المكين والمكان

كل امة عاصرت سواها ولم تلتفت لحالتها ومركزها في الوجود فتقتدى بها ان كانت ارفع وتتباعدعماخفضهاان كانت احط قيل في شأنها [وكأي من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون]

كل امة عاصرت غيرها ونفرت من اسباب تقدمها بحجة انها ليست من جنسها في مشربها او ان ماهو سبب لتقدمها لاينتج المسبب عندها هي فهي ضالة عن طريق العظة بغيرها والتدبر في احوالها وليس من القصد ولامن الرشد النفور لمجرد تلك المخالفة بل الاقصد والارشد والاقوم ان توجد العظة والعبرة ثم يحصل التنبيه الى الضار والنافع ثم تحصل ملكة التعديل والأخذ بالأحوط ثم تكون قوة استبدال السبب غير الملائم بسبب من شكله او من موضوعه او مباين له [والضد اقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده] فالغرض ان لاتكون الامة غافلة عما تعمل معاصرتها فتبقى مقيمة وتلك

تظل سائرة حتى لايمكن اللحوق او تسير كلتاهما ولكن الى جهتين متناقضتين امامية وخلفية فتنفرج مسافة مابينهما من المنزلة والمكانة في الوجود. ولاتسكت عن المتقدمة من حيث انها تقدمت بل لاتزال نستحثها على العظة بالمتأخرة واجتناب ماأُخرها والارجعت عن خط مسيرها وادركت جارتها في نقطتها اذ ربما تكون وقفت عن الرجوع فتتلاقيان في ذلك المكان وقيل فيهما او في احداهما [وكأي من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون]

كل طبقة من أُمة لم تتعظ بنظيرتها فظلت هذه على خمولهـا ونشطت الثانية من عقالها فتناءت عن الشركة في المؤخرات وتقربت الى الانفصال بما يعدّ من المقدمات ففازت بالسبق ولم تلتفت الباقية ملتفت السابقة فتعمل عليه وتجدّ المسير اليه قيل فيها [وكأى.ن آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون] بل ربما كان قول الآية الكريمة عليها اطبق وبها اليق فان الطبقتين تجاورتا في الدار فلا سبيل الى الاعتذار عن عدم الاعتبار ببعد الشقة ونأي المزار اولزوم اقتحام الاخطار في الاسفار حتى يتسنى العلم بالاخبار على انه لم يبق اليوم من حاجة لقطع القفار بما تقرّب من المسافات بين الاقطار بسفن البخار واتساع نطاق الخلطة بين الامة وكل امة فلاعذر للمجاورة وان كانت اقبل معذرة من الشريكة في المقام

كل فرد من طبقة لم يعتبر بما مس جاره من تبدل حال وسوء منقلب كان هو الجاني على نفسه فيه كأن استدان لغير ضرورة فتنكب الاقتصاد واخذ طريق السرف والتبذير حتى استغرق الدين ماله واتي على مافي يديه من الثابت والمنقول وحل الاجل فتقاضاه الدائن دينه فلم يجد للوفاء غير التجريد سبيلا فباع مايملك وهو ينظر اليه وليس من دافع ولاامكان لاستعمال قوة

فبات شقياً بعد ان كان غنياً واصبح معدماً بعد ما كان مثريا واضحى محتقرا مرذولا بعد ان كان موقرا كريماً . او كأن ترك ابناءه تدور بلا تربية وهو مقتدر على النفقة حتى شبوا على سوء الطباع بمعاشرة الاسافل والسوقة ولفيف الناس فصادف سوء الاخلاق قلوباً خالية فتمكن وكانوا لاخلاق لهم فلا يتحاشون دنيئة ولا يخشون عارا ولايخافون سوء الاسم بين الانداد والامثال . او كأن اخذته العزة بالاثم لقول حق من صغير مس كرامته بين قومه بعض المساس فتضجر واستكبر وأبي الا الفتك بالقائل فأدلي بالمال الى الحكام والقى بنفسه الى التهلكة وظفر به صاحب الحق فعاد وقد خسر الصفقتين صفقة المال وصفقة الجاه وعلو المكان ونكص على عقبيه جالباً على نفسه وعلى بيته من بعده العداوة والبغضاء فكثر عدوه وترقب له الفرص حتي اذله واهانه وقد كان فى غنية عن هذا الانحطاط . او كأن تجادل مع عائلته وهو بينهم بمنزلة الرئيس فجرأه الكبرياء والصلف على ان يمنع ذوي الحقوق حقوقهم سواء كان ذلك فيما ينبغي من المعاملات او فيما يملكون من المتاع فجرّ ذلك الى التنافر والتخاصم وانساق الجميع الى مواطن القضاء وقد يقضي للمرؤس على الرئيس فتصبح العائلة الواحدة اثنتين ويؤول امرها بعد الى عدة عائلات يجد الدخيل بينهم سبيلا وينساب اليهم كل هماز مشاء بنميم فلا يمضي الا بعض زمان وقد انضم الى كل بيت شريرون يربحون من زرع الشقاق ويخسر اولئك المساكين ما كانوا حفظوه بالوحدة والاجتماع من المنزلة في القلوب ولا يلتفتون الا وقد وجدوا انفسهم اخلاطاً بعد ان كانوا قادة ورعاعا بعد ما كانوا سادة وربما كان من مقتضيات التقاضي والخصام الاستدانة فبيع الاملاك وهذا هو الخراب المقيم . او كأن ينقاد الى الشهوات فيتبعها حيث تكون ولا

يبالي في استرساله معها بما تجلبه عليه من مخالطة الاسافل والاداني والتباعد عن مجالس الاعالي والاشراف ثم يدمن التعاقر بام الخبائث وربما هاجه الهيام فهاجمه الحمام على يد اقل العالم فكان من الخاسئين ولئن نجا في الاولى فهو هالك في الثانية بلا كلام ومن الغريب انه ان ساعده الاجل لم ينزجر فيرجع الى نفسه ويعود عليها باللائمة فينكف عن الوقوع في المهالك وقد شاهد الموت عيانا فماذا بعد هذا ينبغي ان يهديه الى الصواب وربما كان له او لاهله آمال في حياته فقطع عليه وعليهم سبيلها وباء بالوبال او صاروا بعده الى الخيبة والحيرة والضعة والخمود . او كأن الخ الكائنات التى تقال في هذا المقام مما هو معلوم فلا نطيل به الكلام

فكل فرد من طبقة لم يعتبر بجاره الذي جلب على نفسه هذه المصائب وامثالها فسار في طريقه بعد ان علم بمصيره قيل فيه (وكأي من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون)

فهذه بعض امثال سيقت لمجرد التمثيل وفتحا للباب في الكلام على امثال هذه الآية الشريفة والا ففيها من الحكم مالا يفي به البيان كما في غيرها من بقية الآى الشريفة التي تحث على النظر في احوال الماضين والاعتبار بما كان لهم من الصيرورة الى تلكم الحال وتوجب علينا استعمال ما اودعه الله فينا من قوة العقل والتفكر الى غير ذلك مما يرفع الشان ويعلي الكلمة من مكارم الاخلاق وطهارة النفوس وفي هذا القدر كفاية لمن تدبر والله الهادي الى سبيل الرشاد

﴿ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ [1]

لقد صدق الله رسوله الوعد بالحق ليحفظن ما انزل اليه من هذا الذكر الحكيم الذي هو القرآن الكريم وقد كان مما اقتضته الحكمة الالهية لحفظ الكتاب من الضياع ان اوجب على متبعه العمل بما فيه من الاحكام وجعله متعبدا بتلاوته ورغب في حفظه وحرم نسيانه بعد الحفظ وعظم حرمته تعظيما عظيما بحيث لا يمسه وهو مكتوب غير المطهرين

كل هذه وامثالها مما استبقى صورة القرآن الشريف على ما انزل وصانه من التبديل والتحريف فلم يختلف اثنان ممن تمسكوا به في ان هذه الآى المطهرة الباقية فينا هي الآي الكريمة التى انزلت على الرسول عليه الصلاة والسلام وقد مضت تلك القرون الطويلة وتغيرت اوضاع كثير من العالم حتى الجبال الرواسي والاطواد الشامخات والقرآن هو هو ثابت على ما نزل لم يعمل فيه حادث مما غير العالم ولم يزدد الا ثباتاً وانتشاراً ويبقي كذلك مقدساً محفوظاً وفاء بعهد الله لرسوله صدق الله العظيم فلن يفلح كل من حاول ان يهدم مابني الله بيدقوته او سعى في نقض ما تعهد الله به لرسوله وللمؤمنين ولو انفق مافي الارض ذهباً او اعمل قواه واعانه عليه قوم آخرون (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

جاء في هذا الكتاب العزيز آية (كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) خطاباً للرسول عليه الصلاة والسلام بانه انزل اليه هذا الكتاب الذي هو القرآن ليخرج الناس اجمع من ظلمات الجهالات الى نور الحق والعرفان وقد حقق الله هذا الاخبار فكانت الناس بعد البعثة المنيفة

---

(١) هذه المقالة لحضرة العلامه الفاضل الشيخ عبد الكريم سلمان ايضاً

من التنور والارتقاء على مالم يعرفوه فيما قبلها من الزمان فلايمارينا ممار أيا كان في ان الزمان الذي قبل البعثة المصطفوية كان زمان ظلمات يتخبط اهله من عبادة معمول باليد الى خضوع اعمى لصاحب اليد ومن عادات خشنة المس الى الشرور والرجس ومن الترقب لعدوان جار الى انتظار مداهمة عاد وكل هذه شواغل عن المعقولات وتمسك بالماديات والمحسوسات ولا جهل اوسع من قصر العلوم عن هذه المواد

اما مابعد البعثة من الزمان فان لم يكن فيه الاتوسيع دائرة العلم باعمال الفكرة واستعمال العقل لكفى به مجالا رحيبا لايجاد العلوم وتنوير البصائر والآيات الكريمة في هذا الكتاب المجيد الموجبة للنظر وتحريك الفكروالتعويل على العقل كثيرات لايكاد يحصيها هذا البيان القصير فلا منازعة في ان البعثة المحمدية جاءت حدا فاصلا بين ماسبقها من زمان الظلام و بين ماتبعها من زمان النور المبين فصدق اخبار الله بان هذا الكتاب يخرج الناس من الظلمات الى النور ومن جاحش في هذه القضية فقد جادل بغير الحق واراد اطفاء هذا النور الواضح بفم ضعيف (يريدون ان يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبي الله الاان يتم نوره)

يؤخذ مماتقدم ان كتاب الله باق محفوظ وانه نور للناس كافة هداهم الى صراط مستقيم صراط الله العزيز الحميد ولاينكر بعد ذلك ان هذا الكتاب العظيم هو اصل الدين القويم ففرعت عنه الشريعة السمحاء ودونت احكامها على لغته وقواعده الفصحى فثبتت احوالها بثباته وسهلت ثمراتها وجرى العمل بها جيلا بعد جيل الى هذا الوقت الحاضر ومابعده من السنين والاجيال وكل هذه المدة والكتب العربية المكتوبة بلغة القرآن الشريف سهلة المأخذ

بينة المضامين قطعية النصوص واضحة المعاني بما وضع لها من الالفاظ الكثيرة المضبوطة وما استعمل فيها من الاساليب وغرائب التراكيب وليس في الامم العربية ممن اشتغل بالعلم من التبس عليه الحال في فهم تلك الكتب فعدل عنها في التأليف او التعليم وغاية الامر ان البعض رأى توسيع العبارة والبعض عمل على الادماج والبعض استعمل الغريب والبعض مال الى المألوف والبعض راعى قواعد البلاغة بالدقة والبعض نحا منحى كثرة الايضاح والبعض اتخذ طريق التجوز والبعض تمسك بالحقيقة والبعض لاحظ المحسنات اللفظية والبعض فضل خلو العبارات من التكاليف والبعض محض عبارته للمعني والبعض جاء بها مع تحسين الالفاظ وكلهم يقال على عبارتهم انها صحيحة او بليغة فصيحة ولم يكن اختلاف هذه الطرائق عبثاً ولا مضراً بأساس اللغة بل هو مما ثبت قواعدها ونهج بها في سبيل السعة والانتشار لان الناطقين بها ليسوا في درجة واحدة من التعلم ولا مشتغلين بكل العلوم فكل واحد من المؤلفين نظر الى طائفته او طوائف مخصوصة وكتب بما يناسبها من العبارات السهلة التى لم تخرج بالسهولة عن حيز القواعد العربية في يوم من الايام وهذه كتابات القرون الماضية قرناً بعد قرن تشهد باستعمال اللغة العربية فى كل الادوار وتبين ان ما اتخذوه من السبل لم يخرج بالكتابة ولم يتجاوز بالعلوم حد القواعد العربية الصحيحة ويبرهن على ان الشريعة المطهرة هي الحافظة لهذه اللغة وان بقاء علوم الشرع موقوف على بقاء اللغة وان هذه الشريعة لابد من ان تبقى محفوظة بما تعهد الله القادر على الوفاء بما تعهد به لرسوله الامين

جاء في هذا الكتاب العزيز آية (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) اخبارا للنبي عليه الصلاة والسلام بان الرسل السابقين عليه جاؤا قومهم

بلسانهم حتى يتمكنوا من ان يبثوا لهم ما اوحي الله من الاحكام وما فرض من الواجبات بدون احتياج الى الترجمة بين الرسل و بين من بعثوا اليهم من المخلوقات ويؤخذ من منطوق هذه الآية الكريمة ان نبينا صلى الله عليه وسلم وان كان ارسل الى الناس كافة كما هو منطوق الآيات القرآنية الاخرى الا ان الله اجرى معه هذه القاعدة كما اجراها مع اخوانه الرسل السابقين الذين كانت بعثتهم خاصة بقوم دون آخرين فانه قد انزل عليه القرآن بلغة قومه العرب لانهم هم اول المخاطبين بهذا الدين (وانذر عشيرتك الاقربين) ولانهم هم الذين وكل اليهم امر نصرته وظهور دينه واعلاء شأنه فلا بد ان يفهموا منه عليه الصلاة والسلام بلا وسيط ماينطق به من الآيات البينات ولانه لو انزل القرآن بالاعجمية لقامت الحجة للعرب بانهم لم يفهموا عنه مايقول وكانت لهم المعذرة اذا احتجوا عليه بانه ليس من عند الله او نسبوه لغيره ممن تقدمه على ان البعض من قومه قد طعن عليه هذا المطعن بعينه مع كون لسانه عربياً اذ قالوا (انما يعلمه بشر) فرد الله عليهم بقوله (لسان الذي يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربي مبين) فاذا كان هذا ظن بعضهم به وهو يخاطبهم بلسانهم فما الظن به اذا كان القرآن اعجمياً لا ريب في ان حجتهم تكون بالغة ولا يمكن دحضها بتلك الآية الكريمة ولا بغيرها من الآيات ولا يقال انه كان اللازم ان يكون القرآن عربياً واعجمياً معا لان ذلك مما يتجه عليه ذلك المطعن بعينه ولانه لو اختير من الاعجمية لسان واحد لكان ترجيحا بلا مرجح

ولو انزل القرآن على جملة السن من الاعجمية لكانت الترجمة عنها الى لسان واحد محتاجة الى ضبط كل واحد منها بالدقة والى ارجاع كل واحد

منها الى الآخر حتى يتحصل معنى متوحـد ثم الأخذ عن هذا المتوحد الى اللسان المطلوب ترجمة الكتاب اليه وفي هذا من عدم القدرة عليه مايجعله قريباً من المحال ولابد من ان ينزل الكتاب بلغة واحدة ولما كان النبي المنزل عليه عربياً وقومه عرب فلا مندوحة من كون كتابه عربياً مبيناً ولو احتيج الى الترجمة عن الكتاب وهو عربي لتفهيم من لا يفهم العربية لكانت الترجمة من نطق واحد ولسان مضبوط ولو كان اعجمياً لما قامت به الحجة على قومه الذين هم اعون له في اعلاء دينه دون بقية الناس (ولو جعلناه قرآنا اعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد)

هذا وقد قضي الله ان الامم غير العربية المؤمنة بهذا الكتاب العزيز تعمل بأحكامه وتقرأ بعضه بلفظه في صلاتها وخطبتها الجمعية فكان من ذلك ان تلك الامم جدّت في تعلمه حتى فهمه العلماء فيها وافهموا معانيه للعامة منهم بلغتهم فلما تنور عقلهم بهذه المعاني الرفيعة تاقوا الى تعلم الفاظه العربية وتوسع العلماء منهم في لغتـه حتى الفوا فيها كتباً كبيرة وهذا القاموس المحيط للفيروزابادي وغيره مما يشهد ببلوغ الاعاجم الدرجة القصوى في اللغة العربية وتبع ذلك تبحرهم في العلوم الاسلامية كعلم الكلام واحوال الفقه وفروعه وتفسير القرآن الشريف وشرح الحديث المنيف وهذه كتب الناطقين بغير لسان القرآن في جميـع العلوم الشرعية المكتوبة باللسان العربي ناطقة بانهم فهموا احكام الدين حق الفهم ولم يختلط عليهم شيء من تلك الاحكام

ثم انه لاينكر علينا ان ترقينا وقلنا ان الامم التي لم تهتد الى الايمـان بهذا القرآن الكريم قد انتفعت منه نفعاً عظيماً بما نقلت من آدابه وتربيته

للعقول ومافيه من الاخلاق الفاضلة والمكارم العالية والعلوم السامية والتواريخ والمواعظ وان تلك الامم قد استفادت كثيرا مما دون في الشريعة المؤسسة على هذا الكتاب الحكيم من الاحكام وتدبير المنزل والسياسة المدنية وحسن المعاملات مع المجاورين وضبط المعاملات بين الافراد والقضاء والشهادات والعقوبات وغير ذلك مما يعملون عليه الى الآن وهذه كتبهم بين ظهرانينا وليس منها غير ماندر الاماله اصل عندنا يرجع اليه نجده مكتوبا في مؤلفاتنا العربية والاعجمية ولاداعية للبرهان في مجال مسلم به لايحتمل الانكار

وليس من ينازعنا في ان هذه اللغة العربية الناطق بها القرآن المتعهد بحفظه من فوق سبع سموات قد يفهمها كل من سمعها من عوام الناطقين بالضاد ولانحتاج في الدليل الى اكثر من سوق حالة العامة حينما يستمعون القرآن الشريف فانهم حتى القواعد في البيوت اللاتي لم يتربين على الكتابة والقراءة فضلا عن عدم تعلمهن شيئا من العلوم لما يتلى بينهم آى القرآن المجيد ياخذ كل منهم حصته من العظة والاعتبار ويرق قلبه بمايسمع من القصص والاخبار عن الامم الماضية التي خالفت اوامر الله فحاق بها العذاب الهون و يطير فرحا بما يبشر به من المثوبة بالجنة جزاء على صالح الاعمال وينزجر بالزواجر الواضحة لما يسمع النهي مثلا عن المحرمات وينبسط فيه الرجاء اذا تلي عليه شيء من الآيات المرغبة في حفظ العهود (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها) والعفو عن المسيء (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح فأجره على الله) وضبط المعاملات (واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) و بر الوالدين وكرم الاخلاق (وبالوالدين احسانا وبذي القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل) وهكذا آيات الاحكام كوجوب

الصلاة والصيام والحج والزكاة فانه ليس من عامي ولاعامية الاو يفهم مايفرض القرآن عند تلاوته من هذه الاحكام ولذلك فاننا قلما نرى منزلا من منازل المسلمين الا وقد رتب اهله فيه من يقرأ لهم سورا من القرآن المجيد في صبيحة كل يوم ولانراهم الامصغين سامعين لما يتلوه حامل القرآن في ذلك الوقت مفضلين الانصات له على بقية اعمال البيت حتى يفرغ من التلاوة (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ولئن سألنا العجوز في هذه الحالة عما قرأه الفقيه في يومه هذا ببيتها لقالت انهاسورة مريم مثلا او يوسف او طه او الكهف او التوبة الخ ولئن سألناها عما وجدته في نفسها ساعة التلاوة لقالت مانفهم منه انها اخذت حصتها مماسمعت من الموعظة خصوصاً مايتعلق بذكر احوال الآخرة والثواب والعقاب

وليس الامر فى هذه القاعدة قاصرا على قطر دون آخر بل انها عامة في جميع الاقطار الاسلامية خصوصاً العربية فلايشذ عنها بلد من البلدان ايا كانت حالته في اقدمية القرآن فيه اوطروءه من عهد قريب فلا يرتاب متصور في ان حالة القرآن المجيد لدى تلاوته على العامة من المسلمين اجمع هي ما أسلفناه من ان كل سامع ياخذ منه نصيبه ويفهم منه بقدر ماله من الاستعداد نعم ان فهم اولئك من القرآن ليس هو مايفهمه العالم الذي يريد التفسير او استنباط الاحكام الشرعية من نصوصه او الاستدلال على تلك الاحكام ولكنه لايمكننا ان نقول ان العامي لم يفهم منه شيئاً مطلقاً فان ذلك يكون بمثابة المكابرة في المحسوسات فغاية مايقال ان العامي يفهم منه بأقل مما يفهمه من تعلم شيئاً من العلوم العربية وهذا يفهم منه اقل مما يفهمه المتبحر في تلك العلوم وهذا يفهم منه اقل ممايفهمه من يريد ان يشتغل بالبحث

في معاني القرآن الشريف حتى يصل الى مقام الاجتهاد

فالمتمسكون بالقرآن العزيز طبقات في الفهم وليس منهم الا من فهم وفهمهم بمقدار مالهم من الاستعداد

ومن كل ماذكرناه يظهر جليا ان هذه اللغة العربية واسعة المواد كثيرة الالفاظ يمكن التعبير بها عن اي معنى يحوم فى الذهن بعبارات متنوعة كلها تفيد المقصود وانها تصلح للعلوم كلها في جميع الازمنة والامكنة ولاداعية للاستدلال على هذه النتيجة فان قضاياها مسلمة برمتها وان كان لابد من ذلك فهذه كتب اهليها ليست قاصرة على علم دون سواه وان من بينها كتب علوم الطب والهندسة والحساب والفلكيات والطبيعيات والكيماويات والنباتات التي ربما يدعي المدعون انهـا ضيقة المجال في تلك اللغة العربية كلها اوسع واغلى واعم نفعاً مما يتصوره مدعو القصور وان قالوا انها ليست مفهومة لكل من نطق بالعربية عارضناهم بالمثل في كل اللغات القائمة الآن فان علوم اية لغة لا يفهمها من قومها الا اهل العلم فيهم بل يمكننا ان نقول انه ليس من لغة في العالم يتساوى اهلها في فهم جميع ماالف فيها من العلوم حتى ان العالم في فن مخصوص لايفهم حق الفهم العلم الآخر الذى لم يشتغل به حق الاشتغال فما الظن بالعاميين اوالصناع وارباب الحرف والزراعة فاللغة العربية ان وجد من قومها من لايفهم بعض كتبها فما هو الا جرياً علي تلك القاعدة العمومية في كل اللغات على انه يمكن القول بان كل اهل العربية يفهمون من قرآنهم المجيد مالم يكن لسواهم في لغته بالنسبة لكتابه ويفهمون كتب الآداب الدينية والاخلاق والعادات وماذلك الا لان العامة منهم اقرب الى اللغة الصحيحة ولم يباينوها الافي اللهجة و بعض مقاطع الحروف ومخارجها ولايرد علينا ان في

اللغة العربية الفاظاً صارت الآن بمنزلة الغريب من النطق حتى ان القارئ لا يمكنه فهمها الا بالقواميس اللغوية فان المعارضة بالمثل موجودة في كل اللغات بلا فرق بين الالسن الشرقية والمغربية ليس منها الا ما يحتاج العالم فيه فضلا عن العامي او الطبقات المتوسطة الى القواميس على انه يمكن في اللغة العربية العدول عن تلك الالفاظ الغريبة الى الفاظ مألوفة هي ايضاً لغوية وصوغ العبارة منها على اسلوب يراعى فيه فهم القارئين على اختلافهم في الدرجات وهذا مما يحمل على الجزم بسعة اللغة العربية سعة لا تكاد توجد في غيرها من اللغات والعدول عن الالفاظ الغريبة لا يعد بدعا في الكتابة بل هو من القواعد المقررة للانشاء فان انسجام العبارة واختيار الفاظها المفردة من المألوف شرط لبلوغ الانشاء الدرجة المعتبرة عند الكاتبين

ثم ان القاعدة الاصولية الدينية عندنا تحكم حكما باتاً بان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب شرعاً وقد علمنا مما تقدم ان فهم احكام الله الموجودة في القرآن الذى هو اصل الدين موقوف على وجود اللغة العربية والعمل لا يمكن الا بما يعلم ولا يتأتي العلم بالمفروض والعمل به الا بهذه اللغة فبقاؤها فينا اذن واجب بلا نزاع

وعلى هذه القاعدة يتفرع الحكم بان العدول عن اللغة العربية اخلال بواجب ديني هو من اول الواجبات وكيف لا وان جميع علوم الاسلام العقلية والنقلية وآدابه ومعارفه كلها الى الآن مسطورة بهذا اللسان ولو عدل عنه للزم ترك تلك المؤلفات برمتها واحتيج الى تأليف جديد وهذا التأليف الجديد لابد من ان يكون بلسان غير عربي قويم وهنالك يكون الاخلال بذلك الواجب الشرعي ويكون ضياع الاحكام الشرعية باجمعها وهذه هي

الطامة الكبرى على كل اهل هـذا اللسان في اي مكان يكونون على ان هنالك واجبات دينية اخرى لايتأتي العمل بها الا بوجود هذه اللغة واهمها تبادل المصافاة والولاء واحكام روابط الالفة بين الجميع ويترتب على العدول عن هذه اللغة ضياعها بالمرة من بين الافراد

وانا لانجد من يرضى قصدا بكل تلك النتائج لهذه الامة العربية وان وجد فلا ينجح في مقصده فان الله تعالى تعهد بحفظ القرآن ووعده اصدق واعلى من ان يقع في الخارج ماينافيه

ولا نظن بعد ذكر ماتقدم انه يسوغ القول بان التمسك باللغة العربية هو تضييع للقوي العقلية ونقص في مراتب التقدم وان العدول عنها الى اللغة الدارجة هو السبب في ايجاد قوة العمل والاختراع فان القول بذلك ممـا لادليل عليـه بل قامت الادلة الواضحة الشرعية والعقلية على دحض ذلك المذهب ولا نريد ان ندخل في باب المناقشات اللفظية ولا في تبيان اختلاف اللغة الدارجة باختلاف المواطن وانها بذلك لاتصلح لشيء من العلوم فان ذلك كله مقرر معلوم ونرجو الله ان يوفقنا للعمل بما يرضاه انه نعم المولى ونعم النصير

﴿ كل من في الوجود يطلب صيدا غير ان الشباك مختلفات [1] ﴾

لانجد في الشعر مثل هذا البيت من حيث جمعه لكثير من الحكم والموعظة الحسنة اذ حكم على كل حي في الوجود الممكن بانه يطلب رزقاً وان الطلب متنوع الاسباب للحصول على المطلوب .

انظر الى عالم الحيوان من اصغر ذرة حية الى اكبر جسم حساس متحرك بالارادة

---

(١) هذه المقالة للعلامة الكاتب الشيخ عبد الكريم سلمان

تجد ان لاغناء لواحد فيه عن مقومات الرمق واستبقاء الحياة وتجد ان لكل فرد منه سعياً مخصوصاً في طريق خاص لتحصيل ذلك المقوّم لايكاد يجتمع منه فردان في ذلك الطريق

وقد يمكن التوسع في هذه المسالة على راي البعض من القدماء والمحدثين فيجمل الحكم عاماً كذلك في النباتات فيمكن القول بان لكل ذي نجم منها ولكل نبت طريقاً لايشاركه فيها غيره في الحصول على الغذاء المناسب لبنيته الملائم لصحته ونحوه فيأخذ الواحد منها من طبقات الارض مايصلحه ويمج ماعداه ولا يغفل عن ذلك طرفة عين حتى ينتهي دور حياته ويقف به العمر الى حد محدود

وليس من عمل هذا القسم الاخير ماينسب بالاجماع الى الادراك بل خالف فيه قوم وجعلوه من ذلك القبيل ولسنا الآن في مقام فصل الخلف بين الفريقين فان مرجعه الى التاريخ الطبيعي وعلوم حياة النباتات

ولنقصر القول الآن على طلب الرزق من الفرد الكامل في الحيوانات وهو الانسان فانه بالاتفاق يعمل عن عقل وروية ويتحرك لغاية مقصودة له في الوجود ونبين اشياء من طرق سعيه لرزقه التي سماها الشاعر بالشباك

يوجد بين كل الناس طرق للكسب تكاد تكون اعتيادية او بمقتضى اصل الخلقة والعادة طبيعة خامسة كما يقال فمنها التجارة وقد تكون جارية مجرى الاعتدال يقصد منها انماء المال ليصرف الربح او بعضه في لوازم المعيشة او يزاد الباقي على الاصل حتى يكثر وتتسع الدائرة فيدخل الى الانتفاع منها اقوام آخرون عالا لصاحب المال فتعمهم ثروته ويكونون كعائلة للمالك يعنيهم شانه ويهمه امورهم في الحال والاستقبال وقد تكون التجارة آخذة سبيل الاعتساف لايقصد منها الا المال وجمعه من اي طريق وجد على اى وجه اخذ وبدخل

في هذا القسم المرابون والغاشون في صنف البضائع ونوعها وجنسها وقيمتها وكثير ماهم في كل بلاد وكل زمان وكما ان هذا العمل يتأتي ان يكون من رجل واحد فكذلك يمكن ان يكون من جماعة او شركة او طائفة وكلما كبرت كبر ضررها في الوسط او الجيل الذي هي فيه

ومنها الزراعة ولانخالها يتأتى فيها من حيث ذاتها ذلك التقسيم الذي امكن في التجارة لان الزراعة لايقصد منها الا استثمار الارض واخراج مافي بطنها من الخيرات بالاعمال وانما الممكن تقسيمها الى مايراعي فيه ذلك المقصد بالجد والبحث عن النافع من الاعمال للوصول الى ذلك المقصد واختيار الاصلح من المزروعات مع ملاحظة مناسبته للارض والتقليل منه او الاكثار على حسب حالة الفصول والرواج والى مايراعي فيه مجرد القوت لاصحاب الارض بقطع النظر عن تلك الملاحظات وقد يوجد هذا القسم الاخير في كل البلاد وان تفاوت في القلة والكثرة باختلاف الامكنة فترى المزارعين في بعض البلاد يلحون على الارض الحجرية حتى تنبت نبتاً حسناً وينوعونه كل سنة ويتعمقون في الارض او يجعلون الزرع سطحياً على ما يهديهم اليه العلم وتدلهم فيه التجاريب

وبعض الناس قد رزقوا ارضاً من الخصوبة بمكان تصلح لزرع كل شيء ولا نراهم الا مكتفين على زرع صنف واحد او اصناف معدودة ملازمين فيه طريقة واحدة كأنهم استغنوا بجودة التربة عن الاعمال

ومنها التوظف والخدمة وهذه تنقسم باعتبار الى التوظف في الحكومات والى الخدمة الخارجة عنها و باعتبار آخر الى مايراعي فيه تأدية الوظيفة والخدمة بمالها من الحقوق وما عليها من الواجبات غير ملحوظ فيه الا نفس الوظيفة والخدمة

بقطع النظر عمن تؤدي له وماتوصل اليه والى ما لا يراعي فيه الا مجرد المعيشة والمحافظة على الراتب بصرف النظر عن اللوازم التي لا تقوم الوظيفة والخدمة الابها ويوجد من هذا القسم الاخير كثيرون في كل الممالك الا ان عددهم يختلف بتفاوت التربية وتعميمها وبتفاوت قيام الرؤساء بملاحظة المرؤسين حق القيام وبتفاوت العمل على ما اوجبه القانون بلا تفرقة بين الاعاظم والصغار

ومنها الصناعة وقد تكون كالتجارة موجهة الى اجادة العمل وتحسين المصنوع مراعي فيه الربح والنماء وتوسيع دائرة الصنعة من حيث هي ويدخل في باب الانتفاع بها الكثير من العمال وقد تكون سائرة الى الاكثار من المال بصرف النظر عن وجهته وما حده ويدخل في هذا القسم الغشاشون في المصنوع من جهة المادة او التمويه وهم كثيرون وان اختلفوا في الامم باختلاف التربية العمومية وبتفاوت مراقبة الحكام واحكام النظام وربما اختلف ذلك في المملكة الواحدة باختلاف الزمان

وقد يمكن ادخال بقية الطرق المستعملة بجلب الرزق التى فيها وجه الصدق والغش في تلك الطرق الاربعة فلم يبق بعدها سوى الطرق المحضة للغش والتدليس وهي اكثر من ان تدخل تحت عد او يحصيها كتاب لان الناس كلما رأوا منها قديماً جددوا فيه بدعاً واستنبطوا منه فروعاً والحوادث لا تنقطع ولا تنحصر فلا بد من وجود تلك الطرق بدوام الزمان ولنسرد منها بعض الشيء مما اتخذه اهله طرقاً للعيش والموت احسن من السلوك فيها للمتقين

فمن ذلك طريق التكفف للقادر على الكسب بالعمل وطريق السرقة والاغتصاب وطريق الخدعة والاحتيال وقد يدخل في الطريق الاخير الدجالون والرمالون وكذبة الدعاة الى طرق يسمونها خيرية وليست منها في

شيء لانها مناقضة للشرائع الحقة ومنافية للمعقول وقد امرنا على لسان دعاة الهدى بان لانصدق الا بماجاؤا به من النور المطابق للمعقول . اولئك اقوام نصبوا الحبائل للبشر والشباك للصيد فضلوا واضلوا عن سواء السبيل وليس لهم من دنياهم غير التمويه بان طريقهم هدى وانهم داعون الى الخير وهم يعلمون انهم يكذبون فيما يقولون وقد سطر التاريخ من اعمال اولئك الدجالين وآثارهم اخبار المتنبئين والمتهديين وغيرهم ممن نحا نحوهم وكان على شاكلتهم فلم نر في تلك الآثار والاعمال الا الفتن الداخلية والخارجية واثارة الشقاق وشق عصا الالفة بين الامم حتى بدت بينها العداوات والاحن والبغضاء فهذه آثارهم الغابرة الظاهرة ولا اعجب ممن صدقوا من جاء بعد الاول من اولئك الا من اتبع الثاني ثم من لبي الثالث ثم من اجاب الرابع وهكذا . ولقد كان الاقرب للعقل ان لايلدغ البشر من جحر مرتين خصوصاً مع وجود اثر اللدغة الاولى وعدم نسيان المها الذى ألمَّ بالعقول وان ألم العقول لا كثر اذى من آلام الاجساد

هذا وانا لا نجد اصلح للناس في تعديل طرق معاشهم حتى يعتدل ذوو الطرق الاربعة المتقدمة ويقل عدد من عداهم من ذوى الطرق الرديئة الا ان يجتهد اولو الدين فى القيام بواجباته ويبينوا للناس الخير من الشر والضار من النافع والحلال من الحرام والخبيث من الطيب ويحثوهم على العمل بالاوامر ويرهبوهم عن المنهي بالزواجر فان الناس لايعملون الا من طريق الرغب والرهب ثم يقفو الحاكمون السياسيون اثر اولئك الناصحين فيكافئوا التاجر المستقيم والزارع العامل والموظف المخلص والصانع الناجح ويعاقبوا المحتال والمداهن والدجال والمائن فلا يبخسوا لعامل عملا ولا يتركوا لمسيء جرماً فمتي اتجه الساسة والعلماء

الى هذه القاعدة صلح الحال بالتدريج شيئاً فشيئاً وكانوا من المحسنين وكانت شباك الصيادين كلها لا تطرح الا حيث يوجد الصيد الحل وانقطعت حبال الصيادين بشباك الغش والتدليس والافك والتمويه

ومما يجعلنا نحكم بصحة هذا القول ان النفوس الانسانية تخلق خلوا من الرذيلة قابلة لانطباع الفضيلة فمتى كان شبوبها بين اناس قوموها بالتربية الحسنة وملؤها بمكارم الاخلاق كان الفضل اليها اقرب والكمال بها الصق وفي كلام الله وسنة انبيائه ما يبرهن به على هذه القضية الحقة ويجعلها من البديهيات

هذه جملة من شباك ذلك الشاعر وهذا بيان تعديلها واصلاحها فليحذر العاقل من ان يتخذ شبكته الا الجد في العمل النافع حتى يكون صيده حلا فيؤكل هنيئاً مريئاً والله الهادي الى ما فيه الخير والرشاد

الناس من خوف الفقر في الفقر [1]

يوجد بين كل امة افراد حبب اليهم من دنياهم الجمع وكرهوا ان تكون لهم يد في البذل او ان يكون منهم على الناس طول بل ان منهم من بالغ فجعل نفسه ومن تلزمه مؤونتهم عداد الناس فلم يعطها حقها من الانفاق وضيق على ذوي قرباه من الصبية والنساء فلم ينالوا من سعته غير الحرمان وفقدوا بوجوده كل شيء من الراحة والنعيم وكان بقاؤه فيهم على كره منهم وهؤلاء منهم مشغول الفكر بالكنز والتحرز من الضياع منهوك الجسم بما اخذ على نفسه من طريق الكف عن المشتهيات بل الحاجيات والضروريات فما كان اجوده من فقير صابر يتحمل مضض الفاقة ولا يألم لبعده من النعمة ولا يجد من ذاته

(١) هذه المقالة للعلامه الكاتب الشيخ عبد الكريم سلمان

باعثاً الى اللذة فيعيش في شظف العيش وقشف الاضطرار قرير العين ناعم البال ولئن ذكر بان حالته لا تلائم ثروته سخر بالناصح وانتصب مكان الواعظ واخذ يبين فوائد التقتير ومضار السرف وعد كل من حاد عن جادته مجدا في سبيل الفقر مسرعاً الى العوز والاقلال وضرب لذلك الامثال بمن انفق فاملق وبمن مال الى التبذير فآل الى التدمير واحتج بالتخوف من مصيرهم والوقوع في عاقبة امرهم ولم يدر انه فيما فر منه الآن وانه من خوف الفقر فيه ولعمر الغني ماذا كان يفعل فيه الفقر بعد ما اوقع فيه نفسه من سوء الحال

ومن ينفق الساعات في جمع ماله   مخافة فقر فالذي فعل الفقر

قال الامام الزمخشري — لاسرف في الخير كما لاخير في السرف — وهذه ايضاً حكمة نستبين بها ان الطرف الثاني للتقتير وهو السرف مضر ضرر الطرف الاول بعينه لان المسرف وهو من يعطي من ماله مالا يستحق لمن لا يستحق همه ان يبعثر ماجمع الاولون لغير فائدة ولا في طريق مصلحة وهو لا يتنعم منه بشيء في نفسه ولا يستفيد منه من وكل اليه امرهم من القرابة الشرعيين فهو معهم فقراء في انفسهم وان عدهم الفقراء من المثرين ولا يمضي عليه وعليهم زمان حتى يصلوا مصير البائس ومن ضاقت به ذات اليد عن لوازم الحياة بهذه الحالة يتلاقي مع الطرف الاول في نقطة الاعدام وخسارة المال وقد جعل الله عاقبة الامرين (التقتير والسرف) واحدة حيث يقول (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا)

فرتب الملامة والحسرة على ارتكاب مانهي عنه في الجانبين جانب غل اليد الى العنق وجانب بسطها كل البسط دلالة على انهما يشتركان في شر العاقبة ولاشبهة في ان اللوم كما يتجه على من غل يده الى عنقه كذلك يتجه

على من بسطها كل البسط لانه لامنفعة في المال المكنوز كما لافائدة في المال الذي يصرف في غير وجهته وماخلق لاجله من المنافع في الناس وكذلك يعد كل منهما محروماً من ماله ولابد يوماً من مراجعة الواحد منهما عقله فيرى ان لانفع له في ماله فتلحقه الحسرة على حرمانه من ماله وضياع حياته سدى في الجمع اوالتفريق والتبديد بدون عائدة تعود عليه في المال دينه او دنياه ويالها من حسرة يخشاها العاقل ويتحاشاها البصير فعاقبة الطرفين واحدة بلا نكران ومآلها بئس المآل .

حدد الله الوسط بين هذين الطرفين وعينه كل التعيين بآية (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) فالسرف والتقتير طرفان والقصد بينهما قوام وقد حسب البعض ان السرف لايكون الا بالانفاق في المعصية اما في الوسعة الشخصية والمنزلية فلا اسراف وذهب آخرون الى انه في الاخيرة سرف كما هو في المحرمات وهما رأيان لابد بينهما من وسط كما هو بين السرف والاقتار والعدل في ذلك ان كل نفقة في خير على شريطة بقاء المادة الاصلية للثروة بالغة مابلغت لاتعد من الاسراف في شيء اما الخير فقد بينته الشريعة المطهرة ودلت عليه اعمال السلف الصالحين وان الاقتار المذموم هو الامساك عن الانفاق في هذا الخير ومن باب اولى ان يعد الامساك عن الانفاق في اللوازم المعاشية تقتيرا شائناً

انواع الخير الذي ابانته الشريعة المطهرة كثيرة فقد رغبت في بذل كل مايعود منه على المنفق اجر ولم تقتصر على الواجبات كالزكاة في النقود والزرع والماشية والعروض وزكاة الرقبة بانسلاخ رمضان وخمس الغنائم وسلب القتيل بل بينت كل مافيه كرامة خلق وتطبع بفضيلة كالصدقة الجارية والوقف على

نوع مخصوص والتبرع بالاحسان واعانة المحتاج ومواساه الفقير بالعطاء وتعهد الاغنياء للمساكين كلما دعت حاجتهم الى الانفاق وليس من حاجة لسرد النصوص القرآنية والحديثية والاثرية فانها بين يدي كل من اطلع عليها من الناس ولا خفاء في فهمها ولا التباس فانها كلها من الصراحة بمكان يدركها معه حتى الاميون

يعد كريماً ولايحسب مسرفاً شرعاً كل من خصص من ماله بعد اداء الواجب من الزكوات المفروضة جزءا لايضيق عليه معيشته للصدقات وله ان يجعل بذله لطائفة مخصوصة من الناس يعين صفاتهم ويجريه عليهم ماشاء من الزمن او طول الحياة ويكون مقترا ارتكب مانهى الله عنه ان كانت عنده تلك السعة وخصصها لنفسه ولم ينتفع منها احد سواه فانه ربما جرّ ذلك الى التقتير على نفسه ومن هم عالة عليه فوقع من خوف الفقر في الفقر وان خاف من نسبته الى الاسراف فلا سرف في الخير

يعتبر مقترا ملوماً كل من منع المستحق ما يستحق من المال كأن علم بان في جيرانه اواهل محلته او بلده بائساً كبرت عليه نفسه فتعفف عن ذل المسألة الحافاً فبات فقيراً ثم لم يواسه بما يقدر عليه من طعام اومال يسد خلته ويدفع حاجته اوكان علم بان فى اولئك من كان غنيا فدهمه القضاء بما لم يكن في الحسبان فامسى وهو في مصاف الفقراء ثم لم يبادر الى نجدته بماله والسعي بجاهه في اعلام الاغنياء بحاله حتى يجتمع له منهم مايجعله راس مال لحياته في مستقبل الزمان

اوكأن راى من اولئك من قضي على عائلهم بالموت اوليس لهم بعده من ساع على رزقهم وهم لايقتدرون عليه كأن كانوا صبية اومرضى اوكهولا ثم لم يتعهد امرهم بماله وبسعيه في استنهاض اهل الخير لهم ودعوتهم الى اغاثة

اولئك المضطرين أوكأن شاهد منهم نسمات من اليتامي تدور في الازقة بلا عمل ولا كسب لقلة مايجدون من يأويهم ويربيهم ثم لم يسعفهم بالمال وبذل الجاه في استجماع مايصلح شانهم من اغنياء امتهم ومواطنيهم في البلاد كل هؤلاء وامثالهم يعدون مقترين وممن يخافون الفقر وهم فيه

النوال والسخاء في هذا السبيل وامثاله خير وفضل اما قصره على المباحات فنقص وجهل ولان يبني الرجل لنفسه بيتا من المكانة والمنزلة في قلوب مواطنيه لخير من ان يبني بين منازلهم قصرا مشيدا يفسح فيه المدى ويكثر فيه الزينة ويستجاب اليه البهار فان البيت في القلوب قوي الدعائم متين الاساس كلما تقادم عليه العهد زاد رفعة وانفساحا وذلك القصر وان بناه بالاحكام حتي كان كالاهرام يبلوه الزمان ومالذته اصاحبه وهو قذي في عين الفقير كلما رآه تضجر لحالة نفسه اما ذلك البيت بيت المواساة والاحسان فهو قرة عين الفقير ومنتزه البائس والمسكين ومحط رحال المجد والفخار وان زخرفه ليدوم بدوام الناس في الوجود

من الناس من تجده يسهل عليه الانفاق في الاستطالة بالبناء الزائد عن حاجاته بكثير ولا يهاب الصرف في مثل الافراح والماتم وغيرها فينفق ماله وراء الناس ويجنح الى الخيلاء في الملبس والمطعم وهو لايحتاج من ذلك الا الى جزء من عشرات . ينفق هذا وهو مرتاح القلب غير متألم مما يرميه به العقلاء من الخروج عن القصد في هذا السبيل ثم ان دعي الى مبرة شرعية تقاعس وكلما اجهد الناصح نفسه وجدّ فى الطلب ازداد تقاعداً وتباعداً وكان هذا حاله في كل دعوة الى مكرمة تطالب بها مكارم الاخلاق فما لمثل هذا من دواء ينفعه في تصرفاته الا الالجاء الى الخير فانه لاينفع معه الدليل ولا يفيده البرهان اذا ارتكز في دماغه ان عمله هو اللازم وان

غـيره من طلاب المآثر الباقية عابث مضيع للمال في غير طريقـه المعتاد فان لم يمكن القسر لازمه ناصح وماهو من حيث الوجود بقليل ودأب على تذكيره بالشريعة وتمثل له بآياتها واعمال اهلها فعدل عن طبعه ومال الى الخير فعمله وتعود بالعمل عليه فتتجه وجهته اليه وان وجد في الامة كثير من اولئك وعز على الناصحين تهذيبهم فلا بأس من تركهم والركون الى التربية في الصغر فانها اقرب للمنفعة وادنى الى الانتفاع

يعد مسرفاً شرعاً كل من صرف ماله او شيأً منه في محظور لضرورة او مال في تصرفه الى الخيلاء والرياء او اكثر من لوازم الحياة وحاجياتها وزخارفها مقتصراً عليها وتأدى به ذلك الى ضياع المال كله اومعظمه والاحتياج الى الغير بعد زمان وان خرج به تجاوز الحد الى الاستدانة لستر الحالة كما يفعله الكثير كان من السفهاء المغرورين وربما كان من اللازب ان يقوم عليه قيم يدير له شؤون المال ويتصرف بما فيه المصلحة لئلا يتكاثر الدين وهو في غفلته فلا يصحو الا وقد نفد الرزق اجمعه واصبح من المقلين وتلاقي مع طرف التقتير ونادي عليه حاله والناس لاخير في السرف بحال من الاحوال .

اذا اجتمع عدد من الناس وجعلوا من مالهم جزءا كل على قدر سعته ووكلوا امر ادارته واستر باحه من وجهه المشروع للبعض منهم فاداره بالامانة والصدق واشترى وباع وهمه الاستغلال المفيد كان عملهم هذا من الاعمال الخيرية المشروعة خصوصاً وقد شاهدنا في هذه الايام ان التجارة والزراعة تنموان كل النماء بهذه الواسطة وان الواحد اذا كان منفردا فى تجارته ربما قصر به ماله اومنعه ضيق وقته عن انتهاز فرصة الاستغلال اما اذا كانوا كثيرين اشتغل الواحد بهذا العمل والآخر فى غيره وسافر البعض واقام الآخر فلا تفوتهم

فرصة الا غنموها ولاربح الاحصلوا عليه ومن ابي ممن يمكنهم الاشتراك في هذه الاعمال عن الدخول فيها فليس له من مانع فيما يرى غير الخوف على ماله من الضياع فهو بهذا الخوف قد منع نفسه فائدة الربح وقضي على ماله بالسجن وسار الناس في طريق الغني وقعد هو حتى اصبح ولا فرق بينه وبين الفقراء لا يدري العاقل اي فائدة لمثل هذا في تعطيل المال واكتنازه بلا فائدة وهو لم يخلق للكنز في جيل من الاجيال ثم ان مثل هذا الممسك الخائف على ماله كلما راى غيره من المجدّين في تنمية المال بالشركات التجارية يتقدم حاله في الغني والثروة وهو مقيم على حاله تضجر وتململ وتخلق بالحسد وقد كان في غنية عن ذلك بان يعمل مثل عملهم ويسير في طريقهم حتي يكون واحدا منهم يهمه ما يهمهم ويعنيه ما يعنيهم فلا يتصور ان يكون حسودا لهم في يوم من الايام

اذا تألف قوم من امة وخصصوا من مالهم جزءا لاعانة الفقراء والمساكين ونظر منهم طائفة في مصالح اولئك الفقراء فواسوهم كلا منهم بما يستحقه وما يصلح حاله في معيشته ومعيشة من بعده من ذريته كانوا قد عملوا خيرا عظيما وقاموا بواجب شرعي جسيم ومهما انفقوا في هذا السبيل من المال والاعمال المدنية أجروا واثيبوا عليه ولا يعدون مسرفين بحال من الاحوال فانه لا سرف في الخير ولا خير اعظم اجرا من مواساة الفقراء وتربية الايتام تربية تنفعهم في المعاش والمعاد هذه كلمات قضى بها واجب الخدمة العمومية جعلها الله مقبولة عنده انه نعم المجيب

﴿ عالمان مدني وريفي [1] ﴾

التقي البحران في قرية آهلة بالسكان وقد قضت المعيشة على المدني ان

---

[1] هذه المقالة بقلم العلامة الفاضل الشيخ عبد الكريم سلمان

يضرب في الارض طلباً للرزق فانتهى به السير الى تلكم القرية العامرة فامّ مسجدها الجامع لاداء الفريضة وليتعرف فيها امامها على ماجرت به العادة من ميل الانسان لمشاكله وايناسه بماثله فلما دخله صادف فيه امة ينتظرون الصلاة وبينهم معمّم كث اللحية ضخم البنية هذا يسأله في امر وضوئه ومائه وذلك يستفتيه في صلاته وما تصح به والثالث يسترشده في بعض المعاملات وهو يفتي الكل بما وسعه علمه ثم حضرت صلاة العصر فامّ الفقيه قومه وفيهم ذلك الغريب وادّاها تامةالشرائط كاملة الاركان ولما فرغوا منها انحاز الضيف الى احدى الزوايا وجلس الامام الى مابين المنبر والمحراب مما يلي اليسار واخذ المصلون في الانصراف حتى لم يبق الابعض من ليس لهم عمل يدعوهم الى التعجيل بالانصراف وهنا لك اقبل عليهم صاحب الوفادة فحياهم فلاقوه بالتكريم على ماهي عادة القرى من اكرام النزيل بالمصافحة وتبجيله بالمجاملة ودعوته لقراه فقام معهم الى دار اوسعهم يساراً ثم استفاض الحديث بين الجماعة فانجرّ الى ذكر الزراعة فخاضوا فيه طويلاً وفقيههم شريكهم الى ان ضجر الضيف من ذلك الموضوع فاحب الخروج منهُ ولو الى مالا فائدة فيه فسالهم عن امر الشركة في الزرع عندهم ومعاملة المالك للعامل فافادوه بعاداتهم وقسموا لهُ الشركة الى مخامسة ومرابعة ومناصفة واوضحوا لهُ الفرق بين الانواع وان الخامس والرابع لدى صاحب الارض بمنزلة الاجير يخلق لهُ العمل لو لم يكن من داعية اليه وانهُ يكاد يكون مملوكاً لمالك الارض يتصرف في الانتفاع به ولا تصرف السيد في الرقيق اما المناصف فليس عليه الافلح الارض واستنباتها ودفع نصف الحاصل الى المالك واخذ الباقي مقابل اتعابه بنفسه والماشية والبنين ثم يدفع بعد ذلك مقدار

خراج الارض المزروعة كلها او ازيد منه حسب الاتفاق قال الضيف هذا اذا كانت البلدة لاهلها ولجميعهم فيها اطيان فاذا كانت من البلاد المملوكة كلها لواحد ليس غيرهما هو تصرفه فى السكان

قالوا هناك الفقر المدقع والبلاء الموجع يعطي المالك للرجل فدانين يسميها بالمعاش يدفع الآخذ خراجها والعشور رمضاعفاً ويشتغل طول سنته بنفسه في منفعة المالك يشتغل معه ولده الصغير او بنته ايام الحصاد وزرع القطن وخفه وجنيه وغير ذلك من ايام موسم العمل بدون مقابل الا على الحصاد والجنى فانه ملزم بتشغيل بناته وابنائه في نظير اجر زهيد قالوا وربما كان الفدانان ناقصين في المساحة او كانا في ارض غير جيدة المحاصيل وربما اعنت ناظر الزراعة الفلاح فاضطره الى ترك زرعه اوتحمل مالا يطيق وفي بعض الاحيان يأخذ الناظر المعاش وهو مزروع ويترك العامل بلا عيش وربما كان الناظر صاحب غرض فعمل بغرضه مالا يتحمله الزارع وربما وربما الخ الاحتمالات لا العقلية ولكن كل ماتتصوره الاوهام فتأفف المدني لما سمع ثم وجه الكلام الى العالم الريفي فقال .

ايها الاستاذ وما شأنك بين القوم

الريفي ليس من عملي الا الصلاة بهم وخطبة الجمعة والعيدين

المدني وماذا مقامك فيهم وما تنتفع به منهم

الريفي مقامي بينهم مقام الواحد منهم في اهله لااجد من نفسي قوة على مخالفتهم في عوائدهم وانتفع منهم كما ينتفع الاجير باجرته فآخذ زكاتهم بعد الصيام واقرأ في منزل شيخ البلد ليل شهر رمضان ولي في نظير ذلك اجر معلوم

المدني وبم تخطب فيهم

الريفي بما الف من الدواوين

المدني فاذا حدثت وقائع خصوصية او رأيت من الناس اقبالاً على محرّم بعينه او تركاً لواجب مخصوص وليس في الدواوين مايفي بنصح أهل بلدك في العمل بالشرع اذا طرأت تلك الاحوال فماذا يكون عملك وكيف تكون الخطبة مفيدة للناس

الريفي وهل اسنّ سنة جديدة في الخطب وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف .

المدني ان فعلت فما خالفت السلف الصالح بل احييت سنة الرسول والخلفاء الراشدين فقد كانوا يخطبون في الناس على حسب الوقائع والاحوال وكثيراً ما عرّض النبي صلى الله عليه وسلم في خطبه ببعض اخلاق كانت معتادة او راسخة فرجع عنها الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وكثيراً مالمح لبعض الفضائل فاتبعوها ولايخفاك ياأخي ان الذي نير هذه الطريقة لايقال معه ان كل خير في اتباعه بل ربما كنا غير مصيبين اذا لم نقل على المنبر في ايامنا هذه الاماقاله هو على المنبر في زمانه وليس هنالك تشابه بين احوال الزمانين

الريفي اتريد يااستاذ ان تكلفني بان اؤلف خطباً من تلقاء نفسي انهي فيها عما شاع من الرذائل واحث على ماترك من الفضائل وليس هنالك من فضيلة الا ابانتها الشريعة السمحاء ولا رذيلة الا نبهت عليها فماذا تكون الفائدة من عملي وكل ذلك مسطور في الكتب وقد اشهرتها المطابع بين العموم

المدني ان وجود ذلك في كتب الدين ليس وحده كافياً للعمل به وان تأثر السامع بما يقال ساعة الخطبة غير تأثره اذا قرأه هو في الكتاب وفضلاً عن ذلك فان العاميّ ربما قرأ وفهم مافي الكتب ولكن لايلتفت الى ان حاله هو كذلك اما اذا قال الخطيب فوق المنبر اني ارى منكم اناساً يعملون كيت وكيت ولا

يبالون وشخص المحرم الفاشي بين قومه فذلك يكون اوقع في النفس وادنى الى الالتفات لما فيها من العيوب وهنالك ينتفع الناس ويكون الخطيب آمرا بالمعروف ناهياً عن المنكر عاملا بما قضي به الشرع الشريف

الريفي كل هذا تكليف بالا فائدة فيه ياسيدي ان الناس لايسمعون من معاشرهم وعلى حد المثل لاعالم في بلده ولا وليّ في بلده ومطرب الحيّ لايسمع فدعنا من ذلك الى غيره وخلّ القوم على ماهم عليه عاكفين

المدني اذا كنت انت العالم بماجاء به الشرع وترضى بان يبقى الناس على ماعكفوا عليه فما ذايكون حال العامي مع انه يأتمر لامرك خصوصاً اذا جئته من طريق دينه القويم وكيف يعد ذلك يكون حالك اذا رأى العامي منك رجلا يحافظ على العادة وان لم توافق الشرع المنيف

الريفي تعال فاسكن معي في الريف وعاشر اهله ودم على ذلك نصف مادمت انا وبعد هذا تكلم بما تريد

المدني يااخي ان القناعة كنز الغنى واذا رغبت عما في ايدي الناس رفعوا مكانتك واعلوا منزلتك وكنت الآمر فيهم بمايصلح حالهم وينفعهم في المعاش والمعاد

الريفي وهل تريد من القناعة فوق ما انا فيه الم اقل لك اني آخذ الزكاة واسهر رمضان بأجر واصلي اماماً بأجر وليس دون ذلك عيش

المدني ليست القناعة بقلة الموجود ولكنها الكف عما ليس لك فيهِ حقّ وان لاتطلع لما في يد الغير متمنياً ان يكون لك بلا سعي حق اليهِ ولا كدّ في تحصيله باحدى الطرق المقررة في العلوم وان يراك الجاهل فيحسبك غنياً من التعفف حتي لوعرض عليك بعض ماله نفرت نفسك منه واعرضت عنهُ مكتفياً بالقوت الحلال

الريفي وهل هذا متصوَّر في احد الناس

المدني نعم قد وقع بالفعل خصوصاً من أكابر العلماء الذين جعلوا انفسهم في مكان الناصح يعلمون الناس فكانت اقوالهم مسموعة ومواعظهم محترمة وفي كتب الاخلاق الدينية مالا يأتي عليه البيان

الريفي فلما ذا خرجت من بلدك ضارباً في الارض ألست تبتغي الرزق في اى مكان بأي وجه كان وقد نص العلماء على ان الرزق كما يطلق على الحلال يطلق على الحرام

فيرزق الله الحلال فاعلما ويرزق المكروه والمحرما

المدني نعم هجرت بلدي فهاجرت منه ابتغي رزقاً ولكن طيباً واطلب معيشة ولكن من وجهها المشروع ولو رضيت وانا في بلدي من العيش بما يمس الكرامة او يحط بالمروءة لكنت من اوسع اهلها ثروة واطولهم ريشا ولم اهاجر منها تاركاً مسقط الرأس ملتمساً من الرزق الحلال الكفاف على ان ذلك يا أخي ليس من موضوع الحديث فانما هو في امكان قبول النصح اذا جاء والناصح عفيف وليس متوقفاً الا على علوّ الهمة المأمور بها شرعاً وعلى عمل الناصح في نفسه بما يأمر بهِ الناس وهذا هو طريقها المألوف

الريفي كل ذلك معروف ولم تجئنا فيه بشيء جديد والكتب مفعمة بما تقول

المدني نعم ان ذلك في الكتب ولكن العمل به ليس سببه مطالعتها وحدها بل العمل به موقوف على التذكير به لمن اطلع عليهِ وعلى التنبيه اليه لغير المطلعين وهذا كما قلته لك في اول الامر من ان الخطبة على المنبر ولو بالمعلوم اوقع في النفس وادعى الى القبول

الريفي رجعنا الى الخطبة وللكلام فيها أليس عندك شيء غير الخطبة

فان كنت لاتريد الاالتكلم عنها فاعلم ان الناس لايألفون غير المألوف حتى لوجئناهم في خطبتي العيدين بغير تاريخ خلق السموات والارضين وكون الارض على ظهر الحوت والحوت في الماء والماء في الهواء والهواء على القدرة لغادروا المسجد وقالوا قد ترك الدين وحوقلوا وصوبوا سهام الملام فخلني ياشيخ وماعرفوه ولا تطوح بك النفس الى غير المألوف

المدني ومالي ارى الكثير من الخطباء قد عدلوا عن هذه الخطة في خطبة العيدين وجعلوها في العيد الاصغر مبينة لاحكام الزكاة وماتخرج منه ومن تجب عليه ومن تعطى اليه وفي العيد الاكبر مفصلة انواع الاضاحي واصل مشروعيتها ووقت ذبحها والتصدق بها او ببعضها الى غير ذلك من الاحكام اليس اهل الارياف كلهم من التربية في حالة متقاربة وماصح تركه عند البعض يصح كذلك عند الآخرين

الريفي ومأسبب الرضا عند البعض بترك ذلك المألوف وبقاء التمسك بهِ في بعض البلدان

المدني ليس السبب الاعمل القائمين بالنصح والعامي اقرب الطبقات الى الانقياد والرضوخ لاحكام الناصحين اذا كانوا من علو النفس على ماقدمناه

الريفي اضرب لنا مثلاً لنهتدى بهِ الى هذا الطريق

المدني مثلا فشت بين اهل بلد شهادة الزور حتى غلب امرهـا واختلط بذلك على القاضي سبيل الفصل في الخصومات ورد الحقوق لذويها واستعمل اهل بلد الاقتراض بالربح للتطاول في البناء والتفاخر بالخول والسعة في المعيشة من ذلك المال اوتداعي بعض اهل البلد الى الانتقام من مواطنيهم فيه فاستعملوا لذلك المكائد ونصبوا الشباك ليوقع بعضهم بعضاً في العقاب والخراب

او اخلد بعضهم الى الراحة واخذ منه الكسل عن العمل باليد مأخذه حتى اذا ضاق عليه الخناق استخف السرقة وجعلها من اسباب المعاش الى غير ذلك مما هو مشاهد للعيان فهذي الرذائل وامثالها يمكن الناصح ملاشاتها من انفس الناس بما يبين من النهي عنها في كتاب الله وسنة رسوله ويضرب لذلك الامثال بمن وقعوا فيها وما صاروا اليه ويحذر قومه من التخلق بها ويداوم على هذا المنهج حتى يرى النجاح ولابد من انه يراه على طول الزمان فان لم يره هو رآه من بعده من الناصحين اذا نهجوا هذا المنهاج

الريفي نرجوك كلنا بجمعنا ان تبقى في بلدنا الى يوم الجمعة فهو قريب وتخطب في الناس خطبة جديدة ليست من كتاب حتى ننسج على منوالها في مستقبل الايام

المدني لك ذلك ياحضرة الاخ ان اريد الا الاصلاح مااستطعت وهو الموافق للصواب

وبعد ذلك جاء وقت المغرب فادي الجماعة صلاتها يؤمهم العالم المدني جرياً على المعتاد في تقديم الضيف على من سواه للامامة اذا كان من طلبة العلم وحسبان ذلك من انواع الاكرام ثم دعي بطعام العشاء فكان الثريد واللحم فاكلوا شهيا وشربوا هنيأً ولم يفت طويل زمن حتى حضرت صلاة العشاء فكان الامر فيها ما كان في العشاء الاولى ولما فرغوا منها خرجوا من الدار الى فسحة مقمرة فيها مجلس مرتفع عن الارض فصدروا المدني اكمالا للاكرام اما هواء ذلك المجلس فشمالي مستطاب وهو وان كان على مقربة من بعض المستنقعات الا ان جودة الهواء العمومي واطلاقه ومروره اولا على المزارع كل هذا مما جعله لطيفاً خفيفاً ينفع اكثر مما يضر بما تخلل مروره من

مواضع الماء الراكد المتعفن باصول النباتات وورق الاشجار ثم دارت احاديث التحية اللطيفة وتوسطتها دعوته من كثير من الحاضرين الى منازلهم في الليلة المقبلة جرياً على المألوف في الارياف فاستقر الراي على ان يكون غدا عند فلان وانقضي ذلك الكلام وبعد هذا رأى المدني من نفسه ان ايامه هذه ايام موسم الحج الى بيت الله الحرام فقل الحديث اليه وسرد القوم ما كان من رغبة الاهلين هذا العام في اداء فريضة الحج وعددوا اسماء المسافرين الى تلك الاقطار وذكروا اثناء ذلك حكايات عن شدة الميل وظهور الوله على الناس والولوع بالحج والزيارة فتعرف المدني من خلال الحديث ان في الناس من اخذ علي محاصيل الزراعة المقبلة ليسافر ومنهم من اقترض لهذه الغاية بل منهم من بالغ فاستدان من المرابين وان من اولئك المواعين الايامي والقواعد والعجائز وذوات العاهة واللائي لم تجدن في سفرهن رفيقاً من المحارم وغير ذلك مما يراه هو منافياً للاستطاعة المبنية في كتب الفقه على اختلاف مذاهب المجتهدين فعجب لذلك كل العجب ووجه الكلام الى زميله الريفي فقال

المدني ايها الاستاذ ماهو المذهب الذى تعبد الله عليه اهل هذا البلد وما جاوره من البلدان

الريفي مذهب الامام الشافعي بن ادريس رضي الله عنه

المدني الم يجعل الامام الاستطاعة من شرائط الحج التي لا يجب على المكلف بدونها

الريفي نعم اشترطها في وجوب الحج على المكلفين

المدني الم يفسر الفقهاء تلك الاستطاعة بالقدرة على نفقة الحج وترك مؤنة العيال الى العودة منه بلا استدانة شيء من المال

الريفي   نعم فسروها بما يؤخذ منه ذلك وادخلوا فيها ايضاً أُمن الطريق

المدني   اذا كان الامر كذلك فما بالى اسمع ماسمعت من هجوم غير القادرين وارتكابهم الدين الباهظ من الربوي والدخول في مثل هذا المحرم الاجماعي لتادية فريضة ماوجبت الاعلى المستطيع بذلك المعنى الذي فسروا به الاستطاعة ومالي ارى الوعاظ وطلبة العلم عندكم لايبينون للناس مذاهبهم ولاينهون عن المراباة لاجل الحج ولم لايعلمون الناس امر دينهم الذي تعلموه على ماهو عليه في كتب المنقول

الريفي   ان الناس قد يرغب بعضهم بعضاً بالخروج الى الحج فمتى رأى اهل محلة زيدا من الناس يعد معدات السفر اليه استشاطوا غيرة والتهبوا تنافساً وقالوا ليس زيد هذا باغنى منا ولا اقدر على السفر من غيره و يوجد بين الاهالين بعض من يدعون فقهاء لم يتعلموا الفقه وهؤلاء يخالطون القواعد والعجائز فيرغبونهن في الحج ويذكرون مثوبته ولا يعرفون سوى ذلك من شرائطه ولوازمه كل ذلك مما يحدو بالناس الى ماسمعت

المدني   بقى سؤالي على حاله بدون جواب فانني القى العهدة على طلبة العلم في الارياف من جهة تقصيرهم في الارشاد

الريفي   ان العامة اقرب الى المطاوعة في الرغائب واستسهال الصعب في جانب مايثابون عليه فلو ارشدهم مرشد الى غير مااحبوه ضاع ارشاده سدى وذهب عمله هباء منثورا

المدني   ليس كلامي قاصرا على المشقات في السفر اوأَمن الطريق وانما هو عام في ذلك وغيره واخص بالذكر مسألة الاستدانة بالربا للحج فانني لا اظن مطلقاً ان العامي مهما كان حاله من السذاجة يعسر عليه ان يفهم ان

الدين بالربا حرام بالاجماع ولا يصح ان يرتكب الانسان محرماً كهذا لاجل ان يسافر الى الحجاز على اني ارى تقصيرا آخر وهو انه كان الواجب على طلبة العلم ان يعلموا الناس مناسك الحج وشروطه والغاية المقصودة منه وان يبينوا للناس ان الحج في مكة بشرائطه واركانه واجب لا على الفور وان زيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة مؤكدة بحيث يتم الحج بدونها فانني سمعت من كلام اخواني الحاضرين معي ان معظم النسوة وبعض الرجال لم يحرك ساكنهم للحج الا زيارة المقام النبوي على صاحبه الصلاة والسلام بل ان البعض قد يفهم انها هي الحج او لا يتم بدونها بحال من الاحوال فاذا سافر هؤلاء وهم على هذه العقيدة فربما فاتهم بعض الواجبات اكتفاء بالمسنونات فيضيع تعبهم ومالهم ادراج الرياح وتكون المؤاخذة في ذلك عائدة على طلبة العلم المخالطين لهؤلاء الناس

الريفي ان بمكة اناساً من اهلها يتلقون الحجاج ويعلمونهم المناسك والواجب والمسنون فهؤلاء فيهم الكفاية ولا يخلو ايضاً الركب من عارف بذلك اثناء السفر ولا بد لهم من حديث يقطعون به الطريق فبالضرورة يعلم العارف الجاهل وهم سائرون وفضلاً عن ذلك فان طلبة العلم اذا سئلوا اجابوا بما يعلمون

المدني ولم لا ينتظرون السؤال ولا يبادهون الناس بالعلم خصوصاً في ابان الحج وهم يعلمون ان في الناس من ذكرناهم افهل يتوقف التعليم على الاستفتاء يا استاذ مع انه من الواجبات

الريفي تعليم العلم فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن البعض الآخر

المدني واذا سكت عنه الكل يا اخي

الريفي يعاقب الجميع

المدني فلم نجعل انفسنا تحت طائلة العقاب ونحن قادرون على التخلص منه بما نعلم من امور الدين

الريفي سآخذ ان شاء الله من الآن فصاعداً في العمل بما قلت وان زرتنا مرة ثانية تجد الفرق بفضل الله ومعونته

المدني اعمل منهم كما عملت انا معك افهل كنت طالبتني للكلام

الريفي جزاك الله ياخي عن العلم واهله خير الجزاء

وبعد ذلك انفض السمر واخذوا مضاجعهم للنوم واصبحوا مسرورين وتفرغ المدني لتاليف الخطبة التى طلبت منه وقد سأل العالم الريفي عن اكثر الاخلاق تفشيا في بلده فافاده بما هنالك فالفها وخطب بها ذلك اليوم في الناس فكان لها اكبر تأثير ثم بعد الصلاة استاذن اهل البلد وعالمهم في مبارحتها فاذنوه بعد التشديد عليه في زيارتهم بعد حين فرضى بذلك وبارحهم الى بلده سواه

﴿ اما خطبة العالم المدني في النهي عن ﴾

(شهادة الزور فهاهي)

الحمد لله الذي دبر احوال العالم على اكمل نظام وشرع لهم ماقضته الحكمة من الاحكام فانتظمت شوءنهم وحفظت معاملاتهم على اكمل القوانين احمده على ماانعم وتفضل واشكره على ماشرّع وانزل واستعين به في مصالح الدنيا والدين واشهد ان لااله الا الله واشهد ان سيدنا محمدا رسول الله المرسل رحمة لجميع العالمين

اما بعد فياعباد الله قد جاءتنا الشريعة المطهرة داعية الى كل الفضائل ناهية عما يشين الانسان من الرذائل مبنية على الحكم العالية مبينة كل التبيين وقد دعتنا الى التمسك بالحق في كل الاحوال وملازمة الصدق في الاقوال

والافعال حتى تصح تسميتنا مسلمين وان من اكمل الصفات المندوب اليها تأدية الشهادات على الوقائع المستشهد عليها بلا مماراة ولا محاباة ولا تلوين فاذا تأدت كما امرنا هذه الشهادات ترتب عليها سهولة الفصل في الخصومات واصبح ذووالحقوق على حقوقهم آمنين قال تعالى ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فانهُ آثم قلبه وقال واشهدوا ذوي عدل منكم فمن فعل فقد رضي عنه ربه ومن رضي الله عنهُ كان من المفلحين فادوا الشهادة رحمكم الله على وجهها المشروع ولاتجعلوها ذريعة لايقاد نار البغضاء بين الضلوع بما تحرفون فيها مرضاة للصاحب او الاقارب والاهلين وان الله لأولى واحق بطلب رضوانه واعلا واكبر من ان يبيع الشاهد مرضاته برضاء اخوانه كما يشهد بذلك العقل والنقل والله احكم الحاكمين الايعلم العاقل ان شهادة الزور تسقط المروءة والاعتبار وتؤدي بقائلها الى النار وبئس القرار وانها من الحطة والضعة بمكان مكين الا يعتبر شاهد الزور بما يشاهده كل يوم من الايقاع بامثاله وسوقه للمحاكمة الدنيوية جزاء اعماله وعقابه بالحبس والعذاب المؤلم المهين هؤلاء شهاد الزور يسحبون في السلاسل والاغلال يذوقون الوان العقاب والنكال ويتنكب الناس بيوتهم تنقيصاً لهم فتباً لاولئك المساكين ان الله لايغفر للعبد ان يضر باخيه ولااكبر في الاضرار به من الشهادة بما ليس فيه فبعداً لمن كانت هذه حاله انه لعدوّ لنفسه مبين ان الله لايغفر لشاهد الزور كما جاء في الاحاديث النبوية لانها عدّت من الكبائر السبع المروية وكثيراً ماحذر من الوقوع فيها سيد المرسلين والحكمة انها توقع العداوة بين الناس بما توجب في تقاضي الحقوق من الالتباس او تودي بالنفس والمال وكل اصاحبه قرين وقد حثتنا شريعتنا على دوام التحابب والاخاء وحذرتنا مما يوجب الشقاق والجفاء رحمة بنا حتى لا

نكون من الهالكين وليس اقطع لعروق المودة من الشهادة الباطلة فانها بئست التجارة الباطلة تذهب بالانسان خلف الاهواء والشياطين فاتقوا الله عباد الله وليدفع كل منكم عن صاحبه اذاه وكونوا اخواناً صالحين وليكن كل منكم متمسكاً بالحق حيث كان لايقول الا الصدق ولو على النفس والآباء والاولاد والخلان فمن كانت هذه خلاله كان في تجارته من الرابحين والله الله في ضبط الشهادات وحكاية الوقائع على مانقضي به المروآت حتى اذا نسي شيئاً اعرض عن ذكره لئلا يعد من الخاطئين وراعوا فيها جانب الله ولا تملقوا واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين

الحديث

روي البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما عدّ الموبقات السبع الكبائر وكان مضطجعاً اعتدل عند الثالثة واشار بيده وقال الا وشهادة الزور الا وشهادة الزور الا وشهادة الزور او كما قال و بعد هذا خطبة النعت على النسق المعروف

✻ كيف تترقي الامم [1] ✻

(ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر)

مبدأ عليه تدور سعادة افراد الامم والجمهوريات وقاعدة اولية عليها اسس من نشأة الوجود خير الشعوب فكلما وجد في الامة دعاة نصبوا انفسهم لنشر الفضائل بين بنيها وخصصوا ثمين اوقاتهم لغرس بذور الآداب في مروج اذهانهم وعرجوا بهم عن مناهج اضداد الكمالات الانسانية من حيث هي

(١) هذه المقالة للكاتب البليغ عزتلو عامر بك اسماعيل

مبادئ الهية كما ركزت فيهم الملكات الفاضلة وانطبعت فيهم الغرائز الكريمة ومالوا عن الشرور الى الخيرات وكما تقوى هذا المبدأ الشريف بين افراد الشعب كما اخذوا في الارتقاء الى معارج الفلاح وتدرجوا الى اعلا مراتب النجاح وعرفوا حقوقاً لهم حافظوا عليها وواجبات عليهم فقاموا بوفائها وجنحوا بهذا الوازع القويم الى مايكسبهم الحمد والفخار ويحول بينهم وبين الرذيلة

اما اذا انفصمت عري هذا المبدأ وتداعت قوائمه وتناسى القائمون بالدعوة شأنها واهملوا امرها فاغفلوا النداء لامهات الاخلاق السامية وغضوا النواظر عن تقويم الافكار وتثقيف العقول وتهذيب النفوس بالآداب الالهية اسرع الفساد الى افراد الامة وتمكنت من نفوسهم الرذلة وتغلبت عليهم الشهوات السافلة فتجنح اميالهم دائما الى الشرور وتحل النقيصة منهم مكان الفضيلة وتنحل جامعتهم فيكونون افذاذاً شتى لارابطة تربطهم ولاجامعة تجمعهم (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم) لم يدثروا بدثار الفضيلة حتى تكون عروة اجتماعهم هنالك تنحط الامة من قنن السعادات الى وهاد الشقاء ويذهل ريحها او يتغلب عناؤها وهنا لك محال ان تنبت الزواجر الوضعية نبات الاصلاح او تاتي بالمرض الذي وضعت لاجله وعبث ان تحاول الهيئة الحاكمة تقويم الافراد وايقافهم عند معالم الخير والصلاح بتلك المبادئ مهما بلغت من الصرامة والشدة لذلك جاءت جميع الشرائع الالهيـة بالدعوة الي تهذيب النفوس وتثقيف العقول وحثت على الاخذ بمكارم الاخلاق وابانت الصفات الكمالية وشجعت على التحلي بفضائلها وميزت اضدادها ونفرت عن الالمام بشيء منها وجعلت هذا المبدأ اوكد الاشياء بالرعاية والمحافظة عليه فكثرت الآيات في ذلك حتى لاتكاد تخلو صحيفة من الصحف السماوية الا وفيها امر بتحل بفضيلة ونهي عن رذيلة

وتشجيع على الاخذ بمكرمة وتبغيض في نقيصة ارشادا الى ان سعادة الامم وشقاءها منوطان بالتهذيب العقلي والتاديب الروحي وتركهما وجودا وعدما

واقد امتازت الشريعة الختامية السمحاء عن غيرها من الشرائع الاولية باعظام شأن هذا الصراط السوى فلم تترك فضيلة الا حثت على التحلي بها ولم تغفل رذيلة الا نبهت عليها وامرت بالترفع عنها وابانت حكم الاخذ بالفاضل ومضار الاخذ بالناقص سواء كانت تلك الصفات والاخلاق قاصرة على الشخص في نفسه او رابطة له مع غيره من الافراد والجمعيات العمومية من عشيره وجاره وامته وارشدت الى ان انتهاج المنهج القويم منها يوصل الى منتهى الخيرات كما انذرت بان سلوك الطريق الآخر يؤول بالمرء وبالهيئة العمومية الى سوء المنقلب تضمن ذلك كتابها الاقدس الاعلى مبدأ التمدن الانساني ومصدر الخير البشري

ولسنا في احتياج لذكر شواهد على ماقررناه غير اننا نسوق ثلاث آيات لتكون عنوانا على غيرها انظر الى الآية الكريمة (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) كيف قرنت صلاح الامر وانتظام الحال وائتلاف الكلمة بلين الخلق ورقة الجانب وجعلت غلظ القلب وفظاظة الطبع اسبابا وعللا للفشل والشتات وفساد الامر فهذه الآية الشريفة رمز من الرموز العالية الى حل طلاسم كيفيات سياسة الامم وارشاد محكم ينطق بان سلطان اللين والاخذ بالرفق انفذ مضاء واثبت بقاء واحكم سياسة من سلطان العتو والجبروت

تأمل الى الآية (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) واعجب كيف جعلت الدفع بالحسن الجميل والسهولة في

الامر امرا مزيلا للعداوة ماحيا للبغضاء بل ترقت مكانة اعلى حيث اشارت الى ان انتهاج هذا السبيل الاقوم الايسر يجعل العدو الالد وليا والبغيض الاشد حميماً والمح بلبك الآية التي اختلسها الغربي من بين صحفنا وعلم مكنون سرها فجعلها أسا لاقتصاده ومرشدا يقتدي به في ادارة ماله آية (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) كيف مع وجازة لفظها تضمنت معني ضخما وسياسة سامية وحكمة بالغة ضاقت عنها المجلدات والاسفار

هذاهو سبيل ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولقد تبلج صبح هذا الارشاد وتجلى نهاره بأعمال صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم وأقواله التى جاءت متممة لمكارم الاخلاق ثم نسج على هذا الطراز السلف الصالح والعلماء الراشدون فوضعوا علوم التهذيب وتربية الاخلاق وشرحوا ماهية كل خلق واماطوا اللثام عن سره وزحزحوا شفق الخفاء عن كنهه قصـدا منهم الي تأديب الارواح وتثقيف العقول وتحقيقاً لان التهذيب النفسي هو مدار سعادة المجتمع الانساني وهذا كتاب الامام الاكبر حجة الاسلام الغزالى شاهد عدل تنطق آياته البينات بسر وضعه

فتهذيب النفوس وتربية العقول بالآداب ومكارم الاخلاق هوالمبدأ الاولى الذى وضعته الشرائع صراطامستقيما لخير الامم ثم جاء وضع العقوبات والزواجر من بعـد للفرد الشاذ النادر الذى ربما انعكس خلقه فلا يستنير لبه ولا تهتدي بصيرته لسلوك هذا السبيل الارشد ممن لا يؤثر فى طبعه الا عامل العنف والشدة بدل اللين والرأفة

ذلك سرجلى يعلمه من استقرأ سير الشرائع السماوية واحدة فواحدة

ووقف على حوادثها التاريخية من مبدأها حتى منتهاها

ذلك هو الوضع الفطري والترتيب الطبيعي اذ المرء مسوق بوجدانه ومقود باحساسه اذا رام تقويم ولده وحشمه لان يسوسهم اولا بالطريق الامثل الايسر بان يبين لهم الضار من النافع ويميز لهم الحسن من القبيح ويحثهم على اتيان النافع الحسن واجتناب الضار القبيح مظهرا لهم حكمة هذا وضرر ذاك ووراء ذلك يضع العقوبات والمكافئات لكي يحفظ طريق هدايته وسبيل ارشاده بالمرغبات والزواجر

وانما قلنا في صدر مقالنا هذا ان نشر الفضائل الادبية بين افراد الامة وبث مكارم الاخلاق فيهم من حيث هي مبادى دينية هو طريق قيادتها الى السعادات لان النفوس الفت المسارعة الى الاذعان بتلك المبادي والتصديق بها والاستسلام اليها من غير بحث ولا تنقيب عن اسرارها وحكمها فان كانت تلك الاسرار والحكم مبينة معها زادتها قبولا وتمكينا في النفوس والاقبلت كما جاءت استئناساً بما هو منطبع في الارواح من ان الحكمة الالهية لا تضع تشريعاً الاوفيه حكم بالغة وصوالح باهرة وان غابت عنا احياناً تلك الحكم وانبهمت علينا وقتا ماهذه الصوالح

ذلك مايحدثنا به وجداننا ويتلوه علينا احساسنا في انا اذا سمعنا (وقلما نسمع الآن حيث لامن يسمع) عظة او امراً الهيا يحث على فضيلة وتخل عن رذيلة انفعلت لها النفوس وتأثرت بها الارواح وتذكرناها وعملنا بمقتضاها على انا كثيرا ماتمر على مسامعنا في كل نهارا وامر صارمة وزواجر عاتية وهي لا تلامس نفوسنا ولا تعلق بارواحنا بل تمر عليها مر السحاب في الهواء (حكمة بالغة فما تغني النذر) نري الحاكم تزداد انتشارا يوماً فيوما وافراد الامة يشاهدون لحظة

فلحظة القضاء وتمر على نواظرهم هيبته بما يشاهدونه في الحال من سوق المجرمين زمرا لتنفيذ عليهم جزاء ماجنته ايديهم ونبصر مراقبة رجال الشرطة تشد آنا فآنا وتلح الاوامر الصارمة تصدر تباعا وتنشر سراعا حيناً خفياً ولكنا كذلك نجد الشرور تتزايد والجرائم تتفاقم فماسر هذا . ماسره الا ان الاهلين فقدوا الفضيلة الادبية والتربية العقلية فقدوا من بينهم المرشدين دعاة الخير نهاة الشر

تبين مما قدمناه ان صلاح الامم والمجتمع الانساني انما يكون بالتربيـة الفاضلة وتهذيب النفوس ودعوتها الى الخير ودربتها على الكمالات الانسانية حتى تصيرها ملكات وغرائز لا بأن تؤخذ بالعنف او تقاد بالشدة وانه يستحيل ان تتوجه امة من الامم الى الوجهة المثلى وجهة الفـلاح الا بذلك الطريق (طريق التربية) ولانعني بالتربيـة معناها المتبادر من اطلاق لفظها وهو المتداول بين العامة من وضع الولد الصغير في احدى المدارس وانسيال العلوم الآلية عليه انسيال سيل العرم كما نشاهده في سائر مدارسنا فذلك مالايجدى نفعاً فيما نرتجيه ولا يروى ظمأ ولايشفي غلة انما نقصد من التربية ان يثقف عقل الغلام بادئ بدء بالمبادئ الفاضلة وتراض روحه بالاخلاق الطاهرة وتعوّد نفسه على العادات النافعة ويهذب فكره بالآداب السامية ذلك هو منهاج الفلاح ومعراج النجاح ورب مسدول الفكر يقول هذه الأمم الغربية المتمدنة التي علت هام السماك الاعلى من الفخار وقمنا نروم مجاراتهـا ونحذو حذوها ونرغب في ادراك شأوها لم يكن ما اوصلها الى ان جملها تفتخر على العالم اجمع هو هذا المبدأ مبدأ التهذيب ورياضة العقول بعلوم الآداب وان مدارسها خالية من دروس الفضيلة والآداب فجوابه ان مازعمه جهل بالحقائق وتيه عن الصواب وبعـدٌ عن الرشاد فهذه بعض كتب تعاليمهم الموضوعة

للاطفال التي اوقعتها الصدفة بين ايدينا مشحونة بالامثال الحكمية العالية مفعمة بالآداب التهذيبية بعبارات سهلة جزلة يفهمها الصغير ولايسأم منها ويتأدب بمثلها الكبير

ولقد ساقني الشوق مرة فشرعت في تعلم اللغة الافرنسية فدلني الاستاذ على كتاب صغير موضوع لصغار المبتدئين بسطاء الافكار خلو الاذهان فاستحضرته فكان اول مقولة منه متضمنة بيان مايجب لله سبحانه وتعالى من التعظيم والتبجيل لانه هو الذي خلق فسوى وهو الذي قدر فهدى وهو الذي منّ بنعمة الوجود ثم تلتها ثانية شرحت مايجب للوالدين من التجلة والكرامة لانهما سببا هذه النشأة ومبدأ هذا التجلي الاولى ثم مايجب للمعلم والاستاذ من التفخيم والتكريم لان اثره في الوجود اثر الفضيلة وتربية الروح كما ان الوالدين منبع الجسم وتربيته ثم اعقبتها ثالثة اشتملت على بيان التفاضل بين المال الكثير الآتي من غير كدّ ولانصب ومن غير تدبير وحكمة وبين القليل من مسام اللغب الراشح من حرارات الوصب وان الاول كما ورد بسهولة وسرعة كذلك يذهب كما اتي وان الثاني كما اتي يبقى وكما بدأ يدوم ثم استتبعتها رابعة اعربت بان التعاون في الرخاء وتقاسم الهناء عماد ثابت ومدخر لايفني ايام الشدة والعناء وان من لايفكر الا في نفسه ايام اقباله يعدم الاعوان والانصار زمان ادباره كل ذلك بعبارات تطرب لها النفوس وتصبو اليها الارواح وتجذب نحوها الافئدة مع سوق امثلة بسيطة تأخذ بمجامع القلوب موضوعة على السنة بعض الطيور والحيوانات كوضع كتاب كليلة ودمنه هنالك حدثتني نفسي ان اسأل المعلم هل كل هذا الكتاب هكذا على هذا الطراز اجاب نعم

فمن يتأمل في كتاب صغير مثل ذلك وضع لحديثي السن من الاطفال

المبتدئين لغرض تعلم اللغة فقط ولم يجعل درساً مخصوصاً لتهذيب الاخلاق وتربية الارواح وان كانت تلك هي فكرة حياكته على هذا المنوال وعلم ان الصغير في تلك البلدان يتلى عليه عشرات ومئات نظائره وتمر عليه جملة آلاف من امثال هذه الحكم النافعة يعلم جلياً سر تقدم الامم الغربية. تقدمت بهذه المبادئ الشريفة ولم تتقدم بتقليد مايضر ولا ينفع ويعتقد ان تلك الامم عملت على قصد ان يحوز ابناؤها دروس الفضيلة والآداب قبل ان يحوزوا الصناعات والآلات ويجزم بان مثل هذا الطفل لايقطع العاشرة من سلسلة سني حياته حتى يكون قد استكمل كمالات الرجال وحاز فضائل الحكماء وانساق بسائق الفضيلة الى مروج الحمد وتخليد جميل الذكر . وهذه ايضاً مجلاتهم العلمية وجرائدهم الادبية وجمعياتهم المنبثة في جميع مدائنهم وقراهم عجباً وحتى ملاهيهم (تياتراتهم) من اعظم دعاة الخير والفضائل ومن اكبر اساتذة نهاة الشر والرذائل وهي حبذا المؤدب اللطيف ونعم المرشد والمعلم الانيس

هذا هو سر استواء هذه الامم على عروش السعادات هذا هو الينبوع الذي سوغ للغربي ان ينتحل لنفسه حق الولاية والوصاية على الشرقي . هذا كل مافي كنانته عند دعواه انه القيم الشرعي عليه هذا هو الذي قذف في روعه ان يرمي الشرقي بالقصور ويسمه بالعجز وعدم الثبات ويصفه بانه من طبقات منحطة وخلق وضيع ومابه من حطة ولاضعة وهذه آثار آبائه الاقدمين تنطق السنتها وهي صوامت وتفصح نقوش صخورها وهي جوامد بانه ازكى احلاماً واوقد افكارا واشد فراسة واسرع ادراكاً واحكم نظاماً واعرق مدنية وحضارة واسبق هداية لخير المجتمع الانسائي وما حطته سوى انه نام حيث استيقظ الغربي وقعد حيث سار فانتبه من طول رقاده وقد افلت كواكبه وخلق

فشيب فضائله وانبهمت معالم كمالاته وعفت رسوم آدابه فلم يبصر سوى نبراس هذا الغربي فرام الهداية به وحاول التقليد له ولكنه لم يحسن التقليد حيث بهره رواء الظواهر واغشى بصيرته عن السمي وراء الحقائق واذا لم يكن للتقليد الصوري اساس سوى اهواء وقتية واستحسانات نفسية زمنية يذكي نارها الخيال ثم لا تلبث حتى تخبو فقد جاء من هنا فقد ثباته ورميه بالقصور ووسمه بالعجز ولو انه جعل الفضيلة قائده والتربية الكاملة طريقه والحكمة رائده لما رمى بعار القصور ولا قذف بشنار العجز

كذلك نقول هنا هل لما اخترنا تقليد ذلك الغربي واحببنا التشبه به واعتقدنا ذلك منتهى الفوز وغاية السعادة قلدناه في مبدأ فضيلته وتشبهنا به في مصدر كمالاته ومنبع تربيته وشدنا مدارسنا على القواعد التى رفع نخار مدارسه عليها كلا نما قلدناه في الصور وحاكيناه في الخيال والوهم وشابهناه في تنمية الاجسام وضارعناه في العاب الكرة والجمباز مما ينمي العضلات كأنا لم نرد الا حفظ جسمه ونعوبته وليتنا نلنا مراماً وقضينا غراماً فابن الفلاح الذي يغدو و يروح وراء جاموسة ابيه صباح مساء تحت لفح الهاجرة وزمهرير البرد اقوى عضلات واصلب عودا واقدر على مزاولة الاعمال الجسمانية من (ابن الكرة والجمباز)

هذي مدارسنا اجمع من جدران حلقا واصوان الى مناطح امواج الغربي وان كان في مكاتبها الاولية شيء من تعليم دروس المبادي الالهية وعلوم الآداب والاخلاق الا ان هذا الشيء عقيم الفائدة فاقد النتيجة — اولاً — لانه في النظر العام لاساتذة المدارس ونظارها غير معتنى ولا مهتم به كغيره من بقية الدروس — ثانياً — لان بعض من نيط به غرس هذه المبادئ في اذهان

الاطفال لم يحوزوا درجة التهذيب لانفسهم حتى يمنحوها غيرهم وبديهي ان فاقد الشيء لايعطيه . ولا يجمل بنا ان نصوب نحو هؤلاء الاساتذة سهام الملام لان امثال وظائفهم غير مكترث بها في نظر ارباب الشأن في المدارس فهم انما يختارون لتلك الوظائف اناساهم في آخر سلسلة الاهمية والدراية ممن لايزيد راتب الواحد منهم الشهري عن مائتين وخمسين قرشا اوثلاثمائة قرش على الاكثر وناهيك بمن يعد نفسه أنه اسعد السعداء عند مايسعده البخت بنيل أحدى هذه الوظائف فالواجب ان يكون امثالهم من اعظم الناس دراية واقواهم فراسة واعرفهم بطبائع الناس واوقفهم على مكارم الاخلاق والآداب واكملهم تهذيبا وان يكون لهم في صدر أولي الامر في المدارس المقام الاول والمحل الارفع — ثالثا — ان هذه الدروس لم تقرر الا في المكاتب الاولية والواجب ان تكون في الاقسام التجهيزية والمدارس العلياء وان توسع كتبها نطاقا حتى تجيء كافلة بالغرض المطلوب

وليس من الغرابة بقاء المدارس الاجيال الطوال على هذا المنوال بل منتهي الغرابة انها جعلت في مقرراتها ثمرة في كل المدارس لقبتها بثمرة الاخلاق يعطي التلميذ عليها درجات عند امتحانه كدرجات العلوم التي تلقاها اثناء عامه مع انها لم تقرر ماالاجله تعطي تلك الثمرة واعجب منه ان بين ظهرانينا الآن جماً غفيرا ممن لبثوا الاعوام الطوال في البلاد الغربية وتربوا هنالك وعلموا صور التعليم واوضاعها في مدارس تلك البلاد ولكن لم يلتفت ذهن واحد منهم الى هذا النقصان المعيب في المدارس

كذلك نقول هل سادتنا الفخام والجهابذة الاعلام طلبة الازهر ونظراؤهم في بقية مدارس القطر الدينية التي لم يشق فؤادها التقليد الغربي وفوا

هذا الواجب حقه (واجب تهذيب الارواح وتربية العقول وتأديب النفوس) ودعوا الى التخلق بالاخلاق الفاضلة والتجمل بالآداب الجميلة وخلصوا من عهدة ماتحملوا (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وامتطوا مطايا النجاة ليوم السؤال واعدوا كتابهم بيمينهم ساعة المناقشة وان منهم من جلس في هذه المدرسة العالية التي خرق طباق الارض اسمها وذاع في الخافقين شأنها وخصص وقتاً لتهذيب وتربية الارواح بمكارم الاخلاق الكريمة تأسياً بصاحب الشريعة وعملاً بحديث (بعثت متمماً لمكارم الاخلاق) تحقيقاً لمعنى الوراثة المدلول عليها بحديث (العلماء ورثة الانبياء)

وان منهم من عاد ايام بطالته الى قريته التي فيها نشأ فوجد الشقاق وعدم الوفاق قائمة سوقه بين بني بلدته ورأى الشرور بينهم متفشية فدعاهم بصوته المسموع الى الائتلاف وازالة دواعي البغضاء والاختلاف وقام بينهم يوم مجتمعهم الاسبوعي فارشدهم الى سبل خيراتهم وابان لهم مضار مطاوعة اهوائهم واظهر لهم فضل المعاونة ونتائج المعاضدة حتي يكون خاص من عهدة آية (فلولا نفر من كل فرقة منكم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)

وانهم أحسوا بانهم بين المجتمع الانساني بمثابة الارواح والاجسام وعلموا ان لابقاء للجسم الا بتدبير الروح وعرفوا انهم مسؤلون عن كل فرد من افراد الامة وملزمون بارشاده وهدايته الى مناهج الرشاد وابعاده عن مهاوى البغي والفساد عملاً بآية (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) اظن الجواب على السؤال حرجاً والمجال ضيقاً والسكوت اليق والصمت اخلق واجدر الا ان نقول في الجواب انهم شغلوا بعلوم اخرى

وسنوا سنناً سلكها الاوائل وحذا حذوه الاواخر وصاغوا حلقة محبوكة الاطراف جعلوها مدار اهتمامهم ومحور افكارهم وكان عندهم طريق يمكن معه استبدال ذلك الطريق ولم يكن في الكتاب ولا في السنة ما يوجب التزام سبيل واحد جيلاً او اجيالاً فضلاً عن مدي الدهر وطول الزمان فلم لايخرج الواحد منهم مدي عمره — الطويل — مهما بلغ عن هذه الحلقة وكل ما انتهى الى منتهاها انحط الى مبداها وربما كان الخروج عن هذه الحلقة في معتقدهم الى بعض العلوم الاخرى بدعة في الدين ومروقاً عن السنة وزيغاً عن الهدى ثم جعلوا كتب الارشاد والهداية ومنابع الخيرات من تفسير وسنة من الامور الثانوية خصصوا لها ازمان الفسحات واوقات الارتياح اوسويعات الاسحار والاعتام حيث تموت الرغبات وتثبط الهمم وتفتر الاجسام حيث لافكرة حيث لارغبة حيث لاثمرة ولم يجعل لعلوم الاداب والاخلاق في تلك المدرسة من حظ ولانصيب ولم يدر في خلد واحد من حضراتهم ان هذا ليس كل ماامروا به ولا جميع ما كلفوا به او ان هذه الامور التى اعتنوا بها انما هي وسائل لمقاصد اسمي ومناهج اعلى وان ليس من الحسن ان نترك المقاصد للوسائل كما لايجمل ان نترك ظهريا الثمار النافعة وتحصل القشور البالية

وليت انتهاج هذا المنهج اقتصرت مضاره على المتعلمين من ابناء الامة فآبوا الى اهليهم في اواخر سنيهم وهم خلو من الفضائل عطل عن الآداب والتهاذيب الروحية بل نرى خطبه مد عنقه وبسط جرانه نحو الذين اهملوا غرس الفضائل فيهم ففقدوا سلطانهم على القلوب وعدموا التجلة والكرامة في الصدور

فان قال قائلهم ان تعليم العلوم العربية والفقه من فروض الكفاية وقد قاموا بها قلنا لقد كان الاوكد وجوبا تعليم علوم الحساب والهندسة وتخطيط

الارض والطب والفلك وعلم التاريخ وتهذيب الاخلاق التي فقدت آثارها من تلك المدرسة الزاهرة اذ الاحتياج الى معرفة هذه العلوم من اكبر الضروريات في المسائل الشرعية ومقرر في السنة وكتب الاقدمين وجوبها ولسنا نرتاب في ان جهابذة الازهر يعترفون بوجوب جميعها حتى نحتاج هنا لاثبات الوجوب ونوضح ارتباطها بالامور الشرعية وتوقفها عليها

هذه سوانح ضاق عنها الصدر فرقمها القلم على صفحات الفضاء الواسع عسى ان يصل صداها الى آذان من يهمهم امر المدارس في بلادنا وترقية الامة ورفعة شأنها فيجعلوا في بروجرام كل مدرسة درساً تهذيبياً ادبياً يكون في مقدمة دروسها يعطي التلميذ عليه نمرا بمقدار ما تأدبت روحه بما تعلم لا على البراعة في حفظ ما اخذ واحكام ما تلقى ويجعلوا ايضاً كتب تعليم اللغات الاجنبية على النمط الذي عليه البلاد الغربية حتى تكون دروس تهذيب وتأديب ويضعوا كتباً اخرى يوسعون فيها دوائر التهذيب والتأديب وينتقون لتلقين امثال هذه الدروس اشخاصاً شعارهم الفضيلة ودثارهم الكمال ممن حازوا جميل الثقة بهم فالبلاد لا تعدم العدد الكافي منهم

كما نرجو ان يصل دويّ هذا النداء الى اساتذة الازهر فيلبوا نداءنا وينبعثوا من مراقدهم نحو موارد الواجبات عليهم لامتهم

وليس بعزيز على عزيز البلاد وسمو اميرها الحائز مع مضاء الشباب فضيلة الشيوخ وحكمة الفلاسفة ودربة الحكماء ان يوجه عنايته السامية الى هذه الملتمسات فتكون حسنة من عقد حسنات اوامره العلية على البلاد التى من اكبر همه اعلاء شأنها واعزاز جانبها والله ولي الرشاد

﴿ رأس المال [1] ﴾

الانسان مسوق بحسب خلقته وماتقتضيه فطرته الى الشغل والعمل ليموّن نفسه وعياله ولذلك كان مضطرا طبعاً لان يتبصر زمن صحته فيما يكون اذا اصابه مرض يمنعه عن العمل او اعتراه وهن الشيخوخة وضعف القوي

ولهذا جاء الحديث الشريف (تزود من صحتك لسقمك ومن غناك لفقرك ومن شبابك لهرمك)

وبعبارة اخري سنة الله في خلقه هي ان ينظر الانسان في الحال الى مايؤل اليه امره في الاستقبال بل هذا النظر الذي يطلبه الوجود هو قاعدة سلامة الاوطان ورأس المدنية والعمران

وهذا انما يدعو الانسان الى ان يدخر في يومه شيئاً من ثمرة عمله في هذا اليوم يستعمله في يوم ثان اذا طرأ عليه ماينعه من العمل فاذا كان اليوم الثاني كان غير محتاج لنفقته لسبق حصوله عليها فاذا لم يعرض عليه ماينعه من العمل امكنه شغل هذا اليوم في تحسين آلات عمله اومبادلة عمله ذلك اليوم بالآلة اللازمة له من غيره ليسهل عليه العمل بعد بما ادخره قبل وهذا المدخر هو رأس المال

فرأس المال اذن انما هو جزء من ثمار اعمال سابقة يستعان بهِ في الاعمال اللاحقة. وظاهر ان لكل انسان رأس مال هو ماادخره فالنجار الذي يملك فارة وقدوماً ومنشاراً صاحب رأس مال والحداد الذى يملك كيرا وسندانا ومطرقة صاحب رأس مال ومالك محراث للحرث اومسطرين للبناء او مقصّ للخياطة كل من هؤلاء صاحب رأس مال

---

(١) لصاحب العزة ابراهيم بك مصطفي ناظر مدرسة دار العلوم سابقاً

وليس رأس المال قاصرا على النقود او الارزاق المستعملة في استنتاج ارزاق اخرى اومؤونة او آلة بل الادراك رأس مال والادب رأس مال والبر والخير رأس مال لمن يسديه وحب الوطن رأس مال بل جميع الاعمال فالسابق منها رأس مال في الحال والحالي رأس مال في الاستقبال

فالطفل الذي يتعلم القراءة والكتابة والحساب وتاريخ وطنه وماكان عليه سلفه حاصل بتعلمه على رأس مال واذا تعلم بعد ذلك صنعة زاد رأس ماله وحينئذٍ لايتوقف نجاحه في المعيشة الا على ان يكون عاملاً صادقاً اميناً مؤدياً لواجباته اي على ان يخاف الله تعالى

والذي تعلم الشريعة واحكامها حاصل على رأس مال يحصل له بهِ الفائدة والاعتبار باستعمال رأس ماله في ارشاد الناس الى صلاحهم واقامة العدل بين الناس ليقف كل عند حده فيحصل الامن وتحفظ الحقوق

والطبيب له رأس مال هو معلوماته التي اكتسبها بالتعلم وانتفاعه منهُ موقوف على حسن استعماله لهذه المعلومات

والسياسي الذي جرب الامور واختبر الناس يملك رأس مال تختلف قيمته بحسب تجاربه ومعرفته لاحوال العالم وضروريات امته . ورأس المال هذا يستعمله السياسي ايضاً كما يستعمل التاجر رأس ماله في الاستغلال فيبذل منهُ في صورة مقترحات مايعود على الامة التي يشتغل من اجلها بزيادة ثروتها ورفعتها ورفاهيتها بنسبة رأس ماله

ولرأس المال من اي نوع كان اهمية عظمي فلا غنى لامة عنه والا فكيف يكون الاستنتاج اذا اعوز النجار القدوم والحداد الكير والصناعة الفوريقة والبناء المسطرين والخياط المقص والزراع المحراث وكيف تكون حالة الامة

اذا لم يحصل افرادها على المعلومات الادبية والدينية والعلمية الابتدائية التي اصبحت اليوم ضرورية لكل انسان وبها يتميز عن غيره من انواع الحيوان

وكيف تكون حالة الامة اذا لم تتخذ رجالا من اهلها اهل حزم وعزم ودراية اختبروا الزمان واهله يأتمّ بهم فيحصل بين افرادها التضافر والتعاون والتحابب ويكون للامة بمقترحاتهم اميال معلومة تسعى لها اذ لافوز لامة اليوم في معامع المزاحمة وميادين التمدن والحضارة الا اذا تمسكت بخيار رجالها واقدرهم وامضاهم في العمل

لاجرم ان الامة تتقهقر وتخسر بقدر مايعوزها من ذلك فالاستنتاج بدون هذه الآلات ينقص نقصاً فاحشاً ولواجهد الصناع انفسهم في العمل فلا تكون محصولات البلاد كافية لمعاش الامة وحياتهم وتصبح الاهالي فقراء ويعتريهم الاضمحلال والذلة والهوان

فان الثروة العمومية لامة تتعلق كل التعلق بما ذكرناه من رأس المال وبينها وبين حالة الاهالي ارتباط شديد فكلما زادت كانت الامة اكثر عددا واعز شأنا فاذا زادت الثروة العمومية بحسب نسبة حسابية يزيد عدد الاهالى تبعاً لنسبة هندسية فاذا بلغت الثروة العمومية ثلاثة امثال ما كانت عليه يبلغ عدد الاهالي تسعة امثال ماكانوا عليه

وكما انه لاسبيل للحصول على راس مال الابالعمل والادخار اي السعي والحرمان كذلك لابقاء له من غير مثابرة على العمل والادخار فمن انفق من غير ان يكتسب فانما يبدد ثروته ويمد يده الى الفقر لانه يشتت ثمرة العمل السابق الذي استجمع بالسعي والحرمان فيكون في طريق الخراب طريق فيه يرى رأس ماله انتقل من يده الي يد غيره اكثر منه نشاطاً واحسن تبصرا

فالعمل المستجمع لايحفظ الا بالعمل فكما ان الملابس تنهك والمنازل تتشعب ان لم يتداركها العمل كذلك الاعمال السابقه لاسبيل لحفظها والانتفاع بها الا اذا مدت باعمال لاحقة

وكما ان المباني ان لم يتعهدها اصحابها بالاعمال تسقط وتهدم وتنفصل اجزاؤها بعضها عن بعض فيتداركها آخرون بالعمل ويستجمعونها فتصبح بناء آخر جديدا ولكن في يد ملاك آخرين

وكذلك العمل المستجمع في السابق ان لم يكن مقرونا بالعمل في الحال تبدد وانتشر واستولى عليه آخرون فينتفعون بهِ فلايحفظ للتاجر راس ماله في استغلاله الا بالعمل والمثابرة على العمل والاّ ضاع سعيه السابق وما قاساه في الحصول عليه من التعب والحرمان . وكذلك الامر في رأس المال الذي يكون في صورة مقترحات لاتحصل جميع فوائدها الا اذا حصلت المثابرة بحيث تكون الاعمال اللاحقة معينة للاعمال السابقة فاذا لم تحصل المثابرة لحق الهيئة الاجتماعية التى استعملت في صالحها هذه المقترحات خسارة عظيمة هي ضياع اعمال مدخرة ادخرها السلف لينتفع بها الخلف ولا سبيل لهذا الخلف ان يدخر لخلفه رأس مال الا اذا زادت الاعمال التي ادخرها سلفه بعمله والمثابرة عليه

فرأس المال الذى هو رأس كل عمران لايكون الا بالعمل والمداومة عليه اي السعي والمثابرة بالسعي اولا ولذلك اجاد القائل [من سعي رعي ومن نام لزم الاحلام)



﴿ واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض [1] ﴾

لو كان بسمارك وبلرستون ممن يفقهون العربية وغامبتا وغورتشاكوف يفهمان بعض معانى الآيات الفرقانية لاعترفوا بانهم ما أتوا بشيء جديد من عندياتهم في تعليل سقوط الدول المرتقية وارتقاء الامم الساقطة فقد جاء الفرقان باوضح بيانٍ على كنه ذلك لقوله تعالى «واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها»

ولو سمع ماربوط آية «الم تر ان الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله» لما انتشى فرحاً بتفسير ظاهرة السحاب والامطار

ولو سمع نابليون وجماعته المفتخرون باكتشاف الجنرال ملتك لظاهرة السراب بسفح الاهرام حتى قال الاخير (انى افخر على باني الهرمين فقد رفع عمارته على حجارة صلدة اما انا فقد رفعت عمارتي على اساطين علمية) قوله تعالى « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً » لبهتوا ونادوا من ذا الذي يريد سلب اكتشافنا أو لقالوا (للكاتب) ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفاً ولو سمع كونكيت وكارسيل قوله وله المثل الاعلى « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية » لاستصغرا ما قضيا في مزاولة البحث عنه اربعاً وعشرين عاماً وهو تبديل المصابيح العادية (المسارج) الى مصابيح ذات زجاجات مستودعاتها اسفل الاشرطة الملتهبة

---

(١) للمرحوم الدكتور عبد الرحمن اسماعيل المتوفي في يوليو ١٨٩٧ وشقيق عزتلو عامر بك اسماعيل

فالقرآن المجيد لم يترك (امام المتأمل) صغيرة ولا كبيرة الا احصاها مما ينسبه هذا الى نفسه ويعده استكشافاً جديداً . ويسنده ذلك الى بحثه ويرفع عقيرة الفخر لوقوفه على ظاهرة طبيعية

هذي براهين ساطعة وحجج دامغة تنطق بان الفرقان المجيد يشمل كل العلوم الدنيوية والاخروية ولو لم يشتغل الاوائل من المفسرين الا بما يخص الاخير منها . ويقيني انه لو اشتغل الراسخون في العلم من اهل زماننا بالاول ايضاً لوقفوا على كثير من مكنونات العلم حالها ليس بالعسير سيبني الغربيون بعد قرن او اقل لمن يشيرون اليها اشارة بسيطة تماثيل الفخر والعظمة

اقول ذلك مقدمة لقولهم في تعليل سقوط الشعوب المرتقية وحكم الدور ان الامة اذا عظمت قوتها وزادت بسطة ثروتها نامت على فرش الراحة ومالت عن خط الاعتدال الى الافراط . واتجهت نحو الملاذ وانهمكت في الشهوات فسقطت من اوج العزة الى حضيض الذلة . فهذا تعليل غير كافٍ فان الامة التي انحدرت من انف المجد الى هوة الفقر تساوي في الضعف جاراتها فتتعادل القوي ويظل الجميع بحالة سكون زمناً ما

ولكن هناك سبباً اقوي لرفع الامم المستضعفة وهو سير الامم القوية في حكمها بالعنف والاستبداد واسامتها الخسف والحيف فان نفوس الامم المستضعفة ليست باقل تاثراً من الحجارة الصم ونير الظلم ليس اقوي ولا اصلب من الحديد في حين نري الاخير متى صادم الاول بعنف انبعث منه شرر يلهب ماحوله فيذيب الحديد . مصداق ذلك قوله تعالى « واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها » ونرى الشرق وهو كأمة واحدة استضعفت زمناً من الازمان ودفنت حقوقها طيّ الخفاء

واستعبدت واهينت حتى عدّها المغيرون عليها لحيوانات حقيرة هبت عليها الظواهر الطبيعية فحركتها غير مصحوبة باحساس فهي لا تتأفف من الامتهان اذ لا تشعر باحساس الم ولا تفرح باللين والمدالة فان ادراك اللذة عندها لم يوجد حتى الآن

ومضى زمن على هذه الحال ولو اذن مؤذن بطلب التحرير من الرق والاستعباد او بكى مظلوم من ضنك الحال وشدة وطاءة الاستعباد او طلب المرزوؤن « بحمل تملك النير الثقيل » وجهة للفرار ولو بالفناء لرد المغيرون ايديهم في افواههم وقالوا كونوا حجارة او حديدا لستم ببشر مثلنا ·

دولة شرقية فرقتها يد الكوارث وفككت عقد جوامعها ايدي الدخلاء فاضحت شتى مبعثرة بين جماعات المالكين

هذا على الخسف مربوط برمته وذا يدق فلا يرثي لهُ احد

قلبتها الايام على يد المحن ودارت بها الدوائر فأنت انينا مرًّا وودت لو كان في الوسع ان تكون لها حياة سعيدة حياة استقلال وتنبعث فيها روح جديدة روح التضافر والتعاون ولكن حال دون ذلك خوفها من عقاب المالكين فانهم بثوا العيون والارصاد على افرادها واستعملوا المفسدين الضالين لافسادها واذا رأوا من استجلاء ضميرها اشارة لتأففها وضجرها من الظلم «وهو احساس طبيعي» قام المنبه العام فنادى اخوانه المالكين كأني بالدولة الشرقية التي كانت رأسها مريضة فحكمناها وسرنا في خطة ظلها كل سبيل قامت من رقدة مرضها ونظرت حولها تتلفت عن ايمانها وعن شمائلها تبحث في بقاع الارض عن رأس سليم كان المنبه العام ينكر على الامة الشرقية «وهو الذي قادها الى فراش السقم» بحثها عن رأس سليم واراها عثرت عليهِ فافرادها

مجتمعة القلوب على محبته مشرئبة الاعناق لاجابة دعوته وقد خدمها الماضي خدمة جزيلة منها تعليت قسوة الطبيب الاجنبي الذي كان يجلس بعظمة وفخر ازاء فراشها فراش السقم والضنى . ويقدم لها سما زعافا في هيئة شراب ناف للهمجية موصل لدرجة المدنية الصحيحة .

ولقد كان انذار المنبه العام الذي اخذ على عهدته مداواة سقام الامة الشرقية بالطريقة السالفة انهـا فانية زائلة بعد زمن قليل واذ ذاك يحق لاوصيائها من الامة الغربيـة ان يستولوا على رياشها واثاثها ويستحوذوا على طارفها وتليدها فهم احق بهِ من صبية ذلك المريض الذين يتضورون جوعاً لانهم لم يقوموا بخدمة ابيهم ايام مرضه . ولم يجودوا بقليل من دمهم لينقله الطبيب الى ذراع ذلك الاب المسكين الذي انفسد دمه .

ولكن كذبت الايام انذار ذاك المنبه العام فالابناء لم يحتاجوا ولا يحتاجون ابداً الى تعريض جسومهم لسلاح الطبيب . كما ان ارجاع قوي ابيهم لاتحتم ذلك اذ قيض الله له راساً سليما صحيح التركيب . فقد آن لصبيته ان ينادوا اباهم نحن بين يديك سامعون مطيعون وتأتي للاب البار باولاده ان يناديهم بلسان الرأفة يا اولادي المخلصين لسنا في احتياج الى طبيب . ولكن « اصطلح الخصمان وابي القاضي او الطبيب » فان محاورة الاب وابنائه وتبادل افكارهم ما كادت تطرق صماخ اذنه حتى شن الغارة على الصبية بدعوى انهم هم انفسهم مرضى وان ادواءهم معدية مضرة بالغير متعدية على الآخرين فلا يتركهم حتى يزيل ما بهم من الامراض واذ ذاك يغادر الجميع لايطلب منهم جزاء ولا شكورا غير خدمة الانسانية

وكان يجدر في تلك اللحظة بالابناء ان يبرهنوا لذاك المتطبب انهم

اصحاب العقول والجسوم . وهب انهم مرضى فلأن يموتوا سقماً خير من معالجته
اياهم . ولكن ابتدره الجميع بالسؤال عن ابناء المريض وجعلوا ينظرون الى
بعضهم شذرا وتفرقوا من علوة اجتماعهم خوفاً من عدوي المريض للسليم كما
قال الطبيب «ومادروا انه انما استعمل ذلك ليوقع بينهم العداوة والبغضاء»

فكان جواب الطبيب انهُ قال « دعوني اجس نبضكم حتى انحقق في
ايكم المرض» فمدّ اليه الجميع سواعدهم وهم صاغرون فغلها الى اعناقهم الا واحدا
نأي وازورَّ جانبه وشمخ بأنفه ونادى بالاصغار ان طبيب ابي سجان .

كل ذلك كان برأي ومسمع من خادم امين للاب الذي لم يكن
حاضرا اذ ذاك . فلما وصل الخبر الى مسامع الاب شكر الخادم وطلب ابنه
الحرّ ليضمه الى صدره ويشكره وكأني بهِ سيوصيه بان يسعى في حل اغلال
الصبية حسبما يرسم له واذ ذاك تعيش العائلة بالرفاهية وترتقي الامة الشرقية
ذلك مصداق قوله تعالى « واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها التي باركنا فيها »

فيا ابناء الامة الشرقية لاتتنافروا فتفشلوا وتذهب ريحكم ولاتسمعوا
دسائس المتطببين فما فيكم من مرض : وقوموا الى العمل حتى تدركوا بعض
الطرق التي عميت عليكم من مخاتل الطبيب . وهبوا الى التضافر حتى لاتوجد
فيكم خلال يقول عنها طبيبكم انها مرض ولاتكونوا ازاء الامة الغربية كأهل
الكهف تحسبهم ايقاظاً وهم رقود بل ثابروا على العمل والجد ومحبة الوطن
والاعتماد على النفس حتى اذا رآكم متنطس سوء عادفقال لصاحبه «لواطلعت
عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعباً»

وحينئذٍ يحق لك يا ابن الشرق ان تنادي لتسعد امتي الشرقية ليقترب

ذاك اليوم الذي فيه لا سيطرة ولا ضغط علينا . وانا عليم بان ابناء الامة الغربية سينكرون هذا الصوت . ويستهجنون ذاك المقال . فيمدّون اليك رؤسهم ويقولون متى هو . قل عسى ان يكون قريباً . فانا ابناء الامة الشرقية استضعفنا وقاسينا من جور الاجنبي اهوالا تشيب فود الوليد وقد قال الله وهو اصدق القائلين « واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها »

❋ حمدنا مقالك بالامس فهاته اليوم[1] ❋

المرء بين يوم مضى عمل فيه عملاً فهو اما محسن اومسيء لا بيده حول لارجاعه ليمحو منه سيآته ولا في طوعه قدرة على اعادته ليستزيد من حسناته فهو اما فرح بحميد ما قدم قرير العين بجميل ماصنع اوعاضّ بنان الندم على ما فعل اوفرط ... وبين حاضر له فيه الخيرة وبيده زمام امره فان شاء عمل فاحسن اوقصر فاساء وان كان بنو الانسان ميالين بطبعهم وفكرهم لان يعملوا فيحسنوا ليكون لهم ماض يسرون من منظره ويبتهجون لذكره وما ماضي الانسان لحاضره الا مستودع الاسرار والواعظ الامين وهو مرآة المراد التي تجلى فيها صور عمله على طبق ماوقعت من غير تزويق ولا تنميق وبين مستقبل يعلل النفس فيه بنيل الآمال ويمنيها باحراز الاماني لا يدري ايدركه فيحظي بامانيه ام يفوته فتنقطع امنيته ويخيب رجاؤه وما مستقبله الا ماض فات لا يرى الا اثره وحاضر يتجاذبه وبيده مشيئته وما المراد الا عمله واثره وما عمله الا لسعادته او شقائه «ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فعليها» تلك سنة الله ولن تجد لسنته تبديلا

(١) للكاتب الفاضل عزتلو عامر بك اسماعيل

فنحن الآن بين ماض نشاهد ما اسلفناه فيه من عمل وحاضر يجب ان نعمل فيه حتى اذا ماسرينا والتفتنا وراءنا حمدنا السرى ورأينا ما يبهج خواطرنا ويسر نواظرنا وليكون لنا من مستقبلنا كفيل بنجح الآمال وحسن الاحوال

وقد كتبنا في مثل هذه الايام من عامنا الماضى مقالاً تحت عنوان آية (ولتكن منكم امة يدعون الي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) ابنا فيه كيف تسعد الامم وبمَ وكيف تشقي ولمَ وبرهنا على ان السعادة والشقاء يدوران مع التمسك بالشعائر الملية وتركه وجوداً وعدماً ويتوقف الاول على تربية الارواح من بدء وجودها التعقلى على مكارم الاخلاق وتهذيبها بالكمالات الفاضلة من حيث كونها كمالات ندب الشرع الى التخلق بها وحبب الشارع الى التحلى بروائها وانساق بنا الحديث الى الكلام على مدرسة الجامع الازهر وما يعوزها والمدارس الاهلية وما ينفعها حتى مضي حاضر طلبنا فيه العمل بما يجب وانقضى مستقبل منينا النفوس بما ترتجى فاذا نظرنا الى ماضينا من ذلك العهد حمدنا سراه وشكرنا مغبته فهذه مدرسة الجامع الازهر الكبرى اخذ اساتذتها في دراسة علوم التاريخ والحساب والجبر والمقابلة وعلم تخطيط البلدان وغيرها من بقية العلوم التى قضت الايام الخوالى بدفنها في مقابر اغراض ومقاصد حلت عرى الجوامع الكمالية وقصمت ظهور معرفتنا بالواجب لنا وعلينا وطمست معالم ما في عمله خيرنا وسعادتنا وفي تركه شقاؤنا وتلك المدارس الاهلية قد أنفت من ثوبها الرث القديم فخلعته ولبست ثوباً قشيباً سرّى منظره الرائق عن النفوس بعض الهموم وسرّ الافئدة بما ادخل عليها من بشائر السرور ورد اليها بعض الامل بعد طول الياس والقنوط فعاودت الحياة التعليمية ارواح المتعلمين فنجحوا رغماً عن حواجز الشدة وموانع الصعوبات

فى امتحاناتهم ونحوا التعليم بلغتهم وجامعة الفتهم في سائر علومهم وفرضت المرغبات والمكافآت للذين يؤلفون الكتب اللازمة للمدارس ولكننا مع ذلك هل نقدر بان نقول اننا اصبنا الغرض الواجب وادركنا الغاية المطلوبة او حمنا نحو موارد الحياة والسعادة الحقيقية ـ لا ـ فهذه علوم الآداب الشرعية وبيان اسرارها وحكمها الحقيقة وتربية الارواح بعلم الاخلاق وتعويد النفوس على الجنوح في كل شؤنها الى الالتفات للامور العمومية ماوردنا عذب منهلها ولاسلكنادروبها ولاعمرنا بيوتها بل لاتزال مهجورة في مدرسة الجامع الازهر وفي سائر مدارسنا فاذا قلبنا الطرف وراجعنا الحقيقة ترانا عموماً من اجل ذلك خصوصيين تسعى كل طائفة وراء غرض مخصوص ولها اميال وآمال محدودة لاتتجاوزها فابن الازهر يسعى لوجهة معلومة وفكرة جزئية لايتخطى حلقتها وابن المدارس ينحو نحواً مخصوصاً ويطلب غاية وغرضاً آخر ومستخدم الحكومة يفتكر غير فكرها ويذهب غير مذهبها والفلاح والصانع والتاجر يسلكون مسالك شتي فترانا وانت تحسبنا جميعاً اذا ساومت الحقيقة أفذاذا كان لارابطة تجمعنا ولا وجهة كلية نسعي اليها

لمَ ذلك وهذه مدارسنا تشاكل نظاماً مدارس الامم التي نسعى وراء التشبه بها لاقتناء آدابها ونروم مضارعتها لاحراز مثل مجدها وهؤلاء اطفالنا وشباننا يتلقون فيها سائر علوم العالم. وهذه مدرسة الجامع الازهر قد خرق صيتها طباق المعمورة شهرة وفضلا فكيف اذن نكون فاقدين الوجهة الكلية او تكون معدومة من بيننا الرابطة العمومية وهما نتيجة من نتائج التحلي بانوار المعارف والاستضاءة بضوء العلوم

ذلك لاننا فقدنا من تلك المدارس ومن تلك الجامعة الكلية دروس علم

الاخلاق وتربيـة العقول من الصغر بالآداب الكمالية وتعويد النفوس على مكارم الاخلاق والتحلي بالصفات الفاضلة

ذلك لان اساتذتنا ومعلمينا تناسوا من بينهم الارشاد والدعوة في سائر دروسهم وفي كل علومهم الى تلك الغايات السامية والمقصد الشريف

ذلك لانا فقدنا من بين دروسنا تلقي الآداب الشرعية و بيان اسرارها وحكمها وتناسينا العواطف الملية وهي رباط الآحاد وجامع الافراد

تلك هي الكمالات التي تجعل الانسان دائماً يستخدم الشخصيات ويضحيها لاجل العموميات تلك هي التي تولد العواطف الشريفة تلك هي الرباط الوجداني بين كل طائفة واخرى تلك هي التي تجعلنا يستولي علينا العجب ويتغشانا الذهول اذا سألنا الطفل الغربي المتعلم في مدارس بلادنا الناشىء بيننا الذي لايتجاوز العاشرة من عمره ماذا تحب ان تكون فيجيب من غير روية ولا فكر احب ان اكون جندياً او مهندساً أو اركان حرب او بحارا ماهراً اومخترعاً شهيرا لاقدم خدمة جليلة لبلادي ولأحافظ على مجد وطني واخدم اخواني ابناء بلادي ولكي ينسر فؤادي واحيى حياة سعيدة يوم اراني في طليعة الذين انتصروا على اعداء وطني العزيز وربما سمي ذلك الطفل غير المسؤل عدو وطنه وعينه من الدول المتاخمة لدولته وهكذا كم سمعنا منهم مثل هذه الاجابات الغريبة المجردة عن الغرض الخصوصي الشخصي وماذلك الا لانهم تعودوا منذ وجودهم التعقلي على سماع هذه العواطف الشريفة والمقاصد العالية حتى صارت لهم ملكات غريزية يتنبهون لها لاقل منبه و ينبعثون اليها بمحض الوجدان لان والداتهم ومرضعاتهم وخادماتهم ووالديهم واساتذتهم لايألو كل واحد منهم جهدا فى غرس هذه المبادي في غياض افكارهم فتربو حتى تصير اشجارا مباركة

ذات اثمار طيبة تاتي اكلها كل حين باذن ربها

وكما تدهشنا اجابة امثال هؤلاء الاطفال البعيدين عن فقه معنى الوجود وفهم الارتباطات والمنافع العمومية ومعرفة الصالح العام كذلك يذهلنا ما نراه من ان جرائدنا وخطباءنا ووعاظنا كثيرا ما ينادون الى امر جليل يعود على الامة والوطن بالخير العميم والنفع العظيم ويجهدون النفس في الترغيب اليه جهد استطاعتهم او يرفعون اصواتهم بالحث على الابتعاد والكف عن امر قبيح ضار بالمرء في نفسه وماله ودينه ووطنه وينذرون بالويل والثبور من اجل الادمان عليه ويبالغون في التقبيح والتشنيع ولكنا مع ذلك لا نرى اثرا لندائهم ولا نتيجة لصراخهم فكثيرا ما خطب البلغاء وكتبت المجلات الادبية الفصول الطويلة في بيان اضرار تعاطي المسكرات مثلاً وارشدت الى طرق افسادها بالعقل والجسم والمال الى غير ذلك من آثارها المشؤمة وكثيرا ما حذرت عن الحضور الى الملاهي والمجتمعات التي قامت فيها سفراء ابليس من بنات بلادنا وهن اجراء عند افراد من بنى الامم التي افيضت على كل المسكونة نور التمدن ليلعبن دورهن بالعقول لاماتة روح الآداب ودفن الفضائل وزرع بذور التضليل والغواية والافساد في افكار شباننا (حتى لقد اخذت مناظر تلك الملاهي بالفوتغراف ونقلت الى غير بلادنا وقيل هذا فلان المعروف وسيكون مثالا حسنا لغيره من بني عصره) ولكن مع الاسف الشديد لم يكن حظ تلك الخطب والفصول البليغة عند من قيلت لاجلهم الا الهزء والسخرية عليها وما سر ذلك الا ان اطفالنا وشباننا من نشأتهم لم يقادوا بقائد الفضائل الكمالية ولم يتلقوا دروس تهذيب الافكار بعلوم الآداب والاخلاق ولم يرشدوا من اوّل خطوة خطوها في التعلم لآخر لحظة ختموا بها دروسهم الى معرفة الواجبات

الكمالية التي تجب على الشخص لنفسه والتي تجب عليه بالنسبة لآبائه واخوته واساتذته ومعاشريه ومساكنيه واهل قريته وبني مديريته واهل وطنه ولا الى الواجبات التي تجب عليه بالنظر لاقوام تجمعه واياهم روابط اوسع نطاقاً من هذه الروابط كجامعة الجنسية وجامعة الدين وغيرهما من سائر الروابط العمومية فاذا مرت امثال خطب البلغاء وارشاداتهم وفصول المجلات الادبية على مسامع اولئك الشبان بعد مايفعوا فانما تمرّ على بقاع صلدة لاتلامس منها ولا تؤثر فيها الا بمقدار ماتلامس وتؤثر الريح اللينة في سفح الجبال لتجرد عقولهم وافكارهم عن مفاهيم هذه الخطب والفصول فأني تؤثر فيها ام كيف يرجي ان تقوى على نبتها واثمارها في بطحائها

اضحى يمزق اثوابي ويضربني ‌‌ ‌‌ ‌‌ أبعد شيبي يبغي عندي الادبا

اذا تبين ذلك ظهر لنا وجوب عدولنا عن ذلك السنن الذي نظرنا الى ماضينا وهو مرآة اعمالنا علمنا بان قد طال تقصيرنا وامتد امد تفريطنا وتاكد علينا ان نعمل جميعاً في حاضرنا ما نجتني منه في مستقبلنا جني الفلاح ونقتطف من اشجاره الطيبة ثمار الخيرات والسعادات تأكد على معلمي الاطفال في الكتاتيب ان يرشدوهم في كل وقت الى وجوب احترام والديهم واخوتهم واخوانهم الذين يتعلمون معهم ومن هم اكبر منهم واساتذهم ويحثوهم على قول الصدق وتجنب الكذب ومحبة الخير لاخوانهم كمحبته لانفسهم ويعودهم على التشارك في العمل مع بيان فضائل التعاون والتعاضد في الصوالح وان يكون ذلك بعبارات بسيطة سهلة تدركها عقولهم وتعيها قلوبهم

تأكد على كل استاذ ومعلم ان يرشد تلامذته اثناء كل درس يلقيه عليهم الى خلق جميل ويهديهم الى فضيلة من فضائل تهذيب الارواح بمناسبات

الاحوال ومقتضيات الازمان وان يبين مع بيان الثمرات الخصوصية لكل علم وكل مسالة من مسائله منافعه العمومية التي تعود بجليل المنافع على الامة والوطن ليكون لهم على الدوام شعور بالمنفعة العمومية والصالح العام

تحتم على حضرات اساتذتنا وسادتنا علماء الازهر والامة ان يعتنوا بتدريس علوم الاخلاق وتربية الارواح كما اعتنى حضراتهم ولهم جزيل الشكر ببقية العلوم فالبلاد وبنوها والامة في حاجة كبيرة للاعتناء بمثل هذا الامر الجليل فتلك علوم لم يضعها واضعوها من السلف الصالح عبثاً ولم يضيعوا نفيس اوقاتهم في تاليفها وتهذيبها جيلاً بعد جيل سدًى

تحتم على نظارة المعارف الاعتناء بذلك ايضاً وجعله درساً مقررا من اوكد الدروس ووجب على كل من يقدر من اساتذة المدارس او غيرهم على وضع كتاب مختصر مفيد في هذا العلم ان يسارع الي تأليفه وتقديمه للنظارة لينال منها نظير صنعه الجميل اجل مكافأة وليستوجب من عموم بني وطنه اعطر ثناء وافضل حمد

ولوقلت يجب على نظارة المعارف ان تضع كتاباً مختصراً في علم الاخلاق ومعرفة الكمالات والواجبات الادبية باسلوب سهل بسيط تقدر على فهمه وتعقل معاني جمله الاطفال بارشاد معلميهم وتبعث به الى جميع القرى وتحتم على جميع من يتعلمون القرآن الشريف حفظه لما حسبتني مبالغاً في المقال ولا متجاوزا حد الاعتدال

ويجب على ولاة الامر ان ينظروا بعين الاهمية الى هذه الملاهي والمراقص التى برزت فيها تلك المتبرجات اللواتي يخمشن وجوه الآداب ويهتكن ستور الحياء ويمثلن بفعلهن الفاضح روايات التهتك والقبح فيمتن الفضيلة ويحيين

الرذيلة و يسلبن العقول والاموال و بالجملة ليس شيء اضرّ على البلاد والشبان منها ولو انها وضعت عقاباً صارماً على كل ذاهبة الى هذه الملاهي والمراقص لعمل تلك الحركات المخلة بالآداب الانسانية اقله اسبوعان حبساً او ٢٠٠ قرش غرامة على كل مرة وشددت المراقبة عليهن فى ذلك لجاء ذلك من اعظم الحواجز في وجوههن ولمحا تلك السيئة التى عمت بلواها

فاذا ماصنعنا هذه الواجبات وهي قريبة المنال نكون قد عملنا في حاضرنا لخير مستقبلنا وقمنا خير قيام بالواجب علينا لانفسنا واولادنا ووطننا و يومئذ ترانا ونحن اليوم افذاذا جميعاً بمحض الوجدان تجمعنا رابطة الفضيلة وتقودنا جامعة الكمال ونكون قد وفينا حق العمل بآية (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون)

انما اعظكم بواحدة [1]

كانت مراسح الرقص ومجامع الفسق . كاميال النار على مقل الاحرار وكنا ظنناها آخر ماوصل اليه الشرق من تقليد الاجنبي (اواراذل الاسافل من الاجانب) ولكن الدهر ابو العجب فقد قص على صديق حديثاً فيه مثل للقراء . وهو انه قد بلغ عدد البيوت السرية « او بيوت العاهرات الكائنة لصق منازل الاحرار الوفاً مؤلفة » في القاهرة وحذت عواصم القرى حذوها. وقال العارفون ان الداء عضل يوم عرفت البغايا سبيلاً سهلاً للتخلص من مراقبة الحكومة المحلية وضرب امثالا بانهن يذهبن الى اماكن فقراء المغاربة « من خاصفي النعال او الاسكافيين فيجعلن لهم جعلا مقابلة تسميتهم في

(١) للمرحوم الدكتور عبد الرحمن اسماعيل

القنصلاتو زوجات لهم حتى يتدرعن بالحماية الاجنبية وما عجبي من اقبال خاصفي النعال على التلبس بهذا العار كما لااجول في جعل البغايا في المدن رسميات فقد تكلم فيه قوم هم احق به مني أذهم المنوطون بالحاماة عما يخرق سياج الشريعة. وانما اعجب من اهمال الحكومة لحقوقها التي لاتنازعها فيها الامتيازات الدولية والتابعية الاجنبية وهو طرد ساكنات البيوت السرية عن مزاحمة قلب المدينة. هذا امر يخص ترتيب داخلية المدن وتنظيمها وراحة الاهلين ولانظن الدول الاجنبية التي افاضت علينا نور المدنية ان تأبي او تنكر ذلك علينا

سمعنا ولانزال الى اليوم نسمع شكوى المئات على السنة الجرائد من هذا الامر. ورأينا ولانزال نرى ان قد سهل على السكان المجاورين الرحيل من منازلهم ولوكانت ملكا لهم الى غيرها محافظة على العرض. انا لانرى امراً واحدا ترتكن عليه الحكومة في انفاذ هذا المشروع وطرد تلك الفئة الى خارج المدينة كما يجمل ان تامر بضم قهاوي الرقص الى اماكن النزهة العمومية كشواطئ الجزيرة. اذا لم تجد الى اصدار قرار بغرامة على كل راقصة سبيلا

فدح الامر واصبح الدخول في طائفة بنات ابليس من طرق التكسب السهلة. على انه لايعدّ عندهن امرا فريا اذ رأينا الشبان يتهالكون في وصالهن ومرضاتهن من كل الطوائف المختلفة والهيئات المتباينة في المصالح العمومية

اصبحنا نرى الشاب ولو كان ذا زوجة يتغيب عن منزله اليوم واليومين «خصوصاً في اوائل الشهر حيث قضي بعض الديون و بقيت له بقية من مرتبه» ولوسالناه لاجابنا البعض انه اتخذ فلانة اختاً له. ماهذه التسمية التي ينفر من سماعها الحيوان الاعجم. ماهذه العماية التي غشيت على بصائر هؤلاء السفهاء حتي

رضوا بتلك النسبة القبيحة ·

انتحلت الفاجرات السريات اسماء بيوت شهيرة واذاعوها بين القوادين فتسابق الفساق الى كسب مؤاخاة « وهم يسمونها مخاواة » تلك البنية « التى على زعمهم اخني على بيت مجدها الدهر وقدر على جبينها ان تتوسل الى كسب القوت بتلك المهنة الخسيسة »

لا والله ايها الشبان ليس الامر كما ظننتم فتلكم النسوة امامهن مئات من الطرق لان يعشن في راحة بال محافظات على الشرف لو اردن · ولكن مارضين بالضعة « على زعمهن » وخشونة العيش « كما يصفن » فعدين يتفنن في ضروب المنكر والشر ويختلقن الحيل ليسلبن عقول الاغرار واموالهم وهذا ما هو حاصل ·

امست الكثيرات منهن ولها الخدم يعدون بالعشرات تسكن العمارات الضخمة الشاهقة قد جمعن من الاموال مامعه تظهرن بمظاهر الحشمة امام الجمهور فضارعن بذلك صويحبات الاغنياء في بلاد اوروبا التى قد تمتلك احداهن ما ينوف عن المائة الف جنيه · بؤساً لهذه الحياة الشقية · وشقحاً ولقحاً لهذه المعيشة الدنيئة ·

نعم ضارعنا وفقنا الامم المتمدنة في الفسق والفجور واخبث الشرور وليتنا مشينا خلفهم في شئ تعود على البلاد منفعته غدا

نعم نعم عرفنا اشتات العلم الا مايخص الشرع الشريف وماذاك الا انه لم يأتنا على يد اهل اوروبا فهذه مدارسنا « غير الازهر الشريف » لانعرف ان قواعد الشرع واساساته تدرس فيها افلم يكن من الواجب على المعارف ان تجعله بالاقل كدرس دروس اللغة الاجنبية · افلم يكن من المفروض على

نظارة المعارف ان تعلم البنات قواعد دينهن وان يوكل من يلقي عليهن جمل التخويف والترهيب من العقاب الاخروي حتى لا تكون نتيجتهن تعلم الخياطة والتطريز فقط ·

فقانون تعميم التعليم او الاجبار عليه امر وجب كما يجب ان يكون درس الشريعة الاسلامية اول مقرر مثلما تدرس الشرائع الاجنبية اليوم في اربع مدارس او اكثر في بلادنا · وان كان غير ذلك قلنا

مضى الاسلام فابك دما عليه　　فما ينفي الجوي الدمع الغزير
فلا دين ولا دنيا ولكن　　غرور بالمعيشة ما غرور
أنؤمن ان تحل بنا امور　　وفينا الفسق اجمع والفجور

﴿ بدعة في الافراح[1] ﴾

من البديهي الذي لا يحتاج الى برهان ان الشرائع على اختلافها تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر تحض على الفضيلة لاكتسابها والتحلي بها وتزجر عن الرذيلة وتقبح من تردى بخلق اثوابها · فالاديان تعاقب في الدنيا والآخرة من اعتدوا على انتهاك حرماتها وخرقوا سياجها ومزقوا ستارها وما حكم مؤرخ بصير على على امة بمثل البحث عن اخلاق عامتها وقوة تمسكهم بشريعة بلادهم غير مكترث بما سوى ذلك اذ لا يؤثر في تاريخ الاجتماع الانساني الا قليلا لان ابن آدم ماعاش على ظهر هذه الغبراء محتاج الى كثير من الضروريات غير ميسورة اليه في كل آن وهو بما ركب فيه من القوى والاميال يفرغ الجهد في ايجاد طرق للوصول اليها · وحيث علم ان الشرائع تحظر عليه التطرق

(١) المرحوم الدكتور عبدالرحمن افندي اسماعيل

لها من السبل التي دونها اضرار الآخرين . لذا تراه يتقلب على جمر الغضا ويتململ على مضاجع القتاد ويتأفف من ربق تلك القيود يطلب لنفسه خلاصاً من وطأة اثقال القوانين والشرائع التي تحجر عليه التمتع بحريته الشخصية التي يتخيل ان له حق استعمالها والتمتع بها كيف شاء وفي اي مكان وجد واذ رأى ان قوة حفظ النظام العام وحارس الشرائع والآداب قائمين له بالمرصاد يقرعانه بعصا العقاب عقب ارتكاب اي جريمة عمد الى مزج اغراضه بزاج التدليس والايهام بكيفية ظنها تلتبس على العقول موهما ان ما يأتيه انما هو من اصول الدين والله يعلم انه ليس من الشرع في شيء وانما هو آفته .

وما كدت افرغ من كتاباتي على قهاوي الرقص ومراسح الفجور وتمم الجرائد العربية والافرنجية المعتدلة المشارب طلباتها مثلي من اولياء الامر بتلافي هذا الخطر البين حتى قرع اذني صوت منكر ينادي (بالنكتة في فرح) ويأتي بجمل قرآنية واحاديث شريفة ليضحك الحضور ويفكه الجمهور

فنبهني ذلك الى ان قوة حفظ النظام والآداب التي حجزت تيار الاخلاق الفاسدة وسريانها بين العامة لما اغفلت جرت الى ظهور حرفة جديدة ومهنة خسيسة اعني بها صناعة التنكيت في الافراح التي اضحت ولها رجال احتكروها وجماعة يوطدون بين الجهال دعائمها حتى نبغ رهط من السفهاء فيها يدعون الى الافراح والولائم بأجر معلوم « لترويج الاذهان كما يزعمون » وهناك تنصب لهم منابر القحة والسفاهة حيث يخوضون في ذكر محاسن ومذام ربات الخدور على مرأى ومسمع منهن . ويردفون هذا بوصف أعضاء العورة من الرجل ولا يزالون هكذا يتشدقون بألفاظ وهنات يخجل الاطباء من كتابة اسمها في مؤلفاتهم وقت ذكر العلاج . ويقابل ذلك من الحضور بقهقهة وسرور عام

وانشراح تام الامر الذي يدعو المنكت الى التفنن في طرق البذاءة واساليب مايعبر عنهُ بالرذيلة بينما تكون ذوات العفاف صاغيات الى قول المنكت منشرحات الصدر ولالوم عليهن فقد سررن بما قرت بهِ عيون ازواجهن وكل هذه الجمل يتلقفها الشاب والشابة ويطارح بها الطفل الطفلة حيث ارتكزت في حوافظهم لتكرار مرورها على قنوات سمعهم حتى اصبحت خلقاً وعادة وماأسرع انحدار تيار العادات والتقاليد الى مراكز القوى الحافظة وقت انشراح الصدر وخلو الفكر . فلا لوم ولا تثريب اذا حكمنا بأن تلك الرذيلة من انكى امراض الآداب ومن اشد الويلات على الاخلاق وهي هي مهلكات الفضيلة من النفوس بلا مراء

واي دليل اقوى من التنكيت بآى القرآن الشريف ومسند الحديث الصحيح كما رايت وسمعت بالامس في فرح فيهِ قام خطيب النكتات ينادي رفيقه معرضاً بامرأته ومشيراً الى معنى يعرفه قائلاً لها «وهزى اليك بجذع النخلة» فأجابه الآخر متكلما عن حاله مع شقيقه الاول حيث يقول لها «رب اني وهن العظم مني» ويسوء كل من ينتصر للآداب والاخلاق الفاضلة ان اذكر ان هذه العبارات صادفت استحساناً من كبار الحضور وبينهم العالم والجاهل والكبير والحقير حتى سمعنا ضحكاً عالياً من السيدات فوق رؤسنا ينبئ عن السرور وطلب الزيادة من مثل هذا وصفر اشقياء الشبان طربا واثنوا على مهارة المنكتين

ولقد حصل مثل هذا في بلدة شبراخيت البحيرة منذ اكثر من عشرة اعوام ولكن القاضي قام بواجباته فاحضر المجرمين واجرى عليهم الحد الشرعي فجلدهم تسعاً وسبعين جلدة فكان ذلك آخر العهد بفن النكتة في ذاك البلد

اني لا اطلب للقوم حبس حريتهم وترويح نفوسهم في افراحهم ولكن بغير هذا الكفر لا المحرم فقط يكون التفكه فاي اب يزجر وليده بعد هذا عن النطق بالفاظ القبيح وهو المقهقه استحساناً لها بالامس بل اي ام تنهي فتاتها عن التلفظ بجمل الهنات وقد كانت مرشدة لهـا بالامس الى هذا الطريق ولو كان التنكيت بنكات ادبية تزجر عن غيّ وتنهي عن فسوق وتحرض على خير وتزجر عن منكر او تشخص وبال حال الفاجرين وسوء عقبي المجرمين (كما يقوله رجل في مديرية الشرقية وكما يذكر في الكتب الادبية قصد ترويح النفس من ملل استطالة العمل الفكري) لعد الحصول عليها غنيمة بلا تعب اذ بها ينتفع الاديب ويرتدع السفيه. هذه سوانح افكار اعرضها على اولياء امورنا الساعين في خيرنا واولى العلم من اهل بلادنا الموكلين بتربية النفوس فهم المسئولون امام الله وشرعة الادب والفضيلة كما ارجو ارباب الصحف ان يكثروا من ذكري الحض على تلافى ذلك ان صدقوا في خدمة الامة · هذا وساعود في بحث آخر ان شاء الله الى ذكر اخلاق رديئة اخرى وعادات قبيحة تعد اليوم عند البعض جزءا من الشرائع وهي ليست الا من مزج ماليس من الدين بالدين والله الموفق للخير والصلاح

﴿ في التعليم وارتباط الشريعة الغراء به ﴾ [1]

التعليم هو واسطة السعادة الحقيقية للامة لما يترتب عليه من استقلالها وحفظ ارتقائها وتنمية ثروتها فلو نظرت الى الدول باجمعها على اختلاف طبقاتها وتفاوت مشاربها وتباين مذاهبها لوجدت انها اجمعت على تعظيم التعليم

(١) لعزتلو حموده بك عبده المحامي الآن

واتفقت كل واحـدة منها على تخصيص دائرة لهُ بين دوائرها وماذلك الا لانهم علموا ان سيادة الدولة وارتقاء مدنيتها وتدبير شؤونها لايتم الا برجال نفخت فيهم روح العلوم وغاصوا بحارها واستوروا زند الفنون وبرعوا في مضمارها رجال تنزهت نفوسهم عن خسة الطباع وعرجوا الى مدارج الكمال

اضرب بطرفك الى تلك الاقاليم الصحراوية والاماكن التي يقل فيها التعليم ترَ ما يغشى نظرك من مشاهد انحطاط المدنية وعجيب الاعتقادات وغريب الخرافات لعيشة اهلها في جفاء من العلم وعشوة عن نور المعرفة وجوّ من ظلام الفاقة ولربما كان يحيط بهم كهوف من الثروة وينابيع من السعادة قد سترتها غفلتهم واضاعتها جهالتهم

هذه بلادنا لو اطلعت على تاريخها من مدة غير بعيدة قبل ان ينتشر فيها التعليم لوجدت ان الناس كان يرين على قلوبهم رَين الاوهام الباطلة مقيدين بضروب من العقائد الفاسدة مبرقعين بحجب الجهالة والغفلة فقد كان للاستبداد فيها اليد الطولى وللجور المكان الاعلى ولم نر منهم من قام وطلب رفع الاستبداد او سعى في محو الاعتساف او دافع عن حقوق العباد

ولقد كانت الحكومة كما وصفها بعض الافاضل عبارة عن سلسلة من النهب تظلم الحلقة الكبرى منها الحلقة الصغرى الى ان يصل الظلم الى حلقة الفلاح وعليه تتراكم قوى الظلم فيستغيث ولا يغاث

ومذ انتشر فيها التعليم انبثت في النفوس روح من المدنية وانبعث فيها ضياء من عرفان الحقائق حتى اصبحت تجاري الدول الاوروبية في حركة النظام وسير الادارة وناهيك بماوصلت اليه المعارف في هذه المدة من الارتقاء وقد اضحى الوطن معززاً بشبان في المعارف لايشق غبارهم ولا يوطأ مضمارهم

الا فانظر الى تلك الكتاتيب التى كان يديرها (الفقهاء) ولم يكن فيها من انواع التربية والتعليم الا ما كانت تجود بهِ قريحة ذلك (الفقي) العمياء من الضرب بتلك العصا حتى صارت عقول الاطفال قانعة بان التعليم هو دور عذاب واستبداد وطالما رأينا اطفالا في ذلك العهد قد تركوا التعليم من سوء تلك الطريقة وفرق بين تلك الحالة ومثلها الآن منذ دخلت الكتاتيب في دائرة المعارف فكم يبدو لك فيها من حسن التعليم وطرق التربية

فالغاية المقصودة من التعليم هي تربية شبان يقوم عليهم صلاح امتهم ويرجي منهم نفع بلادهم وهي تنحصر في امور

اولها ان تصفى عقول المتعلمين من دنس الاوهام وصدأ الخرافات فان مايقوم بالعقل منها قد يضرب لهُ ستاراً في ميدان الحقائق ويضع بينه وبين الكمال حجاباً وليس من حجة اسطع من الوجدان فليتأمل كل منا الى مانفخ في ألبابنا منذ زمن الطفولية من الاعتقادات الخيالية الوهمية التي كانت تذكر لنا في مقام التخويف وليمتحن كل منا وجدانه الم يجد لها صورة في خيالاته واثراً في تصوراته فاذا كانت هذه حالتنا معاشر المتعلمين اظنك لاتجهل مايحوط عقول العامة من سرادقات الاوهام وما يغشي البابهم من حجب الخزعبلات

ثانيها ان نتوجه نفوس المتعلمين الى التجول فى ميدان الفضائل والاقبال على عاليات المراتب حتى تستفزهم الهمم الى الاخذ بحقائق العلوم والتدقيق في مضمار الفنون وتعلوبهم العزائم الى الترفع عن خسة الطبائع والارتقاء الى مدارج الكمال حتى يمحي حب الشهوات من نفوسهم ويذهب اثر الاميال المستولية على قلوبهم لان للشهوات حاكماً آمراً على النفوس يستميلها حيث

شاء ويميل بها كيف مال وهو العقبة التي توعر مسلك من طلب الشرف وجدَّ في سبيل المجد

ثالثها انهُ متى حصلت نتائج الامرين المتقدمين بقي عليها امر ثالث وهو نشر ما اكتسبته من تلك الفضائل على نهج يفيد ابناء جنسها وهذا يتوقف على صفاء الذمة وحسن السريرة واخلاص النفس لحب الخير وبذل الطاقة لتعميم النفع

الامر الرابع ائتلاف القلوب وهو الروح الجامعة للصفات المتقدمة. فلو راجعنا الفكر لشاهدنا ان كل ما تكتسبه النفس من علم او تتحلى بهِ من كمال يكون من نتائجه توحيد الكلمة فهو المقصود الحقيقي من كل علم والمرجع في كل سعادة

فهذه الامور الاربعة التي تتم بها صفات المتعلمين حتى يكونوا مخلصين لامتهم معينين لابناء جلدتهم. ولا بد لتحقيقها من ان يكون المعلمون الموكلون بالتعليم على مكان من صفات الكمال وغزارة الفضل وسعة العرفان وقابل بين تلك الصفات الآن وبين احكام الشريعة الغراء تجد ان لهذه السلطة العظمى في اقامتها

فالشريعة الغراء هي اعظم صاقل للعقول بصقال الحكم فقد جعلها الله رشاداً للعقل يهتدي بهِ الى معرفة الحقائق وضياء للقلب يستضيء بهِ في حل المسائل. وهي اعظم منبه على طلب الكمال واكبر زاجر في اقماع الشهوات والحث على ترك الموبقات وانفذ طريقة لتهذيب النفوس البشرية وتحريضها على الاعتصام بحبل الائتلاف والتعاون تميل بالنفوس الى اعلا مدارج الشرف وتعرج بها الى ارقي مواطن المدنية

ولاحكام الدين من القوة والسلطان على النفوس في طبع الحكم ونقش النصائح ما لا يلحقه فيه تاثير وعظ الواعظين مهما بلغت درجتهم ولا كلام الحكماء المدققين. وكل قواعدها تدور في تربية الروح للعروج به الى الكمال الحقيقي والعلم الصحيح

كل هذه حقائق تشهد عليها حالة العرب في الزمن السابق ايام لم يكن بينهم مرشد الا التعليمات الدينية تلك الامة لم يسبق لدولة من الدول منذ أنشئ العالم انها ساوتها فيما نشأ عليه افرادها من كرم الاخلاق وحسن الآداب وسعة الاطلاع وحدة الذكاء امة انشاها الله عن قلة وقد ثبتت اقدامها في اعز نقط اقطار المسكونة · ولم يمنعها من تقدمها هذا فقد الذخائر وقلة عدد الرجال · اخترقت ديار القوم من المجوس والرومان ولم يرهبها كثرة عددهم ولا وفرة عددهم · هذا ولم يكن بينهم علم يعتمدون عليه غير علوم الشريعة ولا رابطة غير الرابطة الدينية ولا مرشد لهم غيرها ولا موحد لكلمتهم سوى بركتها طريق الحق ومنهج الهداية هدانا الله سبل الخير ورفع منا الغواية

ومن هذا يظهر لك ارتباط الشريعة الغراء بالتعليم بل وجوب تدريسها فيه ان لم نقل انها تتقدم على جميع العلوم فيتحتم الآن تدريس الشريعة الغراء في ادوار التعليم الثلاثة

اما في الدور الاول فلأن عقول الاطفال تجول في مستوى البساطة وتدور على محور السذاجة فاذا نشر فيهم التعليم الديني طبعت نفوسهم عليه ودارت على السنتهم مبادئه الاولية فيشبون على التمسك به والتعود على اداء فروضه وفهم شيء من عباراته لان من شب على شيء شاب عليه

اما في الدور الثاني فلان اغلب المتعلمين بلغوا رشدهم وتأهلوا لذوق لذة العلم وتنبهت عقولهم الى الغاية المقصودة منه ولم ينرس في اذهانهم في الدور الأول من علوم الشريعة الا مبادئ صورية تقل قوتها عن ردع مايقوم بافكارهم من الميل الى الشهوات ولا تمنع مايستميلهم اليه جاذب الأميال فهي ضرورية لهم لتنمية المبادئ التي اكتسبوها اولا حتى تؤثر في حواسهم وتقمع كثيرا من

اهواء حركاتهم وقد رأينا كثيرا مالت بهم تلك الاهواء وتركوا التعليم وحادوا عن طلب الشرف وضلوا عن طريق الحق

اما في الدور الثالث فلان اهله قد تفتحت اذهانهم لدرك معاني الحكم الآلهية واودع الله في فطرتهم استعدادا لتلقي النصائح فاذا درست بينهم اصول الشريعة ومفصلاتها عرفوا مكانة الحقائق وتنبهوا الى تقدير هذا الوجود فتتخلى نفوسهم عن الموبقات وتطلب العروج الى منازل الكمال وهذا من الضروريات لانهم هم الذين سيرشحون الى وظائف الحكومة و يوضع في ايديهم زمام الاعمال

ولقد يبهج ابناء الوطن ان نظام المدارس التي عزمت على فتحها جمعية قطرنا الاسلامية جعل اساسه تدريس العلوم الدينية علماً منهم انه من اقوى المؤثرات في التربية العامة وتوحيد الكلمة ورفع عماد المدنية

وان كان لابد من الاستئناس بدليل آخر على مانقول فهاهم اليسوعيون قد جعلوا نظام تدريس شريعتهم اول واجب في قانون تعليمهم ولم يقصروه على ابناء جنسهم بل حتموه على من انتظم في سلك تعليمهم من اهل الاديان الاخرى ولهذا تراهم في كل بلدة على جانب من الانتظام واتحاد الكلمة وقد ملؤا انحاء العالم بمعاهدهم وانشاء مدارسهم وهم في ذلك والناس يقبلون عليهم ببركة ماحافظوا عليه من اصول دينهم ونشر احكامه بين افراد امتهم فليتأمل .

﴿ التعليم والدين [1] ﴾

من المعلوم انه لم ترتق امة الى اوج الحضارة والتمدن الا بواسطة انتشار

---

(١) لاحد الافاضل

العلوم والمعارف الموصلة الى كل امر يعود عليها بالترفه والنعمة ورفع المنزلة ومجاراة غيرها من الامم في كل مايرفع من شأنها ويقوي شوكتها ولذا كان تثقيف عقول الناشئين من اهم الواجبات وقد اعتنت بشان التعليم كل امة تريد رفعة شأنها ومجاراة غيرها من الامم المماثلة لها في التمدن والحضارة وسنوا له قوانين مخصوصة حسب احتياجات كل امة وبذلوا لهذا الغرض الشريف كل مافي وسعهم مما يحتاج اليه من المال مع اختيار اكمل الرجال وجعل قانون مخصوص ضابط لكل مايقرر تعليمه بعد البحث الشديد والرأي السديد بحيث انهم راعوا في ذلك ان لايتعلم التلميذ شيئاً سوى ما يعود عليه بالمنفعة في الحال والمآل ملاحظاً في كل مايتعلم احتياج اهله اليه وامته ولم يجعلوا مايقررونه عرضة للتغيير والتبديل حسب مشتهيات الانفس وفعل ذوي الغايات وقسموا التعليم الابتدائي الى اجباري واختياري فالاول يجبر على تعلمه كل فرد من افراد التلامذة والثاني يكون مخيرا في تعلمه ومن اهم فروع الاول عندهم القواعد الدينية والفروع الملية حتى لقد جعلوا التعليم الابتدائي في اغلب الممالك دينيا محضاً تحت سلطة الكنيسة بحيث لايتسنى للحكومة في اي حال من الاحوال ان تغير كتاباً او تقرر مادة في قانون الا بعد التوقيع عليها من الكنيسة واستحسانه لدي اعضاء الديانة ورؤسائها ولا اهمية الدين عندهم ومحافظتهم عليه جعلوا له الحصة الاولى في مدارسهم بحيث تنقضي بين صلاة ووعظ ديني وهذا فضلا عن كون الكتب التي بايدي التلامذة جميعها مشحونة بما يحببهم في دينهم وعاداتهم ولايمكن اي احد من الناس مهما كان دهاؤه ان يدخل عليهم دسيسة في الدين بل لايتيسر لدي اي شخص ان ينطق بكلمة تخالف معتقداتهم وعوائدهم في مدارسهم وياحبذا لو حذونا

حذوهم ونسجنا على منوالهم في هذه الامور حسبما تقتضيه حكمة التقليد اذ من القواعد المقررة التي لاتخالف الحقيقة في شيء ان الامة الضعيفة اذا اراد القوى ان يجعلها خاضعة له اجتهد فى تغيير عوائدها واخلاقها ثم اذا بدا له بعض التمكن من ذلك اسرع الى وهن دينها لعلمه ان رابطة الدين هي اقوى رابطة تجعل الانسان محافظاً على وطنه متمسكا بعوائده واخلاق قومه خاضعاً لسلطانه مطيعاً لاميره محباً لاخيه واظن ان هذا هو الذي يسمونه تعصباً دينياً مع انه امر تقتضيه الانسانية وتوجبه الوطنية وتستدعيه دواعى طبيعة العمران وهو لايتمكن من نيل مقصده الابتمزيق كل هذه العلائق ولايقوى على تمزيقها مادام الدين قائماً محفوظا سيما اذا كان هذا الدين هو دين الاسلام الذي لاشبهة في كونه حقاً ورسوله حقاً وكتابه لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد وهو يأمر بمكارم الاخلاق وعدم العدوان ويوجب طاعة الخليفة الاعظم ونائبه ويبيح دم الخارج عليه والمخالف لهُ في امر ديني ويجعل افراده كالجسم الواحد اذا اشتدّ عضو تداعت اليه جميع الاعضاء. فلافرق في المسلمين بين عربي وعجمى فان الاسلام سوّى بينهم قال تعالى «انما المؤمنون اخوة» وقال جل شأنه «المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» وفي الحديث «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً» وهم يعرفون كل ذلك ولهذا نراهم يتظاهرونَ في صور شتى لاضمحلال هذا الدين القويم وتقويض اركانه ودرس رسومه ومعالمه فهؤلاء الجزويت فتحوا المدارس في انحاء البلاد متظاهرين في صورة معلمين ومؤدبين ومن على شاكلتهم من الفرير والاباء المرسلين والامريكان والبروتستانت وغيرهم ممن على شاكلتهم ولم يختلفوا في المقصد الوحيد الا وهو ادخال الدسائس

الدينية مهما سمحت لهم الفرص وما ذلك عليهم بعزيز فان هذه المدارس كلها لم يكن لها قانون كافل بالمواد التي تدرسها مبعد لها عن الميل مع شهواتها فانها مطلقة السراح تعلم ماتشاء وتفعل ماتريد لاتخشي بادرة اللوم ولاتخاف عاقبة المسؤلية وكان يدور بخلدنا ان الحكومة يجب عليها ان تجعل هؤلاء جميعاً خاضعين لقانون المعارف وبروجراماتها ويكون لها عليهم سلطة المراقبة حتى لايتمكن احد من بث الدسائس الدينية وغيرها مما يفسد الاخلاق ويغير العادات ويجعل الناشئ مبغضاً لاهله وبلاده وحتى لايجعل احد حرفة التعليم شركا لصيد الدراهم والدنانير ويفتح المدارس ويتصدى للتعليم من لا مسكة له بالعلم والادب فيعود ضرره على الامة بتمامها وقد طلب ذلك عموم الوطنيين بلسان الجرائد الاصلاحية غير مرة ولكن لم يكن لها نصيب من الالتفات اليها

ولما لم تكن الظروف الماضية قاضية بنظر مثل هذا جعلنا حبلهم على غاربهم واثقلنا اللوم على عاتق من يذهب باولاده اليهم من المسلمين فانه راض بالكفر قادم عليه برغبته واختياره مع انه كان بيننا وبين هذا الامر الشنيع والعبء الثقيل الفظيع حصن حصين وركن قوى متين تأوى اليه ابناؤنا وهو مدارس الحكومة فانها كانت محفوظة بامانة رجالها وشوكتهم وحزم آرائهم وغيرتهم على الدين وقلة الاجانب مع عدم ارخاء العنان لهم من ان تدخل فيها دسيسة دينية وبقينا على ذلك الازمان الطوال لانسمع الا ما يسر ولانرى الا مايفرح به والكل رافع اكف الضراعة والابتهال برحمة مؤسسيها ورفعة مشيديها سائلين المولى جل وعلا ان يديم لنا سمو اميرنا المحبوب وخديوينا المعظم قائماً على عرش السعادة حتى لايحرم وطنى من التربية في ظل ساحته الكريمة تربية خالصة من كل مايغاير الدين ويقدح في العقائد المرضية والاخلاق الشرعية

ولقد تحققت هذه الامنية وساعد الوقت على الظفر بها باسناد مسند نظارة المعارف الى اجل وزير اصطفاه الله لمصر وبنيها وعزز به العباس المعارف وذويها صاحب الدولة مصطفى باشا رياض فاخضر غصن الآمال واقبلت دولة الاقبال ولكن ساءنا ما علمناه من ان المفتش الانكليزي بالنظارة قد احضر لنا من تحف بلاده كتابين يقدحان في الدين الاسلامي ويسخران به بدلوا في احدهما سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ورسموا فيه صورته وكتبوا تحتها مالا يبقي ولا يذر ولا ينطق به عاقل من البشر ولا اريد ان ادنس الورق بتعريبه او أوقر الاسماع بفظاعته او احمل القلم ما لا طاقة له به وبدلوا في الثاني سيرة الخلفاء الراشدين وسفهوا آراءهم وضعفوا سياستهم وقالوا ماقدروا عليه من السب والطعن بدون فكر ولا روية الى غير ذلك مما قالوه في عموم الدين بغير حجة ولا يقين من السفسطة التى ربما ثبتت في حافظة الناشئين لخلوها عن معرفة اسرار الشريعة الغراء والوقوف على اصولها وفروعها اللهم اني اعوذ بك من همزات الشياطين واعداء الدين والداء الدفين وقلة اليقين

فنأمل من دولة الوزير الخطير ان لايتساهل في مثل هذه المسئلة التي كدرت جو الصفاء وتركت الناس يعتقدون ان تعلم الابناء بالمدارس امر مخل بالدين وكفر محض وان من فيها هم ممن لايهمهم امر الدين في شيء وان القسم الانكليزي في جميعها لايفرق بينه وبين المدارس الخارجيه فان سلطته تحت مفتش تلك اللغة وكأنه ناظره المخصوص يأمرهم بما يريد ويعلمهم مايشاء وان غير تلك اللغة فيه انما هو امور رسمية واشياء صورية حتى لقد اجتهد في جعل لغته وتوابعها في النصف الاول من اليوم لايشاركها فيه غيرها من العلوم في بعض المدارس ضرورة ان حواريه لايشتغلون الا لوقت الظهر الذين مبدأ

احدهم في الرواتب كنهاية اعظم عظيم من امثالهم من الوطنيين ممن يشتغلون اليوم بتمامه في اغلب الاحيان ولاذنب لهم سوى كونهم وطنيين

ويحضر لتلامذة ذلك القسم الكتب جزافاً بدون نظر في الامر ويبني على منفعة الوطنية ويكلف التلميذ بشراء الكتب العديدة ولايقرأ فيها لضيق الوقت عن تعداد اوراقها فضلاً عن الانتفاع بها

وجميع الكتب الانكليزية موضوعة تحت قبضته لعلمه بما فيها من الدسائس فلا يمكن لأي طالب ان يشتري كتاباً منها بل ولو كان هو معلم هذه اللغة نفسها الاباذن جنابه بعلامته الخاصة ولا ادري ما السر في هذا الامتياز ثم انهُ يستعين على تنفيذ جميع رغباته بجنوده الذين احضرهم من بلاده على عهدته وقد وكل لهم التعليم على حسب الثقة بهِ وبهم بدون نظر الى اختبارات تجعل لهم كغيرهم من طالبي الدخول في هذه الوظيفة وبقوم آخرين من ضعفاء الوطنيين اساتذة تلك اللغة الذين جعل جميع مستقبلهم بيده يقلبهم كيف يشاء فيرفع من يشاء ويخفض من يشاء بلا حكم قانون ولاسابقة مقتد سوى مرضاة نفسه واتباع شهواته

ولقد سرنا ماعلمناه من امر الوزارة الجليلة فانها قد قبضت على تلك الكتب وجمعتها بارشاد من بعض النظار غير الوطنيين ولم يرشدها الى ذلك لا احمد ولا محمود ممن امنوا على تلك الارواح وجعل مستقبلهم بيدهم

ومن رعى غنماً في ارض مأسدة   ونام عنها تولى رعيها الاسد

نعوذ بالله من الخبال وضعف الرجال

ولكن ماذا يكون بعد جمع هذه الكتب من ايدي التلامذة أتحرق بالنار ويضيع ثمنها على الحكومة سدى ويكلف المفتش الامين بشراء غيرها

من بلاده كائنا ما كان حاشا ان يكون كذلك والله لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين

ومن لم يزل عن در به الشوك قبل ان يطاه فلا يعتب اذا شاك رجليه

اوتحفظ في المخزن حتى يأتي الوقت المناسب لقراءتها ثاني مرة فتعود كما كانت حاشا ان يكون ذلك في دولة اميرنا العباس القائم على ساق الاجتهاد في كل مايعود على الامة بالترف والنعمة وحفظ الدين وقوة اليقين

او تحفظ لتجعل تذكارا للمصريين في الازمان المستقبلة لماصنعه رجال الاصلاح مما لامزيد عليه وما اهدونا بهِ من التحف والخير فنتذكر جميلهم كلما نراها ونشكرهم على هتك حرمة ديننا والاستخفاف بنبينا

اوتحفظ لتوزع على قناصل الدول المتمدنة المحافظة على احترام نواميس الاديان وحريتها (والانكليز في مقدمتهم) ليعلموا مقدار محبة رجال الاحتلال لنا وتلطفهم بنا و بذا يمكنهم الحكم لاننا نود زوال الاحتلال او بقاءه و زيادة جيوشه عددا يوازي مافي المالية من النقود لينفق في مصاريفه في مقابلة هتك ديننا والاستخفاف بنبينا

او تحفظ لتوزع على سائر الاقطار الاسلامية ليعلم اهلها ماوقعت فيه مصر من الداهية الدهاء والغائلة السوءاء لياخذوا حذرهم من ان يقعوا في مثل ماوقعت فيهِ بحجة اصلاح او اخماد ثورة اللهم لانسالك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه ونعوذ بك من شماتة الاعداء وعضال الداء

وعسي انه بعد ذلك تجيب المعارف نداء العموم وتجعل تدريس العلوم باللغة العربية الشريفة وتؤلف لهذا الغرض كتبا موافقة للدين وحاجة البلاد وتستعين على هذا الغرض بابنائها الذين مكثوا السنين الطوال باوروبا وتمكنوا من اللغات الاجنبية حتي صار يمكنهم على الاقل ان يترجموا لها ماتمس الحاجة

اليه من الكتب الاجنبية اذا زعم جاهل اومتحامل بان الكتب المؤلفة باللغة العربية لم تكن كافلة بما يحتاج اليه المتعلم والا فان كل منصف عارف بمقدار الكتب العربية مطلع عليها لا يشك في كونها كافلة بكل ما يراد ويستفاد بعيدة عن الحشو والتخليط محررة بلسان الملة والدين مع صحة النقل وحسن التبيين متجانبة كل امر يشوش على الطالب معتقداته او ينقم على اخلاق قومه وبلاده مع مراعاة الادب في غيرها وحسن اسلوبها

سيما وان تعليم العلوم بلغة اجنبية في بلاد عربية هو امر لا ينطبق على قياس ولا يلائم العادة المتبعة عند الناس ولا ضرورة تقضى اليه فضلاً عن حرمان المتعلم من التمكن من اي علم كان لقرب عهده بهذا اللسان الذى يتلقى به فيكون مشغولا بفهم اللغة وقواعدها مجتهدا في تفهم عبارة المعلم الاجنبي وربما تعسر عليه فهمها بالمرة لعدم بيان مخارج الحروف ولهجة اللسان الغير العربي وضعف التلميذ في تلك اللغة وعلى العموم فان تعلم العلوم بلغة غير لغة القوم حرمان لهم ولا يشك في ذلك منصف فانه امر مشاهد للعيان لا يختلف فيه اثنان

فانه لما كانت لغات اوروبا في القرن الثاني عشر والثالث عشر خشنية وحشية مجردة عن الفصاحة والبلاغة خالية من الظرف واللطافة لانه لم يكن احد وقتئذ تصدى لتحريرها وتكميلها فضلا عن تحسينها اضطرت الحال الى ان اعد القسيسون للشرائع والاصول الدينية كلها اللغة اللاطينية وقد قضت العادات التى يوازى حكمها الاحكام الشرعية بان الآداب ايضاً تكتب وتدرس بهذه اللغة التى لم تكن معروفة للمتعلمين ولم تكن لسان العموم ترتب على ذلك ان جميع العلوم التى كانت تدرس بها صارت ضائعة وكانت دائرة العلوم عندهم بهذا السبب ضيقة جدا ولما ارادوا مجاراة غيرهم في نشر العلوم والمعارف جعلوا

انه لا يسوغ لاحد ان ينتظم في سلك طائفة الاحبار والحكماء والحكام الا اذا كان صاحب معارف جيدة ولذا ايقنوا عند خروجهم من ربقه الجهالة الى هذه العقبة فازالوها وجعلوا التعلم باللغة المعلومة للعموم المتداولة بين اهل الامصار والاقطار واني من جو الاقتداء بهم في هذا الامر المفيد وتدرس العلوم بلغتنا العربية التي هي لغة الامة والدين ليحظى المتعلم بالتربية الحقيقية ونخلص من الدسائس الدينية ونفوز بالاسعاد ونيل المراد في ظل السادة الخديوية والوزارة الرياضية

وكثيراً مانادت الجرائد الوطنية الداعية الى الحق والمرشدة الى الطريق المستقيم حتى اقلق صدى صوتها الشرقي والغربي في آذانهم وقر وهو عليهم عمي وكأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون

انما تنجح المقالة في المرء   اذا صادفت هوى في الفؤاد

واما الآن وقد تولى اريكة نطاق المعارف اجل وزير واشهر شهير صاحب الدولة رياض باشا الرجل الوطني الوحيد الغيور على بلاده ودينه فانه سيجيب دعاء المضطر اذا دعاه ويجعل اللغة العربية اوسع دائرة من غيرها ولها الملاحظة الاولى فى توسيع النطاق ويجعل تدريس العلوم بها حتى نتخلص من شراك الاشرار وكيد الفجار اذ ليس من الانصاف ضعف لغة شهيرة وتغيير امة كبيرة ابتغاء مرضاة اشخاص معلومين او قوم محتلين بل الانصاف ان يتعلم ذلك الفريق والنفر الجاهل بلغة بلادنا سيرنا ويتعلم لغتنا الشريفة العربيه حتى يقف على اسرارها ويتمكن من فهمها ولذلك يمكنه ان يفهم مقاصدنا ويعرف اغراضنا ومصلحتنا واذن يمكنه ان يشاركنا في بعض اعمالنا او تربية ابنائنا اذا دعت الضرورة الى ذلك ويقدر اللغة العربية حق قدرها ويجزم بانها هي لغة التمدن والعلوم وانها اوسع دائرة واحسن ضبطا من سائر اللغات فان طالع آداب الامة

العربية المؤلفة بلغتها الشريفة واطلع على ما كتبه غيرهم بلغاتهم على اختلاف انواعها وجد بونا لا يدركه قياس ولا يعتوره التباس ولولا ان كل امة من تلك الامم المحيطة بنا له غرض سياسي يدعوه لنشر لغته وتوسيع نطاقها و بث ابناء الشرق ضرورة انه يدس في ذلك تحسين عوائد امته واظهار شوكتها وسطوتها ويموه ذلك بزخارف وهمية ربما راقت في اعين الاحداث ليجعل فريقاً من الجيل الناشئ في الشرق يحنو اليه ويتخلق باخلاقه ويشب على آدابه وعوائده و ينسى عوائد آبائه واجداده لما وجدت غريباً مخالفاً لنا في ان الانجح للاولاد والانفع للبلاد هو تعليم العلوم جميعها بلغتهم العربية الفصيحة فان ذلك هو ادعى للنجاح واضمن للفوز بالفلاح

كما انه لولا الاغراض الشخصية والمنفعة الذاتية لما وجدت منصفاً يوافق على استحسان تدريس فن التاريخ خصوصاً في بلاد عربية اسلامية بغير لغة البلاد لخلو ذلك عن الفائدة الحقيقية كما انه لا يوافق من له ادنى ميل الى الانصاف وحب الائتلاف ورفع الخلاف والاجحاف على ان يدرس تاريخ العرب وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين واصحابه المهتدين من لا مسكة له بهذا الدين وهو بعيد عن اليقين فانك بذلك تكون قد كلفته شططاً لان سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مذكور فيها تدبيره ومعجزاته و غالبها مأخوذ من القرآن الشريف والاحاديث النبوية وهو عند ذكرها مضطر لاحد امرين اما تصريفها واثبات كل معجزاته الباهرة وآياته الظاهرة وبيان انه نبي حق وان الاسلام حق وله التأثير العام في تمدن الانام وهذا مخالف لمعتقده واغراض امته وقواعد ملته ولا ينطق به اصلاً الا ان يكون ذلك على سبيل الاستخفاف والتهزيء والا فانه يكون قد انقلب مسلماً وخسر دينه وضاع فيه عشم امته وخسرت عضواً نافعاً كانت قد اعدته لاغراض شتى

واما ان يكذب كل ذلك و يحاول انكار مايتوهم المحاولة فيه وهما فاسدا ويرجع مالا يمكنه فيه ادنى محاولة لظهوره كالشمس في رابعة النهار اما الى العقل وسلامة الذوق وقوة الدرك واما الى امور طبيعية او حيلية او غير ذلك مما يوافق معتقده ومقاصدامته ويثبت ذلك بمايقوي عليه من الاثباتات الواهية التي يحاولها قدر اجتهاده عسى ان تنطلي على هؤلاء الاطفال الذين يتقلبون على لظى التأفف بين يديه حينما يسمعون بطلان دينهم وتكذيب نبيهم ولا يسعهم الا السكوت لحداثة السن وعدم القدرة على رد ماقاله من السفسطة اما خوفاً منه ومراعاة لجانبه واما قصوراً منهم واما تأثرهم بالقوة الضاغطة وخشيان الحرمان ومحو اسمهم من مدارسهم بحجة انهم قد عارضوا المعلم او لم يسمعوا كلامه اوخالفوا مشربه وكذبوه اوغير ذلك مما يحاول نكايتهم بهم ليتمكن من محو اسمهم من ديوان التعلم

ولا لوم عليه اذا فعل كل ذلك فانه انما جرى على قواعد ملته واعتقاد مذهبه وتنفيذ اغراض امته وانما اللوم يكون على من جعل رعاية هؤلاء الاطفال موكولة اليه ولا اظن انهم يسلمون لاى مسلم يقرأ التاريخ المقدس عندهم وسيرة المسيح عليه السلام لابنائهم في مدارسهم مع ان ديننا يأمرنا بتصديقه واثبات رسالته اللهم اهدنا الصراط المستقيم وخلصنا من العذاب الاليم

وكذلك الامر في سيره الخلفاء الراشدين واصحاب النبي المهتدين فانها مشحونة بماحصل بينهم من الخلاف الذي لابد من التأمل عند قراءته وتفهيمه لهؤلاء الاطفال وترجيعه الى امور حقيقية وقواعد اصطلاحيه حسبما يليق بمقامهم الرفيع والتباعد عن كل مايوجب الطعن او الذم اوالاغراض الشخصية التي ربما ظهر فحواها من ساقط عبارات بعض المؤرخين ولايمكن ان تحكم على

هذا المعلم الاجنبي الذي يقرأ لاولادنا التاريخ بهذه الاحكام ولا يسمع منا هذا الكلام

واوّل التشاجر الذي ورد   ان خضت فيه واجتنب داء الحسد

كيف ذلك وهو كلما وجد مايخبو من الفتنة آثارها او يشعل نار الشقاق اوقد شرارها حسبما يدعوه معتقده وبأمره دينه

وخلاصة القول اننا نطلب بلسان الامة والدين ان لايدرس تاريخ الاسلام سوي من يتمسك بهِ ويكون ذلك باللغة العربية وتعرض الكتب التاريخية التي تجعل لهذا الغرض على لجنة علمية اسلاميه ليخرج تدريس التاريخ من جعله غرضا دينيا وسياسياً معاً الى كونه جعل لمجرد الافادة والاستفادة ويحظى المتعلم اذاً بما يوصله الى السعادة في ظل ساحة مليكنا العباس الباذل كل الجهد في تشييد دينها وحفظ عوائدها واخلاقها ووزارته الرياضية تحت لواء دولتنا العليه الكافلة لتأييد كل مشروعاته الخيرية ايدها الله بنصره وعز امرها بامره انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير فهو حسبنا ونعم الوكيل

ما يفتكره النساء في ازواجهن [1]

محاورة ادبية بين صديقتين جمعتهما وحدة التعلم بالمدرسة في الصغر ورابطة الالفة والمودة في الكبر وقد اجتمعتا بعد طول فراق وتقابلتا بحكم الاتفاق فدار بينهما الحديث الآتي. وقد رمزنا للاولى بحرف س وللثانية بحرف ج

س السلام عليكِ ايتها الحبيبة كيف حالك وحوادث الزمن

ج عليكِ سلام يعادل ماعندي من الشوق لرؤيتك ان حالي على مايبدو لناظركِ من السوء الذي يشمت الاعداء ويسيء الاوداء مثلك ولكن

(١) بقلم صاحب هذه المجموعة

قولي لي بفضلك ماالسبب في حسن مظهرك وجمال منظرك فاني كنت اعهدك منذ تلاقينا المرة الاخيرة على غير هذه الحال

س صدق ماتقولين وربما كان الجمال الذي البسني حلته وراقت في عينيك بهجته ناشئاً من انتظام ملبسي ونظافته

ج ربما كان كذلك اذ في الواقع لم ا ُر منذ زمن طويل ملبوساً جيد القماش محكم التفصيل مثل هذا واظنه من القماش الهندي

س نعم هو كذلك

ج لاشك في انه يفوق الحرير نعومة ورقة· وما ازهي هذا اللون القاني فان بهاءه في بحر التعجب القاني· ومن اين جاءتكِ هذه الهدية النفيسة

س من زوجي اكبر الناس عندي شأناً واعظمهم مقاماً

ج ماأحسن طالعكِ واكمل حظكِ حيث اوقعتك محاسن الصدف في قبضة رجل يعرف مقام المرأة في الهيئة الاجتماعية اما زوجي اللعين فقد كان احب اليّ ان اتزوج القبر من ان اقرن حياتي بحياته

س وحرمة مابيننا من صادق المحبة والولاء لاتستري عني ماحملكِ على هذا القول فانى ارى مما اعتراكِ الآن ان قد تحكمت بينكما اسباب الشقاق وانحلت عرى الاتفاق

ج كيف تريدين ان يكون الصلح والسلام ضاربين اطنابهما بيني وبين رجل مثل ذلك العتلّ الذميم الذي صيرني مضغة في افواه القرباء والبعداء لبساطة ملابسي وقذارتها وانى لأعجب كل العجب من كثرة وقاحته وزيادة تحته اذ رضي بان ابرز للناس في هذه الحالة التي هي على ماتعلمين من الشناعة والفظاعة بمكان مكين ويزداد تعجبي واندهاشي كلما رأيت نساء من هم افقر منه

احسن مني رونقاً واكثر بهاء وتألقا لجمال ملبوسهن وانشراح نفوسهن

س ان رونق المرأة وزينتها لا يتوقفان على الملابس والاطالس ولا على العناية بجسمها وانما على طهارة سريرتها واستقامة اخلاقها وسلامة طباعها

ج لا اناقض ماتقولينه الآن ولا انكر حقيقته ولكن لي الحق فيما قلته اولاً تلقاء سرف ذلك النذل في الامور التافهة كتعاطي المسكر والانكباب على المنكر وتقتيره في الامور النافعة التى منها موضوع شكايتي وتوجعي

س الزمي السكوت فلقد طوحك الطيش الى اساءة الادب في حق زوجك . ولكن قولي لي هل قامت بينكما في يوم ماحرب المشاتمة والشقاق على قدم وساق

ج كثر ماوقعت حوادث من هذا القبيل ولابد انيكون قد لاحظ فيها انى لست مشلولة اليد ولا مقطوعة اللسان واني بذلك اعامله ببعض ما يستحق من الاذى وكما يدين الفتى يدان

س وما يكون جوابه اذ ذاك

ج جوابه هو ان يظهر في الاول علامات الغضب واشارات الغيظ ويقذف من بركان فيهِ عبارات السب والشتم بما يوجب الهم والغم

س الم يصل بكما السباب والمشاتمة الى المعاركة والملاكمة

ج اي نعم حدث مرة انقد استعرت نيران المنافسة والمناقشة فافضت الى المضاربة والمهارشة

س ما الذي اسمع

ج وكانت بيده عصا طويلة يحاول ضربي بها

س الم يقع في قلبكِ الخوف من فعله هذا

ج   ابداً لاني كنت عثرت امامي على كرسي من الخشب فتدرعت بهِ حتي اذا لمسني بطرف اصبعه كنت ابرهن له على اني لست قصيرة اليدين

س   ان اتخاذك الكرسي درعاً تتوقين بهِ من ضربات زوجك لحقيق بان يعد من الاختراعات الجديدة المضحكة ولا ينقصك في هذه الحالة الا ان تجعلي من المكنسة رمحاً تحاربينه بهِ

ج   ليس من العار اذا فعلت ذلك

س   اذا كنتِ تريدين نصيحة صادرة من قلب خالص نقيّ فاني اقول لكِ انهُ لايليق بكِ ان تعاملي زوجك بمثل هذه القباحة

ج   وما هو اللائق اذن ان افعله اهل ترضين ان اعامله كزوج لي في حين انهُ لايعاملني كزوجة له

س   قضت الشرائع المنزلة بانهُ يلزم المرأة الخضوع التام لزوجها وفي كتب التواريخ وحوادث السلف من القصص والروايات مايدل على وجوب مراعاة المرأة لهذا الواجب المقدس

ج   اني اعترف اعترافاً صحيحاً بصواب قولك ولكن الم تقض تلك الشرائع نفسها على الرجل بان يحب امرأته ويعاملها بالرفق والحسنى وعليهِ فلو كان زوجي افتكر في القيام بمافرضه الانسانية عليهِ نحوي لافتكرت انا ايضاً في اداء مايجب عليّ نحوه وكان لهُ الفضل بان جعل نفسه لي اسوة حسنة وقدوة مستحسنة

س   ولكن حيث قضت الاحوال بانصياع احد الزوجين للآخر فانى اذهب الى الحكم بافضلية انصياع الزوجة لزوجها وخضوعها اليه

ج   وهل يصح ان اعتبر زوجاً لي رجلاً يعاملنى معاملة السيد لجاريته المشتراة بماله

س دعينا من هذا البحث الآن وقولي لي هل كفّ زوجك عن معاملتك بالضرب والشتم

ج اي نعم كفّ وانقطع وقد احسن عملاً والا لكان هو المغلوب على اي حال

س وانت هل رجعت عن مجادلته

ج اخذت على نفسي عهداً وثيقاً بان لا ارجع عن ذلك ابداً لكي اشفي بذلك علتي واشفى غلتي

س وما الذي يفعله معك بعد ذلك

ج لا يفعل شيئاً سوى ان يستلقي على قفاه من الضحك وربما ادي به الطيش في بعض الاحيان الى ان يتناول عوده الذي ليس به سوى ثلاثة اوتار ويأخذ في توقيع صوته المزعج عليه لكيلا يظهر نواحي فيسمعه الجار

س وهل في ذلك ما يدعوك الى الغضب

ج كيف لا اغضب وليس في قوتي ان آتي شيئاً من هذه الاعمال القبيحة

س قد عرفت الآن سر الكراهة التي ملأت صدرك لزوجك فهل تسمحين لي بان اخاطبك بحرية ضمير

ج ان ميدان الكلام امامك فسيح الارجاء فلكِ ان تتكلمي وعليّ الاصغاء

س ولكن ينبغي عليكِ ايضاً ان ترفعي الغطاء عما يكنه ضميرك وطالبي هذا من الحقوق التي تخولها لي المحبة التي ارتبطنا بها منذ المهد تقريباً

ج لكِ عليّ ذلك حيث انك اعز الحبيبات اليّ واسماهن قدراً ورفعة في عيني

س اعلمي ان الواجبات التي يجب تبادلها على الزوجين ان يستوضح كل

منها طباع الآخر واذواقه وامياله وبجتهد في فعل مايلائمها ان كانت حسنة مستقيمة او تقويم المعوج منها بحيث تنطبق على خلاله وامياله ان كانت غير ذلك وبهذه الواسطة يعيش كلاهما في ظل الوفاق والهناء والسعادة

ج وهل في وسعى ان افعل ذلك مع زوجي

س كيف لا وللنساء نفوذ ليس بالقليل على ازواجهن

ج صدقت وهل الوفاق بينكِ و بين زوجك على ماترومين

س ان الوفاق والوئام هما الآن بيننا على مايرام

ج يظهر لي من هذا الكلام ان كاس الصفاء كان في مبدأ زواجكما مكدرًا

س لم يحصل ادني كدر ولاشقاق وانما وقع مالابد من وقوعه اثناء المعيشة من الحوادث التي يجليها اللطف والاعتدال كالدخان الذي يتصاعد في الجو تبدده الرياح في كافة الارجاء

ج لقد قلت الصواب

س وقد يحدث في غالب الاحيان ان يسقط الوفاق و يذهب الاتحاد من بين الرجل وزوجته قبل ان يتعارفا طباعهما و يتكاشفا اسرارهما وهو خطر عظيم ينبغي التوقى منه لانهُ اذا فشت الكراهة ونتج عنها ان تبادل الزوجان الشتم والسب واللكم والضرب عسر التوفيق بينهما . وهذه الحالة تشبه بالتمام الشيء الذي يلصق بآخر بواسطة مادة صمغية توضع بينهما فانهُ يسهل فصلهما عن بعضهما عقب اللصق بقليل بخلاف مالو انتظر حتى تجف المادة فان فصلهما يكون عسرا وربما ادت محاولة اجرائه بالقسر الى تلف الشيئين معاً و بناء على ذلك فلاينبغي على الانسان ان يتواني و يتراخى في مبدأ الامر حتى لاتضيع فرصة حصول الوفاق بين الزوج وامرأته والوسيلة الى ذلك هي لطف المعاشرة

والملاينة والمؤانسة واما الارتباط الذي يجمع الزوجين في اول الامر ويكون منشأه جمال المرأة فقط فيكون واهياً مهدداً بالانفكاك في كل حين

ج ماهي الطريقة التي امكنك بها استمالة زوجك الى الانطباق على طباعك وموافقة خلالك

س هي اني كنت اجتهد في فعل مايروق لعينيه ويعذب في ذوقه واصرف عنايتي الى مطاوعته وعدم مناقضته في امر من الامور وكنت في خلال ذلك استكشف طباعه وامياله واقرأ في صحيفة وجهه ما اعلم منه سبب سروره فابادر الى فعله وجالبة غضبه فاجتهد في تجنبها بحيث اصبحت كمن يعلم الفيلة والاسود وغيرها من الحيوانات المتوحشة والضارية الائتناس بالانسان والائتلاف به

ج ان زوجي حيوان من هذه الحيوانات

س اعلمي ايتها الصديقة ان الذين يقربون من الفيلة لا يلبسون الملابس البيضاء والذين يزاولون شؤن الثيران لا يكتسون بالونه احمر لانه قد ظهر بالتجربة كراهة الفيلة والثيران لهذين اللونين وشوهد ايضاً ان دقات الطبل تلقي الفزع في قلوب النمورة حتى انه ليؤدي الفزع ببعضها الى قتل الآخر وكذلك الذين يعانون تربية الخيول اصطلحوا على الفاظ وحركات مخصوصة ووسائل عديدة مثل ذلك لكبح جماحها وازالة حرنها فاذا كانت المواساة تنجع في الحيوانات وتؤثر عليها الم يكن من الاولى والاجدر أن تؤثر على ازواجنا وهم من اولاد آدم الذين فضلهم الله على العالمين

ج وما الذي حصل بعد ذلك

س حصل انني لما اجريت هذه التجارب مع زوجي ووقفت على

طباعه واخلاقه واجتهدت في استمالته الىّ حتى بني التوافق والالتئام بيننا على دعائم قوية لا تزلزلها طوارئ الحدثان

ج وماذا كنت تصنعين

س كنت فيما يختص بالاعمال المنزلية اجتهد في عدم اهمال شيء واصنع جميع ما يطابق امياله و يوافق اذواقه على التمام حتي في الاشياء الصغيرة جداً

ج وكيف ذلك

س اذا ظهر لى مثلاً ان زوجي يميل بكيفية خاصة الى صنف من صنوف الاطعمة بادرت الى اتقانه وابديت استحساني لهذا الصنف على مسمع منه

ج وباى وسيلة يمكنني استمالة زوجى اليّ بارضاء رغائبه والانطباق على مراده وهو على الدوام بعيد عن المنزل اوسكران فيهِ

س ان الوسائل كثيرة متعددة ولا ينقص سوى اتخاذها واستعمالها ويجب عليكِ ان تقتدي بي فيما كنت افعله مع زوجي فاني كنت اذا رايته كئيباً حزيناً في يوم من الايام ولم أجد الى المحادثة معه سبيلاً اشاركه في حزنه واشاطره همه بدلاً عن الاسترسال في الضحك والمزاح كما يفعله بعض النساء الغير مهذبات اذ من الواجب على المرأة أن لا تجاهر بالسرور والانشراح اذا كان زوجها غريقاً في يمّ الحزن والانقباض بل يلزمها ان تكون مظهراً لنفس ما يقوم بزوجها من العواطف ان سارة وان محزنة فتكون في هذه الحالة شبيهة بالمرآة الصافية النقية تنعكس فيها الصور والاشكال بتمامها وكان اذا حدث ان زوجي قامت بهِ ثورة الغضب فأخذ يدمدم و يرمر بادرت الى تسكين غضبه بلطيف الكلام و رقيق العبارة اوقابلت صياحه بملازمة الصمت العميق حتي تنقضي الفورة وتنقشع سحب الغمّ بعاملٍ قويّ هو ولا شك محبه

الوقت الكافي للتأمل في شناعة فعله حتى اذا تحقق منها وعرف خطأ نفسه عاد عليها باللوم وابهظها بالتعنيف وكنت افعل معهُ مثل ذلك كلما دخل البيت متناولاً الكثير من المشروبات

ج اذا لم يكن من مقدور المرأة وحظها في العالم سوى ان تذعن لزوجها اذا غضب وتلتزم الصمت اذا زجر فانها ولا ريب تكون اشقى حالاً واسوأ مآلاً من البهيم الابكم او الحجر الاصم

س يجب ان تعترفي معي انك اذا سلكت معهُ هذا المسلك فانه لا يقصر عن الاقتداء بك فيهِ اذا غضبت واني ارى ان الاحوال التى تغضب فيها النساء اكثر من الاحوال التي يغضب فيها الرجال فكيف تريدين ان يحتمل غضبك مرات عديدة ولا تحتملين غضبه مرة واحدة ومع ذلك فقد توجد ظروف يتسنى للمرأة فيها ان تذكر زوجها بما يجب عليهِ نحوها من الاحترام بلطف وسكينة وبشاشة

ج ومتى هذه الظروف

س اذا وجدتِ في ساعة ما انه منشرح الصدر لا يشغله بالبال فما عليك الا ان تذكريه بهفوتهِ مع اظهارها لهُ في مظهر الشناعة والقباحة وتنصحيه بالمحافظة على نقوده محافظة تقيه من الحاجة والاضطرار في المستقبل وعدم التفريط في صحته بالادمان على المسكرات· وينبغي عليكِ ان تبدي لهُ هذه الملحوظات بعبارة رقيقة رشيقة والا فلا تجنين من اتعابك سوى بغضه وكراهته لك اذا خدشت عواطفه بقول غليظ لا ادب فيهِ وكثيراً ما كنت أُلاحظ على زوجي اغلاطاً عديدة فكان يجتهد في عدم العودة الى الوقوع فيها ولا ريب في انه لم يعمل بنصائحي الا لكوني تجنبت الشدة في الكلام وواريت

اسباب شقاقنا عن اقاربنا وجيراننا وقصرت البحث في امر المصالحة والتوفيق بيننا علينا اذ لا يخفى عليكِ ايتها الصديقة ان الصلح يكون اقرب واسهل اذا لم يعلم بسر المخاصمة غير المتخاصمين واما اذا كان الشقاق كبيراً لم تنفع فيهِ نصائح المرأة واقوالها فالاوفق ان تبث هذه شكواها لاقارب ومعارف الزوج دون غيرهم وتنهي الى علمهم موضوع هذه الشكوى بدون ان تبدو عليها علامات الشماتة والعدوان او تبوح بما يجب كتمانه من الاسرار حتى يعترف الزوج في نفسه بانك لا تزالين حافظة للعهد مقيمة على قديم الود

ج لا يقدر على اتباع هذه النصائح الا من امدّهم الله بالصبر الجميل اما انا فلا طاقة لي على اتباعها

س على فرض ان العمل بهذه النصائح هو على ما تزعمين من الصعوبة والشدة فانك لا تدركين المنى وتبلغين الآمال الا باستسهال المصاعب واحتقار المصائب والحمد لله فان الذي تستصعبينه ليس ادراك بلد سحيق او اجتياز نهر عميق او صعود جبل شاهق او سير في ليل حالك او ما ماثل ذلك وانما هو معاملة زوجك باللين والرفق لكي يسلك سبيل الاعتدال والصدق

ج اني واثقة تمام الوثوق بانهُ مهما كانت مكانة النصائح من التأثير والفعل في القلوب فان قلب زوجي كالحجر الصلد لا تؤثر فيه ابدا

س لم ارقط امرأة سواك حكمت بهذا الحكم القاسي على زوجها وعلى فرض انك اصبت في قولك افلا تعلمين انهُ من المفترض عليكِ اذا كان زوجك قبيح الخصال اما ان تجتهدي في تحسين اخلاقه بالمداراة وحسن المعاملة واما ان تحتملي خصاله ولا يكون لك الحق حينئذٍ في بث شكواك لاحد ماوماذا تقولين اذا اسمعتك تاريخ رجل كانت زوجته شرسة سيئة الخلق فاجتهد

في تحسين اخلاقها بما كان يبذله من معاملتها بالرفق والحسنى واني لأعجب كيف لاتقدر المرأة على اجراء ذلك مع زوجها في حين ان لها كما قلت لك سابقاً من التأثير عليه مااليس له عليها

ج احب ان تقصى على مسامعي تاريخ ذلك الرجل الذي خالفت طباعه طباع زوجي على خط مستقيم

س تاريخ ذلك الرجل هو انه كان تزوج ببنت تبلغ من العمر سبعة عشرة سنة وكان قد اختارها جاهلة ساذجة الطباع ليتمكن من تعليمها وتهذيبها بما يوافق طباعه واخلاقه فابتدأ بتلقينها علوم الآداب وغيرها من المعارف النافعة ولما ماينت انها باجتماعها مع هذا الرجل المهذب قد انحجبت عن ملاذها والعابها التي شبت عليها بمنزل والديها امتنعت عن الخضوع لزوجها واخذت تنوح وتلقي بنفسها على الارض كالمصروعة وتفعل افعال من يريد قتل نفسه كلما الحّ عليها بعلها باتباع نصائحه ولما شاهد منها هذا الاعراض عرض عليها ان تزور معه والدها واهلها ببيتهم الذي في الضواحي فتهلل وجهها فرحاً وسروراً وفي الغد بارحا منزلها فلما وصلا اليه وتقابل الزوج بوالد قرينته خرج معه من المنزل بحجة التنزه وقضاء الوقت في الصيد والقنص وحين صارا في معزل عن الرقيب والواشي قصّ عليه ماراّه من اخلاق ابنته وانها لاتريد الاصغاء الى نصائحه والخضوع لاوامره وناشده الله ان يمد له يد المساعدة في تقويم المعوجّ من اخلاقها فظهرت على وجه الوالد عند ذلك اشارات الكدر والغضب واجابه قائلاً ماعليك يابنيّ الا ان تتدرع بمالك من الحق في تأديبها وتربيتها ولو الزمتك الضرورة الى معاملتها بالقسوة والعنف فقال له صهره اني وان كنت اعلم الحق الذي تخوله لي الزيجة غير اني راغب في الوصول الى تهذيب

زوجتي من طريق غير طريق العنف والعسف واود ان تمدّني في قضاء هذه المهمة الكبرى بما اكتسبته من التجارب طول عمرك فوعده والد البنت بالنظر في ذلك وفي الواقع فانهُ لم يمض يومان حتى تقابل مع ابنته بجهة من المنزل بعيدة عن السامعين وقال لها طالما خشيت قبل زواجك من اني لا اجد لك زوجاً تسترين به عرضك لما كنت اعهده فيك من قباحة الطبع وسوء الخلق ومع ذلك فقد هدأ الله روعي واذهب قلقي اذ عثرت لك على زوج تود الاقتران به اكثر النساء جمالاً ومالاً وحسن اخلاق وطهارة اعراق وحيث كان الامر كذلك فلماذا يبلغني عنك انك لا تريدين الامتثال اليه والانقياد لما يقوله لك من النصائح. ثم اخذ يسمعها من هذا التقريع ما كفي لالقاء الروع في قلبها وقد وصلت به الحدة الى انهُ رفع يديه عليها لضربها لولا انهُ رأى من ضروب الحكمة الكف عن ذلك موقتاً حتى تظهر لهُ العاقبة وبمجرد ان اتم قوله سقطت البنت على قدميه تقبلهما باكية متندمة على ما فرط منها ملتمسة من ابيها ان يعفو عنها ويصفح الصفح الجميل واعدة بتمام الانقياد الى زوجها والاعتراف بطهارة نيته وحسن معاملته

ج وما الذي حصل بعد ذلك

س حصل ان البنت لما تركت والدها ودخلت في قاعتها حيث كان زوجها القت بنفسها على قدميه وقالت لهُ بلسان متلعثم وصوت قد خنقته العبرة : تجاوز عن هفوتي لاني كنت اجهل قدرك كما كنت اجهل قدر نفسي وستراني من الآن فصاعدا آلة لتنفيذ اوامرك غير انني لازلت اطلب منك العفو عما مضى ولما سمع منها زوجها هذه الكلمات قام فاحتضنها ووعدها بالعفو اذا هي قامت بوفاء وعدها

ج وهل قامت بوعدها

س حتى منتهي الاجل فان زوجها لم يأمرها بامر الا وبادرت الى تنفيذه وانتهي بها الحال الى انها كانت تمدح زوجها في كل نادٍ وتقول انني لولاه لصرت اشقى النساء حظاً

ج ان مثل ذالك الزوج اندر من بيض الانوق

س كيف يكون مثله نادرا وهذا جارنا رجل صادق امين غير انه يميل في بعض الاحيان الى الغضب وقد ضرب زوجته مرة وهي ممن حسنت اخلاقهن وطاب عنصرهن فما كان منها الا ان انزوت في قاعة من قاعات المنزل واخذت تبكي وتنوح واستمرت على ذلك اياماً فحدث ان دخل زوجها عليها بغتة فوجدها على هذه الحالة فلما سألها لماذا استمرت على البكاء والنواح كطفل صغير فاجابته قائلة اليس من الاحسن ان ارثي لحالي بدون ان يسمع صوتي مخلوق بدلاً عن الصراخ في وسط الطريق كما يفعل غالب النساء فاستشعر الرجل بذنبه ولم يكن منه الا ان طلب منها الصفح والتجاوز ووعدها بان لا يضربها ابدا وقد قام بهذا الوعد خير قيام

ج لا يصح ان يؤسف على مصاب هـذه المرأة بقدر ما يؤسف على مصابي فان الاذى الذى نلته من زوجي اكثر من الاذى الذي اصابها من زوجها

س وهل لا تزالين مع زوجك فى نزاع دائم وقتال مستمر

ج ليس لى اشتغال بغير هذا الامر

س لا يجمل بك قط ان تسلكي هذا المسلك الوخيم العاقبة بل ينبغي عليك ان تغضي الطرف عن عيوبه وتجتهدى بحسن تدبيرك في تقويم اخلاقه

ج انه رجل وحشي الطباع لا ينفع معهُ التدبير ولا اي شيءٍ من

وسائط حسن المعاملة والتلطف

س اذا كان زوجك في عداد الوحوش والبهائم كما تقولين فان الوسائل لاتقصر عن تعديل طباعه كما لم تقصر عن تعديل طباع هذه الحيوانات حتى الفت الانسان واستأنست بهِ وماعليك والحالة هذه الا ان تنبذي القنوط واليأس جانباً وتعمل بنصائحي مدة اشهر متعاقبه فاذا لم تنجحي في مشروعك فما عليك الا ان تلوميني وتوبخيني واعلمي ايتها الصديقة بانك اذا قصدت انتقاد عيوب زوجك على الدوام فان ذلك يكون سبباً في تحكم اسباب الضغائن والحقد بينكما واذا كان زوجك على ماذكرت من الخصال فكان ينبغي عليك قبل عقد الزيجة ان تختاريه باذنيك لابعينيك

ج وما معنى اختيار الزوج بالاذنين

س معناه هو ان تستفسر المرأة عن اطوار واخلاق من يريد الاقتران بها بما يقوله الناس عنهُ من مدح اوذم وان لاتكتفي بما تراه من صباحة وجهه ووسامة شكله

ج قلت الصواب ولكن مات مافات

س اكرر عليك الوصية بعدم اليأس والقنوط فانهُ يمكنك استدراك مافات بكل سهولة مع الصدق في الارادة وما الذي يقوله عن زوجك جميع اصحابه ومعارفه

ج يقولون انهُ سلس الاخلاق سهل الطباع بشوش الوجه كريم طيب المعاشرة

س اذا كانت هذه اوصافه فالامل اكيد في انهُ سيصير يوما ماطبق ماتود وترغب واعلمي ان زوجك في نضارة الشباب فاذا طرأت عليك فكرة الطلاق والسعي في الافتراق فاجتهدي في تجنب العمل الذي يؤدي الى ذلك

ج كثيرا ماطرأت هذه الفكرة واني من صميم الفؤاد اودّ السير على مقتضاها

س اذا عادت اليك من الآن فصاعدا فيكفي لتقفي على درجتها من

الفظاعة ان تمثلي لنفسك حال المرأة اثناء انفصالها عن زوجها ولست اشك في انك تجدين هذا الحال من السوء بمكان عظيم وان تفتكري بانك رزقت منه بغلام لكل منكما شطر فيه فماذا يكون الحال وقتئذ اتحرمين زوجك من نيل حقوقه فيه ام تحرمين نفسك من التمتع بالنظر لقطعة كبدك واعز المخلوقات عليك وانما ارجوك ان تقولي لي هل يوجد من يبغضك ويود لك السوء والضرر

ج اي نعم توجد والدة زوجي واخته

س اذا كان الامر كذلك فكان من الواجب عليك ان تبذلي الجهد في توثيق عرى الاتفاق مع زوجك لكي لا تتمكن هاتان المرأتان من الحصول على آمالها بانفصالك منه

ج اني استحسنت نصيحتك وسأعمل بها غير اني اخشى من تكبد المشاق للوصول الى الغرض المقصود

س اذكر انك اشتريت هذا الببغاء الذي يلفظ عدة كلمات بدون ان يدري معناها منذ اشهر قليلة فتذكري المشاق التي تحملتها لتلقينه تلك الكلمات وانت يسهل عليك امر معالجة اخلاق زوجك وهو انسان مثلك ولا يكون ذلك الا بتنظيم البيت وترتيبه بما يلزم زوجك البقاء فيه وعدم مفارقته له ولا بد ايضاً من احترامك له بما يجعله ممنوناً منك وتهيئة الطعام الذي يميل اليه

ج وهل تظنين انى انجح اذا اسرعت في فعل ذلك

س ان نجاحك في ذلك مؤكد فلا تخافي وها انا ذاهبة الآن لمقابلة زوجك والتكلم معه فيما يستدعيه وثوق عرى المحبة والائتلاف بينكما وسأعمل الوسائل اللازمة التى يمكنني بها حمله على الاعتراف بغلطه حتي اذا تم ذلك ارشدته بالنصائح الى طريق الحق والصواب

ج بارك الله في نيتك

س وساعدنا على انفاذها انه سميع مجيب

الحكومات وتأثيرها على التمدن[1]

اذا اتخذ عدد من افراد الخلق نقطة من الارض موطنا لهم ومستقرا لاعقابهم والفوا بهذا الاجتماع امة مستقلة فلابد ان يفوض جمهور هذه الامة الى اشهرها بكمال الصفات وتمام العقل النهوض بتنظيم احوالها العمومية واقامة المعوجّ من هيئتها الاجتماعية . وهذه السلطة التي يخولها الجمهور لمن تلاقت فيه تلك الصفات من شروطها عدم المكث والبقاء في يد واحدة لانها مبنية على رضاء الاغلبية وارتياح الفريق الاكبر وما كان اساسه الرضا والارتياح فهو بمقتضي الضرورة خاضع لناموس التقلبات والتغيير بمعني انه اذا رأت الجمعية شخصاً آخر اكثر استجماعاً لتلك الصفات وتوسمت فيه حسن القيام بتدبير السلطة والتصرف في الامور بما يطابق المصلحة العامة حق لها ان تقيل الاول من منصبه السامي وتستعيضه بهذا الذي توفرت فيه صفات الكمال وكمال الصفات

اما اذا امتدت اعناق الافراد في يوم ما الى نزع السلطة من يد ووضعها في اخرى فمدار ذلك يكون على الحرية الاجتماعية وليس على ما لكل فرد من الحقوق الشخصية اذ لا يصح ان يكون لهذه الحقوق تأثير وفعل على تلك الحرية

نعم ان لكل واحد من افراد الهيئة حق المطالبة بتملك قطعة من الارض مثلا يفلحها و يتقن حرثها ليستخرج من خيراتها و بركاتها ما يكفيه لقوته وقوت

(١) بقلم صاحب هذه المجموعة

عائلته ولكن لاحقَّ له في المطالبة بالرئاسة والامارة والا امتدت الى هـذه المرتبة السنية والغاية القصية اعناق جميع الافراد ولم يبق منهـم من يخدم الارض ويستنبط خيراتها فوقعت الامة في اسوأ حال وشر مآل

يؤخذ مما تقدم ان لامصدر للسلطة سوى الارادة العمومية وان هذه السلطة وقتية البقاء قابلة للانتساخ والتحول وانه لاتقوم لهـا قائمة مادامت خارجة عن دائرة الرضاء العام والارادة الاجتماعية

ولكل من الافراد حق يعصم حريته الشخصية من تطرق عبث الغير بها اليها فاذا كان من واجباته تلقاء الجمعية ان يستنفد وسعه في مساعدتها بعمله ويخضع لما تقرره اغلبيتها في كل ماتتوضحه مطابقا للصالح الشامل وكانت السلطة العمومية من جهة اخرى تسير في الجمعية بالجور وناله منها اذى وضير فله الحق في الالتجاء الى سلطة اخرى والاستظلال بعدلها والابتعاد عن امة قانونها الظلم وحدودها الشهوات

وهذا الحق هو الحفيظ على الحرية الشخصية التي اطرحتها بعض الامم في زوايا النسيان فاصبحت تئن تحت اثقال الظلم والاستبداد

واذا قارنا بين الامم المتوحشة والامم المتمدنة نرى ان الاولى لبثت محافظة على المبادئ الاجتماعية الحقة لانتقال زمام السلطة عندها من يد الى اخرى على حسب مقتضيات الارادة العامة بخلاف ما اتبعته الثانية فانها لمغادرتها تلك المبادئ مهملة وتركها السلطة خالدة في يد امير واحد قد اخذت تسير في طريق الضعف والاضمحلال

الحركة نظام الحياة في الكون ومحورها الذي تدور عليه فما من حكومة تعرضت الى تعطيل حركة التقلبات وتصدت الى ايقاف تيار الارتقاء الا وكان

نصيبها من التعرض والتصدي التأخر والتقهقر والحرمان المستمر من التقدم في سبيل الفلاح والنجاح. لان الحكومة التي تتوصل بسوء تدبيرها الى ايقاف هذا التيار يلهيها الاشتغال بذلك عن ادراك شأو نظيرتها التي كانت معها في مرحلة واحدة من ذلك السبيل فتذهب فريسة الثورة والفوضى وتصبح تحت رحمة التقادير والتصاريف

انظر الى البلاد الامريكية كيف كانت حالتها من التأخر منذ مائة سنة وكيف اصبحت الآن على درجة من التقدم لاتستطيع معها اوروبا وهي الملحوظة منا بعين التجلة والاحترام ان تنافسها فيها وتساميها اليها تتأكد من ان سر هذا النجاح الباهر انما هو احترام السلطة للحرية الشخصية التي تتألف منها الحرية العمومية للامة بأكملها وارخاء العنان لجياد الافكار وقبول الاقتراحات النافعة وتنفيذها وهذا كله نقيض مانراه عندنا من اكراه السلطة العمومية فصيحات الالسن على ملازمة العي والحصر في حلبة البيان وقصها اجنحة طائر الفهم وسدها مسالك الوهم واعراضها جانباً عن المشروعات المفيدة التي يستنبطها ابناء البلاد

والمطلعون على التواريخ العمومية والخصوصية لايناقضون في ان اسباب ما كان بين التمدن وبين السلطتين الدينية والمدنية في اوربا من الخصومة واللدادة مدة قرون عديدة انما هو جهل القابضين على ازمة الامور بطرق تطبيق ما أشرنا اليه من المبادئ الطبيعية التي ينبغي ان تسير على محجتها الجمعيات البشرية ولقد كانت مطاردة الامريكيين لتلك المبادئ وسعيهم في طلبها من اقوى البواعث التي رفعتهم الى درجة من التقدم والتمدن لاتطاول ولاترام واصدق شاهد على مانقول ان اوروبا وهي الاسبق في المدنية والاعرق

في العمران تنظر اليهم الآن بعين التعجب والاندهاش

وكيف تقوم للتمدن والتقدم قائمة وليس ثمت من شاغل لتلك الحكومات سوى السعي وراء تحصيل المنفعة الخاصة وما الذي ينتظر منها وهي التي اذا ارادت التماس منفعة او ابتغاء مصلحة أتتها من غير بابها واضافت على هذا الخطأ سوء تصرفها فيها وكثيراً ماسمعناها تنادي بتعضيد التجارة وحماية الصناعة ورعاية الزراعة وماهي تدعو في الحقيقة الا الى تثبيط همم اهلها واخماد عزائمهم بما تسنه كل يوم من اللوائح والقوانين اذ لايخفي ماينجم عن صدور هذه المحررات من الاضرار البليغة خصوصاً اذا تعددت في موضوع واحد وكان احدها ناسخاً للذي سبقه واضطر الجمهور الى تهريب البضائع على اختلاف انواعها ذريعة الى التخلص من فداحة الضرائب والرسوم التي تقتضيها تلك القوانين

وليس ينكر علينا احد ان الحكومات بوضعها الضرائب البليغة على الواردات والصادرات وتشجيعها صناعة دون اخرى ومنعها زراعة صنف من الاصناف بحجة ان كثرة الوارد في حالة المنع تجعل الخزينة عامرة بالدنانير آهلة بالدراهم قد منعت رعاياها من التمتع بثمرة جزء عظيم من اعمالهم المعيشية وافضت بالتجار الى حالة لايعرفون معها مكاسبهم من خسائرهم فكان هذا الشك من بواعث وقوع الخلط في اشغالهم ويضاف الى كل ذلك مايترتب على مطالبة الحكومة للبائع والشاري بالرسوم الثقيلة العديدة من وقوع الكساد وحصول البوار فان البائع يندفع حينئذٍ بذلك العامل الى تضعيف قيمة مايبيعه والشاري يسعى جهده في الاقلال من استنفاد المواد اللازمة له كي يقتصد مايسد بهِ مطالب الحكومة ويعادل بهِ غلاء الاسعار

وليس من منظر في اعتبار العاقل المتبصر اغرب من مدينة قد احاطت

بها رجال المكوس واعوان الضرائب متحفزين للوثبة على كل وارد من البضائع يفتشون عليه لا للتحقق من مطابقة استعماله للصحة وانما لابتزاز الرسوم من صاحبه بصرف النظر عما اذا كان ذلك الوارد سما او دسماً

وليت ذلك التداخل كان قاصراً على ضواحي المدن فانه قد سرى الى داخلها اسيء الى مخازن التجار ومنازلهم التي لا يصح لغيرهم مداناتها بدون اذن ولا تصريح واذا سألت الحكومات عن هذه الاجراآت اجابتك في الحال ان الغرض منها انما هو الذود عن التجارة والمدافعة عن حماها وانها لا تجبي تلك الاموال الطائلة لمصلحة لها بل لخير الامة وسعادتها

وقد كان من الصواب ان تقول اني لم افعل ذلك الا لتسريب الاموال لخزائني حتي يتمتع بها الذين آثرهم البخت وازلقهم الحظ وابتسم لهم ثغر الزمان

تلك هي جميع الاسباب التى تقذف بالامم الى اعماق هوايا التاخر اما الاسباب التي تسمو بها الى اوج التقدم فاننا اذا امعنا البحث فيها وفيما تؤدي اليه من الاعمال النافعة فاننا نتحقق من انه لا دخل للحكومات في ايجادها واحداثها وعليه فليس الفضل في اقامة بناء التمدن الشامخ للحكومات اذ انها كانت ولا تزال الى الآن من الدواعي العاملة على تقويض دعائمه وانما الفضل في ذلك هو للرأي العام الذي ساس شؤن نفسه بنفسه فاستغنى بذلك عن الوسائط والوسائل وليس التمدن فقط هو الخارج عن دائرة تأثير الحكومات بل ايضا تيار التقلبات السائر بالعادات والأخلاق من حسن الى أحسن فانه في معزل عن ذلك التأثير وعن ارادة الانسان فكل من الحكومة والانسان لا قدرة له على التصرف بتلك التقلبات وتحويلها من مجراها الاصلى الى آخر وتتبعها في هذا العجز الامة بأكملها فانها تنشأ وترتقي ثم تنعدم بدون

ان يكون لها علم والمام بسرها وحكمها في هذا حكم الفرد الواحد غير ان الفرق منحصر في كون الحياة العمومية للامة أكثر لبثا وأطول مكثا من الحياة الخصوصية للذات الواحدة على انه مهما كان بقاؤها فلابد يوما ان تصير الى الاضمحلال والزوال ثم لايخفي ان الامة اذا استكملت أدوارها الطبيعية كان ذلك من أصدق الدلالات على ان عاداتها واخلاقها العمومية سارت بنظام واحد من بداية أمرها الى نهايته وبما ان نظام الحوادث وتشاكلها يدلان على خضوعها لناموس واحد وقانون مفرد فيؤخذ من ذلك ان حياة الامم بل حياة الجنس البشرى ليست نتيجة من نتائج الصدفة العمياء أو ثمرة من ثمرات الاهواء المستبدة بل هي مجتنى التسلسل الكفيل بايصال الحوادث الى غاية الكمال والتمام

وحيث قد ثبت الآن أن لادخل للحكومات في ادارة التقلبات الاجتماعية فكل ماتبديه من الاعمال التي من شأنها اعاقة التقدم من الوصول الى غاية الكمال يمس الامم باضرار لايرجي رأبها ولا يرتق فتقها وماسردناه الآن من وصف حالة التجارة تجاه الحكومة يشهد ببداهة هذه الحقيقة ويساعد القارئ على ان يستنتج منه انه لولا محاولة الافراد تهريب بضائعهم لماتت التجارة من شدة تأثير اللوائح على بقائها لانها ضيقت عليها المسالك وسددت في وجهها ابواب التصريف ولكن لايفوتنا ان تألب المهربين عصابات وافواجا قد أدى بهم الى الانتظام في سلك اللصوص فاقتاسوا بهم في عمل الفظائع التي لاتزال تتأذى منها الهيئة الاجتماعية حتى لقد صارت تلك اللوائح لذلك من محرضات النهب والحرق والقتل ودواعي فساد الاخلاق والعادات

هـذا هو مايختص بالقوانين الموضوعة لنظام التجارة — على رأسي

الحكومات — واما ما يختص بقوانينها الاخرى الموضوعة على رأيها ايضاً لنظام الاخلاق والعادات واحداث التزويق والزخرفة داخل المدن فحدث عنها ولا حرج فان الاولى قد اوجبت وقوع الدنايا والرذائل والثانية نزول الفقر المدقع والحاجة الزائدة

اما كون القوانين الموضوعة لتنظيم الاخلاق والعادات تفضي الى ارتكاب الدنايا والمحظورات اي الى ضد الغرض الموضوعة هي له فناشيء عن تقلبات هذه الاخلاق وارتقائها بتوالي الادوار الزمنية ولا يخفى ان ما يصلح في زمن لا يأتي بجدوي ولا فائدة في غيره بل يقضي عليه فيه بالتلاشي والزوال — وكون القوانين المسنونة لاحداث التزويق والزخرفة في المدن تستجلب الفقر والمجاعة فهذا امر دليله وبرهانه وضاحته وبيانه

هذا ولما كان الغرض من كتابة هذا الفصل هو البرهان على ان الحكومات التي توالت الى الآن في اغلب جهات المعمورة قد غفلت عن اتباع المنهج الذي اختطته لها المبادئ الطبيعية الاولى وقربت الصالح العام على مذبح وجودها الخاص فلا بأس من تأييد ما ذكرناه بسرد شيء مما كانت تستعمله الحكومات سابقاً لتحقيق الجنايات واستكشاف الجرائم فنقول ان التعذيب وهو الوسيلة التي كان يستعان بها على اقرار المذنب كانت من افظع ما ارتكبته الحكومات من الذنوب تلقاء الهيئة الاجتماعية

اذ كيف لا يعترف المتهم بالذنب ولو كان بريئاً بانه قد سرق او قتل تخلصاً من التعذيب الذي كان عبارة عن كيّ المتهم بالحديد المحمي لدرجة الاحمرار او وضع عضو من اعضائه في آنية مملوءة بالزيت المغلي. هذه تواريخ الامم الشرقية والغربية للعصور القديمة والوسطى وجزء وافر من العصور الجديدة

اتلها تره‍ا مفعمة بذكر هذه الحوادث وربما كنت تسمع من خلال سطورها هاتفاً يقول لك : انا البريء الذي قضى عليَّ بالتعذيب · او · انا العبد الذي متُّ في استجلاب المسرة لمولاي (لان امراء الاسبانيين لما استولوا على امريكا عقب اكتشاف كرستوف كولمبوس لها كان الواحد منهم يأتي باحد عبيده وهم يفوقون الالف عددا وكلهم من ابناء البلاد ويأمر بالقائه على الارض وربط قدميه ويديه في اوتاد تغرس لذلك ثم يوكل اثنين بضربه بالسياط حتى يموت والعجيب انه لم يأمر بذلك لمعاقبته على ذنب ارتكبه بل ليكون له من هذا المنظر ما يضيع بهِ وقته)

ولو اردنا استقصاء امثال هذه المظالم التى تدل على حقيقة ما اسلفناه للزمنا لذلك وقت كثير وبال طويل

❋ الرقص ومجامع الفسق (1) ❋

انما ترتقى الامم الشرقية وتصعد مدارج التمدن الصحيح والحضارة النافعة وتسترد مجدها الباذخ الذي سلبهُ منها ناموس الدور الجائر · باحترام الدين والسير على منهاجه القويم فان الدين هو المذهب للغلظة والوازع عن التحاسد والتنافس والباعث على القيام بأمر الله والمؤلف لكلمة الحق التي عليها قوام التمدن وملاك السعادة الحقيقية

انما ترتقى الامم الشرقية وتحتل مرتبتها العلية التي اضاعها مضيها في الغفلة وذهابها مع الاغترار · بتجنب الدخلاء وعدم اعتماد اقوالهم والبعد عن مجاراتهم في عاداتهم فلقد برهنت لنا حوادث الغابرين على ان الامة العربية لم تذل

(1) بقلم صاحب هذه المجموعة

اسطوتها رقاب العباد وتدخل في حكمها جهات المسكونة اثر ظهورها في عالم التاريخ الا بمحافظتها على الدين والاهتداء به في جميع اعمالها وانها لم تسقط في درك الانحطاط والتأخر الاحينما وجد الدخلاء من انشقاقها مجالاً لبث فتنهم الملعونة ونفث رذائلهم في القلوب وقد تكون هذه القلوب فطرية ساذجة فتشب على التهالك في تقليدهم والتشبه بهم في كل حال من احوالهم فيسري الفساد الى الاخلاق والطباع وتنهدم العواطف الوطنية الشريفة ويتربى جيل جديد من الامة اقرب الى الحيوانات العجم في تصرفاته وصفاته سهل القياد سريع الخضوع الى تنفيذ ما يوعز اليه من الاوامر بدون روية ولا تأمل وهذا هو اقصى مايرومه اولئك الدخلاء من استعباد الامة واذلالها

فآلة الدخلاء التي يستعينون بها على نيل مقاصدهم من الامة هي اعدام العواطف ونزع الحاسيات من القلوب وهذه الآلة من اقوى العوامل على حط الامة من علوة مكانتها وغارب مجدها اذ بواسطتها يسري في القلوب والارواح سم تسامح الحكومة في انشاء معاهد الفساد ومدافن العواطف وقبور المستقبل كقهاوي الرقص والغناء وغيرها من الاماكن العمومية التي يحكم الطبع السليم بشناعة ما يمر فيها من الحوادث

واذا كان مثل هذه الوسائط قد كفي للخفض من شأن الامم ذات القوة الضخمة والمكانة السامية فكيف بنا ونحن الآن على منحدر الانحطاط بين التخلص منه والسقوط في حضيضه

تجول في شوارع العاصمة او الثغر او امهات مدائن القطر تجد جوانبها قد حفت بحانات الخمور وامكنة الطرب وادن منها تسمع من داخلها قهقهة اصطكاك الاقداح وصلصلة تضارب الكؤوس وجلبة هائلة واصوات مبهمة

فاذا ولجت في احد هذه الامكنة لاستكشاف الخبر رايت فيه ماهو احرى باصلاح المصلحين عسى تصادف البلاد ماتتمناه من اصلاح ذلك الخلل الفاضح

اليس الغرض من تعامي المحتلين عن الاصلاح الحقيقي المنحصر في ترقية المدارك هو نزع العواطف من القلوب لتكون الامة لينه تحت مطرق نفوذهم وليتمكن سماسرة السوء من استغواء العقول الآفنة واستهواء المدارك الطائشة فتضيع البلاد بفعل السفهاء منها ودسائس الطفلاء ممن آوتهم اليها وتعهدتهم بخيراتهـا وانعمها الوافرة

اليس الغرض من تحاشيهم عن الاصلاح الحقيقي انهـم اقتصروا على تعزيتنا باحترام ذكري مجدنا التاريخي ثم فاجأونا بعد ذلك بمعاملة الحيوانات وتساهلوا في تعميم حانات الشراب ومعاهد الفسق والفجور بدلا عن مدارس التعليم وتهذيب النفوس وثوقاً منهم بانهم يجب عليهم معاملتنا كالعبيد الذين نصبوا انفسهم لنصرتهم وانقاذهم من قسوة الاسر والعبودية باسم المدنية والانسانية ثم اهطلوا عليهم الخمور والبنادق وحضوهم على الاكثار من الاولى حتى اذا لعبت بعقولهم الخمر تناولوا الثانيـة وتفانوا بها لتخلص بلادهم التي استبطنت الخصوبة ومعادن الذهب والفضة للجنس الانكليزي السكسوني الذي لم تخلق الارض الا له ولم يخلق الا لها . وقد خلد عندهم هذا الاعتقاد الغريب ولكن ليعلموا اننا لسنا ممن يعمون عن نوايا الدخلاء او يجهلون ماضيهم حتى يغتروا بحالهم ويخدعوا بمستقبلهم وليعلموا ان كل فرد من افراد الامة المصرية مطلع على ماتكنه صدور المحتلين نحوهم عارف بسر دسائسهم في البلاد وان امتهم هي التي اتخذت الغش والتدليس لتـأييد نفوذها وتوسيع مدي ممتلكاتها .
اليس معتمدها في غرب افريقية هو الذي عقد منذ ايام عهدة مع ملك بلاد

زبوره من مقتضاها ان تكون بلاده تحت حماية انكلترا وان يتنازل لها عن الموانى التى تؤخذ فيها المكوس على البضائع الواردة والصادرة مقابل مرتب سنوي قدره خمسون جنيهاً تدفعه الى الملك خزينة بريطانيا ٠٠٠ وهذا السلطان دولب سنغ الذي مات كمداً وحزنا بمدينة باريز في شهر اكتوبر الحالي وقد كان سلطانا على مملكة بنجاب الهندية الم تكن الدولة البريطانية هي التى انزلته من عرش ملكه قهرا وبعد ان ابعدته قصيا عن دار ملكه واستولت على امتعته الخاصة بهِ ومنها حجر الماس المشهور بانهُ اكبر حجر من هذا الجوهر في الدنيا ضنت عليهِ بمرتبه السنوي الذي تعهدت باعطائه لهُ لتقرضه اياه بارباح فاحشة نسأل حاكم لاهور عاصمة ذلك السلطان السيء البخت أن يقنع سكانها بان الاستبداد الانكليزي عليهم الآن خير لهم من كرم السلطان دولب سنغ الذي كان كلما خرج في موكبه الحافل اغترف النقود الذهبية بكفيه ونثرها على رؤوس المزدحمين حوله من رعاياه

والامثال من هذا القبيل كثيرة تدل بالصراحة على ان الاجنبي العائش في كنف البلاد المشرقية انما يعمل لمصلحته ويجرى وراء مايشيم منهُ الفائدة لنفسه وهو في ذلك لايهمه نوع الوسائل والوسائط التي يتذرع بها للوصول الى المامول وقد اظهرت لهُ التجارب ان اكثر الوسائط تأثيرا وفعلا هو ما كانت نتيجته الانحدار مع تيار الاخلاق الفاسدة والوقوع في مهواة الجهل والخمول٠ كالتهاون في انشاء الاماكن العمومية التى تمثل فيها ادوار الفجور والفسق برقص العاهرات وحركاتهن الفاحشة التى تجفل من الاقبال على مشاهدتها الجبلات الطاهرة والنفوس الزكية

نعم لا ننكر ان الرقص من لوازم العادات البشرية منذ خلق الانسان

وانهُ نتيجة انحدار السيال العصبي في اجزاء الجسم عقب انفعاله بعاطفة من عواطف السرور وان كل انسان منقاد اليهِ بالفطرة اذ هو ترجمان الانبساط والقائم بامر توازنه لكي يكون الجسم قادرا على احتماله وان لهُ الآن مقاماً جليلا ومرتبة سنية في الهيئة الاجتماعية حيث انه في اعتبار العاشق ومعشوقته من الافرنج الف باء اللقاء والدرجة الاولى من سلم نيل المامول وفي اعتبار الامم الحربية على العموم المحرض على اصطلاء نار القتال والباعث على الاقدام وانهُ لولاه لما استطاع كثير من الامم في الازمان الغابرة والحاضرة كامة الجلود الحمر النزول في ساحة الوغى وان لولاه لما خاصر الامراء القينات الحسان على مراسح اللهو في ليالي الاعياد والاحتفالات الشائقة وان لولاه لما كانت القاعدة الفلسفية في تمييز الامم الرقيقة الطبع من المتوحشته وهي كلما اكثرت امة من الرقص كان هذا دليلا على عراقتها في الوحشية والهمجية كالسودانيين الذين اذا طرقت آذانهم اصوات آلة من آلاتهم الموسيقية استمروا يوماً باكمله لا يكفون عن الرقص وكلما قل او عدم عند اخرى كان هذا دليلا على جنوحها الى الحشمة والوقار كاهالي الصين فانهم لا يرقصون ابدا بل يعتبرون الرقص من الامور الشائنة وينظرون لفاعله بعين الاهانة والتحقير. واني لاشعر بالقارئ يستنتج من هذه المقدمات في نفسه قرب وقوع الاوروبيين في حالتهم الاولى من التوحش والهمجية مستندا على ما يشاهده من تفشي داء الرقص في جميع طبقاتهم الاجتماعية كما يستنتج من انتشاره عندنا بما يخالف الدين والطبع معا سقوطنا في مهواة اعمق من التي نحن فيها الآن وكيف لا يكون من وراء حضور الآلاف العديدة في مصانع اضاعة العواطف الشريفة كل ليلة تأثير رديء على مستقبل الامة خصوصاً وقد اهمل التعليم الديني في مدارسها اهمالا لا يغتفر فاصبح الطلاب

غير قادرين على مقاومة تيار فساد الاخلاق الذي يوجهه اليهم المصلحون

ولرب معترض من الاروبيين يحاول دحض اقوالنا تعزيزا منه لجانب الرقص وانتصارا للملاهي التى يقوم فيها النساء بتمثيله للمتفرجين ويقول ان الرقص من العادات المقدسة المحترمة عند كل الامم في جميع الازمنة والامكنة ويؤيد زعمه بما جاء في التواريخ القديمة من ان قدماء الاثينيين لم يجدوا من بينهم سفيرا للملك فيلبس والد اسكندر المقدونى اهلا لينوب عنهم سوى شخص شهير بالابداع في الرقص اسمه ارستوديم وان ذلك الملك تزوج بامرأة من الراقصات وان سقراط الحكيم كان يحب الرقص ولايتحاشى عنه وان ماربولس صرح بمنفعة الرقص في معاونة الناس على القيام بفروضهم الدينية حتى لقد كانت صدور الكنائس في دور من ادوار النصرانية ميدانا يرقص فيه القسوس الرقص الديني في ايام الاعياد العمومية وايام الآحاد امام الجمهور تحت مراقبة الاساقفة وادارتهم وان القديس سان باسيل قال ان الرقص هو موضوع اشتغال الملائكة في السماء الى آخر الادلة والبراهين ونحن وان كنا نصادقه على ماابداه من هذه الحقائق التاريخية التى لاتقبل التجريح بوجه من الوجوه ولكن لانوافقه على ان الرقص من ضروريات العمران وكما تذرع هو باقوال قدماء الفلاسفة وافعال عظماء الملوك وتقريرات رؤساء الدين المسيحي نؤيد زعمنا بايراد براهين لاتقل عن براهينه اهمية ومتانة فنقول ان شيشرون الخطيب الرومانى الشهير قال لايرقص احدكم الا اذا كان فاقد العقل ضائع الشعور وافادت تواريخ الكنائس انه ما استقر الرقص متبعاً في الكنائس مدة حتى اشتبهت في امره الحكومات خصوصاً حينما كان يقام اثناء الليل لانه سول للقسوس شرب الخمر وارتكاب المحارم وسط المعابد فصدرت اوامر ائمة الكنيسة

بابطاله واقر على هذا المشروع مجمع سنة ٦٩٢ فلم تات تلك الاوامر ولاقرارات هذا المجمع بفائدة من الفوائد بل استمر الرقص قائماً على قدم وساق في قلب الكنائس وافنية مدافن الاموات الى زمن البابا غريغوريوس الثالث الذي تمكن من الغائه ظاهرا وان كانت اوامره في غاية التشديد والتهديد والوعيد

ومهما كانت مزية الرقص او عدم منفعته في اعتقاد الفريقين فانا نرى تسامح اولياء الامور في فشوه بيننا وتثاقلهم عن معاقبة القائمين به قضاء لواجب الدين واداء لمفترض الطبع السليم من المسوغات التي تحملنا على الحكم عليهم بتعمد هذا التهامل لولا مانعتقده فيهم من العناية بمداراة النهضة الحديثة وتعزيز اركانها تلقاء الهمة المبذولة من ولي نعمتنا الداوري الاكرم لترقية مصر والمصريين الى مدارج التقدم والفلاح

ولقد كان بودنا ان نطيل الكلام على تشنيع الرقص وتبكيت الآخذين بمذاهب تعضيده هو وغيره من متلفات العقول لولا ان ضيق المقام يلزمنا بالانتقال الى الكلام على الرقص الحالي وضرره بالمصريين ماديًا وادبيًا وهو الضرر الذي نستلفت الى ملافاته انظار اولياء امورنا ورجال حكومتنا الكرام.

ان اختلاط اليونان بالمصريين من اكبر عوائق التقدم في سبيل الامة المصرية فهم في الاقاليم والمدائن يبتزون نقود ابنائها بطريق التزوير والاستهواء بواسطة افتتاح الخانات والمراقص ولهم في القاهرة من هذه الاخيرة خمسة لانستحي ان نورد اسماءها اذا قلنا انها هي الالدرادو الكبير والالدرادو القديم والف ليلة وليلة واللوكسمبرغ وقهوة القطاوي وتحتوي كل واحدة منها على ٧٢ مائدة تسع الواحدة اربعة من المتفرجين فيكون مقدار ماتسعه الموائد كلها ٢٨٨ لكل قهوة وهؤلاء يقومون و يأتي غيرهم ليحلوا محلهم فيكون متوسط من

يدخل في القهوة الواحدة كل ليلة ٥٧٦ نفساً اذا صرف الواحد ٤ قروش صاغا فيكون مقدار مايرمي به في هذا المستنقع من النقود هو ٢٣٠٤ غروش صاغ في الليلة اي ٦٩١٢٠ غرشاً في الشهر اي ٣٤٥٦٠٠ او ٣٤٥٦ جنيهاً في الشهر الواحد تدفع لخمسة من اليونانيين واذا شئت قل لاربعة فقط لان احدهم يملك قهوتين وهذا المبلغ اذا ضرب في اشهر السنة كان حاصل مايخسره شباننا ثمن ضياع اوقاتهم وانثلام عواطفهم ٤١٤٧٢ جنيهاً وهو نصف ميزانية نظارة من نظارات الحكومة المهمــة وهذا المبلغ عــداما يصرفه المبالغون في التظرف اذا حظى احدهم وتشرف بجلوس احدى الراقصات بجانبه عدة ثوان. ومعلوم للكثير ماتساويه هذه الحظوة الطيفية والملاقاة الخيالية فمامعول صاحب القهوة الا عليها لانها توافيه بارباح لو احصيناها لاجل الخمس قهاوي المومي اليها لفاقت خمسة امثال ارباحها الاصلية وتجاوزت حد اعتقاد القارئ؛

هذا هو الضرر المالي الذي يصيب المختلفين الى تلك الامكنة من المصريين وهو جزء من الضرر المادي الذي يتفرع منه ضرر آخر هو ماينال صحتهم من الاعتلال والسقم بسبب ترددهم الى القهاوي على العموم والراقصة منها خصوصاً فلقد قرر الاطباء ان القهاوي من المراكز التي لايليق المكث فيها برهة لان ابسط قواعد الصحة فيها غير متوفرة على الاطلاق ولكون ما يحدث بها انما هو تناول المشروبات المنبهة كالشاي والقهوة والحديث مع الغير في امر سياسي او آخر يزيد في التنبيه والتهيج فيقع الجسم تحت هذا التأثير المضر به وضف على هذا زيادة حرارة المكان وتشبع جوه بدخان التبغ وروائح الخمور وانفساده بتنفس العدد الوافر من الزبائن وضياع الجزء الصالح منه للتنفس بسبب احتراق الغاز وحلول حمض الكربونيك محله وهو جسم نافع لمن يتنفس

وسل الطبيب ينبئك بان المعتادين على الجلوس في القهاوي يحصل لهم تسمم تدريجي يمنع ورود الدم الى الدماغ واحتقان نترك شرحه لحضرات الاطباء مقتصرين على القول بانهُ هو مقدمة الشلل العام المؤدي الى الخبال · والتسمم ذو الشكل الاحتقاني الذي نحن بصدد الكلام عليه هو غير الاعراض التي تحدث للمدمنين على شرب الخمور والخاضعين لنفوذها في ابدانهم ومغاير لها بالكلية اذ هو قد يصيب عددا كبيرا من الذين لايتناولون سوى المشروبات المباحة كالقهوة والشاي وانما يجلسون طويلا ويستنشقون من جوّ المكان الذي هم فيه هواء يتلف اجسامهم وعقولهم ونحن نكتفي بهذا المثال والذي قبله برهانا على الضرر المادي الذي يلازم كل امرئ جعل مألفه الوحيد القهاوي المزدحمة بالناس على فرض انه من غير المعتادين على تناول المشروبات فكيف اذاً بقهاوي الرقص التي تنتاش الجالس فيها عوامل كثيرة منها شدة التنبه العصبي واستنشاق الجو المكدر بالانفاس المنتنة والدخان القاتل وهو ماينشأ عنهُ الضرر الذي اوردناه على لسان الطبيب ثم لايخلو الحال من ان اغلب الحاضرين يميلون بحكم الظروف الى معاقرة بنت الدنان والتي تقدم منها للظرفاء في تلك الامكنة تكون عادة من اصل خسيس فيكون ضررها بصحة المتناول منها اكبر من ضرر اجودها صنفاً واحسنها وقعاً في اذواق المدمنين

ومما يتعجب لهُ المتأمل ان بعض قهاوي الرقص قد حاكت في التناقض عندنا بلاد انكلترا وجمعت مثلها بين الضدين فبينما تقرأ مكتوباً على جدرانها بخط يفوق خط ابن مقلة او خط مؤنس اعتدالا وتناسباً هذه الجمل الحكمية (قيمة الانسان بالحديث) (كرم النفس حسن الادب) (العلم افضل من الادب) تسمع الفاظ البذاءة وعبارات الفحش من جميع النواحي وهو دليل

على ان صاحب القهوة لم يكتف بان سلب من المتفرجين اموالهم وعقولهم بل ذهب الى تبكيتهم وتقريعهم واظهار سفاهتهم بعرض تلك الامثال الحكمية على انظارهم وصنع معهم ماصنعه الثعلب مع الغراب حينما احتال على هذا الطائر لاخذ قطعة من الجبن كانت في منقاره فاخذ يبالغ في محاسنه ويشبه وجهه بضياء القمر وريشه بالحرير وصوته بتغريد البلبل ورجاه ان يشنف سمعه بهذا الصوت المطرب فلما شرع الغراب في الغناء وفتح منقاره ليصمي الآذان بنعيبه المفزع سقطت من فمه الغنيمة فابتلعها الثعلب ثم رنا بعينه الى الغراب وأخذ يعظه ويحذره من المتملقين والمداهنين

اليس هذا بالتمام هو شان اصحاب المراقص مع شبان النشأة المصرية الحديثة التي اودعنا فيها امل ارتقاء البلاد بخدمتهم لها يستغوون الفتيات المسلمات اللاتي كان لايسمح الارتقاء بيرروزهن من حجب الطهارة والعفاف اذا قيل اننا حائرون السير في طريق الارتقاء ولايصرح التمدن باختلاس النظر اليهن اذا ادعي اننا أخذون باسباب التمدن ثم يستجذبون الشبان الى تلك البغايا وهم رجال المستقبل فاذاشبوا على هذا الحال بدون ان يجدوا من الحكومة وازعا يقوم مقام وازع الآداب الدينية المهملة الشان بالمدارس المصرية فكيف يرجى الاصلاح ومن اين تكون للامة عواطف تدفع بها عبث العابثين وفساد المفسدين

وايم الآداب ان اليراع ليستحي ان يخمش وجهها النضير بتسطير مايكنه الضمير من شرح حوادث المراقص التي لواعارتها الحكومة نظرة انتقاد وتمن لوثقت بانهــا احرى ماينبغي ان تتوجه عنايتها الى مداركته ونحن لاننسى جهادها المبرور منذ سنتين في هذا السبيل ولكنها والحق يقال لم تأت البيت

من بابه اذ كان من الواجب عليها ان تجعل فعلها منحصرا فيما لا يدعو بعض قناصل الدول الى التترس بالامتيازات لا لزامها العجز عن اتمام مقصدها كأن تفرض ضريبة على كل راقصة وتمنع مستخدميها وشبان مدارسها من الاختلاف على المراقص وتعين عقابا لمن منهم خالف اوامرها الى غير ذلك من الوسائط التي بها يبور سوق هذه البدعة الشنيعة · و يجمل بالجرائد الذائعة ان تردد هذا النداء بلسان الشكوى مع بسط الحقائق وتبيين ماوراء الاغفال عن رتق هذا الفتق من الضرر بمستقبل الامة واعاقة تقدمها فاذا لبت النداء حفظ لها تاريخ التمدن العصري طيب الذكر لانها اشتركت مع من عززوه واقاموا عماده الرفيع وبناءه الشامخ

﴿ الخير والسعادة [1] ﴾

الخير هو كل ماجرى مجرى الشوق من بني الانسان فمالت انفسهم للحصول عليه او هو كل مايجذب ميل الناس نحوه لصفة محمودة فيه فالخير بناء على هذا التعريف هو اما الغاية التي يرمى اليها شوق المشتاق او الصفة الجاذبة الموجودة فيه

وقسم العلماء الخير الى اقسام بحثوا في اصل كل منها توصلا الى استكناه الغاية الاخيرة منهُ التي هي غاية الخيرات كلها وسدرة منتهاها فاتفقوا على جعل الخيرات ثلاثة اقسام وهي الخيرات الطبيعية او المحسوسة والخيرات التي فوق هذه و يسمونها الشريفة وهي الحكمة والعقل والخيرات الادبية اوالارادية وتسمى الممدوحة وتندرج في سلكها الفضائل والمحامد · وقد ضموا هـذه

(١) بقلم صاحب هذه المجموعة

الاقسام الثلاثة الى قسم واحد ذكروا ان مدلوله هو السعادة الحقيقية والخير المطلق وغاية الخيرات التي اذا بلغ الانسان اليها لم يحتج معها الى شيء آخر منها. ولايذهب فكر المطالع الى اننا نتخذ امكان التوفيق بين الاقسام الثلاثة وجعلها في قسم واحد شامل ذريعة الى الحكم بتشابه وتماثل مدلولاتها فانه لا يزال يوجد بينها من حيث الجوهر فرق فاص واختلاف شاسع وفي الواقع ماهو وجه الشبه بين اللذة الحسية اي الخير الطبيعي وبين اختراع اواكتشاف عقلي وكلاهما من متعلقات الخيرات الشريفة و بين القيام باداء واجب وقضاء فرض أي الخير الارادي . لاريب في ان القاريء يحكم بعد هذا الايضاح بان السبب الذي دعاهم الى جمعها في قسم واحد ليس لتماثل او تشابه بينها فقد بينا ان لا تماثل ولاتشابه وانمـا هو لكون النفس الانسانيـة تتوق الى تحصيلها وتنزع الى بلوغها بدرجة واحدة لدى الاطلاع عليها فيحصل لهـا من الانشراح والارتيـاح مالايمكنها ان تشعر به لو كانت اطلعت على احدها دون الآخرين

و بعد ان قسم العلماء الخيرات الى الاقسام السالفة الذكر بحثوا في اسبابها واصولها فقالوا هل هي سبب للشوق او ان الشوق سبب لها ولقد كان هذا السؤال وان ظهر برداء البساطة والسهولة موضوع مناقشات العلماء ومجادلاتهم من قديم الزمان فان الفيلسوف ابيقورس وهو من ابعدهم منا عهدا (عاش من سنة ٣٤١ — ٢٧٠ قبل الميلاد) كان يقول ان اللذة هي انقطاع الالم و زواله وقد جاء بعده لوك الفيلسوف الانكليزي (عاش من سنة ١٦٣٢ — ١٧٠٤ بعد الميلاد) فأيد هذا القول وشيد على اساسه المتين نظرية فلسفية مؤداها ان الشوق وسوسة وغم يتولدان بتسليط الفكرة على استحسان شيء فاذا تمهد

للمشتاق سبيل الحصول عليه كان لهُ من ذلك تمام اللذة فاللذة اذا هي الغاية المقصودة من الشوق والحصول عليها ثم قام لبنتز الفيلسوف الالماني (عاش من ١٦٤٦ — ١٧١٦) فمدح لوك على غزارة علمه وقوة ادراكه وفهمه وتظاهر في مبدأ الامر بالتشيع لهُ والحال انه كان يبطن ضد ظاهره اذ كان لا يعتقد مطلقا بان الالم يكون سببا للذة بل بانه نتيجة زوالها وانقطاعها ونسج على هذا المنوال حكمه في الوسوسة التي تكلم فيها لوك فقال انها لا تتولد في النفس الا لكون النفس يعلق بها شيء من الانتظار تخالطه معرفة شكية بخير مستقبل وأمل غير موءكد في الحصول عليه وهو ما يستفاد منه ان اللذة ليست هي انقطاع الالم بل ان الالم هو الحرمان من لذة تبدو بعض اشعتها لعين المشتاق من خلال حجب الشك والريبة . وهذا المذهب وان ظهر من السفال والحقارة بمكان لا يسلم بصحته معه من لم يكن من عادته معالجة البحث ومعاناة التنقيب ولكنه هو الاقرب للاعتقاد والادني الى التسليم بصحته تجاه ماغشي هذا الموضوع من حجب الريبة والشك . اذ لو سلم الانسان بان الالم سبب الشوق وان الخير هو الغاية المقصودة من الشوق بل هو تحققه وتأكده لكان كمن سلم بان الشر هو سبب الخيرات ولعد من ضمن القائلين بان العالم كله شرٌ

ولو سلم بان الالم هو انقطاع اللذة لكان ولا مشاحة كمن سلم بان الخير هو دعامة كل وجود ولجعل من عداد الذاهبين الى ان العالم خير محض فيعلم من هنا ان كلا من المذهبين وان كان منحرفا عن جادة الصواب والحقيقة غير ان التمسك باذيال الاخير منهما تجاه الشك الذي غشي هذا الموضوع كما قلنا اسلم مآلا واحمد عاقبة

ثم بحثوا بعد ذلك عن حقيقته وطبيعته فقالوا ان الخيرات تنقسم الى

ثلاثة اقسام اللذة والعلم والفضيلة ولا حاجة الى بيان ان هذه الامور الثلاثة هي من الخيرات العظيمة لان خيرات اللذة أمر بديهي لاحاجة الى واسطة او وسيلة للشعور بها وخيرات العلم كذلك فانها تقوم بارضاء العقل وقضاء رغباته من الحصول على المعارف التي هي احد مصادر الثروة والصحة وغيرهما واما خيرات الفضيلة فيتعذر علينا الحكم بان مصدرها اللذة التي يشعر بها المرء اثناء مزاولتها والسير على منهاجها او هو الالم الذي يذهب عنه بتجنبها والمعلوم ان الرجل الفاضل مهما كانت درجته في اقبال الوقت اليه او ادباره عنهُ فانه على اي حال ممن يأتون الخير مادام متصفاً بتلك الصفة وذلك لان اللذة التي يشعر بها وقت الاقبال والالم الذي يقاسيه لدي الادبار لايزيدان في فضيلته او ينقصان منها . غير انهُ اذا كانت الخيرات المتحصلة من ممارسة الفضيلة لا تنطبق على لذة صاحبها المزاول لها فربما انطبقت على لذة آخرين بحيث ان مايفعله من الخير يعود بالخسارة على نفسه وبالربح على آخرين

مثال ذلك الخير الناتج من اخلاص العسكري في المدافعة عن بلاده والذود عن حماها فانه اذا مات وهو قائم باداء هذا الواجب الشريف وبقيت بذلك حياة آخرين فان اخلاصه هذا خير من الخيرات العظيمة واذا لم يشعر هو بلذته فقد شعر بها هؤلاء فيؤخذ مما سلف ان ان الخير هو اللذة ...

وقد يتأتى في غالب الاحيان ان لاينجم عن عمل الخير سوى ضرر يتناول الجم الغفير واذى يمس الكثير من الناس ففي هذه الحالة لايكون ثمت حرج على صاحب ذلك العمل ولا لوم عليه مثال ذلك رجل من رجال الشرطة اطلق عيارا ناريًا على كلب كلب بنية قتله واراحة الناس من ضرره فقدر الله ان العيار اصاب شخصاً بريئًا بدلا عن الكلب فالقاه على الارض صريعاً

فهل ما اتاه ذلك الضارب جريمة تستوجب تطبيق العقاب القانوني عليه؟ كلا. فانه وان كانت نتيجة مافعله سيئة كبرى وضررا عظيما ولكنها لاتمنع من الاعتراف بانه احسن عملاً لانه بذل مافي وسعه بنية الحصول على نتيجة حسنة وثمرة مفيدة راضخا في ذلك الى القوانين التي تلزم بقتل الكلب فالخير حينئذٍ هو الطاعة والرضوخ للقوانين وليس هو اللذة كما سلف

ومن هنا يظهر ان الخير الادبي او الارادي وهو ثالث الاقسام التي تنقسم اليها الخيرات مستقره النية وحسن الارادة وانه يكون في بعض الحالات في معزل عن النتيجة التي تتأدى اليها مقدماته وهي النية والارادة مهما كانت تلك النتيجة نافعة او مضرة ومن هنا قال الفيلسوف كانت الالماني (عاش من ١٧٢٤ ـ ١٨٠٤ ب·م·) ان الاعمال لاتكون خيرية الا اذا كانت لزامية وان الخير لاينتج الامن تطبيق القوانين والسير على السنن القويم ولاغرابة في ذلك فان مثيله مشاهد في جميع الكائنات والموجودات واقربها منا هو جسمنا لو امعنا فيهِ النظر لوجدنا انهُ اذا لم تتم فيهِ وظائفه وحركات اعضائه بمقتضي القوانين الطبيعية التي سنها له البارئ عز وجل اختل نظامه وتداعى الى السقوط بنيانه فاصابته الامراض ولحقت بهِ الاعراض وآل الى الفناء والزوال

يؤخذ مما تقدم ان القوانين التي تنتظم بها الكائنات والموجودات تسير بمقتضاها ايضاً الخيرات الصادرة منها وتتعلق حقيقتها بها تعلق حقيقة تلك الكائنات بها ايضاً اذ ان الحقيقة هي مصدر الخير والخير مصدر الحقيقة

✻ الجوع والحب ركنا نظام الحياة[1] ✻

قسم العلماء الظواهر الطبيعية التى تنفعل الكائنات العضوية بمؤثراتها الى متغيرة وثابتة فالمتغيرة منها ما كانت متعلقة بسطح الارض وحالة الجو ونوع الغذاء وقوة الضوء والحرارة وفعل المغناطيسية أو الكهربائية وجميع الطوارئ الخارجية التى ينفعل لها المجموع العضوي للانسان والحيوانات · والثانية ما كانت ناتجة من تأدية الاجزاء المختلفة من المجموع العضوي لوظائفها بدون أن يكون للمؤثرات الخارجية والطوارئ الاجنبية دخل واشتراك فى ذلك كالتنفس ودورة الدم والهضم والتبخر الجلدي وماماثل

ولما كان هذا الموضوع لايحتمل البحث الطويل في ظواهر كل قسم من هذين القسمين المختلفين على حدته فنكتفي فقط الآن باثبات ما يفهم منه القارئ كيفية وقوع تأثيرها على الكائنات الحيوية العضوية وضرورة تغير هذه الكائنات تبعاً لما يتوقع على مجموعاتها العضوية من ذلك التأثير باعتبار نوعه الخاص بهِ واعتبار ان الكائن العضوى ليس مركبا معدنيا بسيطا توفرت فيهِ خاصية الشعور بتأثير المؤثرات وفعل الظواهر لما اختص بهِ من التمتع بالحياة والنظام الجسمي

ومن هنا يؤخذ ان التغير هو ناموس الكائنات العضوية وان هذه الكائنات تتناسل من بعضها ويعقب احدها الآخر كل في دائرة نوعه ومنطقة جنسه بعد أن يخضع لناموس التغير الدورى ويخنع لقانون الانقلاب العام الذي من شأنه ان يحول حالة الكائن المندرج في سلطته من حسن الى احسن وتختص دراسة التغيرات التى أشرنا اليها بعلم الحيونات نظرا لكثرة

(١) بقلم صاحب هذه المجموعة

الاتصالات وتوفر العلاقات بينها و بينه ولكن دراسة التغييرات الخصيصة بالانسان فهي وان كانت في الحقيقة تابعة للاولى غير ان العلماء رأوا من الصواب الحاقها بعلم التاريخ العام تجلة لقدر الانسان ورفعا له الى الاقدار الشريفة والرتب الجليلة لان الله فضله على باقي انواع الحيوانات ولكون التاريخ يطلعنا على اسرار احوال الامم واعمالها على سطح الارض — ونحن وان كنا سنطيل الكلام على هذا الموضوع في فصول تالية غير اننا لا نبرح اليوم ميدان الطرس حتى نجري فيه جواد اليراع لبلوغ اقصى غايات التوضيح والتصريح في أمرين مهمين هما عمادا الوجود وقواما الحياة وهما الجوع والحب الحفيظان على بقاء الخليقة وديمومتها الى ماشاء الله لان الجوع هو الجاسوس على بقاء اعضاء افراد الكائنات كل على حدته والحب هو الرقيب على الاستمرار العضوي للنوع بأكمله و بالاول منهما يشعر الكائن الحيّ في كل يوم بضرورة تعويض مافقد من قوة اعضائه عقب كدها وكدحها في تأدية وظائفها الحيوية و بالثاني يتنبه في ازمان دورية واوقات محدودة الى ان الطبيعة قد قضت عليه بسد ما احدثه الانحلال العضوي اي الموت في جدار هيئة الانواع من الثلم والفرج. ومن غريب ما اودعه الباريء المصور في الكائنات الحية من الاحساس الطبيعي ان يكون اداؤها لتينك الوظيفتين مقروناً بشعور عضوي لايتسنى لها معه ان تلهو عنه او تنسى ادوار تاريخه فهي تشعر بالجوع كأنه الم شديد لايتحمله كائن من الكائنات دونها وان هذا الألم تقوم مقامه اللذة في حالة توفية المعدة حقها من الطعام وتحس بالحب كأنه تجاذب تتبادله الخواص وقضاء للبانة الوظائف العضوية تعقبها لذة هي الكفيلة ببقاء الانواع الحية على اختلافها وتباينها

وحيث ان ما اوردناه من الممهدات للدخول في الموضوع يتناول جميع الحيوانات وكان اشرف هذه الانواع وغرتها وهو الانسان اولاها بارجحية الذكر فقد رأينا من السداد ان نتكلم عليهِ بما نتوسمه منطبقاً على جميع انواع الكائنات فنقول

ان اضطرار الانسان الى ملافاة اضرار الجوع ومداركة اذى السغب واحتياجه الى قضاء اوطاره وتوفية شهواته حقها امران لولاهما لتعذر توضيح مشكلات الحوادث الغابرة في السنين العابرة وكما انهما موجودان في الانسان فهما في الحيوانات الدنيئة الينبوعان الوحيدان لجميع ما يبدو من اعمالها وليس اقرب الينا من الشواهد على ذلك سوى ما يقع تحت نظرنا كل يوم من تصارعها في المراعي والمروج على اقتضاب غصن او اقتضام نبت او تفانيها في سبيل الحظوة بالانثي من نوعها والتمتع بها دون غيرها

ومن يدأب جهده على استطلاع طبائع الحيوانات يتبين له ان اعمالها دائرة على محوري ذينك الامرين ولسنا نستحي اذا قلنا ان الانسان مهما تعددت اعماله وتنوعت اشغاله فانها تعود فتنحصر فيهما وتقتصر عليهما ولا بد هنا من ملاحظة ان الارتقاء العقلي الذي امتاز بهِ الانسان دون غيره من باقي انواع الحيوان يكشط عن وجه اعماله درن الوحشية والهمجية التي لم تخلص ولن تخلص منها الانواع الدنيئة غير ان الآثار الشخصية والمحفوظات الاجتماعية لا تبرئ الانسان من وصمة الهمجية او تزكيه من نقائص البربرية في ادوار الانسانية الاولى بل تثبت انهُ كان ولا يزال فيهِ ميل غريزي الى هذه المثالب فتراه في كثير من الاحايين ينخفض الى درجة من البهيمية لا يجد الناقد البصير بينها و بين بهيمية البهيم فرقاً اوتمييزا ومن اوضح الادلة على ذلك

انه مامن يوم يمر او لحظة تكر الا ونسمع بارتكابه اثم القتل واقترافه جريمة السرقة ولكن لاي باعث ؟ … لباعث اطفاء نار جوع قد شب لهيبها وعلا زفيرها في معدته الخاوية على عروشها والانتقام من مزاحم له في حب غادة هيفاء ..

هذه هي المحاكم قد انتشرت في جميع الاصقاع لتأييد كلمة الحق ورفع راية العدالة سلها تنبئك بلسان فصيح وقول صريح ان موضوع ما نظرته من القضايا منذ انشئت لايخرج عن ذينك الامرين وهما الجوع والحب ولافرق في ذلك وفي غيره بين بلد وآخر فانك لاتجد امة ولو بلغت سدرة منتهى الغنى وابعد غايات المدنية الاوربي في عقول افرادها اثرا من حب الاثرة الذميمة بالمنافع والخيرات والميل الى استعباد الذات والاختصاص باللذات

اما سمعت في التواريخ عن الشيع المتبربرة التي كثيرا ما استفزتها غرة الطيش الى تدمير البلاد والانحاء على رقاب العباد لاتوزعهم اواصر القرابة الانسانية او تردعهم عوامل الشفقة القلبية . لاريب في ان المتأمل العاقل يرى انهُ اذا خرجت الارهاط العديدة من هذه الشيع واحتشدت الآلاف المؤلفة من جيوش تلك الامم للقتال والنزال واذلال احداها الاخرى فانها على اي حال متساوية في الذنب مع المجرم المفرد وربما كانت اكثر منه قحة ووقاحة لانها تسرق علنا وتقتل عنوة واقتدارا

وفي الواقع اي فرق او تمييز بين لص سطا على بيت ونهب مايحتويه من الاثاث والمتاع بعد ان قتل من ذويه واحدا او اثنين وبين لص متوج ساقه الغرور بعزة جانبه ومنعة مطلبه الى تكدير صفو حياة سكان اقليم بتمامه او كورة بأكملها فقال لعساكره الاسود الذين شبوا على هراقة الدماء وسفكها ان يجتثوا دابرهم ويسحقوا ذكرهم ويبيدوا خضراءهم وغضراءهم فاعدموا ارواحا

زكية ونفوساً بريئة بنات وبنين نساء وشيوخاً واستولوا على ماخلفوه بكدهم وكدحهم مدى السنين العراض والاعوام الطوال من المال والنوال

الفرق كما قلنا هو ان اللص المفرد يستتر للوصول الى غايته بستار الظلام ويتدثر بدثار الليل (والليل اخفى للويل) ثم يفاجئ من يريد النكاية والنكال بهم بخلاف اللص الاجتماعي فانه ربما يدعو خصومه المدججين مثله بالسلاح الى مداناته ومرآته من ذات اليمين يزحف هو عليهم من اليسار ويحسب هذا الخداع اسلوباً من اساليب المهارة والتفنن في الحرب. والاعجب من ذلك انك ترى المؤرخين يجدلون من هذه المناقب بل المثالب حبال المدح والثناء وينسجون من أصواف هذا الاجحاف بردة يغطون بها قبائحه كانها قد احتجبت عن أعين النظار وترى الجمهور الغفل السفيه يتكلف المصاريف الفادحة في رفع الانصاب تخليدا لاسمه وتذكارا لرسمه

ولعمر الحق اذا كانت التبرئة من الذنب والتزكية من الجرم هما بكثرة المذنبين وتعدد المجرمين فلتبشر عصابات الاشقياء ومناسر اللصوص وليعثوا في الارض الفساد وليطبقوا الدور على رؤس العباد وليوردوهم حياض النكال من اطفال ورجال وليظفروا بتحقيق أمانيهم فقد عاودهم بسعده الحظ الظلوم وسلم عليهم بيده البخت المشوم ولينضم اليهم غيرهم من امثالهم حتى اذا تغلبوا ببأسهم وشوكتهم على اقليم باكمله وتمكنوا من توطيد سلطتهم ونفوذهم فيه هممنا الى تتويج زعيمهم ملكا علينا ومبايعته أميرا على ذلك الاقليم .

ونظن أن جميع ما أوردناه من الادلة كاف واف للبرهان على وجود أثر للبهيمية في الانسان والا لما كتبت تواريخ الانسانية في الاجيال التي مرت عليها بمداد هو دمها المهدور وحقها المدثور أو لما نسجت على منوال حوادث

الخبائث واخبار الاندثار ودمار الآثار بحيث صار كاتبها لا يرقش سطورها الا على النور الباهت للحرائق التي لا تزال نارها الكامنة تذكو تحت رماد الاطلال والخرابات

وكأني بنفسي تري من خلال ستار اسرار العالم الانساني قوة تدفعه في اوقات محدودة الى مهاجرة وطنه وعائلته ليذبح الامثال وييتم الاطفال ويخيل لها ان الانسانية قد تجردت من ثياب الصبر فانزعجت لطول المقام تحت ظلال السلم والسعادة وارادت تنشيط اعضائها الخامدة بسفك الدماء وافاضتها جداول وغدران ونحن لا نظن ان الانسان يخلد الى السكون في يوم من ايام حياته لانه مادامت علة الجوع موجودة كان المعلول هو قضاء الحاجات والشهوات وقضاؤها لا يتسني الا بالمثابرة على الحركة والانتقال

يؤخذ مما سلف ان الجوع والحب هما خميرة الخصومات الشخصية التي تتدرج بها منها الى الخصومات الاجتماعية العمومية وحيث كان الحب والجوع هما عمادا الحياة ونظامها فلا يكون وجود للسلام الوهمي الذي تغزل فيه الشعراء الاعقب انقراض النوع البشري من سطح الارض وهو مالا يحصل الا بعد زوال الاخصاب من طبقاتها السخية التي منها غذاؤنا واليها مرجعنا

﴿ الرجل والمرأة في العائلة [1] ﴾

لابد وان القارئ يشعر عند ما يتلو هذا العنوان باننا نقصد الكلام على واجبات الرجل امام امرأته في النظام المنزلي من القيام بمالها من حق الكسوة والنفقة والاحترام وعلى واجبات المرأة امام الرجل وهي في عائلته من القيام بماله من حق الطاعة وصدق المعاشرة والعفة والعناية بتربية اولادها وغير ذلك

(١) بقلم صاحب هذه المجموعة

مما هو مقرر مدوّن ومعلوم عند الخاصة والعامة وحينئذٍ يكون كلامنا من باب تحصيل الحاصل وتقرير المقرر وهو مما لا يأتي بجدوى او ينتج فائدة

نقول نعم اننا لانقصد فى هذه العجالة غير بيان الواجبات المتبادلة بين الرجل والمرأة اللذين هما عماد كل نظام منزلي مما هو مقرر شرعاً ومعترف بهِ شعوراً ووجداناً لاننا عهدنا المقررات مفتقرة الى التذكر وعلى الخصوص في بلاد مثل بلادنا تخطو الآن رويداً رويداً في سبيل الحضارة والمدنية بعد ان كانت قبل ربوة من السنين لاتدرى ماهي الحقوق الشخصية لان عليها من قاسر الجور في الاحكام العامة ماينسي المقرر ويضعف الوجدانيات ويميت الشعور الطبيعي ولهذا كان الحث على توفية الحقوق الشخصية التي من اخصها واجبات العائلة بعضها لبعض من آيات التذكير المفيدة لهيئتنا الاجتماعية كل الافادة وهذا مايجعلنا نقرر المقرر ونحصل الحاصل واننا مندوحة عن العبث والقول الجزاف ·

وحيث ساغ لنا بعد هذه التوطئة ان ندع اليراع يحمل على عواهنه ما اراد منهُ فنقول

قالوا ان الواجبات بين الرجل والمرأة في العائلة متكافئة تكافئاً تاماً لا يخالطه بحكم الطبيعة ادنى رجحان في احدى كفتي المسؤلية والا فسد نظام العائلة · وبهذا العدل الطبيعي كانت للانسان اسباب السعادة متجلية في طريقتين الاولى تقوم بها الاعضاء الجسمية لجلب المنافع المادية والثانية منوطة بقوي العقل التي يخضع لها سلطان الارادة حتى لايتصرف بما لا تقتضيه دواعي سعادته وبواعث راحته فاذا تم للانسان ذلك ذكرا كان او انثى فقد وجد اساس لنظام المجتمع الانساني تمثله الحياة في قيام الرجل بكل عمل بارّ الوسيلة

والمقصد يكون به قوام حياة عائلته وقيام المرأة بكل مايحفظ النوع من التلاشي والزوال ويدخل في ذلك ناموس تربيتها لأولادها وصونها مال الرجل وعرضه

وهذا الفرق الامثل هو الذريعة الراشدة لمعرفة واجبات كل من الرجل والمرأة كما قضت الفطرة الالهية والغريزة المودوعة في كل وهو ايضاً اساس مالكل من خصائص الفضائل ونقائص الرذائل

ويجب على الرجل ان يقصد باعماله الجسمية والعقلية خير الناس ومنفعتهم وهو ضمن الناس كما ينبغي على المرأة ان لاتقصد باعمالها كذلك سوى تثقيف اودبنيها وتربيتهم على المبادئ الحسنة والخصال الجميلة لكي تهيئهم الى مستقبل ينفعون فيهِ وطنهم وابناء وطنهم خصوصاً وما بقي من العالم عموماً

ولا وسيلة لديها للتنصل من اداء هذا الواجب والتفلت منهُ فقد اودع الله في قلب المرأة من الحب الغريزي لوليدها وقطعة كبدها مايكفي لانبعاثها الى مداومة تعهد شؤونه والاشراف على سلوكه اذا دب ودرج ثم ترعرع ونشأ وهذه الوديعة النفيسة هي في اعتبار الباحث اجل منحة واعظم هبة فازت بها المرأة في هذه الدنيا جزاء ماتلاقيه من المتاعب والمصاعب

ونذكر هنا ان هذه المحبة من قبيل مايتردد في قلب العامل من الميل الى عمله والحرص عليهِ لانه قبل ان يمد يده الى هذا العمل كان يمثل في ذهنه ويصور لنفسه ماينالهُ من الفخر ويعلق بهِ امله من المجد اذا هو اجاده واتقنه ولولا ذلك الحب الباعث على هذا الامل لما كان ثمت اقدام على عمل

وفي الواقع فاننا اذا فرضنا عاملا اجهد النفس في ابداع شيء من المنشئات وبذل اقصى ماعنده من العناية والاهتمام في سبيل اتقانه فلولم يقم بهِ باعث النشاط والرجاء لما جاء صنيعه على احسن مثال واتم منوال

وهذا العامل نفسه اذا تطرق الخلل الى عمله بعد انتهائه فيما هو يبني قصورا باذخة من الاماني ويشيد صروحا شامخة من الآمال فلابد انه يتأثر ويتكدر مما نكب بهِ ومتى بلغ منه هذا الكدر مبلغاً عظيما خمد نشاطه وآلت تلك المباني الشاهقة الى الانقضاض وما اسرع ماتهوي الاوهام والخيالات

وهكذا شأن الأم نحو ابنائهــا لايبلغ حبها لهم اقصى مراتبه الامدة بقائهم في احضانها وفيما سوى ذلك فهو اشــبه بمحبة الذات للذات بصرف النظر عما هنالك من الروابط والعلاقات

ينتج مما اسلفناه ان الرجل مادام قائمًا باعباء مايناط به من الاعمال على تعدد انواعها وتباين اصنافها ازداد شغفه بها وشعر باللذة من مزاولتها وكذلك المرأة كلما صرفت عنايتها الى تهذيب ابنائها وحاولت جهد استطاعتها في تعليمهم كلما انساقت بتيار الميل الى اداء هذه الفريضة وازدادت تعلقاً وكلفا بولدها وغصن دوحتها فالرجل والمرأة هما والحق يقال متكافئان في كفتي ميزان الواجبات الانسانية وبدون هذا التعادل الدقيق يختل نظام الاجتماع الخاص المنزلي والعام الشامل جميع طبقات النوع البشري فلا يستوي له عاتق طول المدى

ثم لاخير في عمل نهض الانسان باعبائه وكان يستوضح من وراء عنائه فيهِ المنفعة الخاصة والتفاخر الباطل فان كليهما يستجلب لصاحبه المقت والبغضاء واذا كانت الاعمال الخصيصة بالنساء هي الحمل والارضاع وتربية الطفل فلا ينبغي عليها ان توجه سهم بغيتها الاصلية من الزواج الى غاية مجرد الحصول على وليد تباهي به جاراتها وذوات قرابتها ممن ابتلين بالعقم بل يجب عليها ان تجعل تربيته وتهذيبه وتعليمه موضوع اهتمامها ومجال عنايتها حتى يكون في جسم الهيئة المستقبلة عضوا عاملا على صلاحها ولايستلزم القيام باعباء هذه الواجبات

ان يكون لها وقوف تام بالعلوم والمام محيط باصناف المعارف بل يكفيها فقط ان تكون عارفة بالآداب الشرعيـة شديدة التمسك باذيالها حتى اذا ربت طفلها على هذه المبادئ ووسمته بسيماها واردفت ذلك بدوام رعايته له وعنايتها بهِ ارتاحت فيما بعد نفسها لما يبديه من جليل اعماله المنطبقة على ما لقن له اثناء الطفولية من العواطف الكريمة والمبادئ السليمة

اما المرأة العقيم او العازبة فلها الحرية في ممارسة اعمالهـا الخصيصة بها بقدر ماتؤذن لها بهِ حالتها الانفرادية او معالجة غيرها مما هو متعلق بالرجال جسمياً كان اوعقليـاً فاذا اختارت ثاني المنهجين فانا نأسف من ذلك بقدر حرمان الهيئة الاجتماعية من الاعمال التي اعدتها اليها الفطرة اذ لا يخفى ان تصدى المرأة الى غير ماخلقت له من الاعمال ثلمة في جدار تلك الهيئة وسبة في عرض الانسانية وهى تكون في هذه الحـالة شبيهة بقرار فسيح من الارض طيب التربة صالح للاخصاب غطى بالرمال الصفراء ليكون متنزهاً عاماً للمتفسحين وميداناً للمتنزهين

﴿ القرآن الشريف ومدارسنا الاميرية [1] ﴾

للآن لم يجد احد من اولي الادب وارباب المعارف محلا لنكران ما للقرآن الشريف من الفصاحة والبلاغة بصرف النظر عن الاغراض الشخصية التي تعدل بصاحبها عن محجة العدل وسبيل الصواب لانه

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ويُنكر الفم طعم المـاء من سقم

واني مهما اطلت الحديث في شرح ماهو عليه هذا المنزل الشريف اراني

(١) بقلم حضرة الفاضل امين افندي عريف الاستاذ بالمدارس الاميرية

كمن يريد تحصيل حاصل او يقيم الحجة على وجود الشمس وهي في رابعة النهار كيف لا وهو المعجزة الذي لم يغادر كبيرة ولا صغيرة الا احصاها مع ماله من رقة اللفظ ودقة المعنى والبحر الذي كثيرا ما تستمد منهُ ما يكسب عبارتنا السلاسة ويكسيها ثوب الانسجام بل هو السهل الممتنع الذي طالما ننتقي من دره ما يزين قلائد كلامنا ونرتضع من دره المدرار ما يرد في لغتنا الروح بعد ان بلغت منها التراقي لما اصابها من الاهمال على مر الايام وماتخللها من دخيل اللغات الاجنبية فسلبها تلك العذوبة الطبيعية وشوّه وجه عباراتها بتراكيبه الركيكة

وعليه فليس من السداد ان نهمل تلاوة هذا الكتاب الشريف وفهم معانيه الرائقة ونعكف دائمًا على ماسواه من الكتب العربية مادمنا في كفاءة تسمح لنا بتقدير آياته البينات حق قدرها وحاشا ان اريد بذلك ضرب الصفح كلية عن موؤلفات آبائنا التي جمعت اطراف البلاغة سواء كان ذلك في النثر او السجع او النظم بل ارى من الواجب ان نجعل للقرآن الاولوية على غيره والافضلية على ما سواه خصوصـاً وقد مهد لنا السالفون سبيل الوصول الى ذلك بما وضعوه من كتب التفسير وبذا كشفوا لنا عن المغمض منهُ ورفعوا عنه النقاب فما علينا الآن الا ان نجني ماطاب من ثمار اعمالهم الدانية القطوف ونروي اوار عقول ابنائنا من مناهلها العذبة الروية ونثقفها بتلك الحكم والمواعظ ولكن اني لنا هذا وفيمن نحصر هـذه الآمال ان لم يكن في نظارة معارفنا الجليلة الساهرة اليوم على نشر العلوم في الامة وتعميم التعليم بين افرادها رغبة في تأييد مبادي عزيز البلاد ومقوم اودها

فغاية ما نؤمله من وزيرها الافخم ان ينظر لهذا الموضوع بعين الاهتمام

ويجعل له بهمته العلية حظاً في التنقيحات المزمع عملها في بروجرامات المدارس في السنة الآتية واخص بالذات القسم الثانوي من تلك المدارس فان تلامذة هذا القسم في كفاءة تامة لمطالعة الكتاب الشريف وتلقى دروس التفسير والاحاطة بدرجة بلاغته بضرب الصفح عن المناقشات المطولة العلمية والمشاغبات الفلسفية التى لم تدون الا لاجل من اوقفوا حياتهم وانفسهم للغوص في بحار المعلومات المتسعة والجولان في بواديها الشاسعة على حد قوله تعالى «وفوق كل ذي علم عليم» اذ ليس الغرض الا تطبيق ماتلقوه من القواعد نحوية كانت او صرفية وبالاخص علوم البلاغة على التركيب العجيب الشريف حتى يتمكنوا مما درسوه فيقدر لسانهم على التعبير عن افكارهم ببيان وقلمهم على الجري في كل ميدان وكل منا يعلم انه لو كان هناك من كلام العرب ما يوازي القرآن الشريف في كمال الانطباق على اصول البلاغة ما جنح علماء هذه الفنون جميعاً الى الاستشهاد بآياته كلما سنحت لهم الفرصة وما اتت مؤلفاتهم مشحونة بتراكيبه الرقيقة الرائقة

وكأني بمعترض يقول كيف تود ان يقرر تدريس القرآن في المدارس التجهيزية مع علمك انها حاوية لعدد وافر من المسيحيين الذين يأبون دراسة قواعد الدين الاسلامي ويخشون ان يثبت في عقولهم منها شيء فيمس جانب معتقداتهم الدينية او يزعزع بعض اركانها فلا جواب على هذا المعترض الا ان اقول قد حصرت لك الغرض من مطالعة هذا المنزل الشريف وبينت لك ان الغاية من مطالعة ودراسة تفسيره بنوع الاجمال انما هي الوقوف على بلاغته بدون ان يكون هناك غرض ديني اوتعصب من جانب المعلمين يحملهم على حث التلامذة على اتباع ذلك الغرض خصوصاً وقد اضحت مصر من

اعظم البلاد في اطلاق الحرية الدينية ورفع الوية العدل التي تخفق في سائر انحائها فوق رؤس جميع سكانها لا فرق بين مسلم او مسيحي او يهودي لا ولا بين مصري وطني ولااجنبي اوروبي واصبحت بخصوبة ارضها وكثرة خيراتها جنة للمحتاجين شرقيين او غربيين وبشرائعها العادلة المنزهة عن الاغراض مأوى للمظلومين وملجأ للنضامين وبرّها وجميل خلال اهليها مسرحاً فسيحاً للنفوس التي لفعتها الكروب واشتطرتها الخطوب

وبالاختصار فليس من مسيحي او يهودي او غيرهما ينكر ما للمسلمين عموماً واهل مصر خصوصاً من كرم الاخلاق وحسن المعاملة وجميل المعاشرة والتنزه عما يرميهم بهِ البعض من التعصب الديني بل كل نزيل في ارضنا يشهد بتلك الصفات الحميدة التي ادى بنا الافراط فيها الى قبول الانقياد للاجنبي والانصياع لاوامره والسير خلف ارشاده وبمقتضى ارادته والتسليم لهُ في كل الامور اعتماداً على ذمته وعملا بما استكن لهُ فى افئدتنا من الاخلاص ونزاهتها عما يكدر صفوها كتعصب ديني او بغض كمين

فتلك الاحساسات الشريفة التي لااخالها عند جميع الامم هي التي ميزتنا عن غيرنا ولا فخر فانه لولا لين جانبنا وكرم اخلاقنا وجودنا العربي ما امتنا الامم من كل فج عميق ولا هطلت علينا هطل السيل ولنا في رفاقنا الاقباط ابناء وطننا العزيز شاهد عدل فيما قد مضينا معهم اياماً بل اجيالا ونحن على العهد القديم من حسن المعاشرة فلم يجدوا ما يحل عرى الوداد او يثير غبار النزاع بل لانزال رغما عن اختلاف المعتقدات الدينية عائشين معهم والوفاق بيننا راسخ الاقدام والالتئام ثابت الاوتاد حتى غبطنا الغير بعد ان اخذ العجب منه كل مأخذ وهمّ الحسود ببث روح الفشل واختلاف الكلمة فلم يصب غرضاً

فمن ذا يرى المدير جلياً ان لامحل لاعتراض المعترض القائل بعدم لياقة تدريس القرآن الشريف بالمدارس التجهيزية منعاً لما يترتب من مس جانب معتقدات التلامذة المتدينين بغير الاسلام ·

هذا ومن الجهل المحض ان يظن البعض حاجة دين الاسلام لانصار ينشرون قواعده او يهدون الناس الى سبيله سواء كان ذلك باستعمال الوسائل السياسية او الطرق الجبرية اذ لايخفى ما لهذا الدين من قوة الانتشار الطبيعي فان عدد الافراد الذين يدخلون فيه افواجاً في ازدياد كل يوم بدون ان يكون هناك ذو بطش يجبرهم على ذلك او ذو غرض يحثهم على ترك عقائدهم واعتناقه دون غيره من الاديان فهو المتهافت عليـه اليوم في افريقية الوسطى وبلاد الصين وغيرها من البلاد التي حصلت على نصيب كاف من المدنية وذاقت عذوبتها كامريكا وليفربول ببلاد الانكليز وكفى بذلك اشارة لمن تعود تتبع سير هذه الممالك والاطلاع على الوقائع اليومية خصوصاً في هذه الايام الاخيرة التي تواترت فيها الاخبار بميل من يعتمد عليهم بهذه الارجاء الى اعتناق الاسلام ونشرهم مبادئه وقواعده بكل همة واخلاص · فالاولى بمن يرمينا نحن معشر المسلمين بالتعصب الديني ان يعدل عن هذا الظن فان ديننا في غنية عن اعوان تقوم بتأييده اوتمهد له الطريق ليخطو خطوات التقدم في تلك الممالك البعيدة والجهات النائية والاحري به ايضاً ان يعترف بكرم اخلاقنا وحسن معاشرتنا وماجبلنا عليه من لين العريكة لاتسلبنا اياه الايام الا ان فاضت الكاس ورأينا الغير يكفر بنعمتنا ويتناسى شريف اميالنا

واظن ان المسيحيين او غيرهم لايأبون مطالعة هذا الكتاب الشريف والاقتباس من بلاغته حتى يكونوا على شيء من لغتنا العربية التي احوجتهم الى

دراستها الضروريات المعاشية بارضناولم لا تقرر دراسة القرآن بمدارسناولم نحرم من مطالعة آياته المعجزات مع علمنا ان ما من مدرسة من مدارس الفريرمثلا الا وجعلت درس كتبها الدينية في الصف الاول وحفظها عن ظهر قلب من اهم الواجبات التي تقدم التلميذ وتنقله من فرقة الى اخرى أهل لاحظوا في هذا الترتيب جانب عقائد التلامذة المصريين كلا بل قد تسول لهم انفسهم احياناً ان يستعملوا من السياسة بان يستميلوا الاطفال ويقبضوا على اعنة افكارهم كما حصل ذلك غير مرة واقرب الشواهد على ذلك ماساقته اليّ الصدفة وهو اني بينما كنت اكتب هذه الاسطر بمنزل اسكنه مع رفقة ولنا جار مسلم لهُ طفل وضعه باحدى مدارس المبعوثين اذ سمعت هذا الطفل يقول (باسم الاب والابن والروح القدس) بصوت عال ويردد هذه الجملة مراراً عديدة تدل ولامشاحة على ان استاذه اوصاه بذلك ومن تلك الشواهد ايضاً مانقلته احدى الجرائد الاوروبية عن مكاتب لها بمدينة بطرسبورغ من ان احدى بنات الامراء عندنا بالقاهرة تلقت دروسها بمدرسة « سانت فامي » اي العائلة المقدسة وقد اخذ منها الانصياع والخضوع لتعليمات معلماتها انهُ لما مرض والدها بمرض كان لا يرجي لهُ منهُ شفاء استحضرت ماء «الورد» المشهور وقدمته لوالدها فلما خفت عنه وطأة المرض بعد ذلك اسندت الشفاء الى ما كانت ترتله من الدعوات المسيحية اثناء شربه ذلك الماء ومنها ان جملة من تلامذة مدرسة الفرير المسلمين باسكندريه غادروا هذه المدرسة منذ اسبوعين لما رأوه من ضغط اساتذتهم بالذم على الدين الاسلامى ومنها ومنها ما يلتمس تدوينه وقتاً طويلا وتفرغاً خاصاً

هذا ونحن على وطيد امل في ان يقع التماسنا موقع القبول لدي نظارة

معارفنا التي ازهرت رياضها في عصرفيه حمل تاج الفخر والتيه على سائر الاعصار بامير جعل مصرنا تعجب بكياسته على جميع الامصار وان لاتحرم تلك النظارة الجليلة ابناء البلاد من دراسة هذا الكتاب الشريف والاحاطة بلغة آبائهم الاولين فكم منهم من نبغوا في اللغات الاجنبيه واهملوا لغتهم متحملين لوم الغير على ذلك لابسين ثوب العار مدى الدهر

والقرآن ماهو الا قصص تاريخية عن الانبياء والمرسلين قد افرغت حكمه ومواعظه في اجمل قالب يجب على كل عاقل ان يعمل بمقتضاها وان يجعلها نصب عينيه كمرشد يهديه الى سواء السبيل في كل مايجريه وماهو بصدده ولو لم يكن كذلك ما استشهد المؤلفون حتى غير المسلمين في مؤلفاتهم بآياته وماحلي المنشئون ومحررو الجرائد منهم اجياد عباراتهم بفرائد الفاظه التي لم يصل لمكانتها في الرقة والبلاغة قول بشر

﴿ الجرائد العلمية وفوائدها [1] ﴾

لقد كان لمثل هذا الموضوع في اول وجود الجرائد بديارنا طنة تستدعي القارئ وتستحثه وتنهضه الى القراءة والاقراء والاصاخة والاستصغاء فلقد كان هو وامثاله مما عرف اليوم شيئًا جديدا لم يسمعه احد حتى اذا رآه المطالع طرب واعجب برآه واستحسن الفكرة التي قادت اليه واستملح صوغ عبارته واستعذب ورده واستغزر فوائده وعلق في اثناء قراءته بعض العبارات فيقول فلان كتب في موضوع كذا نبذة قال فيها وقال واتى على نص المقال

ولقد اذكر ان احد الافاضل منا كان كتب في موضوع فضل الكتابة

---

(١) هذه المقالة بقلم العلامة الفاضل الشيخ عبد الكريم سلمان

وانها فن مفيد للبلاد نافع للعباد وذكر من منافعها صنوفاً وجعل للآذان من مزاياها شنوفاً فكنا في ذلك العهد على اجماع في التحسين لم يخطر ببال واحد منا ان هذا الموضوع من البديهيات، ولا ان الكلام فيه يعد من اماتة الاوقات فقامت احدى الجرائد الاجنبية في البلاد الاوروباوية ساخرة من كتابة مثل ذلك الموضوع في الجرائد المصرية وقالت ان كاتبه كان احق به ان يخلق قبل هذا الوقت بزمان مديد حتى كانت كتابته تعد من المفيد فلم نعبأ بتلك السخرية في ذلك الوقت ولم نحفل بالساخر لان بلادنا فيه كانت في اول النشأة اوكأنها خلق قديم في وسط عمران جديد واستمر الحال على كتابة مثل هذه المواضيع حتى صرنا الآن نعدها من سقط المتاع ونسخر منها كما كانت تلك الجريدة الاجنبيه ونسأم من ذكر موضوع كهذا الموضوع كتابة كان اوقراءة اوخطوراعلى البال بعدان كناعلى ماقدمناه من التصويب والاستحسان

ولايخفى الفرق بين هاتين الحالتين لانه فرق بين الظلام والنور او بين الموت والحياة او بين الجهالة والعلوم ولكل منهما احوال تناسبه واعمال تلائمه ومايصلح من التربية في احدهما ربما كان بالنسبة للثاني عبثاً بيناً اوضرراً مبيناً

ولسنا الآن في شيء من تبيان تينك الحالتين ولا ما بينهما من بعد الشقة ولامايصح في احداها دون الثانية فان الكلام مسوق الآن الى تبيين السبب في الانتقال من تلك الحالة الى هذا الحال

اقول ولاغبار يلحق هذا القول ان السبب هو الجرائد واخصها العلمية فان ما كتب فيها وفي غيرها من الفصول العلمية والتاريخية والادبية ومواد التربية والتهذيب كانت على ما اسلفناه من الانصراف عن المنافع من ابواب التنوير شيئاً فشيئاً بمايناسب الزمان والمكان حتي انتبه الناس فوجدوا انفسهم

خلقاً جديدا يفرق بين الخير والشر و يميز النافع من الضار ثم ترقوا في هذا السبيل حتى اختاروا الاحسن على الحسن واشتغلوا بالمفيد ونبذوا غير المفيد وعرفوا مايصح امضاء الوقت فيه ومايستخسر لاجله اضاعة الجزء اليسير من الزمان

واني لاظنني اتيت في بيان هذا السبب بفوائد الجرائد العلمية فلولم يكن لها من الفوائد غير ذلك لكفاها فضلا وكفي المستمسك بها دليلاً

نعم ان هذه الفائدة هي الفائدة الجوهرية اوالاصلية او هي على مايقول علم الفلسفةالهيولي لتلك الفوائد و باقيها صور واشكال فصورتها النوعية فائدة التمدن والحضارة ومن صورها المشخصة المشكلة انتقاء المواضيع ذات الفائدة واختيارالافضل من الآداب وانتقاء الامثل من المستحدثات العصرية وصوغها في قوالب تناسب الاذواق وتلائم الاخلاق ثم تقديمها للقارئ في وقت يسع الاطلاع عليها بحيث لوترك ونفسه لعسر عليه الحصول عليها او تراخي في استدنائها اليه او كلّ من البحث عنها في مواضعها خصوصاً وان غالبها من مستحدثات الاجانب ولولاالجرائد لما عرفها العربي اوالتركي الذى لايتكلم بلسان اولئك الاقوام

فكأن قارئ الجريدة العلمية وهو مثلا عربي نح في بلاد عربية متباعدة المنطقة مختلفة الناطقة بين اولئك الناس عارف لهجتهم يأخذ منهم مايستكشفون و يظهر لهُ مايكنون او كأنه معاشر لافاضل السلف الصالح من علماء امته يجتلي آدابهم الدراسة و يقيم من آثارهم شواهد على فضلهم و يرفع من شأنهم ويتحلى بحليهم وهم في حقبة غبرت وسنين عبرت وماذلك بالشيء القليل

كأنني اريد ان اعود الى الزمن الاول فاكتب في فوائد الجرائد العلمية والناس الآن مقرّون بها يعدون مالايكتبه الكاتب ويرون مثل هذه

المواضيع ليك بالالسن ونبت عنه الاقلام استطلاعاً لجديد واشتغالا بمفيد

هذا وقد يعلم الله ان الغرض الاصلي انما هو الاتيان على بعض المشوقات للاشتغال بمطالعة الجرائد العلمية وتخصيصها بقسم من اوقات العمل المفيد فانها تستحق الرعاية والعناية خليقة بان تعد للمسامرة والاستفادة جديرة بان تستروح النفوس بشواردها وان يستحفظ على اوابدها فانهـا نعم السمير في الوحدة وخير الاصدقاء تهدي النافع وتحذر من الضار وانها لاولى من المسامرة بين اثنين او جمعية يدور حديثهم على المزاح او الفكاهة بالحاضر فان فيها من المتفرقات واخبار الاول وانباء الدول ورقائق الادبيات ولطائف المستملحات واخلاق الغرباء وعوائد البعداء مايكفيك مؤونة التوجه الى بلادهم ومخالطة ابنائهم والوقوف على احوالهم وفيها غير ذلك مما يراه المشتغل بها ويهش اليه من العلوم الجديدة والمخترعات التي لولاها ماعاش الانسان قرير العين في غاية الراحة والاطمئنان هذا الى السبق بذكر كل حادث يحدث في تغير القواعد العلمية وكل شارق يشرق في سماء المدنية والعمران حتى كأن مطالعها موجود مع المخترع او المغير في مكان عمله فلا يفوته دقيقة مما يجب الوقوف عليه

ذلك ان لاحظنا الجرائد العلمية على ماهي عليه الآن وقد يحكم الزمان بتقدمها مع تقدم الأمة وترقيها فلايكون لها مندوحة عن ان تأتي بفوائد جديدة لانستطيع الكلام عليها الآن لانها مجهولة لدينا والمجهول لايطلب له البيان فكلما تقدم الزمان كثرت فوائد الجرائد يشهد لذلك بما وصفناه من الحالتين السابقتين وهذا المقدار كاف فيما قصدناه كفيل بما توخيناه والله المرشد الى طريق الصواب

القسم التاريخي

فضل التاريخ والحاجة اليه (١)

هو نبراس الايام ومشكاة الازمان وامين الحوادث ورائد الحقائق ونقاد الوقائع. وهو ينبوع الحكمة وملاك التربية وقوام مكارم الاخلاق واستاذ الخليقة في الآفاق لولاه ما عرف شان لانسان ولا وجدت صلة بين بلدة واخرى من البلدان ولا قامت قائمة التسابق بين الامم في العمران بل لولاه ما انفسح مجال لفكر ولا اتسع نطاق لعلم ولا بعد صيت لفضيلة ولا راجت سوق لتجارة ولا كان تزاحم في صناعة ولا نهض ذكر لامة ولا كانت رغبة في عدل ولا عدول عن بغي ولا رهبة من ظلم ولا اتعاظ بعبرة. هذي علوم الاولين وهذه ابحاثهم وصنائعهم ومخترعاتهم لو لم يمهد التاريخ الطريق اليها ويكشف للناس النقاب عنها لم تكن لتنشر هذا النور الفياض الذي عم البقاع وملأ الاصقاع وعمر البلاد واحيي العباد واقام المائد واصلح الفاسد وقوى الساعد وكان من بركاته مانراه اليوم من هذا النظام الباهر والاتقان العجيب

بل لو كان حظ التاريخ في الشرق حظه في الغرب من انبساط السلطان وانطلاق العنان وحرية النظر ماكان قدر على الشرق ان يعهد موطناً للضعف ودارا للخسف ومنزلا للعسف ومرعى للجهل ومبيتاً للخمول. هذي الجرائد اليست هي طلائع التاريخ ومقدماته فما داعية انحطاطها في بلد وارتقائها في آخر؟ هل هذا الارتقاء وذلك الانحطاط راجعان الى مبلغ الكاتب قوة وضعفاً؟ كلا. بل ان الجرائد تحي بحياة الامة وتحيى الامة بحياة التاريخ

لست مبالغاً اذا قلت ان التاريخ مدرسة عامة للناس على السواء لا فرق

(١) بقلم الكاتب الفاضل صاحب العزة عبد الغني بك شاكر وكيل مديرية الغربية الان

بين كبيرهم وصغيرهم وعالمهم وجاهلهم وحاكمهم ومحكومهم . على انهُ لذوي الكلمة والمكانة العالية انفع واولي وبهم احق واحرى فكثيرا ما يرزئون بقوم لاخلاق لهم يزخرفون القول ويقلبون الحقائق ويموهون الحديث بما يسترعى السمع ويستهوى القلب ويخلب اللب طمعاً في مال يصيبونه اومنصب ينالونه ولا يغني يومئذ قلم الكاتب ولا لسان الخاطب فاني للحقيقة وهي من الوهن وضعف العزيمة على ماعلمت ان تطرق ذلك الباب الرفيع وكيف يسمع صوتها الخافت خلال تلك الجلبة الهائلة وكيف تقوى على بيان حقوق الراعي على الرعية وحقوق الرعية على الراعي بل كيف يتأتي لها ان تبين لاولئك العظماء ماهية المجد الحقيقي وترتقي بهم الى اصل سعادتهم ومصدر نعمتهم عساهم ان يفقهوا انهم لم يبلغوا هـذا الشأو من العزة والضخامة الا ليكونوا حفاظاً للامم تحوطها رعايتهم وتشملها عنايتهم وليست الامم منوطة بحراستهم والقيامة عليهم على انه اذا كان طريق الحقيقة من الوعورة والخشونة في حال مجرد التنبيه والتذكير ما وضح لك بيانه فكيف بها اذا وجب عليها ان تمثل المعائب وتقبح النقائص وتحذر من هول الموقف امام محكمة الخلف العادلة لاشك انها اضعف من ان تقوى على اداء بعض ذلك الواجب اذا لم يقم لها من التاريخ نصير يمزق مانسجته يد البذخ وسدلته عوامل الترف من سجف الخيلاء وحجب الغفلة والكبرياء

كان اقدماء المصريين محكمة يناقشون فيها موتاهم الحساب على ما فعلوا فاذا قضى الواحد منهم نحبهُ جيء بهِ ولوكان من كرام الناس امام تلك المحكمة وهنا لك تتلى ترجمة حياته ويصدر الحكم باندماجه امافي عداد الاخيار واما في سلك الاشرار . كان هذا والتاريخ لم يكن من وظيفته سبر الاحوال

ونقد الاعمال فلما فوض لهُ الامر وعهد اليه النظر تخطى تلك الطريقة الى امثل منها فرأى ان يصدر حكمه في مواجهة الاحياء ليعلم الانسان مقداره فيحاسب نفسه ويمسك عنانه ويطالب وجدانه

كم من فاتح طبق الآفاق ذكره وطاولت السماك شهرته وامهله التاريخ ريثما ذهب سلطانه وانقرضت ايامه ثم راجع اعماله وسبر آثاره فاذا هو طاعون جارف وداء عضال وكم من فاضل وصف بالجهل وعرف بالعجز ثم قرأ التاريخ صحيفته وابان حقيقته فاذا هو مثال الفضل ونموذج الكمال

هذا عبد الله السفاح مؤسس الدولة العباسية انظر كيف كان اسمه توأم الفخر وحليف المجد ايام خلص لهُ الملك وحصلت له الغلبة واستقام له الامر وانظر كيف كان حاله يوم قامت الحقيقة تقاضيه امام التاريخ على ماجنته يداه الم يهدم صروح عظمته ويدمر منار سمعته بما نشره من فظائع اعماله التي وجفت منها القلوب وهلعت من هولها النفوس . اليس في اطلاق اسم السفاح عليهِ دليل على ركوبه متن الشطط وتغاليه في الجور والاستبداد

وذلك ابن رشد الفيلسوف العربي الشهير انظر كيف كان نصيبه من زمانه حينما قام يملأ طباق الارض علماً الم يعذب عذاب المجرم الجاني حتى جيءَ بهِ مرة في المسجد الجامع وامر كل من فيهِ بان يوسعه سبا واهانة بل ذلك الامام الغزالي العالم الطائر الصيت انظر كيف رماه علماء عصره بالكفر والزندقة ودونوا في ذلك التآليف الضخام وهو اليوم حجة الاسلام ومشكاة الانام

هذا وليس من غرضي استقصاء فوائد التاريخ واستيعاب فضائله فذلك مما لا يقوى عليه كاتب وان مهد له القول وسخر له الخطاب وانما حملني على ذكر هذا النزر اليسير ما تمس اليه الحاجة من مصنف يبين للناس كيف

تقلبت بالدولة الاسلامية الاحوال وتبدلت بها الاشكال فقد خلت السنون وتتابعت القـرون ولا نعرف من تاريخها سوى شذرات متفرقات في بعض الكتب قلما روت غلة او بلت صدى حتى كأن لم يكن للقوم من خير يؤثر او فضل يذكر او

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا مقـيم ولم يسمر بمكة سامر

والا فما بالنا يبلغ بنا التقصير الى هذا الحد حتى رثى لنا جماعة من علماء الغرب كتبوا في ذلك كتابات ربما لا تفي بالحاجة كالعلامة سيديو وفياردو ودوزي وجوستاف لوبون صاحب كتاب (تمدن العرب) ولعلي اسمعت بعض ذوي الفضل ممن رزقهم الله فكرا صحيحا ولسانا فصيحا يستنهض الهمة لسد ذلك العوز فيغنم الشكر ويكسب الاجر والله الموفق وهو ولي الرشاد

﴿ كيف يدرس التاريخ [1] ﴾

اذا قال الطامعون في طول البقاء على هذه الارض الجلحاء « عليك بتلاوة تواريخ الاقدمين واستطلاع حوادث الغابرين فان من وعي التاريخ في صدره اضاف اعمارا الى عمره » فانا نقول لم يوضع التاريخ ليكون تعزية المنكوب وتفريج هم المكروب وتسرية الاكدار ومد آفاق الاعمار وانما ليكون «ينبوع الحكمة وملاك التربية وقوام مكارم الاخلاق واستاذ الخليقة في الافاق»

فالتاريخ اذاً مدرسة عامة تسمو فيهـا العواطف وتشرف الاحساسات التي عليها المعول في ارتقاء الامة الى ارفع الدرجات واعلا الذروات وهو الضامن الوحيد لتهذيب النفوس وتوسيع المدارك والكفيل بما جاء فيهِ من

(١) بقلم صاحب هذه المجموعة

سير اكابر الرجال وعظائم الاعمال بتاليف فريق من الامة يسيرون سيرهم ويذهبون مذهبهم في خدمة البلاد والدفاع عن حومتها فالتاريخ عماد ترقي الامة ولا قوام للامة الا بتاريخ يتنزل من ابنائها منزلة الامام المقتدي به والمرشد الناصح والداعي المثوب. ولتوفر هذه الصفات الجليلة فيه اعتني الاروبيون بتدريسه لولدانهم في المكاتب على اساليب غاية في السهولة واستعانوا بواسطته على بث العواطف الكريمة كالجنوح الى التشبه بفحول الرجال في الاعمال والشغف بالوطن ومناواة اعدائه وغير ذلك من مكارم الاخلاق والخلال التي لولاها لما بقي من التمدن الاوروبي في عالم الوجود الا اثر ضعيف كالصوت الخافت او النور الباهت يزول بتاثير طاري من الطواري البسيطة عليه. ولم تكن مساعي الامم الاروبية وحدها منصرفة الى تعضيد مدارسة التاريخ وتلقينه للطلبة في كل دور من ادوار حياتهم المدرسية بل اشترك معها ملوكها ووازروا رجالها على اداء هذا العمل النافع لعلمهم ان درس التاريخ من الامور التي لابد من التدرع بها في هذا التنازع الحيوي والمعترك الاجتماعي العام الذي لا تلوح النصرة فيه الا لمن تشربت افئدتهم بالعواطف والاحساسات الشريفة والعواطف كما قلنا انما هي ابنة التاريخ وفلذة كبد الاعتبار بما دوّن فيه من حوادث السلف ووقائع الغابرين

وعلى ذكر مشاركة الملوك الفخام لرجال الدولة وعلمائها في تعضيد تدريس التاريخ نقول ان غليوم الثاني امبراطور المانيا وملك البروسيا كان القي خطبة منذ عامين على مسمع من اعضاء اللجنة المنوطة بتعديل طرق التعليم الثانوي في بلاد بروسيا كان لها من حسن الوقع لدي الامة ماوطد آمالها في ذلك الامير الجليل المحافظ على صوالحها اشد المحافظة ومن التعديلات التي طلبها

جلالته والح على تلك اللجنة بالاهتمام بها استبدال طرق تعليم التاريخ الجارية باخري يكون لها شان في عواطف الطلبة وفعل في احساساتهم و بين بنفسه تلك الطرق و رسمها رسما واضحاً يعلم منه ان مجاراة الزمن وترتيب العصور في ذلك العلم من العبث الذي يجب تجنبه وان اللازم انما هو تدريس التاريخ بالعكس اي ان يبتدأ بالعصر الحاضر ثم بالذي قبله وهكذا بالتدريج الى عصر الخليقة ونذكر ان اول من اشار باتباع هذا الاسلوب في تلقين العلوم التاريخية مؤرخ فرنسوي يسمى دلامبير غير ان هناك اختلافاً واضحاً بين طريقته وطريقة الامبراطور غليوم الثاني فان هذا الملك يشير الى ضرورة الابتداء بتعليم تاريخ العصر الحاضر اما دلامبير فلم يستصوب هذا الرأي اذ قال « ان الكاتب الذي يتصدى لايقاف معاصريه على تاريخ وقته لابد ان يتطرق الكذب الي قوله ولو رغم انفه . والملك الذي يسد افواه المتملقين و يمسك اقلامهم عن تسطير تاريخ حياته يستحق المدح الجزيل والثناء العاطر والمؤرخ الذي لايحسب حساب ميل الملك الي منع تدوين حياته وهو قابض على زمام الحكم يعد مسيئاً الظن في استقامته وعدله »

وقد بحث احد علماء الالمانيين في خطبة الامبراطور التي نحن بصدد الكلام عليها فراي كمولاه ان الازمان قد تغيرت وتبدلت وصار ماينفع بالامس لاينطبق على مصلحة اليوم وان طريقة تعليم التاريخ على المثال الذي تعلمه به في عهد التلقين اصبحت لاتليق بالدولة الالمانية الضخمة المقام وان كل الماني صار يشعر اليوم وقد التامت صدوع بلاده واجتمع متفرقها بنظام غير الذي كانت جارية عليه في زمن التشتت والافتراق كأن يعرف مثلا من الذي بني صرح هذا الاتحاد ولمّ شعث البلاد ومن هم القابضون الآن

على زمام الاحكام فيها وماهي واجباته نحو ربه ومالكه ووطنه وكيف يحصل على الشروط التى تخول لهُ حق الانتظام في عداد المنتخبين وكيف ينتخب النواب الذين سينوبون عنه في توصيل رغباته للحكومة ولايغبنون الوطن بتضافرهم مع اعداء الخارج والداخل على الاضرار بهِ وبالجملة يعرف ماهي الدولة الالمانية الحديثة وباية واسطة صارت مالكة الدول والمقدمة عليها في القوة والجاه والسلطان

يؤخذ من هذا ان تعليم التاريخ يكون على حسب الطريقة التي افترحها جلالة الامبراطور كتعليم الجغرافيا ينتقل فيه من القريب الى البعيد ومن البسيط الى المركب فبعد ان تلقن مبادئ ذلك العلم للطفل بتطبيقها على مايشاهده حوله من الجبال والانهار الى غير ذلك مما هو موضوع فن تخطيط البلدان يفصح له عن هذه الاشياء بعينها في البلدان السحيقة والاقطار البعيدة مع بيان مابينها من الاختلاف حسب تنوع البلدان وتباين اوضاعها وغاية مايوجد من الفرق بين طريقتي تعليم العلمين ملاحظة المناسبات في ان علم الجغرافيا هو بعينه لا يتغير اذ ان المعلم اذا اوضح مثلا لتلميذه ان النهر الفلاني يجري من الشرق الى الغرب لايصدق انعكاس الجريان في يوم ما من الغرب الى الشرق او ان مادة الجبل الفلاني الموجود شرقي المدينة القاطن بها من الحجر لا يصح ان تتحول الى الصخر وكل ذلك بخلاف التاريخ فان التغير فيه يومي والتحول مستمر وقد اصاب من شبهه بمد البحر وجزره او ببداية هي نهاية ونهاية هي بداية ومن ادنى الشواهد على التغير والتقلب في التاريخ ان الغالب في الامس يكون مغلوباً اليوم والعكس بالعكس

ومن راي ذلك العالم الالماني الذي تصدى لتبيين مآرب الامبراطور بشرح عبارته القصيرة ان يدرب الطفل الالماني بمجرد دخوله المدرسة على التامل

فيما آلت حال المملكة الالمانية اليه من ضخامه القوة وسمو المكانة واعتبار هذه الحال دائمـة كدوام الانهار والجبال وما شابه مما نعلمه في علم الجغرافيا وفي راينا ان هذا خطأ بين اللهم الا اذا كان ذلك الكاتب على ثقة من بقاء النظامات الالمانية في المستقبل كما هي عليه الآن وهو امر غير مضمون اذ دوام الحال من المحال وقد انشأ احد الكاتبين الالمانيين رسالة عنوانها « الى اين نذهب » برهن فيها على ان سياسة الامبراطور غليوم الثاني مناقضة تمام التناقض لسياسة البرنس بسمرك في الامور الخارجية والداخلية لان الامبراطور بمجرد استوائه على عرش الملك ومنعه البرنس من تدبير المملكه ومباشرة شؤنها وجه كل مساعيه لامحاء كل ما وضعه هذا الرجل من النظامات ليستبدلها بمستحدثاته وهو بذلك قد ضل عن سواء السبيل. وجاء في آخر تلك الرسالة ان سكان مدينة برلين عاصمة البلاد الالمانية لما رأوا شغف مليكهم بالتغيير والتبديل جرت على السنتهم جملة وهي « ما هو الفرق بين الاله وبين مليكنا الجديد ان يكن الا ان الله قد خلق كل شيء وهذا المليك قد اعاد خلق كل شيء »

وقد كان طموح الامبراطور نحو التغيير من موجبات ارتباك اكابر رجال الدولة الالمانية ووقوعهم في الحيرة اذ انهم كانوا يحترمون البرنس دي بسمرك احتراماً فائقاً ويعرفون انهُ مشيد الدولة الالمـانية وصاحب وحدتها ثم انهم مضطرون بالطبع الى استحسان كل ما ياتي به مليكهم من الاعمال وربما كانت نافعة فلا يجسرون على معارضة المقـدمات الموصلة اليها فليقل لنا ذلك العالم الالماني ماذا يصنع اساتذة التاريخ ازاء هذه الحيرة اذا تصدوا الى تدريس تاريخ الملك غليوم الثاني للناشئة هل يفرطون في مقدار رجل مثل البرنس دي بسمرك الذي يعلم كل الماني انهُ السبب في ارتقاء الدولة الالمانية وبلوغها هذه

الدرجة السامية للتمكن من امتداح الامبراطور وما اتاه من النظامات الحديثة وهو اجحاف بحقوق الرجل وانذار لمن فيه ميل الى خدمة بلاده بان عاقبة اخلاصه الولاء لحكومة الوطن توسيخ السيرة وتلطيخ الشهرة ام يذم الملك تخلصاً الى القيام بحقوق البرنس دي بسمرك مشير الدولة وهو من الامور المستحيلة

ومعلوم انه لايستدل على المسبب الا بالسبب فكيف يمكن ايقاف الولدان ذوى العقول القاصرة والمدارك الضيقة على تاريخ عصره اذا لم يكن له من الالمام بتاريخ العصور الوسطى مايقوم لديهم بمثابة المرشد لاماطة اللثام عن وجه اسرار النهضة الحالية وسيرة الامير الحاكم وكيف يمكن ايقافهم ايضاً على تاريخ العصور الوسطى اذا لم يكن لهم من الاحاطة بتاريخ قدماء المصريين واليونانيين والرومانيين مايسمو بهِ ادراكهم الى فهم الحوادث التي وقعت في تلك العصور

هذا مادقق فيه البحث المسيو جريم وهو الكاتب الالماني الذي اشرنا اليه وامعن فيه التامل فرأي ان الواجب لازالة ذلك الخلل والاضطراب هو تقسيم علم التاريخ الى ستة ادوار او مدد يكون لكل دورمنها غاية وابتداء هو غاية الدور الذي قبله بحيث ان التلميذ المبتدئ لا يتلقي في الدور الاول من التلقي الذي هو الدور الاخير من علم التاريخ باعتبار مجاراة تسلسل القرون والعصور سوى مايقف بواسطته على عظمة وطنه ومجد امته وعزة العائلة الملوكية حتى اذا رسخ كل هذا في ذهنه عرفه الاستاذ بان وطنه واقع بين شعبين كل منهما عدوّ لهُ متحفز للوثبة عليه والايقاع بهِ ثم يشفع هذا بتوضيح ما الذي الوطن من وسائل الدفاع والقوة البرية والقوة البحرية وغير ذلك مما يوطنهم على الامل في الغلبة والانتصار

وقال المسيو جريم ومما ينبغي تعليمه للتلميذ الالماني وهو في التاسعة من عمره تفصيل الحرب التي ثار غبارها في سنة ١٨٧٠ بين المانيا وفرنسا والاطالة في شرح حوادثها بعد اجتياز الالمانيين للحدود الفرنسوية حيث اخذت نصراتهم تتابع وتتوالى فاذا سأل التلميذ عما حصل للالمانيين قبل دخولهم الاراضي الفرنسوية اجيب عليه بجواب مبهم لايتوصل بواسطته الى الاعتقاد ان الهزيمة كانت مصاحبة لجيوشهم في اغلب الاحيان واستلفت المسيو جريم الانظار الى امر جدير بالعناية وهو انه يجب على الاستاذ اذا روى على مسامع تلامذته تاريخ حياة رجل من فحول رجال الدولة الذين يقتدي باعمالهم وكان قد توفي هذا الرجل ولو من عهد بعيد لايقول لهم انه قد مات لان ذكر الموت يحزنهم و يقوي في اذهانهم الاعتقاد بان كل شيء في الدنيا هالك وزائل و ربما استنتجوا من ذلك ان المملكة الالمانية لابد ان تزول وحينئذٍ يقولون في انفسهم مافائدة المتاعب التي يقاسيها ابناء الوطن في سبيل شيء لابقاء لهُ ولا استقرار كالريح والدخان

وبعد مضي سنتين على التلميذ وهو يتلقى علم التاريخ على هذا المنوال ترسم امامه اسماء الامبراطرة الثلاثة غليوم الاول وفردريك وغليوم الثاني و يؤمر بان يمثل اصحاب هذه الاسماء كانهم روح واحدة في اجساد متعددة وذلك لان اسرار الثالوث افيضت عليهم فجعلتهم كذلك او ان يمثل الامبراطور غليوم الثاني كأنه سيكون قابضاً على زمام الملك طول الابد وان من يعتقد في موته يوماً ما يعد من انصار مذهب الاشتراكيين

وحين ذاك يكون سن الطفل الالماني احدى عشرة سنة فيفهمه الاستاذ ان نظام حكومة المانيا كان قبل موقعة سيدان (سنة ١٨٧١) بمائتي سنة غيره

اليوم ونقيضه بالتمام لان امراءها كانوا ملوكا عدة اما الآن فالمدير لشؤنها واحد ولابد للطفل اذا سمع هذا الكلام ان يظهر علائم الدهشة والاستغراب فعلى الاستاذ حينئذٍ ان ينتظر حتى يزول الاندهاش ثم يقص عليه سيرة ملوك بروسيا الستة الذين كانوا السبب في سعادة هذه البلاد وتقدمها وليتجنب المعلم الاطناب في مدحهم بل يجب عليه ان يجعل بينهم وبين الامبراطور فرقاً عظيما بالتنبيه الى ماهم عليه من الضعف والعيوب ثم يحذر من ايراد شيء من هذه العيوب لكيلا تخمد نار العواطف الوطنية في قلبه ويميل الى الطعن في الملوك والانتقاد عليهم ويحذر ايضاً من الكذب والمبالغة فلا يقول له ان والد الملك فريدريك الاكبر كان حليما كريماً حسن الاخلاق محبوباً لدي رعيته اذ ربما قص له اهله تاريخ هذا الملك ووصفوه له بانه كان وحشي الطباع ثقيل اليد على رعيته وانه كان اذا سار في طرق العاصمة قذف النساء المارات بالفاظ السباب والشتم ولطمهن على خدودهن بكفه وربما تناول العصا وضربهن بها ضرباً مبرحاً حتى بغضه الاهالي وصاروا ينفرون من رؤيته وانه تفكر ذات مرة ان يقطع عنق ابنه ومرة اخرى رمى ابنته ولهلمين من نافذة القصر ولولا ان والدتها امسكت بها من طرف ثوبها لذهبت فريسة الاصطدام بالارض

وهذه صعوبة يمكن تذليلها بالتنبيه على التلميذ بأن مايقوله الاستاذ هو الصدق الذي لامحيص عنه وعندئذ يتيسر لهُ ان يغض الطرف عن مساوي الامبراطور فريدريك غليوم ويقول ان هذا الرجل العظيم هيأ وسائل التقدم والترقي للبلاد الالمانية لانه جمع جيشاً جرارا ليرهب بهِ الامم الاخرى واكتنز عشرين مليوناً من الريالات في صناديق من الحديد ثم يسرد وقائعه الحربية التي فاز فيها بالظفر والنصر ولكن لابد ان يتحاشي عن ذكر ماكان لهُ من

الميل الكلي الى اللغة الفرنسوية والكراهة التامة للغة الالمانية و يستبدل هذا كله بتعداد مالدي الامة الالمانية من معدات القتال واسباب القوة الخ

واشار المسيو جريم الى ضرورة الزام الطفل باعتقاد ان امة المانيا وحدها هي التي لها تاريخ دونت فيه احوالها من بدء وجودها الى الآن اما الامم الاخرى فلاتعرف من ماضيها شيئاً على الاطلاق وقد اكد ان العمل بمقتضى هذه القاعدة غاية فى النفع والفائدة اذ ان الاستاذ اذا اتى بسيرة الملك فريدريك غليوم الثالث لايضطر الى الكلام على تاريخ الثورة الفرنسوية والا فلا مناص له من الالماع الى هذه الثورة التي نتيجتها التأثير على احوال اروبا على العموم والمانيا خصوصاً اذ ابطلت منها الامتيازات وعدم المساواة وجميع النظامات التي كان ينظرها الالمانيون بعين السخط والغضب ولا اشكال في ان الطفل اذا علم ان الخير الذي هو فيه والحرية التي يتمتع بها منشؤها تأثير الثورة الفرنسوية على احوال بلاده قلما صغي الى مايسمعه من اقوال الهذيان عن لسان معلمه وقال المسيو جريم لابد من تعليم الطفل تاريخ حرب السبعين لتتوفر فيه عاطفة واحدة وهي اعتقاد ان فرنسا هي العدو الالد والخصم الاكبر لالمانيا فينشأ على تحقيرها و بغضها ولابد مع ذلك من توطينه على اعتقاد ان ملوك الفرنسويين ومن يتولون شؤنهم ليست لهم خطة يثبتون عليها سوى محبة الترف والنعيم والتظاهر بالزهو والمطامع النفسية وانهم منذ قرون عديدة يظلمون رعاياهم و يعاملونهم بالخسف والعسف حتى قاموا عليهم وجاهروا بالخروج عن طاعتهم واضطروا الى ارتكاب الفظائع والجرائم الى ان خلصهم من ربقتها شاب قورسقى الاصل اسمه نابليون . ولاشك في ان الطفل الالماني عند وقوفه على هذه الفظائع ومقارنتها بما سمعه عن وطنه وملوكه

من حب العدل تسري في دمه عواطف الكبرياء حتى اذا ساقته المقادير يوماً الى الوقوف على قمة الجبل الذى بين المانيا وفرنسا نظر الى هذه البلاد بعين الاحتقار ثم بسط يديه وقال احمدك ربي واثني عليك اذ لم تقدر على ان اكون من هذه الامة الظالمة الغاشمة

واذا كان ملوك المانيا بالنسبة لرعاياهم كالولد الشفيق لابنه والخادم الامين ولم يتظاهروا ابدا بالمضي مع الاهواء والميل الى الشهوات ولم يلجئوا الامة في وقت من الاوقات الى التوجع من قسوة احكامهم وصرامة سلطتهم فكيف حصل في سنة ١٨٤٨ ان شوارع مدينة برلين كانت تسيل فيها الدماء بسبب قيام الامة على الامبراطور فريدريك غليوم الرابع والزامها اياه بسحب جنوده من تلك المدينة . ان رأى المسيو جريم ان استاذ التاريخ اذا صادف شيئاً من هذا القبيل بادر بحذفه وغض النظر عنهُ وعليه فلا بد ايضاً من حذف سيرة القتال الذي وقع بين روسيا في سنة ١٨٦٦ وبين باقي البلاد الالمانية متحدة مع البلاد النمسوية اذ لا يصح والحالة هذه ان يعلم التلميذ ان الالمانيين قد قاموا على بعضهم وتفانوا في تلك المعركة الطويلة ويأمل المسيو جريم ان جميع المدارس في بروسيا وباقي البلاد الالمانية تقبل التعليم بالخطة التي رسمها

وبعد مضي ثلاث سنوات على الطفل الالماني يجتهد في تلقينه ما تعلمه في السنتين الاولى والثانية مع شرح اطول وتوضيح اوسع ويضاف الى ذلك شيئ من تاريخ العائلة الملوكية الحاكمة واصلها ولا يخفي ان الاسترسال في هذه السيرة يستلزم الاستطراد الى الكلام على لوثر مؤسس الديانة البروتستانتية والاصلاح ولكن كيف يصح الكلام على ديانة خاصة بقوم والقاعة الحاوية للطلاب تحتوي على تلامذة تابعين للمذهب الكاثوليكي وآخرين للدين الاسرائيلي

ثم ماذا يصنع المعلم لوسأله التلميذ عن مسئلة عرضت وكان لها مساس بالدين

يذهب المسيو جريم الى ان الواجب تلقينه للتلامذة هو مجرد الامور البسيطة التي لاتدعوه الى ادراك الافكار والسؤال عنها من الاستاذ لان الغرض من تعليم التاريخ على الطريقة الجديدة انما هو حفظ البلاد الالمانية من مصائب الافكار الخصوصية ولا يمكن درء هذه المصائب الا بعرض القضايا التاريخية على اذهان صغار الطلبة غير محتملة للنقض ولا الابرام كيلا يشب على استنباط النتائج وابتكار الافكار التي دلت تواريخ الامم على انها كانت من اقوى عوامل الدمار والخراب ومن آمال المسيو جريم ان توحد طريقة تعليم الدين في المدارس بحيث يتناوله التلميذ الالماني بروتستانتيا كان او كاثوليكيا بلا خوف من تطرق الفساد الى عقيدته وان لا يكون المام الطفل بتواريخ الامم المجاورة له كفرنسا والروسيا وانكلترا الا سطحياً صرفاً ليكون على ثقة ويقين بانه لم يحصل في العالم شيء يستحق الذكر الا واصله من العائلة الملوكية الالمانية وبالجملة يتم السنة الرابعة من تلقيه علم التاريخ وهو على يقين بان علم التاريخ العام ينحصر في تاريخ الدولة الالمانية

واذا اريد تدريس تاريخ الرومانيين له فالاحسن عدم التوسع في الكلام على حكومة هؤلاء القوم حينما كانت جمهورية بل الاوجب الالماع اليها بكلمتين ثم الانتقال بسرعة الى مدة الامبراطورية عندهم والتوسع فيها بما يحببها للطفل ويلقي في اعتقاده ان احوال العباد لاتنتظم الا بها وهو اذا وقف على نظامها عند الرومانيين وقوفاً لائقاً ربما صاح قائلا ان امبراطوريتنا تفوقها في اتقان النظام

ومما تقدم جميعه يعلم ان الغاية التي يسعى وراءها المسيو جريم بصرف

النظر عن وسائطها محمودة اذ المقصود بها تربية القلوب على محبة الوطن واعلاء شأنه وبذل النفس للمحافظة عليه وقد رأى ان الوسيلة اليها لاتتم الا بجعل التاريخ درساً في السياسة الابتدائية المراعي فيها التطرف في العصبية والمغالاة في محبة الذات وتخويل الحكومة كل السلطة في تربية الناشئة وتهذيب عقولهم اتباعاً لمن قال من الالمانيين ينبغي على الحكومة ان تباشر كل شأن من شؤن رعاياها حتى اللعبات الصغيرة التى يلعب بها الاطفال وتحدد ما يليق ان يعلموه في يومهم

هذا هو اهتمامهم بهذا العلم الجليل اما اهتمامنا بهِ فهو ركوننا على الاجنبي في تدريسه لنا بلغة بلاده وكتبه بلغتنا كثيرة العدد ثم باليته يقتصر على تلقين الحوادث كما حصلت بل يتصرف في نتائجها تصرفاً لا ينطبق على معتقدات الطلاب من حيث هم مسلمون وهو مسيحي فاذا رده احد النبهاء منهم بلطف وقال لهُ ان ماتريد تلقينه لنا لاينطبق على الدين في شيء فلعل بعض الخطأ يكون قد انزلق فى الكتاب الذي تفيض على عقولنا ما احتوى عليه من المعلومات او لعلك تكون قد استرسلت في التأملات والاعتبارات الخاصة وحكمت فيها بمقتضي ما يذهب اليهِ اعتقادك فاردت ان تشركنا معك في استصواب الحكم ولم تلاحظ اننا واياك على طرفي نقيض في الاعتقاد اجابه انه الاستاذ وان له السيطرة في التعليم و يريد ان يؤخذ كلامه قضية مسلمة لاتحتمل النقض ولا الابرام وقدحدثنى احد نبهاء التلامذة من احدى المدارس التجهيزية في القطر ان استاذهم السويسري كان يدرس لهم ذات يوم تاريخ مصر ووصل الى الكلام على تقسيم الزراعة الى نيليه وصيفية وشتوية فقال وزراعة (شرفي) بدلا عن صيفي فنبهه ذاك التلميذ بلطف وادب الى اصلاح

الخطأ فما كان من الاستاذ الا ان بكت التلميذ بقوله انتم معشر المصريين قد تدفعكم الوقاحة وقلة الادب الى التظاهر على اساتذتكم الذين يفيضون عليكم انوار العلوم فيقوم بخاطركم انكم لستم تلامذة بل اساتذة تعلمون الاساتذة والوقاحة التى تضل صاحبها الى هذا الحد لادواء لها وتدل على العراقة في الوحشية وعلى التقهقر بدل التقدم

ولسنا في حاجة الى الكلام بشأن حادثة الكتب الانكليزية التى اشترتها نظارة المعارف بنقود البلاد لافساد معتقدات الطلبة وربح بائع الكتب الانكليزي (بوك مكرس) الذي باعها بضعف ما تساويه من الاثمان فلقد جاء في العدد الماضي كلام طويل في هذه المسئلة يغنينا عن اعادة الكرة هنا وانما نقول ان هذه الحادثة القبيحة قد كادت تقلل الثقة بنظارة المعارف وتضعف الامن بتسليم ثمرات الافئدة لها لكي تعبث بها ايدي الاغراض السياسية لولا مابذله صاحب الدولة والاقبال رياض باشا من ملافاة الامر بحكمته المعهودة ورأيه الصائب

وهذا المقام يساعدنا على اتمام هذه الكلمات بطلب نلتمس من دولة الوزير الخطير اجابتنا عليه وهو زيادة الالتفات لتعليم التاريخ باللغة العربية مادامت له علاقة ومساس بسيرة العرب والمصريين لان تاريخ البلاد لا بد من تعليمه بلغة البلاد ولا سبيل الى الاحتجاج بعدم وجود الكتب العربية الكافية اما تاريخ اليونانيين والرومانيين وغيره من تواريخ الامم الخالية التي كان لها الشأن المهم في وضع النظامات الاجتماعية وسن القوانين العمومية فلا بأس من تعليمه باللغة الاجنبية حتي يتيسر وجود مؤلفات فيها باللغة العربية وربما كان تدريسها باللغة الاجنبية اليق واحسن لتوفر الرابطة بين اصحاب هذه

اللغة وتلك النظامات واذا كان من اهمية التاريخ ان الالمانيين ارادوا تلقينه للناشئة بصبغة سياسية لمنفعة الوطن افلا يجمل بنا ان نتلقى تاريخ آبائنا واجدادنا بلغتهم التي نتكلمها ولو لنجتنب الخلط في الاعلام فلا نقول افرويس بدلا عن ابن رشد وافيسين بدلا عن ابن سينا

﴿ تدريس التاريخ في مدارسنا الاميرية[1] ﴾

كثيرا ماقام بفكري ان ابحث في هذا الموضوع الجليل ولكن كان يصدني عن سلوك هذا السبيل عدم اقتداري على تبيين كل فوائده تبيانًا شافيًا يجعلني انفض عني غبار تهيبي مقام نظارة معارفنا الجليلة وخيفة ان تحرش من استلفات انظارها الكريمة الى امر سائر في مدارسها على محور الاختلال وعدم الاستقامة من زمان لو حسبناه قديم

مع ان هذا العلم كما يعلمه ذوو الدراية بمثـل ما نحن بصدده الآن هو من اكبر العـلوم المعينة على تنوير الاذهان وتربية الملكات وتوسيع المدارك ان لم نقل انه في مقدمتها بالنظر الى تربية الاخلاق وتهذيب العواطف وتحسين الحسن وتقبيح القبيح و بالاختصار فليس في الامكان اكثر من ان يوصف بانه مرآة ما مر من الحوادث في الاعصر السوالف والايام الخوالي فالناظر فيها يرى من الآيات البينات والمواعظ الحسنة ما يستبين بهِ الرشد من الغيّ ويميز بدليله الخبيث من الطيب

كل ماقلناه بديهي لا يختلف فيهِ اثنان ولا ينافيه اعتراض من سفيه لايهمه تقدم المعارف وانتشارها بين ابناء وطنه على منوال نؤمل معه الوصول

(١) بقلم حضرة الفاضل محمد افندي حلمي زين الدين مترجم ديوان الاوقاف حالا

الى بث الآداب الفاضلة التي هي الوسيلة الوحيدة الى تقويم النفوس المعوجة واصلاح الفاسد من الاخلاق

فاذا تقرر ماقدمناه ولاتخاله الا كذلك علم القارئ ان الغرض الاصلي من تعليم التاريخ للانسان في جميع ادوار دراسته بل اطوار حياته ليس حفظ كثير من اسماء الملوك والسلاطين والفاتحين ومعرفة ان ذلك كان كثير الاملاك وهذا احتل كثيرا من البلدان واغتصب اونهب وسلب او ان ذاك حكم مدة كذا وانما الغاية القصوى هي الوقوف على دقائق ما كان عليه اولئك الرجال من حيث العلم وعدمه واتساع دائرة المعارف في ايامهم اونقيض ذلك ومطالعة كثير من تراجم حياتهم وتفاصيل معيشتهم العامة والخاصة وكيف ترقت هذه الامة الى ذري المجد والفخامة وما هى الاسباب التى انزلت تلك الى حضيض التقهقر ومهاوي الذل والتأخر و بذلك يعتبر المعتبر و يزدجر المزدجر

ولو كان غير ذلك ما نزل في التنزيل كثير من الاقاصيص وتفصيل حكايات السلف مما يؤيد قولنا ويثبت ادعاءنا المبني على الحقيقة الواضحة واليقين الثابت وعليه فانا اتجرأ على التنديد بالاسلوب الذي يدرس به ذلك العلم في المدارس الاميرية ولا يتبادر الى الاذهان اني اجل من اولئك الاجلاء الذين وضعوا قانون التدريس بتلك المدارس كلا فاني اذا اصبت الغرض في هذا المقام كان ذلك رمية من غير رام

كيف يتيسر استحسان الاسلوب الجاري على منواله الآن تعليم ذلك العلم باللغة الاجنبية والتلميذ لاينظر الا الى مجرد الالفاظ والجمل التي ربما حفظها عن ظهر قلب قاصدا بذلك تادية الدرس باي وسيلة كانت فرارا مما عساه يلحقه من العقاب وبهذه المثابة تضيع الفائدة المقصودة بالذات من تعلم ذلك العلم

الجليل فالواجب ان يكون تعليمه بتلقيه على اسلوب حكايات او نوادر يلقيها الاستاذ على مسمع من تلامذته فاذا انتهى الوقت فهموا ماقاله المدرس واتعظوا بما اورده لهم فيه من العظات وهم لايشعرون

ومن الواجب المحتم ان لايكون تدريسه علمياً محضاً بل لابد ان يتخلله ولو تطبيق بعضه على العمل فان كثيرا ممن درسوه فارقوا اماكن التعليم ولم يروا بعض مسميات لما حفظوه من الاسماء في المدرسة فلا يكاد يمر عليهم قليل زمن حتي يتشعع ذلك العلم ويذهب ادراج رياح النسيان

واني لأحس بمعترض يقول ومن لنا برؤية آثار باريس ولوندره فاجيبه بفساد اعتراضه واذكره ان لدينا آثار من كانوا سادة البلاد قبلنا فليرها المتعلمون ومالا يدرك كله لايترك جله

واراني قد اطلت الكلام ولم آت على الغرض الاهم الذي دعاني الى البحث في هذا الموضوع تقريرا للحقيقة وتذكيرا بما هو الواجب ان يكون اذا كان القصد حقيقة من التعليم ارشاد المتعلمين الى ماهو خير لبلادهم بحيث لو اتبعوه عادوا على وطنهم بالفلاح والصلاح ذلك ان التاريخ واجب ان يكون تلقينه من وطني فاضل يعرف ماعليه للبلاد التي اقلته ارضها واظلته سماؤها فيوفيها حقوقها بقدر ماتصل اليه مكنته بان يوريهم مجد آبائهم وما وصلوا اليه من رفعة المكانة وعلو الدرجة واستحواذهم قصب السبق في المدنية والعمران أيام كان غيرهم ضارياً في اودية التوحش ذاهباً مذاهب شتى فى الهمجية والبربرية ويقول لهم هذه آثار من سكنوا البلاد قبلكم يكاد يفني الدهر وهي لاتفنى ثم يردف لهم ذلك الحديث بمناداتهم ان حافظوا على تلك الآثار وعضوا عليها بالنواجذ بل عملوا الى اقامة مثلها يأتي ابناؤكم من بعدكم فيعجبون

بها كما تعجبون انتم اليوم بذكرها وتباهون بها غيركم وكل من سار على الدرب وصل

لعمري لو روعيت امثال تلك الملاحظات في تلقين ذلك العلم النفيس لحصلت الغاية المقصودة وهي تعليم الابناء كيف يحبون وطنهم و يجلون قدره وماهي الواجبات المقدسة التي لهُ عليهم

فان المعلم ان كان غير وطني كان الامر على عكس ماقدمناه لان ذلك الغير يجتهد حينئذٍ في ستر كل شيء يكون لهُ مساس بشرف البلاد ومجدها و يسعى جهده في امتداح شؤن بلاده امام تلامذته فيخبرهم بحوادث بلاده جاعلا القط جملا والحبة قبة ليريهم من مجد تلك البلاد مالم يكونوا يعرفونه وفي ذلك مالايخفى

وهذه كلمة من كلمات تقال او تكتب في هذا الموضوع ان في ذلك لعبرة لمن كان لهُ قلب او القي السمع وهو شهيد

﴿ كرستوف كولومب وامريكا [1] ﴾

ولد هذا الرحالة الشهير في مدينة جنوة من ابوين راسخين في النسب وان لم يكونا من الثروة بمكان فلما بلغ مبلغ الادراك والفهم طرق ابواب المعارف فجد واجتهد ومالت امياله الى العلوم الرياضية فأخذ منها بقسط وضرب فيها بسهم

ولما ناهز الرابعة عشرة من عمره اشتغل بالملاحة فظل يمارسها حتى دخلت سنة ١٤٧٠ وكان قد ناهز الثلاثين فجاء الى بلاد البرتغال المشهورة بانها

(١) بقلم حضرة الفاضل محمد افندي حلمي زين الدين مترجم ديوان الاوقاف حالا

ملتقى الرحالين ومجتمع المخاطرين بانفسهم في الاسفار البحرية واستمر بعد حضوره الى ذلك البلد يمخر بسفينته في الاماكن المعروفة في ذاك الحين وكان كلما عاد من اسفاره يخطط ماشاهده على الخرط الجغرافية ويبيع هذه الخرط للناس ثم اسعده الحظ فورث من احد البحريين البرتغاليين الراسخين في ذلك العلم اوراقا ودفاتر مهدت لهُ الامر وساعدته كل المساعدة في ابحاثه الجغرافية

ولما حنكته التجارب وراضته الحوادث اقتاده علمه الى الحكم بوجود بلاد فيما يلي الاقيانوس الاطلانطي لم تطأها قدم احد من سكان العالم القديم فقامت بهِ رغبة اكتشاف تلك البلاد العذراء

ولا يخفى ان اكتشاف الاقطار واستطلاع الامصار مؤسس في الاصل على فرض وجودها في جهة من الجهات فاذا تعاقد جملة من المخاطرين بارواحهم في سبيل نيل المجد والفخار على جوب البحار وركوب متن الاخطار وتسنم غارب الامواج عثروا ولاشك على ضالتهم وبلغوا اقصى غايتهم وابرزوا بذلك الى حيز الوجود اقطارا جديدة لم تكن تعلم لولاهم

ولم يكن فرض كولومب مؤسساً على الحزر والتخمين كالفروض المتقدمة لان هذا الرجل كان يعتقد اعتقادا صحيحاً بوجود اقطار وبلاد فيما يلي الاقيانوس الاطلانطي وقد ازداد هذا الاعتقاد في ذهنه رسوخاً حينما خطط لهُ توسكانلي الجغرافي الايطالي خريطة للارض جعل فيها سواحل اسبانيا مقابلة بالتقاطر لبلاد آسيا فكان ذلك من البواعث القوية التي جعلته يؤمل في الوصول الى اكتشاف يكون بهِ حل مسئلة من معميات المسائل التي تراكمت عليها ظلمات الغموض والخفاء وقد تمثل بين يدي ملك البرتغال يوحنا الثاني وعرض عليه امره مبيناً الاسباب التي بني عليها اعتقاده بوجوب وجود طريق

يوصل الى ارض لم يصل اليها احد من الاوروبيين فسخر الملك باقواله وقال هذا مجنون يريد ايجاد مالايوجد وهـذه هي اول مرة قاسي فيها كولومب ضروب الازدراء وانواع الصعوبات التي تكون فى الغالب حجر عثرة في طريق ذوي الفطنة والذكاء فان نتائج فطنته كانت اجل من ان تفهمها تلك العقول السخيفة والمدارك الضعيفة وبعد اخذ ورد فى المحاورة واستعلامات طويلة على غير طائل اجتهد البرتغاليون في خلالها في الاستفادة من الايضاحات التى كان يسردها كولومب على الملك برح هذا الهمام مدينة اشبونة عاصمة البلاد البرتغالية في نية عرض مشروعه على ملك اسبانيا وكان الشائع عنهُ في كافة الانحاء اذ ذاك انه صاحب حكمة وتدبير واقدام دون احجام وكان وصول كولومب الى اسبانيا في أواخر سنة ١٤٨٤ ولكن لسوء الحظ لم يكن ذلك الحين مناسباً لتنفيذ مثل ذلك المشروع الخطير اذ كانت الهمم والعزائم موجهة الى اعداد المعدات الحربية وتعبئة الجيوش لمنازلة عرب الاندلس وكان فرديناند وايزابلا قرينته يبالغان في ذلك كل المبالغة ليدفعا عن انفسهما ووطنهما كروب الحروب واثقال القتال فلم يخطر ببالهما وقتئذ ان يسعيا في انجاح مشروع يخالطه الشك ويأتيه الريب من كل الوجوه

ثم ساء حظ كولومب فجعل واسطته الى الاعتاب الملوكية رجلا من ذوي المكانات السامية والاقدار العالية يقال لهُ (جوان دي مرشينا) وكان قد اهتم منذ زمن طويل بنواياه فاوصى عليهِ من يسمى (فرنندودي تالافيرا) احد المقربين من الملكة والفائزين لديها بنعمة الزلفي وكان رجلا حسن الاخلاق جليل الصفات كما ايد ذلك كله حسن انعطافه نحو البائسين من المسلمين وكان عالماً ماهراً ولكن علماً قسيسياً مشوباً بالاباطيل والاضاليل ولهذا

كان عدوا الكل جديد فلما عرض عليهِ كولومب ما اراد التوسط فيهِ له لدي الملكة لم يفقه حقيقة القصد من معروضاته فعدها من الاوهام الفاسدة والدعاوي الظاهرة البطلان وعال ذلك بقوله انها لا تنطبق على اصول الدين الارثوذكسي وقد انتهي الامر الى علم حضرة الملك وقرينته فلما يسلما بماذكره فردناندودي تالافيرا وارادا ان يرجعا في حل هذا المشكل الى اصحاب الدراية والخبرة بهِ فتعينت بناء على الامر الملوكي لجنة من العلماء الذين بعد صيتهم وامتد صوتهم في آفاق الاندلس وكان اغلبهم من رجال الكنائس والصوامع برئاسة فردناندو السالف الذكر وحيث كان اولئك العلماء من مذهب رئيسهم في عدم الاعتقاد بدعوي كرستوف كولومب فلم يكن منهم الا ان جروا ذيل التغاضي والتواني على النظر فيها وكان هو في اثناء ذلك ينتظر قرار اللجنة المتوانية بالعمدفي الخروج من عهدة ما نيطت بهِ من قبل الملك وحضرة قرينته وقد مضت عليه سنون طويلة قضاها في انتظار نتيجة تشير مقدماتها الى خيبة المقصد وحبوط المسعى وكان يقيم تارة في البلاط الملوكي بين بطانة الملك وحاشيته وطورا يخرج مع الجيوش لمحاربة عرب الاندلس فلما اشتهر عزمه وبانت شهامته عرفه الامراء فادنوه الى مجالسهم ورفعوا قدره واعتمدوا مشورته وارسلوا الى كافة ولاة الامور بالبلاد الاسبانية ان يكرموا مثواه في حله ويدفعوا عنهُ الضير في ترحاله ولكنه مع هذا التبجيل والتعظيم مل من طول الانتظار فالتمس من جانب الملك ان يخبره عما بدا له في امره فلما اعلم اللجنة بطلبه قررت ان نواياه باطلة وقضاياه فاسدة لتخلخل اساسها واضمحلال جدرانها وتداعي بنيانها وان الحكومة يجمل بها ان تلوي عنه عنانها وتنبذ ما عرضه عليها ظهرياً ولما اتصل خبر هذه الخيبة الى علم الحاشية الملوكية التي علت مقدار

الرجل من العلم والمعرفة ومكانته من الحزم والمثابرة عم بينها الاسى والحزن وكان من بينهم (الجران كردينال مندوزه) الشهير بحدة الذكاء وتوقد الفطنة وسلامة القلب من الاصابة بدرن الاضاليل والترهات ومطران اشبيلية فانهما اخذا على عهدتهما ايصال المشروع الى غاية التحقق بالتوسط لدي الملك والابتهال اليه وفي الواقع فانهما عرضا الامر على اعتابه فنالا منه الوعد بالنظر في هذه المسئلة عقب خمود نار الحرب التى ثارت بين امته وعرب الاندلس

هذه هي نتيجة مابذله كولومب من الجهد وصرفه من العناء في طلب تحقيق امانيه وقد افضت به الى عدم التصديق بوعد الملك واعتباره رفضاً صريحاً واباء علنيا فسارع في الحال الى مزايلة مركزه كاسف البال كثير البلبال واتجه صوب الجنوب في امل العثور على مساعد او نصير يؤسيه على مصيبته و يشد ازره في تحقيق رغبته ولايخفى انهُ كان قد عرض على حكومة جنوا مسقط رأسه ان تستأثر بفوائد اكتشافه فلم تقابله بغير الاعراض ولما قصد دوق (ميدينة كولي) قابله بكمال التلطف والرعاية ولكنه لم يرغب كغيره في تعضيده على اتمام مشروعه ولدي ذلك خشي كولومب ان يضيع وقته سدى فتهيأ في سنة ١٤٩١ للأوبة عن بلاد اسبانيا والذهاب الى ملك فرنسا الذي كان بعث اليه برسالة يحضه فيها على المثابرة وعدم الفشل عله يمن عليه بما اراد وكان قد رغب قبل سفره في زيارة صديقه جوان بيريز فلما قابله واخبره بما عزم عليه طلب اليه ان ينزع عن هذا العزم واعدا اياه بالذهاب الى الملك والسعى في استمالته الى تنفيذ المشروع وفي الواقع فانه خف من ساعته الى مدينة سانفيه التي شادها الملك فرديند وقرينته الملكة ايزابلا ايام حصار غرناطة لاقامتهما ونال الاذن بالمثول بين يديهما فلما سألاه عن

مراده تكلم في مصلحة كرستوف كولومب واستعطف الملك وعلى الاخص الملكة لانها كانت تحترمه لفضله وعلمه الى الاخذ بناصر هذا الرجل وقدساعده في هذا الاستعطاف من كان في مجلس الملك من اكابر موظفي الدولة واصحاب الشوكة والصولة الذين عرفوا ماعليه كرستوف كولومب من الخصال الحميدة والمثابرة على العمل فتوصل بهذا السعي المشكور الى الحصول على اقرار من الملكة بفتح المخابرات مع كرستوف الذي كلمت اقدامه من قوة السعي وكلّ لسانه من كثرة الالحاح والرجاء

ولم تمض ايام قليلة حتى استدعاه كل من الملك والملكة فرحبا بهِ وشجعاه على اتمام مشروعه بعد ان وصلاه بمبلغ جسيم من المال ليستعين بهِ على الوصول الى هذه الغاية ومن غرائب الاتفاق ان وافق يوم مثوله بين ايدي الملك والملكة فوز الاسبانيين على عرب الاندلس وايقاعهم بهم كما جاء في التاريخ

وقد حظي بالمثول مرة اخرى بين ايدي الملك فرديناند وقرينته الملكة ايزابيل فاغتنم هذه النهزة للكلام على البلاد التي يأمل الوقوف عليها وقال انهُ اذا ساعدته الظروف بتحقيق مراده لابد ان يكون سكان تلك البلاد اجماعا كفة على عبادة الاوثان فيستطيع تحويلهم عن هـذه العبادة الباطلة الى التدين بالنصرانية بدون تكلف عناء اوتكبد مشقة وقد اراد بهذا القول زيادة استمالة الملك والملكة اليه لانه كان يبلغه عنهما انهما من المبـالغين في تأييد الدين وتعزيزه ونصرته وفي الواقع فان هذا القول قد راق في عينيهما ووقع لديهما موقع القبول والاستحسان

والى هنا اعتقد كرستوف كولومب ان العوائق التي تصدت لهُ في سبيل مشروعه قد زالت وتلاشت ولكنه لم يلبث قليلا حتى خانه هذا الاعتقاد

فصادف عوائق اخرى لم تكن لتخطر على باله او تجري في ظنه

ذلك ان طلبه لم يقترن بالقبول كليـة لان الملك فضلا عن انه من بادئ الامر لم يحفل بهذا الامر الخطير ولم يقابله بغير التواني والاهمال فقد قال ان هذه المطالب انما يشم من خلالها رائحة التعاظم من طالبها فلا يليق ان ينظر بعين الالتفات الى هذا المخاطر الاجنبي الحقير فألح كولومب رغما عن ذلك وصار يروح ويجيء صارفاً جل مساعيه لتحقيق امانيه حتى لقد حدثته نفسه اثناء ذلك ان يتنازل عن بعض مطالبه الا ان المخابرات في هذا الشأن انقطعت فجأة فلما رأى كرستوف ان مساعيه لم تفلح غادر الحاشية الملوكية على نية العدول عن مشروعاته الجليلة في حين ان الملوك كانوا على استعداد تام لتجريب هذا المشروع مصممين على ان يوالوه بما يستحقه جزاء جهده ونشاطه وانا لنرى في عدوله هذا اكبر دليل ينبئ بما هو عليه من تشامخ الانف الذي صانه بين كثير من التجاريب ونصره نصرا عزيزا في آخر امره اذ تغلب على الصعوبات التى كان يعترض عليـه بها ابناء ذلك الزمان

ولكن لم يدم ذلك الانقطاع زمناً حتى ابتهل اصحاب كولومب الى ايزابلا فقال احدهم ان ذلك الباحث لا يبتغي عند ما يتوج المشروع بالنجاح غير جزاء عظيم على قدر استحقاقه واما اذا لاسمح الله اخفقت مساعيه فلا يطالب بشيء ما ثم اعقبه ضابط المالية فامتدح كولومب وقال انه متوفرة فيه الشروط اللازمة لتحقيق مشروع عظيم كالذي هو بصدده ويحتمل ان يبتليه ملك آخر فيستغل منه ثمار المنفعة لنفسه بل ان الضابط البادي ذكره تجاسر على ولية نعمته ومالكة ازمته فقال ما معناه انها في هذه الحادثة لم تظهر علو الهمة التى عودتهم اياها اذا دعت الحـال الى تعضيد مشروع جليل وعظيم فتحركت عواطف

ايزابلا لهذه الحرية الحقة ولم يعترها الغضب اذ سطعت انوار الحقيقة على سماء عقلها وآلت على نفسها انها لا تعود من وقتئذ تعير الا اذناً صماء لتغرير الذين يحدثونها بما لم يكن له البتة نصيب من الحقيقة فقالت سأكلف نفسي مباشرة هذا المشروع واني لمستعدة لابيع اثاثي وبهاري للقيام بما يستلزمه من النفقات اذا لم يتوفر في خزائن الحكومة ما يكفي لذلك وكانت الخزائن قد استنزفتها الحرب التي اثيرت ضد عرب الاندلس ولكن (لويس دي سانتانجل) قدم النقود اللازمة وقد اخذها من خزانة مملكة اراجون التي كان متولياً زمامها وقد وجب ان عبء البعثة تحمله قسطلة وحدها حيث اعتبرت الاراجون غير مشتركة في هذا العمل فارسل حينئذٍ خلف كولومب رسول من قبل الملك فلحق به في الطريق بعد ان بارح غرناطة برحلة واحدة فرجع الى سانطفية وقوبل مقابلة كانت عنواناً على مايستحقه من التجلة والاكرام فابرم مع الملكين حينئذٍ عهدة نهائية بتاريخ ١٧ مايو سنة ١٤٩٢ وبما ان فرديناند وايزابلا كانا ولاة البحور فقد جاء في نص تلك العهدة المبرمة ان يكون كرستوف اميرا للبحر ووالياً ومحافظاً عمومياً على الجزائر والقارات التي يكتشفها في المحيط الاطلنطي اما حكومة كل من هذه البلدة فتعهدت الى احد الثلاثة المترشحين الذين يقدمهم من حدود ولايته ان جميع الاشغال التجارية تكون خارجة عن دائرة اختصاصه وتكون لهُ عشر الارباح التي تعود من البعثة مضافاً الى ثمن منها بالنظر لكونه يساعد البعثة بثمن النفقات وباتفاق آخر ان المناصب البادية الذكر القيت اليه مقاليدها ولا يجوز خلعها عنه في اي حال من الاحوال لكي تنتقل الى خلفه الذين يكون لهم الحق في ان يسبقوا اسمهم بلقب الشرف

وبمجرد التوقيع على هذا الاتفاق اشتغلت ايزابلا بتجهيز معدات ولوازم

الرحلة وقد صدر الامر العالي الى مدينة اشبيلية و بقية الثغور الموجودة على سواحل البحر في الاندلس بتوريد الذخائر وجميع الاشياء التي لابد منها للرحلة بأبخس مايمكن من الاثمان وبغير تحصيل رسوم عليها ولما تم ذلك اقلعت الدونمة من ميناء بالوس الصغيرة وكانت مركبة من ثلاث سفن جهز كولومب احداها من النقود الكثيرة التي اداها اليه صاحبه حفيظ دير لارنيده والبترون احدي العائلات المعتبرة في بالوس وكانت عائشة بين هذا الشعب الذي تشعب منه كثير من البحريين الجريئين وقد امكن كولومب بحسن صنيعهم وعلى قدر مساعدتهم له ان يتغلب على صعوبة هذه السياحة و بعد ذلك بثلاثة اشهر تهيأت العمارة البحرية للسفر

وكانت هذه العماره مكونة من سفينتين خفيفتين ليس لهما ظهر وثالثة اكبر حجما بقليل وكان عدد البحرية يبلغ مائة وعشرين رجلا وقبل الملك ان يتحمل من النفقات مبلغاً قدره سبعة عشر الف فلورينو وفي صباح يوم ٣ اغسطس سنة ١٤٩٢ اقلعت الدونمة مغادرة الاراضي الاسبانية بعد ان قام كل من كولومب واصحابه بتقديم القربان حسب عادة اهالي اسبانيا عند مباشرتهم عمل مشروع عظيم

ومن طالع التاريخ بدقة وبحث فيه باعتناء لايسعه الا الحكم بشجاعة هذا البطل الذي ترك لذة الحياة الدنيا غرضاً في توسيع نطاق عرفان بني الانسان فانه لانسبة بين البحور الهادئة الساكنة التي كان يشق عبابها بسفنه و بين هذا الاقيانوس الهائج المضطرب الذي لايقر له قرار و رغما عن ذلك فقد نري هذا الباحث لايعبأ بكل هذه العقبات فلم يجعل امام عينيه الا اظهار حقيقة طالما احتجبت وراء ستار الخفاء

ولا عجب اذا رأينا الملكة ايزابلا قد اظهرت مافي وسعها لتعضيد هذا الشهم وتحقيق مآربه ومنحت كنفها لمن يجيئ اليها رغبة في غرس بذور الفتن وتحويل مجرى عنايتها عن ذلك الشهم المفضال ولذلك خصصت احدى دونماتها لموالاة اكتشافاته ومجاراة رغائبه توصلا الى ايجاد حقائق جديدة

وبهذا السبب باتت وقرينها ينتظران مايصل اليه بحث كولومب واشتدت رغبتهما للوقوف على ماعساه يكون قد عثر عليه وبينما هما على هذه الحال مضطربي البال اذ جاءهما نبأٌ عن اكتشاف ارض مما يلي الاقيانوس فطارا لذلك فرحاً وانقلب الاستهزاء الاول الى احترام وتوقير لذلك الرجل الهمام ثم طلبا منه سرعة العودة ليقص عليهما سيرة سيره فامتثل الامر وعاد بعد ان امضى عدة اشهر يقاسي اليم العذاب من سوء معاملة البحرية له وعدم امتثالهم لاشاراته ويتجشم انواع الصعوبات التي تجرعها حتى وصل الى اكتشاف الارض في يوم الجمعة الموافق ١٢ اكتوبر سنة ١٤٩٢ فدخلها وطاف بارجائها وجال في انحائها الا انه حين عودته لم يكن باقياً معه سوى سفينة واحدة من سفنه الثلاث لان احدى الاثنتين كانت قد انقلبت بمن فيها والاخرى تخلفت عنهُ وكان وصوله الى اشبونة عاصمة بلاد البرتغال في ٦ مارس من سنة ١٤٩٣ حيث استقبله ملكها يوحنا الثاني بانواع التكريم والتعظيم ممادل على ميله الى العلماء وعنايته بالمتنورين ولو لم يكن له حظ في تعضيد هذا البطل باديءُ بدء فشكر له كولومب افضاله ولم يلبث ان شد رحاله الى ميناء بالوس فوصلها في ١٥ مارس سنة ١٤٩٣ قبيل الظهر فكأن سياحته استغرقت سبعة اشهر واحد عشر يوماً فقابله الاهلون بمظاهر الابهة والاجلال واقيمت الاعياد اكراماً لخاطره وجزاء له على سعيه المشكور ثم تمثل بعد هنيهة

بين يدي المليكة وقد استصحب معه من البلاد التي اكتشفها افرادا من اهليها وعليهم ملابسهم البسيطة الهمجية ومتحلية اجيادهم بالقلائد المختلفة الشكل والترتيب ومعاصمهم بأساور من ذهب وانواع اخرى من الحلي الذهبية المصوغة صياغة سمجة وكان قد جلب ايضاً كميات عظيمة من التبر والسبائك وكثيرا من النباتات الاجنبية ذات الروائح العطرة والخواص الطبية وكثيرا من انواع الحيوانات الخافية على اوروبا وكثيرا من الطيور ذات الريش الذي يسر الناظرين لبهجته وكثرة الوانه الزاهية مما خلب عقول الاوربيين الذين لم يكونوا الي ذاك الحين رأوا شيأً من عجائب المخلوقات وغريب مصنوعات الباري تبارك وتعالى

واذ قدم على مدينة قسطلة ارسل الملكان لاستقباله على مرحلة من المدينة كبار رجال معيتهما احتراماً له ورفعاً لشأنه ولما ان حضر البلاط الملوكي نهضا لملاقاته فحظى بلثم ايديهما واخذ مجلسه امامهما فلحظاه اذ ذاك بطرف يخامره التبجيل والاحترام ومنحاه من جليل التعطفات مالم يمنحه غيره من امثاله واهل طبقته الامر الذي ثبت جنانه واطلق لسانه ولذلك صرح بافصح اسلوب بكل ما رآه من انواع المعادن الثمينة والحيوانات الكثيرة النفع ثم اردف كلامه بذكر استعداد الامم التي لاتزال على الفطرة الطبيعية لاعتناق اي دين يبث فيما بين افرادها فامتلأ الملكان فرحاً لهذا الخبر السار وزادت كذلك رغبة كولومب في موالاة اكتشافاته فأراه من سرعة الاستعداد واعداد المعدات اللازمة لمعاودة ركوب متن البحر فسافر بعد ان تلقي الاوامر الكريمة من حيث وجوب استعمال الطرق المثلي لاستمالة هؤلاء الاقوام الوثنية الى اعتناق دينهم كان يعاملهم بالرفق ويسترقهم بالاحسان والعطايا مما حمله معه من انواع

البضائع التي لا يعرفونها فاقلع حينئذٍ من ميناء بارشلونه في اواخر مايو فشيعه نبلاء القوم وكبار الحشم الملوكي ودعوا لهُ بنجاح المقصد وتحقيق المآرب وقد خول له الحق في تسليم زمام الامور الى من يشاء من غير احتياج الى استشارة اولياء الامر وذلك بقصد ايجاد نظام موقت في تلك البلاد وخولوا لهُ الحق كذلك في ان يقضي بين الناس هناك بغير ان يكون لاوامره ونواهيه حد محدود فلما اتسع نطاق املاك الاسبانيين بما اكتشفه لهم كولومب وغيره من السواحين حسدهم على ذلك جيرانهم البرتغاليون وركنوا الى معاكستهم ووضع حد لاكتشافاتهم العديدة فخضرهم يوماً ان البرتغاليين يجهزون دونمة عظيمة لتسبق الاميرال صوب الغرب وتضع له عقبة تعوقه عن اتمام رحلته اما الملكان فلم ينظرا بعين الاهتمام الى سوء ما اراده اولئك الحاسدون بل اهتما فجهزا كل ما يلزم للرحلة الثانية فاقلع كولومب بسفنه من قادس في الخامس والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٤٩٣ وكان معه سبعة عشر سفينة فسار في هذه المرة ولكن على هدى خصوصاً وقد رافقه من ابناء البحر من عرفوا قيمة فضله وسعة معرفته فصاروا طوع اشارته ورهناء امره ولكن لم يلبث ذلك الصفاء ان تغير بمجرد ابتعادهم عن مرأى اسبانيا وضواحيها فتبدلت الطاعة بالخلاف وتغير الامتثال الى عناد فكانوا يتساءلون فيما بينهم فيقول بعضهم لبعض هل يجمل بنا ان نكون طوع ارادة رجل اجنبي ليس من ابناء جلدتنا ولم تكن لنا به سابقة معرفة ولكن لا غرابة فان للجنسية تعصباً حتى بين ابناء الغرب انفسهم

ولما وصل كولومب الى ارض (هسبانيولا) بعد مقاساة الشدائد والعناد من بحريته نزل في تلك الارض وسن لهم قوانين ولوائح صارمة اجبرتهم على حرث الارض وخدمتها واستخراج المعادن الثمينة من بطونها من اكبرهم الى

اصغرهم فصار لايمر يوم الا وترتفع ضوضاء الشكوى الى ملوك اسبانيا يستجيرون من كولومب واجراآته الا انه والحق يقال كان هؤلاء الملوك لايعيرون تلك الشكاوي الا اذناً صماء لتيقنهم انه بغير هـذه الوسيلة لايمكنه ان يتم نجاح مشروعه ثم عاد ذلك البحري العظيم الى اسبانيا ومعه من عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات مالم يكن قد رآه الراؤن في ذلك الوقت ولكن قد لوى القوم وجوههم عنه ولم يعودوا يفترواباخبار كولومب واعتبروا كل مايقصه عليهم انما هو زخارف اقوال لترويج بضاعته اذ كان حبهم للمال يوسوس في صدورهم ان البلاد التي اكتشفها ليس فيها سوى الذهب والفضة وبقية المعادن الثمينة

الا ان الملكة لم تقاسمهم هذا الرأي، ولم تنظر الى هذا الجنون المفرط وظلت عاقدة نيتها على موالاة اسعاف كولومب بمايلزم من المساعدة لاتمام مشروعاته وتحقيقها ولم يكن لها ادنى غاية في استخراج الكنوز والاستحواذ على الاموال الطائلة بل كان اقصى امانيها بث دينها على قدر مكنتهـا في كافة الانحاء والارجاء ليكون له كثير من المعززين والنصراء

ورغما عن ان الملكة كانت مستعدة لان تهيء له رحاله ولكن تأتت امور اوجبت ارجاء السفر الى وقت آخر فلم ييأس كولومب من ذلك الانتظار الممل لان الدونمة لم تتأهب الا في سنة ١٤٩٨ حيث اقلع من ميناء (سان لوقار) في ٣٠ مايو من السنة البادية الذكر وفي هـذه الدفعة تجول صوب الجنوب فبلغ الارض في اول اغسطس وكان اول من وطأت اقدامهم تلك الارض التي لم يكن يعرف في باديء الامر سوى طريقها

ولما ان وصل الى هسبانيولا وجد الامر مختلطاً والعصبيات قائمة ضد اخيه (بارتالامي) الذي كان اقامه بدلا منه مدة تغيبه في اسبانيا هذه المرة

الاخيرة وظلت هذه الفتن قائمة نحو السنة تقريباً واتجهت وجوه الاحقاد والضغائن من كل جهة الى ذلك الرجل الذي لم يجن عليه الاجده واجتهاده اللذان قاداه الى توسيع نطاق عرفان الهيئة الاجتماعية وكشف النقاب عن حقائق كانت مجهولة لديهم ولولاه لما خرجت من الخفاء وقد اخذ منذ احتلال هذا البلد يبث الدين في ابنائه وساعده على ذلك الرسل والمبعوثون من القسوس الذين ارسلتهم تلك المملكة لنشر الدين وتوسيع دائرته فوطدوا دعائم الاميرال هناك وعاونوه كل المعاونة على تأييد سلطته في تلك المستعمرة الحديثة العهد وقهرا عن ذلك فما زالت الشكاوي تتوارد تباعاً على الملكين حسدا لذلك الشهم البريء وعدواناً عليه فارسل هذان رجلا غمرا لتحقيق هذه الدعوى اما هذا فبمجرد وصوله الى ارض هسبانيولا اظهر مامعه من الاوامر العالية التي تخول لهُ اجراء مايلزم لاحقاق الحق الذي ارسل من اجله فقال على بكولومب فلما ان حضر بين يديه قال ثقلوه بالحديد واودعوه السجن وبعد ايام قلائل كتب تقريرا ضافي الذيل املته عليه الضغائن فارفقه بهِ وامر ان يجعل في سفينة ليذهب بهِ الى اسبانيا مكبلا بالسلاسل والاغلال ولكن هذا العمل السيء انتج ضد ما كان ينتظره ذلك الرسول الجاهل فان القوم حتى اعداء كولومب الالداء استاؤا من هذه الفعلة الشنعاء وقالوا ان كولومب مهما صنع فانه جدير بالمكافأة مقابلة ما اداه الى اسبانيا من الخدم الجليلة التي يجب ان تذكر مقرونة بالشكر وانهُ لو عاش زمن اليونان لاقاموا له تمثالا وعدوه بين آلهتهم

وقد استاء كذلك الملكان فبعثا ببريد مخصوص يحمل الامر بفكه من قيوده واطلاق سراحه وبعثا اليهِ كتاباً يستعطفان بهِ خاطره ويستهدئان روعه ويطلبان منهُ سرعة العودة اليهما وكان ذلك الكتاب مرفوقاً بمايلزم من

نفقة السفر فلما انتشت روحه من هذه التعطفات الملوكية الجليلة قام من ساعته لغرناطة فدخلها في ١٧ دسمبر سنة ١٥٠٠ وكان بها الملكان في تلك الاثناء فلما مثل بين يديها لحظاه بعين الشفقة ووعداه برد شرفه اليه والانتقام لهُ من ذلك الجاهل الذى امتطي معه متن الظلم والظلم مرتعه وخيم

وبعد ان لبث في البلاط الملوكي مسافة تقرب من السنة اعطيت له سفن اخرى ولكن اقل من الاولى غير ان كولومب كان قد انهك التعب قواه وسئمت نفسه ولذلك تظاهر بجمود الهمة وانكسار العزم عن السفر فأراد ان تناط هذه الرحلة الرابعة والاخيرة باخيه (بارثالامي) وقال حيث اني قد اصبت الغرض الذي كنت اقصده وبرهنت على وجود اراض عذراء وقد افتتحت ابوابها فما على غيري الآن الا ان يلج من تلك الابواب وهذا ماهو حاصل الآن من اولئك الادعياء الذين يزعمون ان لهم يدا بيضاء في اكتشاف تلك الاراضي الجديدة في حين انه لم يكن منهم الاقتفاء آثارنا وقد تلقى من الملكين قبل سفره ماذكر له فيه بالسير وفق العهود التي ابرمت معه وان هذه الحقوق كما تم الاتفاق ستبقى محفوظة لذريته من بعده فتلقى الامر بكمال الارتياح وقام مبارحاً قادس في ٩ مارس سنة ١٥٠١ فوصل الى الاراضي التي اكتشفها وظل بها حاكما حتى مات تاركا حسن الذكرى وجميل الاحدوثة

﴿ اكتشاف العرب لامريكا[1] ﴾

ماقلعت الاساطيل الاورباوية عن مرسى جنوه الايطاليانية مشاركة في

---

(١) نقلاً عن جريدة الحاضرة

الاحتفال بخلو القرن الرابع عشر عن اكتشاف امريكا بهمة مخلد الذكر كريستوف كولومب الايطالياني وبعمارة اسبانيولية حصل عليها من ايزابلا ملكة اسبانيا حتى رأينا دولة اسبانيا والايالات المتحدة من امريكا بل حتى جزيرة كورسيكا تصب الاموال صبا استعدادا ثم احتفالا باحياء ذكر ذلك السواح الشهير الذي بلغ بجده وكده الى كشف الغطاء عن ذلك العالم الجديد وتكبد من انواع العذاب وضروب الهوان مادل على ان لفكره شأن ولرأيه حسبان فانه بعد ان سعي لدي حكومة جنوة ثم لدي دولة انكلترا ثم فرنسا في مساعدته على ابراز فكره من القوة الى الفعل رمي بنفسه رميا لم يتزحزح عنه لدي دولة اسبانيا وكانت اذ ذاك تحارب الاندلس بغرناطة وتمكن بفرط تشبثه والحاحه الى بلوغ شأوه فمدته الملكة ايزابلا وزوجها المتوليان امر اسبانيا بعمارة لخوض بحر الظلمات سعيا وراء كشف اقاليم كانت في الجهل منطويات وطالما تصفحنا رحلات هذا السواح وما تكبده من ضروب المعاناة والكفاح فلم يتعرض فيها قط الى ماسبق من اعتناء العرب بخوض خضم البحر المحيط المظلم الى ان قيض الله لذلك همما تشكر تولت امر افادة العالم الجغرافي بما كان للعرب على عهد تملكهم بلاد اسبانيا والبرتغال وكانت اذ ذاك مملكة اسلامية لها من الايادي البيضاء في خوض بحر الظلام واضاءته بنور الاقدام كأمثالهم من الفينيقيين واليونان والرومان فقد خرج العرب من فيافيهم وبواديهم بهمة لاتباري وحمية لاتجاري فانبعثوا في ميادين الكشف والفتوحات وضربوا من الشرق الى الغرب في غالب الجهات فامتد ملكهم ونفذت كلمتهم من نهر الكنج شرقًا الى الوادي الكبير باسبانيا غربًا وشقوا عباب البحر الاقيانوسى المحيط الكشف المعمور منه ورفع جلباب الجهل عنه ومن اشهرهم الاخوة

المعروفون بالمغرورين وهم ثمانية ابناء عم تضافروا على سبرغور المحيط الاوقيانوسي واصلهم من بلاد اشبونة قاعدة مملكة برتوغال الآن ويروي ان لهم فيها دربا يعرف بدرب المغرورين ولكن طالما طمست يد الدهر عين آثارهم ولم يعتن علماء البسيطة بتحقيق احوالهم واخبارهم حتى قارب ذكرهم الحكايات واوشك القوم ان هذه الافادة من قبيل الموضوع من الروايات الى ان افادتنا جريدة الثمرات المشهورة بالوطنية والاعتناء بكل ما هو خصال الملة الاسلامية فهي ثمرات جديرة على هذه الخدمة الوطنية بكل ثناء وحقيقة بالاجتناء

فانها نقلت في احد اعدادها السابقة تحت عنوان (اكتشاف امريكا المسلمين) عن البشرة الاسبوعية نقلاً عن بعض جرائد امريكا مقالة في كشف العرب لامريكا كنا اطلعنا على مضمونها في جريدة المقتطف سنة ١٣٠٦ تضمنت ان الثمانية المغرورين بعد ان خرجوا من اشبونة ساروا احد عشر يوماً غربا واربعة وعشرين جنوباً فقابلوا عدة جزر وهي على ما ذكره الادريسي جزائر كانت غنية بالغنم ولحمه من المذاق حامض الطعم لا يصلح للاكل وغير اهله اخبروهم انهم يستطيعون السفر ايضاً ثلاثين يوماً في المحيط وبعده ينكصون على اعقابهم وتحول الظلمات دون اقدامهم فرجعوا من حيث اتوا يقصون الغريب من الاخبار وظل ذكرهم محفوظاً باشبونة الى زمن ابن الوردي ولعل هذه الجزر هي جزر الانطيل

واورد النابغة الشريف الادريسي فى كتابه المعروف بنزهة المشتاق في اختراق الآفاق شرحا عن كرة ارضية صاغها للملك روجار الثاني من اللجين الخالص وطبع الكتاب بالاصل العربي في حاضرة رومية عام ١٥٩٢ ثم ترجمه الى اللاتينية السوريان الصهيوني والحصروني ثم اعقبه بوكوك الانكليزي بعد

ترجمة فروله الى اللسان الانكليزي مع خرائط مرسومة وحمل بوكوك من القطر المصري نسختين عربيتين ونقل عنه الفصل الخاص بمكة المكرمة وقام الالماني هرتمان وتوسع في شرح هذا الكتاب واثني على الادريسي ثناء جميلا ووصف الادريسى الارض بانها مكتنفة شرقاً وغرباً ببحر الظلمات ودعا البحر المتوسط بحر الشام

وقد وقفنا في جريدة الثمرات الغراء على مكاتبة من قلم البارع الاديب الامير شكيب اجاد فيها وافاد بان اعتني بتصفح كتاب النزهة المشار اليه احسن الله اليه واستخرج من شوارده مارق وراق وازتاحت لعلمه نفس كل مشتاق فأيد ذلك ما كان في الاذهان من ان العرب خاضوا بحار الارض وبراريها مشارق ومغارب قبل البرتغاليين بقرون فكشفوا عنها براقع الخفاء الى ان وصلوا الى جزيرة تنريف وكانت تعرف عندهم بجزيرة الخيزران وجزيرة قلهان قال الراوي ولعلها جزيرة قاليدونيا وجزيرة الغنم فحبذا لوحدد العرب الابعادبين هذه الجزائر ليستطاع الجزم على اماكنها ومسمياتها الراهنة فلايتيه المتأخرون في بحار الحدس والتخمين

فمن نقله من كتاب النزهة قوله عند الكلام على البحر الكبير المحيط وفيه جزيرة الاخوين الساحرين شرهام وشرام الى ان قال ان احمد بن تاشفين كان واليا ليوسف بن تاشفين على جملة من اسطوله عزم على الدخول اليها بما معه من المراكب فادركه الموت قبل الدخول اليها ولم يبلغ امله في ذلك الى ان قال وفي هذا البحر جزيرة الغنم كبيرة والظلمات محيطة بها وفيها من الغنم مالا يحصي عددها وهي صغار اخبر بذلك ايضاً المغرورون — ثم تعرض الى سفر المغرورين وماكان من امر خروجهم من اسبانيا ووصولهم بعد خوض

خضم بحر الظلمات الى جزيرة الغنم وما وقع لهم من الاجتماع بملكها وقصهم عليه تفاصيل سياحتهم واعلامه اياهم على طريق مترجم عربي وجد لديه انهُ طالما سعى في كشف ظلمات ذلك البحر فلم يجده نفعاً وانه كاف بارجاعهم معصبي العينين الى ان وجدوا انفسهم ببلد على ساحل البحر قيل لهم فيهِ انهُ على مسيرة شهرين فهتفوا (وا اسفي) فسمي المحل بذلك وهو ثغر سافي من اسا كل المغرب الاقصى الآن فتحصل مما تقدم ان رواد العرب ضربوا في بعض بحر الظلمات وان لم يبلغوا منه اقصى الغايات ضربهم في البحر الهند والصين واماطوا الخمار عن عدة بلدان كانت مجهولة وان المغرورين بلغوا الى جزائر قريبة من البر الصلد قبل كريستوف كولومب بمقتضى المدة التي قضوها في المسير وهي جزائر الانطيل ومنها رجعوا الى جزر الخالدات ومنها ارسلوا الى اساف فبذلك كان لبحرية العرب وسواحيهم من الفضل في كشف امريكا ما سكتت عنهُ السن معاصري كريستوف وغيرهم من المؤرخين ولكن ذلك الفضل محفوظ في صفحات من التاريخ ما لبثت يد الحقيقة ان ابرزته الى عالم الثبوت فسبحان مسخر العباد لكشف البحار والبلاد

(الآداب) ذكر بعض مؤرخي الافرنج وسواحيهم (الذين اشتهروا بعدم التحيز للجنسية) من باب الحزر والتخمين في رحلاتهم ان العرب هم اول من توجه الى امريكا وقد تحقق اليوم هذا الحدس لديهم بعد البحث في كتب العرب القديمة وحصحص الحق لهم والذي منع من اشتهار خبر ذلك الاكتشاف هو حصوله في زمن كانت الفتن الداخلية فيهِ سائدة ببلاد الاندلس وتيارات الافكار العمومية منساقة الى الهجوم والدفاع وليس الى تعضيد العلوم والاكتشافات كما كان ذلك سابقاً

وليس هذا من الغرابة بمكان اذا قسناه بما حدث ويحدث بخصوص الاقطار السودانية في هذا العصر فانه لا يكاد يمر يوم من الايام الا ونرى الجرائد السياسية والعلميـة والاوروبية مشحونة بالثناء على شجاع فرنسوي اكتشف جهة من الصحراء فسارعت الجمهورية بجعلها داخلة في دائرة نفوذها لتكبر بذلك الرقم الدال على مساحة مستعمراتها او مقدام انكليزي اخترق غابة كبيرة في وسط افريقية فبادرت الحكومة البريطانية بضمها الى ممالكها وربما خطر ببالها انها ستقدم منها في المستقبل ما يلزم لسكان الارض من حطب الحريق او بطل الماني عاش في ظلال حكومة اجنبية ونفياً بنعمتها مدة ثم استعمل قوتها ومالها لخيانتها والسعي في تنقيل ممتلكاتها الى غيرها

ومن يراجع التواريخ العربية و لرحلات الاوروبية ومنها رحلة استانلي الشهير الذي لقبه الاوروبيون بمكتشف افريقية يتحقق لديه ان العرب قد طووا هذه البلاد شرقاً غرباً شمالاً جنوباً وجاسوا في خلالها وشيدوا الدين الاسلامي فيها على قواعد متينة واسس وطيده

وليت الاوروبيين اكتفوا بانكار حقوق العرب الاكتشاف فانهم تطاولوا ايضا الى انكارها في الاختراعات حيث ان المتطرفين في التشيع منهم ينسبون المهم من هذه الاختراعات كالورق والسكر والمطبعة والبارود وغير ذلك مما تشيد على اساسه المتين بناء التمدن الحالي الى الاوروبيين والمعتدلين منهـم الى الصينيين بدون ذكر للعرب في كلا الحالين ولسنا ندري كيف ان القس روجر باكون الانكليزي الذي نسب اليه اختراع البارود توصل الى هذا الاختراع وهو منزو في ركن من صومعته يبتهل ببقاء السلم والامن وفي زمن كانت اوروبا فيه تائهة في بيداء الجهالة غارقة في بحار الضلالة

ولكن طوبي للمؤرخين الذين سلمت ذمتهم من ربقة التحيز والتشيع فانهم يتوصلون شيئاً فشيئاً الى البرهان على ان مخترعي هذه الاختراعات الاساسية هم العرب دون غيرهم كما اكدوا من انهم هم الذين اكتشفوا القارة الامريكية قبل كرستوف كولمب الذي اقيمت له الاعياد في جنوفا منذ شهرين تقريباً

﴿ اسباب ارتقاء التمدن العربي وانحطاطه [1] ﴾

(وما آل اليه الدين الاسلامي في هذا العصر)

ما من شيء في العالم الا وله قوام يحفظ بهِ وجوده الى اجل مسمى في علم الباري عز وجلّ بحيث متى زال هذا القوام لطارئ من الطوارئ الطبيعية اوغير الطبيعية انقضت حصة ذلك الشيء من الوجود وفات نصيبه من البقاء فقوام الانسان الروح وقوام البناء الاساس وقوام التمدن اي استمراره وارتقاؤه عند امة تمسك افراد هذه الامة بالدين وارتكانهم على قواعده الصحيحة واركانه المنيفة مع العمل بما جاء فيها بذمة صادقة ونية خالصة من شوائب البدع وادران المعتقدات الباطلة والوساوس العاطلة ولا يوجد تمدن في امة من الامم السالفة او المعاصرة اكثر ارتباطاً بدينها من التمدن العربي الاسلامي فان العلاقة بين هذا التمدن والدين المحمدي المنيف كانت في غاية الوثوق حتى اننا لما فرطنا في جانب الدين واهملنا القيام باتباع اوامره واجتناب نواهيه آلت حالتنا الى ماتعض الانامل بسببه اسفاً من الانحطاط والذل والهوان وصرنا الى مانحن الآن فيه من ضغط الاجنبي علينا واغتياله حقوقنا بلا وجه حق سوى ما بعثه اليه شأنه في القوة ومقامه في الرفعة والتقدم ولو كنا ممن تبصر فاعتبر او رأى فتذكر لكان الدين لنا حصناً حصيناً ومعصماً لاتسمو اليه

(١) بقلم صاحب هذه المجموعة

المطامع او ترنو له عين المطامع ولما وقعنا في تلك الحال السيئة ومهدنا للغريب اقرب الطرق لمعاملتنا معاملة الذئب للخروف حينما اتفق انهما كانا يشربان عند نهر وكان الذئب فوق مجراه فقال له يكفيك عكرتِ عليّ الماء فاجابه الخروف كيف تدعي ذلك والماء جار من عندك فلم يقتنع الذئب بهذه الحقيقة المشاهدة فقال له وكم تشتمني اما يكفيك ان فعلت ذلك في العام الماضي فقال لهُ الحيوان المسكين اني بريءٌ من هذه التهمة اذ قد ولدت في هذه السنة فاشتد غيظ الذئب وقال لهُ ان لم تك انت الشاتم كان اخاك او اباك او واحدا من اهلك ثم كرّ عليه واغتاله ظلما وعدوانا . صارت حالنا كذلك مع ذلك الغريب الطامع والاجنبي المعتدي الذي يعد الحسنة منا سيئة والسيئة من ابناء جنسه حسنات متعددة ويترقب فرصة ظهور عاطفة فينا فيبادر الى وأدها واماتتها وهو مع كل هذا الاجحاف يباهي غيره بانه المنقذ انا من ورطة الهمجية والقائد لعقولنا في طريق التقدم والفلاح وكيف يكون نجاح او تقدم حيث العواطف مدفونة والاحساسات ميتة والقلوب لاحراك لها بفعل ذلك المدعي المفاخر . ولو كنا تحصنا بالدين كما قلنا لما بثثنا الشكوى وتنفسنا الصعداء وكنا بالاقل مثل سكان تلك المملكة العذراء وهي البلاد المراكشية التي مادام اهلوها على ماهم عليه من التمسك بالدين فلا سبيل الى ماتنزع بعض الدول الاوروبية اليه من استعبادهم وافتضاض بلادهم او مثل اولئك السودان سكان برنو ووادای وغيرهما من الممالك الاسلامية الافريقية التي تسعى الدول في محالفتها وتوثيق روابط المودة معها الى آخر الامثال والتشبيهات

ومما يتعجب له ويندهش منه اننا لما شعرنا بانخفاضنا هبت منا الرغبة الى استرجاع شيءٌ من تمدننا الباذخ القديم فتشبهنا بصبيان المكاتب في توخي ابعد

الطرق الى الوصول لمكان الدراسة حيث اننا سلكنا طريق التقليد الوخيم بالافرنج الذين لا يزالون الى اليوم يدرسون في كتب اجدادنا مترجمة الى لغاتهم فكانت النتيجة على نقيض ماانصرفت اليه آمالنا وكان من الاجدر بنا ان نقتفي آثارهم ونسلك مسلكهم كمافعل الاوروبيون واولئك اقرب الينا منهم لتوفر روابط القومية فيما بيننا وبينهم وهي الدين واللسان والمكان على انه ليس بالمتعذر علينا تحقيق هذه الامنية اذا عقدنا الخناصر وجمعنا شتات القلوب وصرفنا عنايتنا الصادقة ووجهنا عزيمتنا الماضية الى ذلك ولرب معترض يقول هذي السطوح ولكن اين مرقاها فالجواب عليه ان المراقى عديدة منها ناموس التبادل الدوري الذي قضي بان يكون لكل امة سهم من الارتقاء ونصيب من التمدن حتى اذا جاء ميعاد انقضاء الارتقاء عندها سقطت في وهدة الهمجية التي لا ينتشلها منها سوى ذلك الناموس الذي تضمنته الآية الشريفة « وتلك الايام نداولها بين الناس » والاوروبيون اليوم قدبلغوا اقصي مراتب التمدن وهو دليل على قرب سقوطهم من هذه المرتبة السنية سقطة تكون شدتها متناسبة مع ارتفاع المرتبة وسموها ولقد صدق من قال واجاد

ما طار طير وارتفع الا كما طار وقع

والحجر الثقيل رفعه عسير وحطه يسير

ومن تلك المراقي انتشار الدين الاسلامي واللغة العربية في البلاد السحيقة التي لم يكن ليخطر في البال ان بها من يعتقد بكلمة التوحيد كبلاد السودان والزنج وموزنبيق والكاب وغيرها من افريقية والصين من آسيا وهي نفس البلاد التي فشلت فيها مساعي المبعوثين على تفرق مذاهبهم وتشعب غاياتهم وكانت نتيجة اعمالهم فيها ان اخذوا بخناق بعضهم ووقعوا في مشاكل تبرهن بالصراحة على

دنيوية تلك الاعمال ودناءتها ثم لا تنسي قيام النصراء للدين الاسلامي في اهم مراكز العالم المسيحي المتمدن كليفربول من انكلترا و بطرسبورغ من بلاد المسكوف وهانوفر من جرمانيا ونيويورك من الممالك المتحدة الامريكية وفي غيرها من ممالك الارض حتي قد بلغ عدد المسلمين في البلاد الروسية وحدها اكثر من ١٢ مليوناً وفي بلاد الصين اكثر من ٢٠ مليوناً اغلبهم من ذوي الخطط الرفيعة في الحكومة وبيدهم ازمة الامور والشوئن ولاتسل عن اللغة العربية فانها اذا كانت في داهومي وهي التى حاربتها فرنسا في اواخر السنة الماضية اللغة الرسمية لها مع ان لها لغة بل لغات خاصة بها فماذا يكون شأنها في تلك البلاد

وهذه المرقاة والسابقة لها تكفيان لتعزية القلوب وتودعان فيها النشاط لتسنم ذروة المجد السالف والتمدن السابق باتحاد الكلمة واجتماع الافئدة وكف اللسان عن التمشدق بذكري هذا التمدن والمجد حسرة وندامة عليهما وعدم الاقتداء بالمعددات فانهن انما تندبن فقيدا لا امل في عودته الى الحياة اما فقيدنا فهو موؤد تسهل عودته الى الحياة بكشف تراب التقليد الاعمى عن ضريحه الظاهري والافهوحى يرزق في الخفاء

هذا ولما كان السلوك في ذلك الطريق لايتأتي الا بعد الوقوف على اسباب ارتقاء التمدن العربي السابق لنتخذها رائدا لنا فيه واسباب انحطاطه لنتعظ بها فنجتنبها فقد رأينا من المفروض علينا ايراد هذه الاسباب بالتسلسل مشفوعة بكلام على حالة الدين الاسلامى في العصر الحاضر لكي تقوي به القلوب التي استولى عليها الوهن والجبن وتنشط عزائم الاقوياء فنقول

قال احد مشاهير كتاب الافرنج ان عوامل ارتقاء الشعب عديدة منها عواطف افراد هذا الشعب وميلهم الى اصابة غرض مخصوص والاشتراك في

عمل المعدات لذلك وبما ان مجموع هذه العواطف هو عنوان الامة وصبغتها التي تمتاز بها عن غيرها فمن الواجب المحافظة عليها لانها تعتبر كميراث لكل من اجداد افراد تلك الامة نصيب فيه ولابد ان يرثه من ياتي بعدهم من ابنائهم وهي وان اختلفت باختلاف الامم وتباين الشعوب ولكنها لاتختلف اختلافاً كثيرا في امة واحدة ويقال ان للتربية والزمان والمكان دخلا في هذا الاختلاف ولكن بقاء هذا الاخير لايمتد الى اجل طويل

وفي الواقع فان الخصال الادبية والعقلية للشعب تبقى ثابتة وراسخة فيه ثبوت ورسوخ الصفات الطبيعية والجسمية فى الانواع وقد برهن العلماء على ان هذه الصفات الاخيرة تنتهي بالتغير والتقلب مهما طال الزمن ولكن ببطء زائد دعا العلماء المتقدمين الى وصفها بالثبوت والبقاء وعليه فاذا اردنا كشف النقاب عن الوظيفة التي قامت بها اية امة في التاريخ فما علينا الا ان نبتدي بدراسة خصالها الادبية فنجد ان المحامد والنقائص التى كانت سبباً لارتقائها في زمن هي التي القتها من مرتبتها السامية في زمن آخر ويظهر للتأمل بادئ بدء ان هناك فرقاً واضحاً مثلا بين يوناني الازمنة القديمة ويوناني الازمنة الحديثة ولكن هذا الفرق لم ينشأ من اختلاف الخصال والطباع الاصلية وانما من اختلاف الظروف التي وجد فيها كل منهما فقط ففى الازمنة القديمة كان اليوناني مشهورا بالشجاعة والحكمة والكلام بمقتضي الواقع واما الآن فصفاته الختل والخديعة وعدم الاستقامة وكثرة اللغط ومع كل ذلك فالاصل فيهما واحد لايتعدد ومن هذا القبيل مايرى من الاختلاف بين نصراني القرون الوسطى الذي كان متصفاً بحسن اعتقاده بدينه وتمسكه به ويعقوبي الزمن الحالي الذي امتاز بجنوحه الى الثورة والمكابرة وسوء الاعتقاد فانك اذا

تأملت في حقيقة الاثنين لاتجد فرقاً بينهما من حيث الاصل

ينتج من هذه المقدمات انه لمعرفة الفرق بين امة واخرى يجب التعويل على دراسة الصفات الاصلية لا الفرعية لها وقد اتينا في الاعداد السابقة على وصف ماللعرب من الاقتدار في الصنائع والعلوم التي لولاها لما ارتقوا الى درجة التمدن التي اصبحت موضوع تعجب المتأخرين ولايبقى علينا سوى ايراد مايخص بعاداتهم الحربية لارتباطه بماقلناه الآن من ان الصفات الاصلية للامة تفضي الى نتائج تختلف باختلاف الظروف

وقد كان ميل العرب للقتال ومنازلة الابطال فطريا حتى لقد كانت بلادهم اشبه بميدان فسيح يتقاتلون فيه فلما جمع الدين شملهم ولم شعثهم واظلهم براية واحدة وصرفوا جميع قواهم لمضاربة الغريب ومكافحة الاجنبي كان اعتيادهم على الحروب في زمن الجاهلية سبباً لنجاحهم وفوزهم على العدو بعده وحينما استتب لهم الامر ولم يبق امامهم متعنت يلزمهم اخضاعه واذلاله اضطرتهم عاداتهم الحربية الفطرية الى التكافح والتقاتل فوقعوا في حيص بيص وسقط تمدنهم من الدرجة الشاهقة التي بلغوها بشق الانفس وكانت تلك العادات بذلك سبباً لسقوطهم كما كانت ايضاً سبباً لارتقائهم على اننا اذا تأملنا التأمل الدقيق في الصفات الاصلية للامة نجد انها لاتكفي وحدها لاحداث نتائج تختلف باختلاف الظروف اذلا يخفى انه مهما كانت اهمية هذا العنصر فلا يمكن ان يسند اليه وحده مايطرأ على الأمة من التقلبات لوجود عوامل اخرى تشاركه فيها

ونذكر في مقدمة هذه العوامل الدين الاسلامي الذي جمل قبائل العرب المتعددة امة واحدة ورسم لهم خطة يتمشون عليها ووجهة يقصدونها

فانبثت بذلك روح الغيرة فيهم وتهيأوا لتضحية ارواحهم في سبيل الذود عن بيضة تلك الوجهة والذبّ عن حماهـا وفي الواقع فان انتماء الامة الى غاية واحدة وتوجهها نحو غرض مخصوص من اقوى العوامل التي تستند اليها تقلبات الجمعيات البشرية ومتى كانت تلك الوجهة او هذه الغاية على مكان مكين من من القوة والمتـانة دبت في قلوب الافراد روح الاحساسات والعواطف العمومية الشريفة وخالطت الافئدة الآمال النافعة والاماني المفيدة وصاروا يحتقرون المصاعب ويزدرون بالحياة لرفع شأنها واعلاء مقامها انظر الى الرومانيين في سالف الاعصار ترى ان وجهتهم كانت مقصورة على الدفاع عن مدينة روميه وتعزيزها بالحصون المنيعة والمعاقل المتينة وهكذا لكل قوم ولكل فرد وجهة خاصة به يبذل الروح في سبيل تعزيزها ومنع تطرق اعتداء الغير عليها وما كتب التواريخ الا سفنا مشحونة باخبار الحوادث وانباء الوقائع التي قامت بها الامم لبلوغ وجهة واصابة غرض لولاه لبقي الانسان تائهاً الى الآن في وديان الهمجية الممقوتة ولما وجد التمدن وقامت له قائمة او ارتفع له عماد . يؤخذ من هذا ان عنوان انحطاط الامة هو يوم لا يكون لها وجهة تعنو لها الجباه احتراماً وتعظيما وتحتقر النفوس في سبيل الذود عن حماها

واعلم ان وجهة الامة العربية بعد انقضاء دور الجاهلية كان دينياً محضا وهي الوجهة الوحيدة التي علا شأنها وسما مقدارها باعتزائها الى الدين بخلاف كل وجهة اخرى فانها لم تكن قائمة الا على اساس دنيوي خاضع لناموس الزوال في كل آن وتلك الوجهة مضافة الى الاسباب المتقدمة تكفي فيما نظن لشرح ما كان عليه التمدن العربي من السمو والارتقاء

هذا ولما توفرت في العرب محبة تلك الوجهة لم يكن منهم الا ان نهضوا

لتعزيزها وتفخيم شأنها باستقادة الملوك العظام واذعان الامراء الفخام والاستيلاء على ممالكهم الواسعة الاكناف البعيدة الاطراف وقد اتينا على خبر هذه الفتوحات في عدد مضي من هذه المجلة وشرحنا كيفية خروج العرب من بلادهم وانهم لما عجزوا عن اذلال الرومانيين واليونانيين في اوائل الامر لم يروا فرصة الا انتهزوها لاستكمال معارفهم الحربية بما لم يكن في علمهم من اساليب القتال حتى صار نجاحهم في المشروعات الحربية من الامور الموكدة التي لا يانيها الريب ولا يعروها الشك ولا عجب فان كل فرد منهم كان يعتقد ان من المفترض عليه بيع حياته رخيصة في موطن القتال لتاييد الوجهة التي يقاتل في كنفها وتحت ظلالها

ولقد كان في حوز العرب على هذا الفوز في وقت يسير مايدعوهم الى الكبرياء والتغشمر ويقودهم نحو ما اعتاد عليه الفاتحون من الافراط فى سوء معاملة المغلوبين والزامهم اعتناق دينهم ولكن لم يبد منهم مايشم منه رائحة تلك الاعمال الفظيعة المخالفة لمبدأ الانسانية الحقة لعلمهم بما في اقدامهم عليها من دواعي اثارة الاحقاد وتنبيه الضغائن الكامنة وحض الامم التي لم تدخل في طاعتهم على التساعد في صدهم ودفعهم وقد بالغ العرب في مراعاة هذا المبدأ والسير على منهجه القويم حتى انصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم الآمال ولما وقفت الفتوحات العربية عند حدها المعلوم وقامت الخلافة الاسلامية على اساسها المتين كانت سياسة الخلفاء منحصرة في امر واحد وهو ان الزام الغير بالتدين بالدين الاسلامي واتباع النظامات المشتقة منه لايكون بالقوة والقسر وانما باللين والحسني والتاريخ اصدق شاهد على ان العرب لما افتتحوا مصر والشام واسبانيا عاملوا اهلها بالرفق والاحسان

واحترموا شعائرهم ومعتقداتهم ونظاماتهم احتراماً يشهد لهم بحسن نيتهم وسلامة طويتهم ولم يفرضوا عليهم سوى جزية احقر مما كانوا يدفعونها قبل استكانتهم لهم واستظلالهم بحمايتهم

ولا يرتاب احد في ان ما اظهره العرب من الاعتدال والرفق نحو الامم التي دانت لهم كان من بواعث انفساح مدى فتوحاتهم وانتشار دينهم ولغتهم ونظاماتهم وقبول تلك الامم لهـا بكمال الارتياح وتمام السرور والانشراح والغريب ان هذه الامم على الرغم من سقوط الدولة العربية منذ قرون عديدة لاتزال محافظة على تلك النظامات الطارئة وعلى الدين واللغة كمن يحافظ على دينه الاصلي ولغته الاصلية ونظاماته الموروثة وهذه الخاصية زائدة الوضوح في اهالي القطر المصري الذي استولى عليهِ الاعجام واليونانيون والرومانيون بالتتابع ولم يتركوا فيـهِ من الآثار مايدل على سلامة تمدنهـم الذي سارت بذكره الركبان

وهناك اسباب اخرى سوي الاعتدال والرفق تعد من مقدمات نجاح الدين الاسلامي وسهولة انتشاره وعذوبة النظامات التي تتفرع عنه في اذواق الامم التي تغلب عليها العرب ليس هنا محل البحث فيها والكلام عليها . اما هذه النظامات فكانت غاية في البساطة وتنطبق على احوال تلك الامم وحاجاتهم وكان اذا لاحظ العرب اختلافاً بينها وبين هذه الحاجات بادروا الى تحويرها وتعديلها بما يجعلها منطبقة عليها تمام الانطباق ولهذا السبب كانت نظامات مصر غير نظامات الهند وهذه غير نظامات العجم وهكذا

ولنشرح للقراء ماهية التمدن الذي اقام العرب عماده بعد ان مدوا اجنحة سيادتهم وسطوتهم على اغلب ممالك المعمورة وتملكوا افئدة اهلها بما عاملوهم

ابهِ من الوسائل التي شرحناها الآن فنقول بني التمدن العربي على اثنين الوسط الجديد الذي وجد فيه العرب واستعدادهم العقلي اما الوسط فانهم لما غادروا بلادهم وشاهدوا معالم التمدن اليوناني في الجهات التي اختطوها قدروها قدرها و بذلوا قصاري الجهد في الاتيان من نوعها بما يفوقها و يسمو عليها وقد تحققت امانيهم ونجحت مساعيهم وليس هذا بغريب في امة رميت بالتوحش والجهل قبل ظهور الدين الاسلامي ونحن اذا فتشنا عن تاريخها زمن الجاهلية نعثر على ما يثبت وجود العلائق التجارية بينها و بين باقى العالم وهذه اشعارهم الغراء التي نزين بحكم كي معانيها البليغة سماء عقولنا ونتمثل بها في محادثاتنا شاهد عدل على ارتقاء مداركهم وسمو افكارهم ودليل واضح على ان من كانت هذه حاله انقادت لسلطان عقله عظائم الامور ودانت لافكاره صعابها وعليه فقد كانت همـة العرب في مدارسة العلوم و رفع بناء التمدن كهمتهم في فتوح العالم واخضاع العباد

ومما يستحق الذكر هنا ان العرب في عهد قيامهم بتلك الاعمال الجليلة قد راعوا عدم الاهتداء لتقاليدهم السابقة القديمة بل بما اوحته اليهم حالتهم التي صاروا اليها فكانت هذه الخطة الجديدة من اقوى بواعث نجاحهم وتقدمهم اذ لا يخفى ان تأثير الماضي اذا كان نافعاً في وسط لاهله حالة مخصوصة وصفة يمتازون بها عن غيرهم فانه لايكون كذلك في وسط آخر مع تغير الحال وتقلب الصفات وربما كان من العوائق في طريق التقدم

ولم يلبث العرب في دورهم الجديد مدة حتى ظهرت نفحات عقولهم وتجلت اسرار مداركهـم فى مظهر خلب العقول وحير الافكار وادهش الالباب اذ انهم بعد ان نبغوا في الهندسة والطب والفلك و باقي العلوم نبوغاً تاماً واضافوا

عليها مقترحاتهم ومبتكراتهم اخذوا في تعميم معارفهم و بثها في العقول فثابت الهمم من غفلتها وهبت الفطن من ميتتها وتعاضدت على رفع بنيان التمدن العربي الفخيم الذي اصبح اثرا بعد عين وصارت دموعنا تتماطر وعبراتنا تتقاطر لهفاً عليه وحزناً لما آل اليه

تلك هي الاسباب التي اوجبت صعود التمدن العربي الدرجة السامية التي وصل اليها بجد المجتهدين وكد المشتغلين قروناً متوالية واما اسباب السقوط فقد اسلفنا ان القوة الارادية والقوة العقلية اللتين كانتا مرقاة لنجاح العرب في زمن صارت الى عكس ذلك في غيره واستنتجنا من ذلك ان انفطار العرب على محبة القتال ومنازلة الابطال بعد ان كان نافعاً لهم في اول فتوحاتهم صار شؤماً عليهم حينما لم يروا امامهم بلدا يستولون عليه او عدوا يستذلونه اي ان ما جبل عليه العرب من الشغف بالمحاربة والوله بالمعاركة والمناوشة قد تغلب على طباعهم فيما بعد فقام بينهم الشقاق على قدم وساق حتى افضى الحال الى توزع الدولة العربية وانقسامها وانفصال مملكتى اسبانيا وصقلية عنها

وقد كانت نفس النظامات السياسية والاجتماعية العربية التي سببت تقدم العرب تقدماً سريعاً محسوساً من بواعث سقوطهم وانحطاطهم اذ من المعلوم انهم لم ينجحوا في فتح العالم الا حينما انصاعوا لاوامر الدين واتبعوا احكامه واستظلوا بكنفه ولاذوا الى حماه لما في ذلك من جمع شتات القوى المبعثرة والعزائم المنثورة فلما تقلبت احوالهم واهملوا المشي على قواعد الدين وصارت النظامات الدينية لا تنطبق على حاجاتهم الجديدة التي كانت نتيجة ذلك التقلب انقطع نظامهم وتصدعت الفتهم وتفرقوا ايدي سبا

واول ما نتج من اتباع تلك النظامات تبدد اعضاء المملكة العربية وتمزق

اجزائها لانها كانت تمنح العمال النائبين عن الخلفاء في المدائن والاقاليم نفس السلطة الدينية والمدنية والحربية التي هي من خصائص الخلفاء فانتهي الامر باولئك العمال ان طمحوا الى الاستقلال واستاثروا بالملك وشقوا عصا الطاعة على متبوعيهم وتفشي هذا الداء بعوامل التقليد ومحبة الاستقلال حتي اصبحت الدولة العربية بعد ان كانت منيعة الجانب متكاملة الاعضاء بمكان من الوهن والضعف لانقسامها وتبددها

وقد نشأ عن هذا الانقسام نتائج مضرة واخرى نافعة فاما المضرة فهي اضمحلال القوة الحربية عند العرب واما النافعة فهي اتساع نطاق التمدن وانفساح دائرة العلوم والمعارف ومن الشواهد على ذلك انه لولا طموح مصر واسبانيا الى الاستقلال لما وجد فيهما شيء من الآثار الدالة على سمو مكانتهما من التمدن والتقدم في العلوم وقد كانت جملة من الممالك المنشقة من الدولة العربية الاصلية في مرتبة عالية من الشوكة والثروة ولكن نزل بها ما نزل بالممالك القديمة التي كانت قوتها الحربية غير راسية على المعدات الحربية وانما على كثرة عدد المقاتلين ثم ضف على هذا ان التمدن من شأنه ان يحلي الاخلاق و يطهر العادات ويفسح في نطاق العقول و يخمد نيران الاميال الحربية فاذ توفر عند قوم وكملت في افراده اسبابه كان ذلك عنوانا على انحلال عرى دولتهم وتقلص ظل عزهم وشوكتهم اذ من المعلوم ان الامة التي تكون افرادها في بحبوحة الخير ويسار المعيشة يحسدها على هذه النعمة من لم يكن متمتعاً بمثلها من غيرهم فيحمله الحسد الى سلبها منهم وايقاف تيارها عنهم باثارة القتال والمضاربة

وحقيقة هذا التمثيل قد وقعت بالعرب حينما فازوا باوفي سهم واوفر قسط من التمدن والتقدم ولو ان الترك والمنغوليين الذين سلبوا منهم هذه الخصة

الوافية وانزلوهم من مرتبتهم العلية حاربوهم قبل حوزهم على هذه المرتبة وفوزهم بتلك الحصة اي في غضون فتوحاتهم وقبل استسلامهم الى ملذاتهم حينما كانوا لا يعبأون بالمتاعب والمصاعب لما قدروا على كفاحهم لحظة واحدة

ومن اهم اسباب انحلال التمدن العربي اختلاف الاقوام التابعين للعرب وتباين اجناسهم ومعتقداتهم اذ قد نشأ عن هذا الاختلاف اختلاط الانساب واستعار نيران الشقاق بين الاقوام المتباينة وكلا العاملين مضر بجانب السلطة العمومية وعلم التاريخ اعدل شاهد بانه لا يتسنى لدولة جمع اقوام مختلفة في دائرة واحدة الا بمراعاة امرين اولهما توطيد قوة الدولة الحاكمة او الفاتحة حتى يعتقد كل فرد من افراد تلك الاقوام ان المعارضة والمقاومة لا جدوي فيهما ثانياً ان لا يخلط الغالب نسبه مع مغلوبه المقر له بالطاعة والخضوع . ولم يراع العرب هذا الشرط الاخير كما لم يراعه الرومانيون من قبلهم فكان سقوط الدولتين من هذا الوجه متشابهاً . والمطلع على تاريخ الرومانيين يعلم حق العلم انه لما تساهل الرومانيون مع عبيدهم الذين هم من الشيع المتبربرة ومنحوهم حقوق الوطنية صارت رومية معمورة باقوام قلت فيها شوكة العنصر الروماني حتى انتهى الامر ان زالت منهم العواطف والاحساسات التي كانت لتلك المدينة حصناً يرد كيد اعدائها فى نحرهم وهذا بخلاف ما كان عليه في اول الامر فان الروماني كان في هذا العهد يبيع حياته رخيصة في سوق الذود عنها لان عظمتها كانت الوجهة التي يقصدها والغاية التي يسعى لنيلها

اما تمهيد اسباب معيشة اقوام مختلفة فى سبيل قانون واحـد وهم على اختلاف بين في المصالح والاحساسات فمن المشروعات العظمى التى لا يسهل القيام باعبائها الا بالتماس اقصى درجات الشدة في الضغط وسوء المعاملة كما

يفعل الانكليز مع الارلنديين والهنديين وذلك مما لم يتجرأ العرب على فعله تلقاء الامم الخاضعة لما وجدوا انفسهم فيه من الاضطرار لاتباع اوامر الدين التي تقضي بالرفق والحسنى في المعاملة وان يكون الغالبون والمغلوبون امة واحدة امامها وقد تمكن الاتحاد في اجزاء الدولة العربية طول المدة التي استمرت فيها رفيعة الشوكة مبجلة محترمة من الجميع ولكن لما هبت الخصومات الكامنة في نفوس الافراد المتباينة بسبب مالاح لها من تطرق الوهن للدولة لم تكن الا مدة قصيرة حتى امتلأت البلاد الاسلاميـة بالاحزاب والشيع ذات الاغراض المتباينة والمشارب المتناقضة فلبثوا على مقاتلة بعضهم البعض زمنا طويلا حتى تم ضعف الدولة العربية وكمل وهنها وكانوا لا يزالون في اخذ ورد وكر وصد حينما استولى اعداؤهم على آخر معهد للدولة العربية فى الاندلس وهي مدينة غرناطة الشهيرة

ومما نتج عن تعدد اصناف الامم في دائرة المملكة العربية ان العرب اضطروا الى خلط انسابهم بهذه الامم ولوانهم فعلوا ذلك مع امة تماثلهم حسباً ونسباً لهان الامر وكانت سقطتهم اخف وطأة ولكنهم خالطوا اقواماً من البربر والاسيويين الذين لا مأثرة لهم في العالم فكانت عاقبة السقوط تبدد اعضاء دولتهم وانتثار عقد نظامهم وعلى أي فليس وراء اختلاط النسب سوى انقراض الامة المخالطة واخفاء الصفات التي كانت تميزها اولا عن غيرها وعلى فرض ان جميع الاسباب التى اسندنا اليها سقوط الدولة العربية لم يتوفر منها سوى سبب اختلاط النسب فان هذا وحده يكفي لاحداث ما نشأ عن بقية الاسباب باكملها ولهذا فان الشريعة الغراء اشترطت فى الزواج الكفاءة بين الزوجين حسباً ونسباً وشرفاً وغير ذلك بحيث اذا لم تتوفر الكفاءة بينهما حكم

القاضي بالفسخ وما الحكمة في هذا الا حفظ الانساب ومن البراهين على ذلك ان مملكة مراكش التى كانت سابقاً تنافس الاندلس في التمدن والتقدم العلمي وان بقيت في موئل من استيلاء الاجانب عليها ولكنها الآن على نقيض ما كانت عليه في ايام عزها وما ذلك الا لان امتزاج نسبها بالعنصر السوداني قد حط كثيرا من شأنها ورفعتها

يؤخذ مما تقدم جميعه انه كان للعرب صفات اهلتهم لفوقان الرومانيين في المعارف العلمية والصناعية وخصتهم برتبة سامية في التاريخ ليس من موضوعنا هذا تعيينها والبحث في ماهيتها وغاية ماتقوله في صددها هو ان المتوسطين من العرب كانوا اسمي من ابناء هذه الطبقة في هذا العصر او بالاقل انداداً لهم وما قلناه الآن عن ارباب الطبقات الوسطى ايام التمدن العربي ينطبق على الشرقيين الآن فانهم سواء كانوا عرباً او صينيين اوهنديين ليسوا باخفض درجة من اوروبي الطبقة الوسطى الآن اذ منهم مزارعون وصناع يفوقون في اتقان حرفتهم افراد هذه الطبقة واقرب دليل نعتضد به ما بلغنا من منافسة الصينيين للانكليز في امريكا واستراليا منافسة بعثت حكومات هذه البلاد على اصدار الاوامر بطردهم منها . اذا ثبت ذلك نقول وفضلا عن ان الشرقي قد فاق الغربي اوساواه في المهارة والحذق فانه قد امتاز عليه بكثير من الفضائل التي منها القناعة وسلاسة الخلق وقلة الاحتياج والذي ينقصه ليتساوى بالاوربي في التمدن والتقدم هو وجود طبقة من فحول الرجال يسوسون شؤنه ويدبرون احواله وعليه فاذا تحققت احلام الاشتراكيين وهي ايجاد المساواة بين افراد النوع البشري فان صولجان الملك ينتقل من الاوروبيين الذين منهم اولئك الاشتراكيون الى ايدي الشرقيين

واذ قد وصلنا الى هذا الحد من الافاضة في شرح اسباب ارتقاء العرب الى درج التمدن وانحطاطهم فيما بعد الى درك التاخر والتقهقر نختم هذا الفصل بايراد ماقاله مشاهير العلماء الاوروبيين في انتشار الدين الاسلامي بآفاق الارض انتشارا يدل بالصراحة التامة على انه سيكون دين المستقبل فنقول

قال المسيو جوستاف لوبون صاحب كتاب تمدن العرب في صحيفة ٦٧٤ مامؤداه : لقد طال عدوان الدهر على العرب فانه بعد ان دفن تمدنهم العظيم منذ قرون سلفت لم يرض برد نعمة الحياة اليه بل اكتفى باحياء ذكره في التواريخ وتمثيل عظمته وفخامته في صفحاتها على انه يمكن القول بان ذلك التمدن لم يمت في الحقيقة لان اللغة والدين اللذين هما عماد كل تمدن في العالم لا يزالان منتشرين اكثر من انتشارهما ايام بلغ العرب اقصى العز والمجد فان اللغة العربية هي اللغة العمومية لجزء عظيم من الارض مبدأه مراكش وآخره الاقطار الهندية الفسيحة الارجاء وكذلك الدين فانه اخذ بالانتشار بما لم يعهد له مثيل في الاعصار السالفة

ويقول علماء تخطيط البلدان ان عدد المسلمين في الكرة يبلغ ١١٠ ملايين من الانفس وهذا الرقم اقل من الحقيقة بكثير لان قائله ربما عينه في وقت كان وجود الدين الاسلامي فيه ببلاد الصين وافريقية الوسطى مشكوكا والخاضعون لاحكام القرآن الشريف فيما عدا بلاد العرب الاصلية هم المصريون والسوريون والاتراك باوروبا واسيا الصغري والاعجام وجزء ليس باليسير من سكان الروسيا وافريقية والصين والهند ومن اغرب ماسمعته الآذان انه انبث بجزيرة مدغشقر وافريقية الجنوبية وصار شائعاً بجزائر الماليزيا وجاوا وسومترة وغينا الجديدة وانتقل الى امريكا بواسطة عبيد افريقية

واما ذيوع القرآن الشريف في جهات العالم وتداول الايدي له وتهافت القراء على تلاوته فاغرب واعجب من كل ذلك اذ مامن مسلم مرّ ببلد وثني او غيره الا وترك فيه اثرامن دينه يكفي لاقناع اهل هذا البلد بوجوب التدين به والتمسك باطرافه وتوجد بلاد كثيرة لم يمر العرب منها بصفة فاتحين وانما بصفة تجار مثل بعض جهات الصين وافريقية الوسطى والروسيا قد قام فيها الدين الاسلامى على دعائم متينة حتى صار نصراء هذا الدين فيها يعدون بالملايين الكثيرة وهم لم يتدينوا به بالقسر والاكراه وانما بمجرد الرغبة ومحض الحرية المطلقة ولم يتصل الى علمنا من الانباء مايدل على ان دولة من الدول العربية قديما وحديثا جردت جيشا وانفذته الى اولئك الاقوام ليلزموهم التدين بالدين الاسلامي وانما كان كلما وجد نصير لهذا الدين في نقطة انتشر فيها وعم ارجاءها بلا معارضة من اهلها وقد اخذ في البلاد الروسية مغرسا عميقاً لايمكن ان يستاصل منه الآن ويوجد ببلاد الهند اكثر من ٥٠ مليونا من المسلمين لم يتحول واحدمنهم عن دينه بالرغم من مساعي المبعوثين البروتستانت المؤيدة بمساعدة الحكومة الانكليزية في الهند ولا يزال عددهم في بلاد افريقية الى الآن مجهولا وغايه مانقوله انه مامن سائح تجول في بلاد لم يسبقه اليها احد قبله الا وقد وجد الدين الاسلامي ضارباً فيها اطنابه وناشرا فوقها اجنحته وقد حصل من انتشاره نفع عظيم وفضل عميم

وقال المسيو دوفال « شكرا للدين الاسلامي وثناء عليه اذ بواسطته اخذت عبادة الاوثان في القلة والنقصان وحفظت حقوق المرأة وانحصر تعدد الزوجات في دائرة ضيقة واشتدت عرى العائلة واستحصفت اسبابها وانتقل العبد الاسود من ذل الهمجية الى نعيم الحضارة فانفتحت امامه ابواب الحرية التي كانت

مرتجة مؤصدة في وجهه وباتباع ذلك الدين والعمل بقواعده التي منها الصلاة والزكاة واكرام الوفادة ظهرت الاخلاق وارتقت العادات العمومية وعمت القلوب أنوار العدالة والتقوى وعد الامراء والملوك انفسهم في مصاف الرعية من حيث الواجبات المفروضة على الجميع لترقيـة الجمعية فرست هذه على قواعد متينة وتشيدت اركانها وثبتت وطائدها. هذا هو بعض النعم التي افاضها الدين الاسلامي على الامم الغير متمدنة »

ولم يشتهر بلد بسرعة انتشار الدين الاسلامي فيه اكثر من الصين حيث اعترف المبعوثون المسيحيون بقصر باعهم وعدم مقدرتهم على تنصير واحد من اهلها الا بعد عناء طويل وقد قلنا انه يوجد بالانحاء الصينية اكثر من ٢٠ مليوناً مسلما يوجد بمدينة بكين عاصمة الصين منهم مائة الف وليس هذا بالنزر اليسير

وقال المعلم واصليف « دخل الدين الاسلامى في البلاد الصينية دخول دين بوذا فيها وحيث ان وسائل دخول الدينين كانت متماثلة فلا ريب في ان الاسلام سينتشر فيها بعد زمن ويحل محل ذلك الدين وهذه المسئلة من الاهمية بمكان مكين لانها اذا تحققت اى اذا تدين الصينيون بالدين الاسلامي وعددهم كما لا يخفى هو ثلث عـدد سكان المعمورة فان سياسة العالم القديم تتغير بالكلية وينتقل صولجانها للدين الاسلامي الذي يكون في هذه الحالة ممتدا بين جبل طارق والاقيانوس الهادي »

وقد رأينا في العـدد الاول من مجلة العالم الاسلامي (ذي اسلامك ورلد) الذي ظهر في شهر مايو ١٨٩٣ فصلا فى تقدم الدين الاسلامي نقتطف منـه ما ياتي « ان تقدم الدين الاسلامي وانتشاره اثناء القرون الاولى من الهجرة لمن الحوادث التاريخية العظيمة التي ادهشت نصراء الاديان الاخرى

وزعماءها وجميع المبعوثين كاثوليكيين كانوا او بروتستانتيين ارادوا ان يحطوا من اهمية هذا الامر فمابرحوا يقولون ان الدين الاسلامي لم يرتفع الى الذروة السامية التي وصل اليها ولم ينتشر في الآفاق الا بحد السيف واستعمال القسوة ونحن لاننازعهم فيما اذا كان ما قالوه مطابقاً للصواب والحقيقة او مغايرا لهما وانما نستلفت الانظار الى امر حرى باعتبار المنصف وهوانه ما من بلد سطعت على افقه اشعة النور الاسلامي الا وانتشر الدين الحنيفي بين اهله وغير من عاداتهم واخلاقهم وامتعهم في بحبوحة التمدن . هذا ولو ان ايام خالد قد توارت خلف حجاب الاجيال والعصور وعهد طارق وعثمان قد ارخت عليه ليالي الدهر سدا لها فلا يزال الدين الاسلامي يبث تعاليمه السليمة وتمدنه المنيف بسكون وهدوء وثبات واستمرار. انظر الى تلك القارة الافريقية الفسيحة الارجاء تجدها قد اظلها الدين الاسلامي بكنفه من مركزها الى محيطها وهذه الهند الانكليزية وحدها تفتخر بان فيها ٥٧ مليوناً من المسلمين يزداد عددهم كل يوم اما بلاد الماليزيا من الاقيانوسية وبلاد الصين فحدث عن الاسلام ولاحرج فان سير هذا الدين فيها حثيث جدا والدليل على هذا ان اقليم يونان منها وجزءا عظيما من منغوليا وتتاريا الصينيين لم يبق احد فيها من الوثنيين بل جميع اهلها من المسلمين الموحدين ولاتنس بلاد الروسيا فلقد بلغ عدد المسلمين فيها ١٢ مليوناً من الانفس بحيث اصبحنا نسمع آذان المؤذنين على منارة مسجد بطرسبوغ ومساجد انكلترا كما يطرق آذاننا ببلاد العجم والشام والعرب وتركيا ومصر

هذا وقد ذهب واحد الى بلاد امريكا الشمالية ايبشر اهلها بالدين الاسلامي ونحن على ثقة من نجاح قصده ثم لا يبرح عن ذهننا ان للدين

المحمدي ملايين من الزعماء في بلاد البرازيل وجزائر الانتيل بخليج مكسيكا وجزيرة موريس وبينما نحن نكتب هذه الاسطر اذ ورد علينا خطاب من استراليا يستفهم كاتبه منا فيه عن قواعد ديننا واصوله ليكون على علم بها

وبالجملة نقول ان النهضة العقلية عمومية في كل الامم للبحث عن حقيقة الدين الاسلامي وهو دليل على ان النصرانية قد اوشكت تستكمل مدتها وتستوفي عدتها ولا بد ان يخلفها واحد من امرين وهما اما الجحود الذي يكون مصحوباً بوفاة الفكر والقلب واما الاسلام بايمانه الصحيح واعتقاده الصادق بوجود اله واحد لا اله غيره وبالاسلام دوام السلام والحياة الابدية

ولسنا نرتاب في ان انتشار اللغة الانكليزية بكثير من نقط الارض سيكون من اقوى وسائل نقل الحقائق الاسلامية الى جهات العالم لكى يصبح الدين الاسلامي رائد الكل وامام الكل »

وقد اطلعنا في ملحق الطان الصادر بتاريخ ٢٤ مايو علي فصل تحت عنوان (الاسلام في افريقية الوسطى) قال فيه كاتبه : « والذي حرك عوامل اندهاشنا حينما دخلنا في اراضي نهر الشارى صدين بحيرة تشاد هو النظام السياسي الذي فرض رؤساء مسلمى السودان علي الامم الوثنية الخاضعة لهم السير على محجته واقتفاء اثره وقد قابلنا مسلمو جهات باجرمى والادماوا وبرنو وسقطو وغيرهم من الذين اضطررنا الى تبادل العلاقات معهم ببشاشة وترحاب لم يجر بخلدنا قبلا اننا نصادفهما عند قوم كنا نظنهم من المتوحشين

ومما ينبغي علينا الاعتراف به في هذا المقام هو ان انتشار الدين الاسلامي في البلاد السودانية من بواعث تقدم هذه البلاد ودخول اهلها في دور المدنية والحضارة اذ كثير من الامم التي كانت في الامس فريسة للهمجية وليس لها

قانون اجتماعي تسير بموجبه اصبحت اليوم وقد لاذت بحما الامراء المسلمين معمورة بنعم التمدن والرفاهية ومن غريب سياسة هؤلاء الامراء انهم اقاموا على تخوم بلادهم قري صغيرة عامرة بالمسلمين لكى اذا جمعتهم والوثنيين المجاورين لهم رابطة العلاقات والمواصلات وراي هؤلاء ماعليه أولئك من الحق بادروا بانفسهم الى طلب التدين بالدين الاسلامي وبهذه المثابة تتدسطوة ذلك الامير على بلادهم ومع ذلك فهو لايجاهر بهذا الاستيلاء او يبعث اليهم من يسومهم الحيف والخسف كما هي عادة الفاتحين في كل عصر وانما يرسل من يدبر شؤنهم ويصلح احوالهم على شرط ان لايمس بتقاليدهم ولا بمعتقداتهم او شخصياتهم

وقد عثرنا في الجهات الجنوبية من باجرمي على ماعثر عليه المسيو برازا في جهات سنغا بحدود الادماوا وهو اختلاط اقوام البوله بالسودانيين في المعاشرة والمعيشة ودوام تبادل القومين العلاقات الحسنة وهو دليل على سلامة سياسة المسلمين الخاضعة لهم تلك الاقوام وقد جعل البوله سكان الادماوا والمسلمون سكان باجرمي نشر اجنحة الحماية قاعدة للمواصلات السياسية بينهم وبين جيرانهم الوثنيين فارسلوا لدي كل امير من هؤلاء رجلا من عندهم يكون مشهورا بالرصانة والحكمة لكي يؤدي لديه مايؤديه وزراؤنا المقيمون في تونس والهند الصينية ومداغشقر وبعض جهات السودان وتكون من وظيفة ذلك الرجل ان يقوم بجباية الجزية المضروبة على المستظلين بالحماية ومقابلة الاجانب الذين يدخلون في البلاد

وقال القبطان باجر في رسالته الموسومة (الرقيق والديانتان الاسلامية والمسيحية): « نعم وان كان رجال الديانات في اوروبا يبثون المبعوثين في ارجاء

افريقية ويبذلون مافي وسعهم لتنصير اهالي هذه القارة ولكن نقول ان هذه المساعي لاتأتي بجدوى على الاطلاق وان الدين الذي ينتشر بدون سعي انما هو الدين الاسلامي وفي تمسكهم باذياله ما يدعو الى زوال الاسترقاق شيئاً فشيئاً واني على يقين من ان اقناع الجمهور بهذه الحقيقة امر صعب جدا كما اني لاشك في زوال مايختلجهم من الارتياب وعدم التصديق بايراد البراهين الوطيدة والدلائل الواضحة » ثم سرد الآيات القرآنية التي تأمر بحسن معاملة العبد وبعتقه الخ

وقال في موضوع آخر « اذا سأل سائل : ما الا نفع لاهل افريقية انتشار الدين الاسلامي ام المسيحي نقول ان الاجابة على ان السؤال تستلزم حكماً من الذين لا يمضون مع الاهواء ولايتحيزون الى الاغراض وهو نادر جدا فيننا لانا معشر المسيحيين قد اعتدنا على النظر الى الديانات الاخرى وبالخصوص الديانة الاسلامية منها بعين الحقارة والسفال وكان لايجدر بنا ان نفعل ذلك تلقاءها واهلها المستمسكون بها قد امتازوا في كل زمان ومكان بمكارم الاخلاق والرفق في المعاملة واكرام مثوى الوافد وغير ذلك من محامد الخصال التي قل ان تتوفر واحدة منها فيمن نحسبه منا منوالا ينسج عليه في احسن الخلق ولقد دخلت في مدينة كونغ السودانية التي يبلغ عدد سكانهم ١٥ الفاً وجميعهم من المسلمين ولم استعمل التنكر بل افصحت عن حقيقتي باني فرنسوي مسيحي فلم يبد منهم الاما برهن على استكمالهم لتلك الصفات وحدثت مرة محاورة بيني وبين امامهم ونبهائهم فجادلوني بالتي هي احسن »

وقال ايضاً « ويستند عامة علماء الاوروبيين على ضرر الدين الاسلامي بما ينسبونه اليه من انه هو الذي امر بالاستعباد وتعدد الزوجات وهذه التهمة

ليست من الصحة والصدق بشيء مطلقاً اذ ان الرق وتعدد الزوجات من النظامات القديمة عند الشرقيين فهما اذن اقدم من الهجرة وقد حصرهما الاسلام في دائرة ضيقة جدا ولو كانا من منشآت هذا الدين لما وجدا الآن عند الوثنيين»

واذا قابلت بينهم و بين جيرانهم الوثنيين تجد بين الطرفين فرقاً عظيما لان هؤلاء منكبون على تعاطي المنكرات مخلدون الى الكسل والتواني ولقد صدق من قال اذا اصبحت القارة الافريقية اسلامية فان الاوروبي لايجسر على مس ارضها بقدمه

ومن الوسائل السياسية التي يستعملها مسلمو السودان منذ ٥٠ سنة لنشر الدين ان يشيدوا على حدود بلادهم المتاخمة للوثنين قرية صغيرة بها عائلتان او ثلاث ومدرسة ثم يدعون جيرانهم الوثنيين الي ارسال ابنائهم فيها فمتى وجدت هذه الصلة تداخلوا في امورهم بالحسنى واضطر اميرهم الى استشارتهم في جميع اعمالهم وهم لايضنون عليه بنصحهم واذا كلف واحد منهم بأمورية وخاب فيها مسعاه فانه يحضه على الاستعانة بأميره المسلم و بذلك يتم استيلاء هذا الامير على بلاده . يؤخذ من هذا ان مسلمي السودان لايبثون معتقداتهم الا بالرفق والاقناع اما القوة فانهم لا يستعملونها الا مع الوثنيين المتلصصين حينما تقصر جميع الوسائل عن اذعانهم

والشواهد كثيرة على انتشار الدين الاسلامي في قارات الدنيا الخمس لواردنا استقصاءها للزمنا وقت طويل و تفرغ خاص وقد اكتفينا بما اوردناه منها دليلا على الباقي ونقول في الختام الآن مع صاحب كتاب تمدن العرب ان الدين الاسلامى هو امتن الاديان التى نشرت اجنحتها على العالم وان المملكة الاسلامية كانت اوسع الممالك التى خصها التاريخ بمزيد التعجب والاندهاش

وان المسلمين هم الذين مدنوا الاور وبينوا من الوجهين العقلي والادبي

﴿ هل يرتقي الاسلام ثانياً [1] ﴾

ان البلاد باسرها والامم باكلها تصعد كالانسان وتهبط وتسعد مثله وتشقى وتعز وتذل فترى ان الفرد من النوع الآدمي يصعد درجات الشرف ويبلغ مراتب الرفعة وتلهج بذكره الالسنة ثم لايلبث ان يسقط في حضيض الاهانة والذل فيدفن ذكره بهبوطه وكذلك الامم السالفة التي اشتهرت في التواريخ كالكنعانيين والاسرائيليين والقرطاجيين واليونانيين والرومانيين قد قامت كل من هذه الامم وبلادها باداء دورها على مرسح العالم ثم انقضي هذا الدور وخلفها فيه غيرها

واذا تأملت البلاد وجدتها تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

فارتفاعها وسقوطها كان كل منهما طبيعيا كالدور الطبيعي للنهار والليل ودور نشاط الانسان عند الصباح وخموده عند المساء

لننظر الى الامم الاسلامية والى ما ورد في الانجيل « حيث ان السماء تعلو الارض كذا الحكمة تعلو الجهالة وتسمو عليها » نرى ان تاريخ حياة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وحياة اتباعه ومن اتى بعدهم هي اصدق مرآة تبين لنا النهج الذي يجب علينا ان نتوخاه لارتقاء درجات السعادة والرفاهة وقد وجد صلى الله عليه وسلم في اول الامر ان بلاده معدومة فاحياها وفوضى فوضع لها القوانين والشرائع وضيقة نطاق التجارة فعضد التجارة واخذها تحت رعايته وحمايته ومنع الربا وانزل الضرائب الى العشر ومحا العادات الذميمة

[١] من قلم مولوى محمد بركة لله بمدينة ليفربول

وبث الخصال الحميدة والفضائل المفيدة . وقد بنى المسيحيون نجاح سيد الخلق في تنفيذ هذه المشروعات الجليلة الى استعمال السحر والاستعانة بما ياتله من الوسائل وهو خطأ محض نرد عليه بقولنا ان الفضائل الادبية العملية التي كان متصفا بها النبي صلى الله عليه وسلم هي مفتاح سر فوزه العظيم ثم ان المسلمين جعلوا اعتمادهم على الله واتبعوا الحق فكانت لهم الدنيا عونا وعضدا ولكن لما زحفت عليهم جيوش الكسل والتراخي ومالوا الى الاثرة الذميمة وهجروا الواجبات الدينية المقدسة وطرحوها جانبا وجعلوا الثروة وسيلة للبذخ والترف والدين آلة رافعة للطلب الذاتي والغرض النفساني انحطوا من نجد رفعتهم وذروة مجدهم حتى اصبح الاسلام في حالة لا تستوجب غبطة الغابط او حسد الحاسد وغاية ما نرى المسلمين الآن عليه هو انهم يعتقدون في وحدانية الاله وان عددهم يفوق رمال البحر كثرة ولكنهم لا شيء من حيث السياسة الحاضرة

انظر الى الدولة العلية وما كانت عليه من ضخامة القوة وفخامة المجد وانها في سنة ١٦٤٠ من الميلاد المسيحي قد تغلبت على الجنوب الشرقي لاوربا حتى وصلت الى برسبرغ ووصلت اسوار مدينة فيينا وما صارت اليه في سنة ١٨٧٨ من الضعف والاضمحلال حيث لم يبق بيدها سوى قطعة ضيقة واقعة بين البحر الاسود والبحر الادرياتيكي وقد كان حصر سلطتها وتضييق دائرة نفوذها لهذا الحد باشارة وسعي الكالح الشرس بيكونسفلد الذي كان كبير وزراء انكلترا اذ ذاك وان انكلترا الآن لا تريد الجلاء عن مصر ولا تفتر عن توجيه مطامعها الى مملكة مراكش وانه قريبا سيخفق العلم البريطاني على بلاد البلوجستان المجاورة للهند الانكليزية ومن الغريب انه بينا نكون بعض الممالك الاوربية مرتعدة الفرائص من عدم قدرتها على تسديد الديون التي ابهظت كاهلها

تراها تجاهد في سبيل الاستيلاء على البلاد الاسلامية بحجة تخليصها من ربقة الاعتقادات الباطلة الناشئة عن الدين وهذا غلط فاحش اذ ان هذه الاعتقادات تلازم الجهلاء عادة والدين الاسلامى يامر بتلقي العلم الذي من شانه ان يكبح جماح الاعتقادات الباطلة وقال النبي صلي الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمه)

وغاية ما هنالك انه يلزم الحكومات الاسلامية ان تعمم التعليم وتجعله الزامياً كما في بلاد المانيا وفرنسا وانكلترا او تسعى في الزام رعاياها بالتمسك باذيال الشريعة الغراء فتدفع الزكاة وتراعي القواعد الدينية وقال عليه الصلاة والسلام (تؤخذ من اغنيائهم وتنفق على فقرائهم) اى الزكاة ولا بد من انشاء جمعيات لترتيب الصدقات وتوزيعها على مستحقيها وفحص حساباتها والنظر على العموم في سائر الاعمال الخيرية

اما الاسلام فينقسم الى قسمين ايمان ودين والايمان هو الاعتقاد بالله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى والدين ينحصر في شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا

ولنتكلم الآن على القضاء الذي زعم الاوربيون انه حجر عثرة في طريق الاسلام تاركا البحث في المواضيع الاخري الى وقت آخر فنقول هل ادراك النفس الالٓه مثبوت. الجواب نعم باتفاق جمهور العلماء وقد استدلوا على ذلك بانتظام العالم انتظاماً دائمياً لا يعروه اختلال على الاطلاق والعالم لم يكن بالصدفة والجزاف بل بارادة وقوة البارى عز وجل فالارادة هنا غير القسمة او الصدفة او القضاء الذى يتهمنا به المسيحيون والمسلم الحقيقي لا يقبل على

نفسه البطالة والكسل بمجرد اعتقاده في القضاء الذي هو شيء آخر غير الارادة (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) فليس انحطاط الاسلام ناتجاً من ذلك وانما من الاحتياج الي العزم والثبات ومن الجهل وعليه فليس للقضاء دخل في كسل الامة المحمدية

ويلزم بث العواطف الوطنية في قلوب الناشئة من المسلمين ويعتني بذلك اعتناء زائدا حتي يعتقد افراد البلد الواحد انهم نفساً واحدة ويدا واحدة ويكونوا كذلك وقت الدفاع عن الوطن فالعواطف الوطنية هي السر الحقيقي للعظمة والارتقاع

ويلزم ترقية شان المرأه في الشرق فلقد قال اللورد دوفرين «ارتفاع المرأة يرفع كل شيء معه» وللاسلام اعداء كثير لاحاجة لزيادتهم بالتغافل والتغاضي فتنبهوا اذن من غفلتكم ايها المسلمون وقوموا من نعاسكم الطويل والا فارضوا بهذا الانحطاط لذي انتم فيه مغموسون

وقعة تاريخية

جاء في الاخبار الاخيرة ان الحكومة الروسية اقامت في العشرين من اكتوبر ١٩٠٣ احتفالات بهيجة تذكارا لوقعة ناورين (بفتح الواو احدى المراسي اليونانية) التي اعدمت فيها اساطيل فرنسا والروسيا وانكلتيرا دونمة الدولة العثمانية لاكراهها على الاعتراف باستقلال اليونان . وما كنا نعجب لهذه الاستظهارات لو وقعت في نفس البلاد اليونانية اذ ربما كان لها عذر اذا عدت ايام الحصول على استقلالها من اعظم مواسمها الوطنية ولكن يحق لنا العجب من حصولها في عاصمة مملكة لا علاقة لها باليونان الا في الجامعة الدينية ولم تجن من

تلك الواقعة الشهيرة ادني مصلحة سياسية ولا ادبية اما من جهة السياسة فلان استقلال اليونان اثار حب الاستقلال في نفوس رعاياها باللهستان (بولونيا) واما من حيث الفخر الادبي فلان وقعة (ناورين)سجلت في صحف التواريخ المنصفة كفعلة شنعاء ومعرة كبرى وشامة سوداء في جبين هذا العصر الذي غاض فيه الوفاء وفاض الغدر بقدر ماساد فيه التقدم واشرقت عليه انوار التمدن والعرفان

وليس القصد من هذه العجالة بث الشكوي ولا الاخذ باطراف التنديد والانتقاد على الحكومة الروسية كما لانقصد ايضاً تحريك سلسلة التاريخ ومقابلة هذه الوقعة التى دعاها البعض (انتصارا) بالانتصارات الحقيقية التى فازت بها العساكر الاسلامية برا وبحرا الا ان ذلك يقتضي مجالا اوسع مما تسمح به اعمدة هذه الصحيفة ولان الكل يعلم بديهة ان لاحاجة الى هذه المقابلة التاريخية التي يغلب على الظن ان رجحان الكفة فيها لا يكون لغير المسلمين على اننا ما كنا نخوض في هذا الموضوع اصلا لو لم تكن الدونمة التي احرقت في (ناورين) مشتملة على عمارة تونسية بعث بها المقدس حسين باشا نجدة للاساطيل العثمانية والمصرية فلا لوم اذا اخذنا باطراف الكلام في مسالة تاريخية لاشك انها تهم التونسيين بقدر ماتهم الروس انفسهم كما تهم ايضاً عموم المسلمين . وحيث ان بعض الصحف الافرنجية المحلية ذكرت اخيرا هذه الوقعة في معرض التفاخر لزم ان ناتى على شيء من حديثها ليقف عليها القراء وخصوصا من لم يتلق التاريخ الا من دروس اجنبية حتى يعلم الجميع ان الروس انما احتفلوا اخيرا بتذكار غدر وخيانة ارتكبها قواد الاساطيل المتحدة لاعدام الاسطول الاسلامي ثم قالوا غلبنا وانتصرنا مع علمهم ان للغلبة شروطا وللنصر اصولا لاتطبق بوجه

من الوجوه على حريق (ناورين)

وبيان المسئلة باختصار ان اليونان في سنة ١٢٣٧ حركتها يد الدسائس الاجنبية كما حركت بلاد الصرب من قبلها وطمحت نفسها للاستقلال فشقت عصا الطاعة على الحكومة السلطانية منتهزة فرصة الاختلال الذي كان اذ ذاك بالمملكة العثمانية وما حصل لها من الوهن بسبب الثوارت الكثيرة والحروب العديدة وعدم انتظام قواها العسكرية التي كانت على الاساليب العتيقة فثار اليونان ثورتهم المشهورة واستمر القتال ستة اعوام والحرب سجال الى ان كان اعدام الينكجرية في سنة ١٢٤٢ وتعويضهم بالعساكر النظامية

واذ ذاك تغيرت الاحوال وزاد الوبال على اليونان بتداخل العساكر النظامية المصرية تحت قيادة ابراهيم باشا الشهير نجل محمد علي باشا وكانت اوربا اثناء الثورة تراقب الحوادث بعين الخوف والرجاء فدولها كانت تخشى عاقبة تلك الحركة من حيث تاثيرها في بقية الشعوب الطامحة الى الخروج عن سلطتها والافكار العمومية كانت متعصبة للعصاة تعصباً شديداً بدعوى الغيرة على ماكان لليونان في سالف الازمان من المجد العتيق وفي الحقيقة شفقة على امة مسيحية من ان تقهرها اسلحة المسلمين . ولا حاجة هنا الى شرح المظاهر التي ظهرت فيها تلك التعصبات ويكفي ان نقول ان نبلاء الاوربا ويين لم يألوا جهداً في مساعدة اليونان باموالهم وانفسهم واقلامهم فامدهم الاغنياء بالذهب الرنان وانخرط في صفوف الثائرين عدد له بال من كبراء الضباط على اختلاف الاجناس وقام الكتاب والشعراء واصحاب الجرائد يثيرون عواطف الشعوب والدول نحو الامة اليونانية بابرازهم اياها في قالب الفضل والحرية وسبكهم للدولة العلية والامة الاسلامية في صورة الهمجية والظلم والبربرية وسفك دماء النصارى

بحق وبغير حق الى غير ذلك من الاوصاف المهيجة للافكار ضد المسلمين ·
واحد هؤلاء الشعراء المشهورين (وهو اللورد بيرون الانكليزي) لم يكتف
بالنسج على منوال (فيكتور هوكو) الفرنساوي في الانتصار بفصاحته للثورة
اليونانية بل حمله فرط التعصب على لالقاء بنفسه في جموع العصاة حتى هلك
في احدى الوقائع مع جملة الهالكين

ولما تم الانتصار لعساكر ابراهيم باشا في جميع المواطن وذلل نواصي اليونان
وقرب نجاح العمل في اخماد الثورة قامت اوربا ارضاء لافكار شعوبها الى مساعدة
اليونان فانعقد مؤتمر بلندرة قرروا فيه جعل اليونان امارة مستقلة تدفع خراجاً
سنوياً للدولة العلية ولتنفيذ هذا القرار جهزت كل من الروسيا وفرنسا وانكلترا
اسطولا ساقته الى السواحل اليونانية ولما ابلغ قواده ابراهيم باشا ما استقر عليه
راي المؤتمر ودعوه الى وضع السلاح اجابه بشهامة انه لا يتلقى اوامره الا من
السلطان محمود ولا من رؤساء الاساطيل الاجنبية ومن جهة اخرى رفض السلطان
كل مخابرة مع السفراء في هذا الموضوع مستندا الى ان الدول لا حق لها
بالتداخل بينه وبين رعاياه المسيحيين ومع ذلك فان العساكر العثمانية كفت
عن القتال منتظرة نتيجة المخابرات ولما كان اليوم العشرون من اكتوبر عام
١٨٢٧ [٢٠ ربيع الاول ١٢٤٣] بينما كانت دونانمة الدولة العثمانية ومصر
وتونس والجزائر مجتمعة بمرسي « ناورين » غير متاهبة لقتال جاءت اساطيل
الدول المذكورة وارست بهيئة سلمية ملاصقة للسفن الاسلامية · وبعد قليل
تظاهرت سفينة انكليزية بالعدوان وحاولت منع حراقة عثمانية من مبارحة
مكانها وبادرت باطلاق النار فكان ذلك مبدأ المعركة المشهورة التي احترق
فيها غالب الاسطول العثماني وهلك فيها نحو ستة آلاف من العساكر الاسلامية

بعد ان دافعوا عن انفسهم دفاع الابطال وجندلوا من المعتدين عليهم بهذه الخيانة الشنعاء عددا ليس بالقليل

وقد ذهب المؤرخون في ذكر هذه الواقعة مذاهب شتى حسب التعصب والاغراض وغالبهم حاول تبرئة ساحة الاساطيل المتحدة والقاء المسئولية على المسلمين ونحن لانجاريهم في هذا الميدان وانما نقتصر على ترجمة ماوقفنا عليه في « تاريخ تركيا » للعلامة « دولامارتين » الشاعر الشهير الذي تولى وزارة الخارجية على عهد الجمهورية الثانية بفرنسا وهو رجل فاضل منصف مجرد عن الاغراض معاصر لتاريخ الواقعة بحيث ان قوله في هذا الموضوع حجة دامغة لاتقبل الريب ولا الاشتباه . قال مانص تعريبه

« في هذه المسئلة اليونانية كان الدين هو المحرك الحقيقي لافكار الاورباويين تحت داعي الانتصار للحرية فبينما كانت قوة العلوم الوقتية تهدم او تعدل اصول الديانة المسيحية باوربا كان المتمون للحرية آخذين بناصر المسيحيين من اليونان شاهرين حربا صليبية بدعوى المساعدة على ثورة وطنية . وفي الحقيقة ان الافكار العمومية الاورباوية هي التي اضرمت نيران هذه الواقعة البحرية والتاريخ الذي هو حكم عدل بين الامم لابد ان يخلد ذكرها تحت عنوان غدر فادح ويبقى عبء مسئولية هذا الانتصار وان شئت قلت هذا الاعتداء على كاهل قواد الاساطيل الروسية والانكليزية والفرنساوية وبيان الواقعة ان ابراهيم باشا بعد ان ذلل نواصي اليونان وبث جيوشه بموره جمع الاساطيل العثمانية والمصرية بمرسى [ناورين] وليث يترقب نتيجة المخابرات بين الدول والباب العالي مستعدا لتنفيذ مايستقر عليه الرأي من الانجلاء عن البلاد اليونانية او ضبطها وابقاءها تحت التبعة العثمانية . وكانت الدول متفقة على هدنة

تنتهي في العشرين من اكتوبر عام ١٨٦٧ لكن الى ذلك التاريخ لم تعلن الدول ادنى حرب على الحكومة السلطانية بحيث كان قواد الاساطيل المسيحية في حالة السلم حسا ومعني مع ابرهيم باشا رئيس العساكر العثمانية . وبينما الهدنة مستمرة كان الاسطول الاسلامي مجتمعا امام (ناورين) على شكل هلال متسع وكان مؤلفا من تسعين سفينة حربية مختلفة الانواع تحمل ستة عشر الف مقاتل تحت قيادة القبودان طاهر باشا وهذا الاسطول كان على امن تام غير مستعد القتال ولا متاهب لنزال حيث لم تشهر ادنى حرب بين الدول والسلطان ولذلك انحاز كله الى جهة واحدة وكانت سفنه متراكمة فكان بهذا الامن وهذا التراكم فريسة عظمي لنيران الاساطيل الاورباوية . وفي العشرين من اكتوبر انتهي الاجل المضروب للباب العالي غير ان بعد المسافة واهمية المخابرات لزم عنهما امتداد الاجل المذكور خصوصاً مع عدم الاعلان بالحرب . وفي التاريخ السالف الذكر حضرت الاساطيل المتحدة الى مياه « ناورين » وارست على هيئة سلم بالقرب من الاسطول الاسلامي الذى كان على غاية من الامن حتى ان غالب كبراء عساكره كانوا بالبر وابراهيم باشا نفسه كان غائبا يتفقد معسكره في بعض النواحي اليونانية وبذلك كانت قوانين السلم وقوانين الحرب واصول الحياة وشرف الذمة والانسانية قاضية على قواد الاساطيل المتحدة ان يعاملوا الاسطول العثماني بما توجبه قواعد السلم بين الدول المتحابة ولاشك ان الاوامر الرسمية التي تلقوها من دولهم كانت ايضا قاضية بذلك الا ان تيار التعصب الديني وحب التفاخر بحصول الفوز كيفما كان للقوة المسيحية كان من الاسباب التى بعثت اولئك القواد على الاستبداد بالعمل معتمدين على الافكار العمومية في تبرئة

ساحتهم امام دولهم وامام اوربا من سفك دم لم توجبه الحالة السلمية التي كانت بين السلطان والدول المسيحية · وخلاصة القول ان القواد المشار اليهم تلقوا شفاها تصريحا او تلميحاً من المتعصبين لليونان بلندرة و باريس و بطرسبورغ اغراآت وتحريضات تجاوزت حدود ما كان بايديهم من التعليمات الرسمية ومما يدل عليه ان «دوك كلا رانس» الذي كان وزير البحرية الانكليزية لذاك العهد ثم صار ملكا وسمى بغليوم الرابع دعا اليه قائد الاسطول البريطاني قبل اقلاعه الى ناورين فاشار اليه بصفة عسكرية وقال واصل السير وانزل عليهم اي على العثمانيين · اما قائد العمارة الروسية فكان يعلم يقينا ان دولته لا يحزنها ان ترى نتيجة تداخلها بين ستة ملايين من الروم اخوانها في الدين التابعين للدولة العثمانية واما فرنسا فكان يهمها لا محالة عدم اضمحلال القوة البحرية التركية التي قامت عليها دعائم التوازن بالبحر المتوسط امام قوتي انكلترا والروسيا لكنها عهدت بقيادة اسطولها الى ضابط حديث السن سريع الانحدار مع تيار المطامع حريص على اسباب الافتخار في حادثة كان يعلم بديهة ان الافكار العمومية لا تتلقاها الا بالرحب والانشراح

وبعد ان جاء هذا المؤرخ المنصف على وصف المعركة قال هذه هي واقعة ناورين التي ينبغي ان تسمى اعداما لا انتصارا وقد انزعج لها الاسلام وابتهج بها اليونان وانشرح لها الاوربا ويون لكن لما زال الطرب وذهبت النشوة من الرؤس ترددت اوربا في الاسم الذي يمكن ان يطلق على هذه الواقعة التي وقف فيها المسلمون موقف الابطال وقام فيها قواد الاساطيل المتحدة مقام المجرم المضرم للنيران واخيرا لم يسع اوربا الا الصمت واخفاء هذا الاعتداء الفادح تحت حجاب النسيان · وقد قالوا ان الاميرال (دوربني) قائد الاسطول

الفرنسوي في تلك الوقعة قام بعدها يحاسب ضميره فاعترف بعظيم زلته في الحصول على فخر موهوم واغتم لذلك بما كانت عاقبته تعجيل وفاته قبل الاوان»

ونحن نقتصر على مانقلناه من كلام هذا المؤرخ الشهير وندع للقراء الحكم على الاحتفالات التي وقعت اخيرا في بطرسبورغ تذكارا لحادثة تجلب العار لامحل فيها للتظاهر والافتخار [الحاضرة]

﴿ في بلاد سيام[1] ﴾

بلاد سيام مملكة وثنية واقعة في شبه جزيرة الهند الصينية ويحدها شمالا بلاد برمانيا والتونكين وشرقا بلاد انام وغربا بلاد برمانيا وجنوبا خليج سيام ويبلغ عدد سكانها سبعة ملايين نفس يوجد منهم في مدينة بنكوك وهي عاصمة البلاد نحو نصف مليون من النفوس ومعنى بنكوك باللغة السيامية (بلد الزيتون)

والدين الرسمي للبلاد هو الدين البوذي المؤسس على تناسخ الارواح ويعتقد السياميون في خلود الروح والثواب والعقاب وفي البعث والنشور اللذين يتكرران مرات متوالية بعد الموت الاول وسبب هذا التكرار هو انهم يعتقدون بمهاجرة روح المتوفي من جسم الى آخر حتى يصادف راحة نهائية او نوع زوال كلي يعتبره السياميون النعيم الاخروي الذي ينبغي عليهم ان يعملوا له في الحياة وعندهم ان كل سيامي حسنت اخلاقه وكرم محتده وطاب اصله هو الذي يبجل الحيوانات والفيل الابيض منها على الخصوص لانه لما كانت الروح في اعتقادهم تسعى فى الحصول على الكمال الادبي الكفيل

(١) بقلم صاحب هذه المجموعة

ايصالها الى الراحة السرمدية المنتظره فانها لاتجد سلما للارتقاء بها الى هذه الغاية سوى الانتقال في اجساد الطيور والدليل على سمو مرتبة الفيل الابيض عندهم ان الملك الحالي وهو برابات سومدث تشولا لونكورن ... الخ قد اضاف على اسمه هذا الطويل العريض مايعني انه صاحب الفيل الابيض وهذا الحيوان هو الرمز الدال على الحكومة السيامية ولذا نجد العلم السيامي عبارة عن قماش احمر اللون مرسوم عليه فيل ابيض وهو محترم مبجل عند الملك تشولا لو نكورن الذي بالرغم عن امياله الظاهرة نحو الاوروبيين والتحلي برواء تمدنهم لايزال شديد الارتباط والتعلق بدين اسلافه و يوجد عنده في ايامنا هذه بقصره الذي في مدينة بنكوك تسعة افيال بيض هي موضوع كرمه وعنايته والتفاته اذ انه خصص لاقامتها قاعات تباري قاعات جلوسه في فخامة المنظر ونظافة الاثاث

واثنان من تلك الافيال مشهوران في العالم باسره بكبر سني كل منهما المقدمين ومماستهما وجه الارض لتقوسهما وتوجد الفيلة بكثرة ووفرة في غابات لاوس وضواحي مدينة اجوثيان العاصمة القديمة الواقعة شمالي بنكوك و يقيم بها الملك في فصل الصيف وكيفية اصطيادهم الافيال هي انهم ياتون بالفيلة (انثى الفيل) في مكان بقرب تلك الغابات محدود الجوانب بسياج قوي من البناء او الخشب ثم يطلقونها في الغابات حتى اذا حام حولها الافيال وراي ذلك الصيادون صوتوا لها بالبوق فتعود وفي اثرها هذه الافيال

ومع ان الصيد بهذه الطريقة يوقع في شبك الصيادين كثيرا من الافيال فقد تمر السنون الطويلة بدون ان يكون منها فيل ابيض وقد مضي نحو ٤٥٧ سنة وهو الوقت الذى تعاقب فيه على كرسى المملكة السيامية ٣٥ ملكاً

سياميًا ومع ذلك فلم يبلغ عدد الافيال البيض التي صيدت اثناء كل تلك المدة اكثر من ٢٤ فيلا وآخر فيل منها كان تاريخ الحصول عليه في سنة ١٨٨١ في عهد الملك الحالي

وبالنظر لندرة هذه الافيال وقلتها الزائدة ترى ان عثور الصيادين على واحد منها من الحوادث العظمى في تاريخ الملك الحاكم اذ انه يعتبر فالاحسنا على شوكة البلاد وثروتها وسعادتها في ايامه ويدعو الاهالي الى اقامة الاعياد والاحتفالات الشائقة اكبارا واجلالا له وتوضيح ذلك هو ان يؤتى بالفيل الى ساحل نهر سيام(ومعناه باللغة السيامية ام المياه)من طريق مهد له بالخصوص ثم يوضع في سفينة مفروشة بانفس الاقمشة المزوقة بما يشبه اغصان الاشجار ويكون في استقباله على مسافة بعيدة من مدينة بنكوك رجال الموسيقي وفى مقدمتهم احد الامراء اعضاء العائلة الملوكية فاذا دنا منهم حتى وازاهم اخذوا يعزفون بالآت الطرب واستمروا سائرين على الشاطئ بهذه الحالة الى المدينة حيث يكون الاهالى على قدم وساق قد لاحت على وجوههم سمات الفرح والسرور ويذهب الجمّ الغفير منهم الى شاطئ النهر للتفرج على الاحتفال الرسمي الذي تقيمه الحكومة لاخراج الفيل الابيض وصفة هذا الاحتفال هي ان يقف الكهنة والقسوس بالقرب من الشاطئ صفين متوازيين احدهما ازاء الآخر ويليهم الجنود على هذا النمط بعينه فاذا خرج الفيل الى الارض صاحوا بصيحات الفرح وهتفوا بالادعية واخذت الموسيقى الحربية تعزف بالنشيد الوطني وتقدمت للامام لتكون في عنوان الموكب ثم يتلوهم موسيقيون آخرون من الاهالى ثم الافيال البيض الملوكيون مطهمة بالذهب فرجال الحرس الملوكي فحجاب الملك فالملك نفسه وهو جالس على كرسي من

الذهب المطعم بالصدف لايبدي حركة اواشارة كانما هو تمثال جامد وفوق راسه مظلة كبيرة يرفعها احد اكابر رجال الحكومة ومن عادة الاهالى الذين يتزاحمون في الطريق لمشاهدة هذا الموكب العظيم ان يصيحوا صياحا عاليا ولكن اذا قرب مرور الملك ازاءهم التزموا الصمت والسكون واخذوا يسلمون عليه بوضع ايديهم على جباههم مرتين او ثلاث مرات ثم ينحنون انحناء يشبه الركوع مكررين لفظتي (خورال) ومعناها خاضع و(اتشو) ومعناها امير

ثم يلي الملك في الموكب الغلمان والحشم حاملين في ايديهم الآت عمل الشاي من الذهب الخاص واشياء اخري لتقدم هدية الي الكهنة والقسوس السياميين ثم ياتى بعد ذلك الفيل الابيض الجديد وفوق ظهره مهرة الفيالين وحوله الكهنة والامراء اوا كابر لموظفين واصحاب المقامات السامية

و يستمر الموكب سائرا على هذا المثال الى قاعة (اسطبل) معد للفيل بالقرب القصر الملوكي حيث يبقي شهرين بتمامهما اذ يكون في هذه المدة قد طهر وتخلص من دنس الشياطين بواسطة الكهنة الذين يباركونه و يناولونه ورقة من ورق قصب السكر مكتوباً عليها الاسم الذي يسمى به وانورد هنا اتماماً للفائدة صورة اسم الفيل الابيض الذي صيد في سنة ١٨٨١ وهي « فيل لونه ابيض ناصع فشعره ابيض وارجله بيض وعيناه بيضاوان واعضاؤه متناسبة الشكل وجامع للصفات التى تدل على انه من عائلة شهيرة ونسل طاهر وهو من نسل احد ملائكة البراهمة وقد حصل عليه الملك وصار من ممتلكاته وما ذلك الا لقوته وشوكته ومجده وهو من نسل عائلة الافيال اشرف وانبل عائلة في الخليقة وهو منبع القوة الوحيد الذي بواسطته تستنزل الامطار وهو اعز من البلور الصافي ورفيع القيمة غالى الثمن »

وبالجملة فيبقى الفيل الابيض في هيكله (الاسطبل) مبجلا مكرما معظما محفوفا بانواع التجلة والاكبار وقد عينت لخدمته الخدمة الذين لا يتجاسرون على مشافهته الا بالالفاظ اللينة الرقيقة والعبارات العذبة الرائقة وقد بلغ من احترام السياميين له ان علماءهم ورجال الدين منهم لا يقربون منه الا وقد استعدوا للركوع والسجود امامه رفعا لشانه وتعظيما لمقامه

ويقدم له الغذاء في آنية من الذهب الخالص المزين بابدع النقوش واتقن التصاوير اما الماء فيقدم له في اناء من الفضة

والكيفية التي اصطيد بها فيل سنة ١٨٨١ من اغرب الكيفيات اذ تدخل فيها الصدفة ومساعدة المقادير لان اثنين من الصيادين قضيا ازمانا طويلة في البحث على فيل ابيض فبينما كانا عائدين ذات يوم الى محل اقامتهما وقد تولاهما الياس والقنوط اذ عثرا على فيل ملطخ بالطين فاخذاه وغسلاه بالماء وذهبا به الى الملك الذي قدر خدمتهما حق قدرها فرفع رتبتهما وجعلهما من النبلاء ذوي الشرف والمجد واعفاهما من السخرة الملوكية للنسل الرابع من نسلهما ووهب احدهما ما توازي قيمته ٥٠ جنيها و٤٠٠٠ متر مربع من الارض والآخر ٣٠ جنيها و٢٥٠٠ متر مربع من الارض وقد اكد الاروبيون الذين زاروا الاسطبلات الملوكية ان لون هذه الحيوانات يتحول شيئا فشيئا من اللون الابيض الى اللون الاشقر الغامق بحيث يصير الى لون الافيال المعتاد اقرب منه الى اللون الابيض الحقيقي

ويعجب الكثيرون من اعتقاد الملك الحالي في الافيال البيضاء وهو من الذين تربوا التربية الاروبية التي يقال انها تزيل عن العقول والبصائر درن الاعتقادات الباطلة ويزداد تعجبهم اذا قيل لهم انه كان يامر بقتل كل خادم تلقي

عليه شبهة الاهمال في العناية بشان مخدومه الفيل الابيض فكان سبباً في هلاكه

ويوجد من نبهاء السياميين من يهزأ ون سراً بالافيال ويسخرون بالفضائل المسندة اليها وهم الذين تنورت افكارهم بمخالطة الاروبيين وغيرهم من الاجانب ولكنهم لا يقدرون على المجاهرة بتلك الافكار اذ قد يكون ذلك سبباً في صدور الاوامر الملوكية باعدامهم اما كافة السياميين فلا يقبلون مناقشة احد في امر حيواناتهم المقدسة كما لا يعتبرون من يمس كرامتها بشيء ما ومن النوادر المتعلقة بذلك ماحصل في سنة ١٨٨١ عقب اصطياد الفيل الابيض الذي سبق الكلام عليه في هذا الفصل فانه قد حدث ان حضر احد الاوربيين من اصحاب الملاعب الى مدينة بنكوك واقام له ملعباً بها ثم نشر اعلانات مكتوبة باللغتين السيامية والانكليزية انه في ليلة كذا سيبرز لجمهور المتفرجين فيلا ابيض ياتي باعمال لا يقدر على الاتيان بمثلها احد من بني الانسان فتوارد الجمهور عليه في تلك الليلة من كل فج ولما اخذ كل من المتفرجين مجلسه وهم في شوق زائد الى رؤية ذلك الفيل الذي جمع على زعمهم بين صفتي القداسة والمهارة خرج اثنان الى وسط الملعب فقال احدهما للآخر هل رايت الفيل الابيض فاجاب الآخر بقوله بالطبع لان جناب الملك عنده كثير من هذا الحيوان في اسطبله العامر فقال الاول لقد اخطات في قولك فليس لدى الملك فيل ابيض بل جميع الافيال التي عنده لونها مائل الى اللون البني وها انا ساظهر لك الفيل الابيض الصحيح الذي لا مثيل له في العالم باسره ثم استحضر الفيل وفي الحقيقة كان ناصع البياض فتولى السياميين الاندهاش واخذ منهم الاحترام له ماخذاً عظيماً واستمر الفيل واقفاً برهة منتظرا امر صاحبه اليه بتنفيذ مايريد من الحركات

التي لمشاهدتها حضر الجمهور العديد من الناس فامره بان يدير آلة طرب ففعل بكل حذق ومهارة ثم امره ان يصعد فوق برميل من الخشب وضعه امامه فقام بالواجب الى غير ذلك من الالعاب الغريبة .

ولكن لم تكد تمضي برهة حتى ظهر ان ذلك الفيل ليس بأبيض اللون في الحقيقة وانما كان ملوناً باللون الابيض اذ انه كلما كان يمس شيئاً يترك فوقه اثرا من هذا اللون ولما لاح لصاحب الملعب وهو صاحب الفيل ايضاً ان الناس قد كادوا يقفون على سر الامر قال للفيل اذا حككت خرطومك على هذا البرميل فانه يتلون وقد قال ذلك في امل ان الحاضرين يستبعدون ماربما يطرأ على اذهانهم من اساءة الظن في مهارته ولكن خاب امله اذ انه لم يتم لفظ تلك الجملة الا وقهقه الجمهور من الضحك

ولكن البعض منهم وهم المتمسكون بعقائدهم لم يستحسنوا ذلك فخرجوا غاضبين وقالوا سوف تحل بهم نقمة بوذا (الذي يعبدونه) وتنزل عليهم صاعقة غضبه وسخطه وفي الواقع فانه لم تمض ايام قلائل حتى مات فيل المستر ولسن الانكليزي صاحب ذلك الملعب فبشت وقتئذ وجوه السياميين وقالوا هذه هي نتيجة غضب بوذا على الكافرين

✻ اسوان وعادات اهلها[1] ✻

مدينة اسوان واقعة على الضفة الشرقية من النيل بدرجة ٢٤ و ٥ دقائق من العرض الشمالي ودرجة ٣٠ و ٣٠ دقيقة من الطول الشرقي تجاه جزيرة الفنت وكانت مشهورة باسم (سوان) في عهد ملوك العائلة الثامنة

(١) بقلم حضرة محمد افندي جودت ناظر مدرسه العقادين الاميرية حالا

عشرة من الفراعنة الذين كانوا يستخرجون احجار الجرانيت الوردى من الجبال الكائنة بجوارها وكان اليونان يسمونها كذلك اما الرومانيون الذين شيدوها بعد دمارها فسموها سيين ومن اهم الحوادث التي وقعت بها في الازمان الخالية والعصور البالية تفشى داء الطاعون بين سكانها في سنة ٨٠٦ من الميلاد فلما فتك باغلبهم وبطش به غادروها نازحين الى موقعها الاول الذي بناها فيه الرومانيون واستمروا فيه الى الآن وقد تغلب جيوش الفرنسيس سنة ١٧٩٩ من الميلاد اي منذ ١٠٣ سنة على المماليك فيها

اما سكانها فهم اخلاط من البدو والاتراك والبربر والسنارية والعبيد والبشارية وينقسمون الى عدة قبائل منها قبيلة عبدناب وشعبناب وسنجراب ونخياب وسقراب وافضلها قبيلتا عبدناب وشعبناب ومنهم من يتكلم بالعربية ومنهم بغيرها وهم البرابرة والسنارية والبشارية سكان صحراء بشارين ولونهم احمر ضارب للسواد وشعورهم غير جعدة وقوة الادراك عندهم متوسطة فلا يوصفون بالافراط في الذكاء او في الغباوة ولهم ميل الى التعلم وطموح نحو التربية ولكنهم يفضلون مزاولة التجارة ومعالجة الصنائع والفنون ليكتسبوا ما يدفعون به غائلة الفاقة والاحتياج

ومن الصفات التي يمتازون بها عن غيرهم من باقي القبائل الانصياع لما يؤمرون به والمبالغة في التكاتف والتآلف فتراهم على الدوام يشاركون بعضهم في السراء والضراء بمعنى انه اذا اصابت احدهم مصيبة اونزلت به نازلة يظهرون علائم الاسف واشارات الحزن لذلك وكذلك اذا حدث له ما فيه داعية سرور وجالبة اغتباط وانشراح فانهم يتوزعون معه هذه المنح والمسرات وقد صاروا يتبادل هذه الاحساسات الشريفة كاعضاء عائلة واحدة اذا اصاب الواحد منها

خير اشتراك معها فيه الآخر والعكس بالعكس وهم لايتزوجون في الغالب الا من بني اعمامهم فدائرة النسب والقرابة عندهم مبدأها منهم ومنتهاها اليهم وربما كان ماانشاهده من قلة عددهم على توالى السنين ناتجامن انحصارالزواج عندهم في القرابة كما ذكرنا ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك حيث قال (لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا) اي نحيفا ضعيفا

واذا زوجت احدي بناتهم بشاب من الشبان فانها لا تخرج من بلدتها حتي منتهي الاجل لان اهلها يعتبرون خروجها من محلتها التى تزوجت فيها سبة في العرض وثلمة في الشرف واما اذا اراد انسان من غير قبيلتهم ان يتزوج باحدى بناتهم فرضوا ثم رغب في ان يرافقها الى بلدته الاصلية او اى مكان كان فقد يهون عليهم بذل جميع مايملكونه من المال والنوال ولا يسمحون له بذلك وعند ذلك يضطر الزوج اما الى البقاء معها في قبيلة عشيرتها واما الى الطلاق والانفصال · ويلبس رجالهم العمة والبردة المصنوعتين من القطن الناصع البياض ولكنهم يجعلون للبردة على الدوام حاشية حمراء يسمونها الشفق اما اشرافهم وعلماؤهم فيلبسون الاقمشة المتخذة من الخز والجوخ ويتجمل نساؤهم بالخلاخل والاساور الفضة والخزام وهو حلقة تعلق في أنف الفتاة بعد ثقبه وهن يمشين غير متبرقعات غير انهن اذا صادفن احدا من الذكور يسترن وجوههن بجلبابهن

وما كولاتهم هي (الدوكة) وهي الغذاء الاصلى لهم والخمريت والسناسن والكشرنجيج والخبز المعتاد وغير ذلك فأما الدوكة فهي قطعة من الصاج تشعل تحتها النار ويوضع فوقها عجين رقيق مصنوع في الحال من القمح تارة ومن القمح والشعير تارة اخرى اذا نضج واستوى تعهدوه بالاكل والعيش

المصنوع بهذه الكيفية يسمي دوكه باسم الوعاء الذى ينضج عليه اما الخمريت فهو عجين يعجن اول النهار ثم يترك الى الغروب حتى اذا خمر بوشر في انضاجه على الدوكة السابقة الشرح وسمي خمريتا لتخمره والسناسن نوع منه الا انه يكون غاية في الرقة واما الكشرنجيج فاصله نبات من فصيلة البقول يشبه الفصوليا تؤخذ منه الحبوب الموجودة في كاساته ثم تغلي في الماء حتى اذا نضجت اكلوها بعد نزع اوراقها ولكن سكان الشلال ومايليه لا ينزعونها بل يتناولونها مع الحبوب سواء بسواء ويتخذون في رمضان شراباً مرطباً يسمونه الابارتج وهو شراب يصنع من عجين رقيق جفف في الشمس ثم نقع في الماء واضيف اليه شيء من السكر وهم يجدون لشربه راحة تامة ولذة عظيمة وقد ذقنا شيئاً منه فوجدنا طعمه حامضاً حريفاً

ومن عاداتهم في الزواج انه اذا اراد احدهم الاقتران باحدى الغادات الابكار قصد اباها ووضح له حقيقة رغبته فاذا رضى قرأ الاثنان فاتحة الكتاب كما هو الشائع بجميع الجهات وبعد ذلك ينصرف الخاطب ويبعث للمخطوبة كساء من افخر الملابس واكثرهـا برقشة وفي مقابلة ذلك يرسل والدها اليه طستا ملآنا بنوع من الفطير يسمونه (المفروكة) ويكون تبادل هذه الهدايا عنواناً على تمام الرضي وبشارة باليمن والاقبال ثم يحتفل بعقد النكاح وفيه يشترط على الخاطب ان يدفع ثلثي المهر مقدماً وهذا المبلغ لا تستلم منه المخطوبة شيئاً بل ان والدها يستولى عليه ويشتري به ما يلزم لهـا من الملابس المختلفة والمعتاد من هذه الاقمشة يسمي عندهم (العده) واما مايلزم للبيت من الاثاث والبهار فان العريس مكلف بشرائه ولايناط اهل العروس بشيء منه سوي قلة من فخار تزين بقروش من الفضة او ببنادق من الذهب

وذلك تبعاً لثروتها وكذا مروحة من ريش النعام ومكحلة والقلة والمروحة والمكحلة يسمونها (العمارة)

وعقب عقد النكاح يذهب العريس الي منزل العروس بالجهاز المسمى بالعدة وبرفقته جماعة من احبته وندمائه فلما يصلون اليه يدعوهم والد العروس او احد اقاربها الى الجلوس ثم يأتى لهم باطباق من الخوص مملوءة بالحمص المقلي والتمر وغيره و يوزعه عليهم فيأكلونه ثم ينصرفون الى حيث اتواو بعد مضى مدة تقام الاعراس كالمعتاد وفي ليلة الحناء يؤتى بطست ملآن منها ونار موجحة بجانبها فيتقدم والد العريس الى الطست ويغمس يديه فيه ثم يتحول ازاء النار فيجففهما عليها و يضعها في يدى ابنه قائلا له (اعطيتك البركة وطول العمر ووهبت لك كذا) اي مما يملكه من عقار وماشية ونقود وامتعة وتقتدي به في هذه الرسوم زوجته والدة العريس و بعض اقاربه والحاضرون شهود على ذلك

وفي وقت العصر من يوم تلك الليلة يحضر الحجام (المزين) فيزيل جزءا من شعر رأسه و يترك الباقى قطعاً متفرقة يسمونها بالجزائر لا يرضى بازالتها الا اذا قدم له الحاضرون نقودا و بعد صلاة العشاء في المسجد يزف بالدف والطبول ونقرأ امامه الاوراد والاذكار والموشحات الى ان يصل بيت العروس فعندئذ يجرد سيفه ويطرق به بابه الى ان يفتح له فيدخل و يمضي باقي الليلة معها وفي الصباح يخرجان وحولهما الاهل والاقارب والخلان الى البحر فيملأ كل منهما قلة صغيرة بيده و بعد ان يأخذا في افواههما منها شيئاً يبخان بعضهما و يبذلان الجهد في ذلك حتى ينفد الماء ثم يذهبان الى بيت الزوج (و يشترط اهل العروس بعض الاحيان) على هذا الاخير ان لا تبرح ابنتهم منزلهم حتى تضع اول حمل

فيقيم معها مدة ثلاثة ايام بدون ان يخرج من المنزل وكلما اطال مدة المكث والاقامة كلما كان ذلك دليلا على شدة محبته لها

ومن عاداتهم في المآتم انه اذا مات لاحدهم ميت كهلا كان أو شابا قام ابوه أو أحد أقاربه وذويه يطوف في البلدة يبكي ولا بكاء الخنساء وينوح ولا نواح الحمائم ويقول وهو واضع يده في خصره أو خلف ظهره (في سبيل الله ياوالدي أو ياولدي او في رحمة الله ايها الفقيد ويسمون هذا الدعاء بالحوار ويعتبرون من لم يفعل ذلك شامتا وغير مشارك لهم في مصابهم وبعد غسل الميت يحمل في تابوت يسمونه (العنجريب) ومعناه الاريكة باللغة البربرية الى القبر وهناك تنصب له مايسمونه بالحصيرة وهي عبارة عن سجاجيد تفرش على الارض لجلوس المعزين وتبقى في مكانها بضعة أيام ليلا ونهارا

ومن عاداتهم ايضا انهم في أول يوم من شهر ربيع الاول ينبه فقهاء الكتاتيب منهم على الاطفال الذين يتلقون عليهم المعارف الابتدائية باحضار اطباق بيض من منازل أهلهم فلما يحضرونها في اليوم الثاني يتلو عليها الفقيه بعض الآيات القرآنية ثم يناولها اليهم وبعد ذلك يطوف بهم المحلة أو القرية او القبيلة ويأمرهم بان يكرروا بصوت واحد هذه الجملة [العزومة يابنات] فتخرج النساء من اخدارهن ومنازلهن ويطلبن الاطباق من الاطفال فيشربن فيها ماء تبركا واستبشارا ثم يرددنها اليهم ثانيا وفيها شيء من الدراهم او من الخبز او من التمر او مما قسم الله كل منهن على قدر سعتها وطاقتها ولا يزالون يطوفون على البيوت والخيام الى ان يدبر النهار ويقبل الظلام وعند ذلك يستولى الفقيه على ماتحصل والسلام

﴿ الزواج في اليابان [1] ﴾

تشتاق النفوس الى الغريب من الاشياء ولذا كان أشوقها لدى نفوس الباحثين عن طبائع العمران البشري اقصاها مرمي وابعدها شقة

والقاريء يعلم ان مملكة اليابان من الممالك القصية عنا وان جمعتنا معها جامعة الشرق وقد سارعت بنفسها الى المسابقة في ميدان التمدن الحديث فهي على هذا قريبة عهد التمسك باذياله ولكنها اشتهرت بحب المحافظة على تقاليدها وعاداتها وآدابها القديمة بحيث ان نواميس ارتقائها لا تسمح لها بتغيير شيء من عاداتها الا ما كان مشوها لمنظرها

وعليه فالذي يحيط بشيء من عاداتها الاصلية انما يحيط باقدم عادة في اقصى امة بيننا وبينها صلة الارتباط الجنسي وفي ذلك غاية ارب الباحث الذي يقدر العلم حق قدره

لهذا احببنا ان نهدي حضرات القراء بنبذة تتضمن ما تجري به عادات أولئك الاقوام عند ما يراد القران بين فتى وفتاة على سبيل الزواج المشروع ومعلوم انها من المسائل الاساسية في العائلات البشرية بل هي في الحقيقة ونفس الامر الاساس للمجتمع الانساني قاطبة ونراها جديرة بعناية حضراتهم لما احتوت عليه من كثير من آداب القوم الاصلية وعاداتهم الموروثة والطارئة تذرعا الى العلم بدرجة ما هم عليه من الاحوال المدنية اجمالا فنقول

اذا اراد احد اليابانيين الاقتران بفتاة من اي طبقة كانت ذهب الى احد المحترفين بحرفة وساطة الزواج وبين له الغرض الذي يقصد وسواء عين له مريد الاقتران فتاة مخصوصة اوشرح له المراد من صفاتها وصفات العائلة التي

---

(١) بقلم صاحب هذه المجموعة

يريد ان يقترن من طبقتها فان ذلك الوسيط يسارع الى ابوي المخطوبة في المسئلة الاولى او البحث حتى يقف على الغرض في المسئلة الثانية ويعرض غرض الخاطب على ابوي البنت اللذين يقبلان او يرفضان الطلب بادئ بدء فان كانت الثانية انبت حبل الامل وان حظي بالقبول واقترن سعيه بالنجاح ذكر لهما المحل الذى يرغب الخاطب الملتقي فيه وعرض عليهما تعيين الوقت حتي اذا جاء الميعاد المحدد تهيأت الفتاة وذهب بها والدها الى المحل الذي يكون في انتظارهم به الزوج والوسيط وهو اما من المحلات العمومية كالملاهي والقهاوى أو محلات تعاطى الشاي او منزل الوسيط واجدر بهذا المجتمع ان يسمي معرضا لان فيه عرض الذات على الذات والصفات على الصفات ولذلك تتكلف الفتاة كل رسوم الآداب وتلازم الصمت والسكوت وتجلس في هذا المنتدى منزوية خلف ظهر ابويها يحجبها الحياء عن نظر الخاطب الخاطف بلمحاته ما يبدو من خلال ذلك الاحتجاب

وكذلك يتكلف الزوج كل ماليس فيه من مظاهر الاحتشام والوقار وعفاف النفس وكل صفة فاضلة تدل على كرم محتده وطيب عنصره لانه يعلم وقتئذ ان فتاته تختلس النظر اليه بطرف خفي ناقدة اياه ذاتا وصفات كما تنقد الدنانير

وقد جرت العادة ان يقدم لهم في هذا المجلس جانب من الفطير والشاي فيتناول كل مايروق له الا الفتاة فانها تكتفي بتناول اليسير من الفطير بين أصبعيها السبابة والابهام كما تقنع بتعاطي مايبل الشفتين من الشاي لانها كما تقدم تبالغ في الظهور بحلى القناعة والادب وعزة النفس وبعد هذا المجلس الذي يكون قاصرا على تبادل التحية من الجانبين يفترقان كمتصلين لان حديث

كل فريق منهما يكون موضوعه الفريق الآخر والغالب ان الخاطب يكون قد شاهد مخطوبته مرارا ولم يتقدم لخطبتها الا بعد ان تكون اخذت محلا من فؤاده فهو بهذاالمجلس لايستأنف الا حكم المحبة وزيادة الارتباط بخلاف الفتاة فقلما تكون شاهدت خاطبها الا في هذه الساعة فاذن يكون لها مجال الحكم في شأن الخاطب وهل راق في نظرها ام لا ولذلك تسألها امها متى خلت من الرقيب اثر ذلك الاجتماع هل اعجبها الخاطب ام لا ويكفي في جوابها الاشارة اوالصمت فضلا عن احمرار الخجل ان كانت راضية والا فلسان الحال افصح من البيان

ولكن للوقوف على كل مايخالط قلب الفتاة نحو ذلك الشاب الخاطب يعهد لمرضعتها ان تحادثها في شأنه لان من عادة البنات ان يرفعن الستار مع مرضعاتهن عن كل شيء حتى مايسبلن عليه الحجاب مع امهاتهن ومثل المرضعات في هذا الخادمات فالفتاة لاتستحي ان تعرب عما في نفسها لخادمتها

والبنات اليابانيات لايستطعن عادة مخالفة رغائب والديهن فلو شاء الأب او الأم زواج فتاة بفتي لم يعلق حبه بقلبها مااستطاعت ان تمانع في ذلك ولو كانت مصابة بسهم الحب من غيره وفي هذه الحالة ربماتذهب ضحية الطاعة والامتثال ولا تقدر ان تلفظ بما يخالف رغبة الابوين وكثيرا ماتخلصت الفتاة من مرارة الحياة وكدر الاقتران القهري بالانتحار . والدنيئة تفر من بيت ابيها مفضلة العار على الزواج القهري

واذا تلاقي القلبان واكتحلت بالرغبة العينان واعربت الفتاة كما اعرب الفتي بالرضي عهد الى الوسيط تحديد زمن الزواج وهو لايكون الا في احد فصلى الخريف والربيع من السنة ولا يمكن ان يكون قران الا فيهما

لشدة توقد جمرات القيظ في غيرها كما ان العوائد قضت ان لايكون قران في اواخر السنة والناس في تهيئة المعدات للاحتفال بعيد فاتحة العام المقبل وقد اشتهر اليابانيون باعتبار هذا العيد لدرجة يتخيل معها الانسان انه من اقدس الاعياد الدينية والمواسم التى قررها العرف والعاده

ولما يقترب حين الزواج يقدم الخاطب الى اهل مخطوبته هدية يحملها الوسيط تشتمل على جملة من انواع الاقمشة من الحرير او التيل او القطن على نسبة حالة المهدي ان كان غنياً او بين بين او فقيرا ويصحب هذه الاقمشة مايروق منظره من ادوات الزخرف والزينة للعروس وبعد ايام قلائل يشفع هذه الهدية باخرى مشتملة على جانب من السمك المقدد وعدة اوان كبيرة مملؤة من نبيذ الساكة [وهو نوع من الانبذة اليابانية] ومبلغ من النقود وهو وان لم يكن ذا بال فقد حفظت رسومه العادات الموروثة والتقاليد القديمة وكان في الاعصر السالفة شيئاً يذكر بل اصبح الامراء يكتفون بكتابة ارقام في بطاقة صغيرة تصاحب هذه الهدية رمزا الى تلك العادة

والوعاء الذي توضع فيه هذه الهدية اشبه شيء بالميزان له كفتان يضع الوسيط عاتقه على كتفه وقد نقش بالحروف و زين بالالوان المختلفة في درجة الاتقان حسب اختلاف مقدرة الخاطب وعند مايقترب حامل هذه الهدية يكون في استقباله بانواع الاحتفاء جميع اعضاء عائلة الفتاة فيحيونه بصنوف التحية دلالة على رضى العائلة جميعها بهذا القران المحبوب ومن ادلة تمام الرضى ان يكافوه بدعوة الخاطب و بعبارة العريس وابويه الى مأدبة يكون فيها هو ايضاً مدعواوتكون هذه المأدبة عنوانًا على درجة ماعند العروسين من الاحساسات القلبية والروابط الحبية وماعند اهل الفتاة من انشراح خواطرهم

وارتياح نفوسهم من عقد هذه العروة الوثقى بينهم

و بعد عدة ايام تمضي من ذلك يرفع اهل العروس الى الخاطب هدية على يد ذلك الوسيط ايضاً من نوع تلك الهدية الاخيرة فيكافه اهله بدعوة ابوي المخطوبة الى مأدبة شبيهة بتلك المأدبة دلالة على تكافئ الاحساسات عند الفريقين

ولكن اذا كان والد المخطوبة من رجال العسكرية فان هديته الى الخاطب تكون محتوية على سيف ومبلغ من النقود تقضي الآداب القومية ان لا يكون ازيد من المبلغ الذي كان من مشمولات الهدية السابقة كما انه ينوب عنه الرقم في الورق ان اكتفي به الخاطب على ماتقدم

ومن رسوم عاداتهم ان يكون في الهدية الاولى بين تلك الاقمشة مايعمل ليلبس اول ملتقي العروسين وقت الزفاف كما ان من الواجب على كل منهما ان يهدى الآخر مائدة صغيرة مشتملاتها اناء من النحاس او الخزف او الخشب قد غرس فيه غصن صغير من شجر الراتينج رمزا على دوام نضارة الشباب لشهرة هذا النوع بين الاشجار بعدم تغير لون ورقه وفوق هذا الغصن صورة طير اللقلق وفي اسفله صورة سلحفاة صغيرة رمزا على الامانة وطول العمر لان من معتقدات اليابانيين ان اللقلق يعيش اكثر من الف سنة والسلحفاة تعيش نحو عشرة آلاف سنة ودليلهم على ذلك عدم وجود جثث مايموت من هذين النوعين و يكون على هذه المائدة ايضاً نوع من السمك الاحمر و يسمي بلغتهم [تائي] ومعناها باليابانية [سعيد] من باب التفاؤل

وعند الزفاف يهيئ اهل العريس له قاعة تكون جامعة لانواع الزينة وضروب المحاسن من اثاث نفيس واوان فاخرة فاذا ازفت ساعة الزفاف وهى

الساعة الثانية بعد غروب الشمس هرع الخدم والحشم من دار العريس لاستقبال عروسه على مسافة قاصية وقد لبسوا الملابس الجديدة ونقشت عليها اسماؤهم بالنسيج المزركش بالقصب اوالذهب حتي اذا أُقبلت العروس في موكب يكون فى الابهة ومظاهر الجمال على قدر بسطة حال اهلها ومكانتهم من الثروة والغنى والجاه وربما شذوا عن هذه القاعدة فبذلوا ما عندهم من المال والنوال في سبيل اتقان الزينة وفخامة المظهر فتكون الملاقاة غاية مايمكن من اظهار امارات السرور والانشراح وتعلو ضجة الفرح من الفريقين

وقبل ذلك يكون قد ذهب بعض خدم العريس الى منزل عروسه وفي يد كل واحد منهم مروحة افضل ماتري عليه ان تكون زرقاء اللون قدنقشت عليها كلمات تدل على معاني السعادة او الراحة او التوفيق تفاؤلا ومع كل واحد منهم غير هذه مصباح كتب على كل الواحه اسم العريس . ومأموريتهم ابلاغ ابوي العروس ان قد تمت معدات الزفاف ورسوم الاحتفال وتهيؤ العريس لملاقاة عرسه

فاذا اتمت العروس ايضاً النظر في جميع امور زينتها وتجملت وتكملت تأخذها امها في قاعة منعزلة عن الناس فتلقي عليها من النصائح ما يأتى

(ايتها البنت المحبوبة يجب عليك ان تطيعي زوجك وان تعتبري ابويه ابويك فانهم صاروا من الآن اهلا لك وان الفتاة متي تزوجت استعاضت عن اهلها باهل آخرين فوجب عليها ان تعاملهم كما كانت تعامل اهلها الاول واعلمي ياابنتى ان الزواج دور جديد من ادوار الحياة فاذا خرجت من عند امها قابلها ابوها فكرر عليها تلك النصيحة بعينها

وعند ذلك تقترب منها مرضعتها واخواتها واترابها فيسارعن لتجريدها

من ثيابها التى كانت عليها ويلبسنها ثياباً جديدة قد اعدت لها من الديباج الابيض قد وضع كل منها فوق الآخر بنسبة في القصر وفوقها كلها ثوب ابيض امتاز عن البقية باتساع الاكمام وانسدال ذيله الى الارض ثم تمنحها امها هدية تحملها هي الى منزلها الجديد وهي عبارة عن عدة مناديل من الورق اشبه شيءٍ بالدفتر الصغير ومخلاة تحتوي على جملة ادوية من التى اعتيد استعمالها للاطفال وكيس يحتوي على كمية قليلة من الدراهم وعدة صور تمثل كثيرا من الاولياء والاتقياء على شكل كراسة صغيرة ثم تغطيها فوق كل ذلك بازار ابيض يحجب عنها كل نظر كما يحجب عينيها من نظر كل شيءٍ بحيث لاتقع عينها على احد وهي بهذه الحالة غير عريسها الذي ينتظرها على صبر احر من الجمر

اما هي من الموكب ففي هودج مع امها ومرضعتها قد حمل على اعناق الرجال وعند ركوبها ترتفع اصوات الفرح والتهليل بما ترتقص له الارض وتهتز به جوانب الموكب وينحصر صليل اصواتهم المصحوب بالتصفيق الحاد في النداء تسع مرات بهذه الكلمات يوا يوا يوا (اعني سعادة سعادة سعادة) ويعتقدون ان هذا النداء يطرد الشياطين من ان تصاحب الموكب واقرب الناس الى هودج العروس وسيط القران وجميع اصحاب واخدان العريس فاذا وصلوا الى بيت العرس اسرعت المرضعة والام بالنزول من الهودج واحتضنتا العروس فتدخل تتهادى بينهما

ومن العادات المتبعة انه قبل ان يصل الموكب الى منزل العريس يسرع ذلك الوسيط اليه ليتفقد نظام القاعة واوضاع زينتها وترتيب ادواتها وليشاهد غصن الراتينج هل هو موضوع في المحل المعتاد وضعه فيه ام لا وهل نبيذ الساكة قد جهز بكيفية خاصة ام لا حتى اذا تحقق من وجود كل شيءٍ كالواجب

عاد الى مكانه بين المحتلفين فاذا تيمنت العروس اوتيمن المنزل بحلولها فيه بين صيحات الفرح وتهليل السرور وكانت القاعة مكملة المعدات جامعة لجميع اصناف الزهور الا زهر [اللواتوسى] و [السيكيبي] وهما من الازهار المقدسة التى لايصح قطعها الا لوضعها على اجداث الاموات عني الوسيط بجمع العروسين واهليهما على نظام مخصوص لاجراء عقد القران

وكيفية ذلك ان يوقف العريس بين والديه في جانب والعروس بين ابويها في جانب آخر متقابلين بحيث يفصل الفريقين مائدة قد وضع عليها اوان بشكل هرمي فى ثلاث اوان مملوءة بمحلول صمغ الك ويجلس الوسيط وزوجته متجهين لبعضهما بين العروسين ووراءهما خادم العريس وخادمة العروس فاذا استقر النظام على هذه الكيفية ابتدأ في اجراء عقد الزواج وعند ذلك يشرب كل من الجالسين مرة من الكاسات الموضوعة على تلك المائدة

ولئن بدت هذه العادة فى مظهر البساطة فانها على جانب من الاحكام والاعجاز لايقوم بها الا الماهر الحاذق . وبيان ذلك ان يأخذ كل شخص الآنية من يد الوسيط او يد زوجته ليشربه ويعيده اليها والمكلف بمناولة الكاسات وقتئذ هو كل من الغلام الخادم الواقف وراء الوسيط والخادمة الواقفة وراء قرينته وفي ايديهما الاباريق فاذا ملآ الكاسات يجب عليهما قبل مناولتها ان يؤديا التحية وهي ان يدور كلاهما على كعبيهما ثلاث مرات في كل مرة يتلامسان بالاواني التي في ايديهما ثم يسكبان منها في الكاسات التي بايدي الوسيط وزوجته ثم يفترقان منهما ويعودان اليهما بعد ان يكونا قدما الكاسات للاشخاص الستة وهم العروسان وابوا كل منهما كما تقدم ويستمر الحال على هذا المنوال مدة طويلة لاتقل عن ساعة يتناول فيها نحو من ٤٠ مرة

ومن آدابهم ان لا يفوه احدهم بكلمة واحدة وقتئذ ثم يقوم الوسيط ويترنم بالحان قديمة يقص بها قصة دخول سفينة مشهورة عندهم في الميناء وفي اثناء ذلك يتقدم الوسيط فيرفع الازار عن جسم العروس دلالة على تمام عقد القرآن ويأخذ اثر ذلك بيدها ليجلسها بجانب زوجها ومتى كان ذلك ختمت هذه الحفلة

وقد اعتبرت الاواني الثلاث المملوءة من ذلك المحلول الذي يتعاطى منه افراد هذه الحفلة رمزا على عفاف الزوجة وغيرتها على زوجها ومن حيث ان الرجل في اصطلاح اليابانيين لجميع الشرقيين يفضل المرأة فمن الواضح ان يعطى العريس اول كاس عند التعاطي خلافاً لمن زعم ان الكاس الاولى للعروس لما فيه من مخالفة القاعدة

واما الاغانى التي يلحن بها الوسيط اثناء رفع الازار فمدلولها معني ما يأتي [في ميناء تكساجو لقد علا هدير المياه واختلفت اشعة القمر المرسلة الى امواجه الفضية]

وفى اثر انفضاض هذه الحفلة يأتى الحشم بثمان موائد يحملونها على ايديهم الى صدورهم ثم يضعون امام كل نفر من الحاضرين واحدة منها وفوق هذه الموائد قضبان واوان صغيرة. من الخشب قد صفحت بالذهب والفضة تحتوي على شراب مخصوص وجانب من نوع المحار وهو رمز الى التوافق والاتحاد بين العروسين وكما ان اطاري المحارة (مصراعيها) يتطابقان كل التطابق فامنية المحتفلين ان يكون هكذا شأنهما وفاقاً وطباقاً

وفى اثناء ذلك كله يكون المدعوون في تناول الطعام فاذا فرغوا منه غسلوا ايديهم وقاموا جميعاً لتهنئة العروسين فيقول كل واحد منهم (اتمنى لك السعادة العظمي)

ثم يشتغل الوسيط وزوجته بوضع المجلس على النظام الخاص المعتاد

اجراؤه وقتئذ بان يجمع اهالي العروسين فيضع خال العريس مثلا امام خالة العروس وعمه امام عمتها وهكذا ومع مايقاسي الوسيط وزوجته من العناء والتعب في هذه الليلة فانهما يتكلفان كل ادب ووقار ورزانة بحيث لاتخرج من فيهما لفظة الابعد ان يحاسبا عليها النفس الف حساب خشية ان تكون غير لائقة بالمقام

وقبل انصراف المدعوين يقدم الطعام للعروسين فلا يأكلان منه شيئاً لان جسمهما يكون متغذياً بروح السرور فلا يسع ماسواه من الاشياء المادية وبينما يكونان جالسين على المائدة يأتي امامهما جميع المدعوين ويهنئونهما على قرانهما وفي اثناء ذلك يتظاهر العروسان بالحياء والخجل ويودان ان لا يسمعا هذه التهاني ثم يقدم الخدم للعروسين مائدة عليها عدة اوان محتوية على النبيذ الياباني وعقبها مائدة اخرى عليها جزء من السمك وشيء من الفواكه التى تقطف من احسن الحدائق

واذا اقبل منتصف الليل يقوم العروسان ويسلمان على الحاضرين بكل احترام ويدخلان في قاعة منعزلة في البيت حيث يجدان نارا عليها ماء سخن فينزع كل منهما ملابسه ويلبس ملابس النوم التى تكون في العادة من الحرير ويجلسان على السرير المعد لهما وهو مركب من فرش يبلغ ارتفاعه نصف متر ومخدة من الخشب المصفح بالذهب والفضة يوضع فوقها مخدة اخرى من القماش المزركش وفوق هذا القماش شيء من الورق مخافة ان المعدن المزركشة به المخدة يجرح خد العريس او العروس اثناء النوم واما الغطاء فهو من الحرير وهو معلق في الفراغ على مسافة قليلة من جسم النائم بواسطة بكرة مثبتة في السقف يدور حولها حبل طرفه مثبت بالقرب منه فيمكنه على حسب

الارادة ان يخفض الغطاء بارخاء الحبل او رفعه بجره

ومن العادة ان مرضعة العريس ومرضعة العروس هما اللتان تخدمانها فيما بقي من عمرها ويكون لهما الحق في الاطلاع على جميع اسرارها الخفية ولذا كان المحل المعين لنومها على الدوام بقرب باب القاعة التي ينام فيها الزوج وزوجته

﴿ عادات اهالي جزيرة صقليه[1] ﴾

قد كثر كلام الجرائد السياسية في هذه الايام بشأن جزيرة صقلية او سيسليا وهي احدى جزائر البحر الابيض المتوسط التابعة لبلاد ايطاليا وقد ذكرنا ذلك بايراد نبذة نقلا عن احدى الجرائد الاروبية يعلم منها القارئ اطوار اهالي تلك الجزيرة وهي

ان كل ساكن من سكان مدينة بالرمة قاعدة تلك الجزيرة يشعر في نفسه بانه امير من الامراء ولا تمضى ساعة من يومه الا ويفتكر في امر من شانه ان يزيد في اظهار كبريائه وعظمته فتراه في عصر كل يوم يسير في عربة يجرها اثنان من جياد الخيل واغلب السكان عندهم عربات خصوصية ومن ليس عنده منهم عربة يعتبرونه قد سقط من مقامه ووقع من مرتبته وصار ممن اخنى عليهم الدهر ولهذا ترى كل رئيس عائلة ولو كان فقيرا يسعى جهده في الحصول على عربة خصوصية وربما اشترك جملة من الفقراء في شرائها دفعا لشبهة الفقر عنهم

ومن غريب عادات النساء هناك انهن لا ينزلن من عرباتهن لقضاء

(١) بقلم صاحب هذه المجموعه

مايلزمهن من الاسواق بل البائع مضطر الى عرض اصناف بضاعته عليهن وهن في عربتهن وقد حاولت الملكة ماغريت قرينة جلالة الملك ابطال هذه العادة اذ كانت تذهب بنفسها الى الاسواق لشراء مايلزمها من الاقمشة فلم تتمكن من الوصول الى تلك الغاية وقالت احدى الكاتبات وهي ممن اقمن في مدينة بلرمه السنين الطوال ووقفن على عادات اهلها واطوارهم ان تلك العادة شاملة لجميع الطبقات حتي ان المرضعة لتستحي من السير في الطرقات حاملة طفلها المكافه بارضاعه وتربيته وكذلك الخادمات فان سيداتهن اذا كلفتهن بشراء حاجة من اسواق المدينة لايرضين الذهاب اليها الا اذا رافقهن خادم يحمل ماتشترينه وهذا ايضا لايحمل مايشتري الا في شنطة المسافرين لكيلا يظن من رآه انه خادم

واما سائقو العربات فاذا كان الواحد منهم مستخدما عند احد الاطباء لقيادة عربته وتوجه هذا الاخير لمعالجة مريض فان السائق يطلب من اهل هذا المريض مكافأة لاتقل عن فرنك واحد في كل زيارة اما اذا كان مستخدما عند احد الاغنياء وحدث انه مشي في جنازة ميت كان مولاه يعرفه او اهله طلب من هؤلاء لدى الوصول الى المدفن مكافأة لاتقل عن خمسة فرنكات ويستند في هذا الطلب على ان نظافة العربة كانت من متممات الاحتفال بتشييع الجثة

ومع طموح سكان مدينة بالرمة باجمعهم من غني وفقير وكبير وصغير الي التظاهر بالابهة والمجد فانهم من اكثر اهالي اروبا تعلقا باذيال مذهب الاشتراكيين وربما كان لتساويهم في الكبر يادخل في اعتقادهم بهذا المذهب ومنشأ تعلقهم به هو ان رجلا يسمى باكونين انشأ في مدينة نابلي سنة ١٨٦٧

فروعا لجمعية عمومية الغرض منها ادخال العمال في دائرة حزب واحد ليقووا على الذود عن حقوقهم وقد علم سكان جزيرة صقلية بمبادئ هذه الجمعيه فتمسكوا بها وانشاؤا لها فروعا عندهم فاخـذ الاهالي يتهافتون على الانتظام في سلكها ليتمكـنوا بواسطة ذلك من الزام الحكومة ان تلتفت الى تحسين احوال العمال الزراعيين

ولم يكن لهـذه الجمعيات الفرعية في مبدأ الامر خطة تمشى عليها او غاية محدودة تسعى لها فاستدعاها المسيو دي فيليس احد كبار الاشتراكين الى الاجتماع في دائرة واحدة ووفق بين جمعيتين مشهورتين احداها تسمى جمعية ابناء العمل والثانية جمعية ابناء اتنه وقد اخذت هذه الجمعيات المتحدة في الامتداد حتى خيف من نفوذها وضعف الحـكومة امامها

وفي شهر نوفمبر الماضى بلغ عدد الجمعيات المتحدة ١٦٣ جمعية وهو عدد كبير بالنسبة للاهالي يتضح ذلك بانه يوجد من سكان مدينة كرليون الذين يبلغ عددهم ١٧ الف نسمة ١٠٠٠٠ اعضاء في تلك الجمعيات على اختلافها واما مدينة كستلترميني فجميع اهلها ماعدا النساء والاطفال الصغار منتظمون في سلكها وقد قضت الظروف التي الزمت الحكومة الايطالية باخذ الاحتياطات الصارمة لمنع اهالى جزيرة صقلية من النزوع الى الثورة والهياج بسجن المسيو دي فيليس زعيم تلك الجمعيات

ولنرجع الى الكلام على عادات النساء في تلك الجهات فنقول انهن جمعن بين صفتين احداها جميلة والاخرى قبيحة وهما حسن الخلق وسوء الخلق فما من سبب صغير وكبير يدعو الواحدة منهن الى الكلام الا وبادرت بلفظ كلمات البذاءة والسباب ونهضت الى اللكم والضرب والطعن واذا كانت

الواحدة منهن تتبادل السب والشتم مع امرأة اخرى وانتقلا من الشتم الى اللكم انتهي الامر بهما الى ان تقبض احداهما بيدها على شعر الاخري وتعضها حيث يعثر فمها على جزء من جسم الاخري وتصيح الصياح الحاد وتستمران على هذا الحال الى ان يملا من النزال

ومما يذكر هنا مع الاستغراب التام ان الواقفين لا يتداخلون لفصل المتخاصمين عن بعضهما بل يكونون حولها حلقة و يتأملون حركاتهما كانهم ينظرون امرا لم يسبق لهم ان شاهدوا مثله وقد يعتنون بتوسيع دائرة الحلقة حتى لا يكون ضيقها باعثا على اعاقة حركات المتخاصمين اثناء قتالها

والواقفون على احوال الجمعيات الايطالية التى تكلمنا عليها في صدر هذا الفصل يؤكدون بان كثيرا منها في بعض الاقاليم الا يطالية لاسيما في جزيرة صقلية اكثر اعضائه من النساء و يسندون ذلك الى الفقر الذي حط رحاله في السنوات الاخيرة بين الايطاليين لما التي على عواتقهم من اعباء الضرائب الباهظة بوجود المجالس البلدية التى لا تترك شيئا من المواد الغذائية الضرورية للحياة الا وتعين عليه الضرائب الثقيلة فاصبح الاهالى من رجال ونساء يئنون من ثقلها ويبادرون بالدخول في دائرة الجمعيات الثوريه لاجل الوصول الى غاية يكون من ورائها تحسين احوالهم المعاشية

ومعلوم انه بالنسبة للامن العام الوطيد الاركان في فرنسا بسبب خفة الضرائب تري الفلاحين فيها يسكن كل واحد منهم في وسط اراضيه فيبيت آمنا على حياته وامواله والعكس حاصل في ايطاليا وجزيرة صقلية فان من يسكن وسط اراضيه من يكون على يقين من ان حياته اضبحت معرضة لهجمات اللصوص والاشقياء الذين يعيثون في الارض ليلتمسوا الرزق من غير وجهه

المشروع وقد بعثهم على ذلك الفقر المدقع الناتج من اعتساف الحكومة والحاحها في طلب الضرائب · ولما كان الفلاح الايطالي مضطرا بالطبع للاستئمان على نفسه ونفيسه ان يسكن المدائن والقرى فانه يقع مباشرة تحت مظالم المجلس البلدي الذي يبتز امواله بلا شفقة ولا مرحمة واهم الضرائب التي يطلبها هذا المجلس هي المفروضة على المواد الغذائيه كالقمح والدقيق والارز والخبز الخ

وكلما ازداد فقر الممولين ازدادت المجالس البلدية والحكومة الحاحا بطلب الضرائب والرسوم وقد بلغ مجموع هذه المكوس في سنة ١٨٧٠ — ٦٠ مليونا للحكومة و ٧١ للمجالس البلدية اما في سنة ١٨٨٩ فقد بلغ ٨٠ مليونا للحكومة و ١٤٠ للمجالس البلدية ومن هذه الاحصائية يعلم حال الايطاليين خصوصا في جزيرة صقلية وكيف انهم في هذه الجزيرة اصبحوا فريسة في ايدي الجباة ودلت الاحصائيات على ان الايطالي في شبه جزيرة ايطاليا يدفع ٤ فرنكات و ٧٠ سنتيما اما في صقلية فيدفع ٧ فرنكات · ومطالب الحكومة ليست بالشيء الكبير بالنسبة لمطالب المجالس البلدية وقد حددها احد الكتاب فقال ان المكس المعين على دخول القنطار الواحد من الدقيق في مدينة بالرمه يوازي ٨٤ ونصفا في المائة من ثمنه وهذا عدا المكس الذي باسم الحكومة وقد اراد محافظ تلك المدينة يوما ان يقف بالضبط على كيفية تحصيل المكوس والعوائد البلديه المختصه ببهائم النقل والركوب فكلف بعض الموظفين ان يباشر عدد البهائم التابعة للدائرة البلديه ويوافيه بحقيقته سرا فبعد التحقيق الطويل علم ان جميع اعضاء المجلس لا يدفعون شيئاً عن خيولهم وبهائمهم وانهم يتهمون فقراء الاهالي بان عندهم حيوانات كالحمير والبغال ويلزمونهم قسرا بتادية الرسوم المضروبة عليها وليت المبالغ التي تحصلها الحكومة

او المجالس البادية تستعمل فيما يعود بالفائدة العامة والصالح الشامل على الامة بل انها تصرف في انشاء التياترات الباذخة المستجمعة لاسباب الرونق والزينة وطورا في مكافاة العساكر الفرسان الذين يرسلون لاقتفاء اثر اللصوص في الجبال فيعز عليهم متابعتهم اياهم لعلمهم ان حرفة اللصوصية من العادات القديمة بالجزيرة فيحترمون اصحابها ولا يمسونهم باذي وحينا في استخدام عدد ليس بالقليل من الكتاب والحاسبين بالمجالس والمجلس في غنية عنهم لامتلاء قاعاته بموظفين نصفهم يكفي للقيام باعماله وبالجملة فان سياسة المجالس البلدية في مدينة بالرمة منحصره في تكثير الضرائب لصرف محصولاتها في امور لاتعود باية فائدة على الاهالي

واذا تامل الباحث في اسباب انتشار الفقر في البلاد الايطالية يجدها منحصرة في استنجاز الحكومة والمجالس البلدية مطالبها النقدية من الاهالى وروى من يوثق به ان الجباة في مدينـة كارامونتي باعوا في المزاد العمومي ١٦٩ منزلا لعدم قدرة اصحابها على دفع الرسوم المفروضة عليها وهذه الضرائب عبارة عن ٥ فرنكات على سبعة منازل منها و ١٠ على ٣٠ و ٦٠ على ٥٨ و ٣٠ على ١٦ و ١٥ على ١١ وقال احد الحجامين من اهالي جزيرة صقلية واسمه يوليوس ر ددنبرغ (ان المجالس البلدية لم تترك لنا سوى ماتتنفسه من الهواء) وتوجه احد الباحثين عن احوال الامم وعاداتهم الى صقلية فاحدق به جماعة من الشحاذين لطلب الصدقة منه فقال لهم لماذا لاتشتغلون فاجابوه لاشغل لدينا فقال اني ارى حولى اراضي خصبة لاتحتاج الا الى اليد العاملة لتخرج من بركاتها مايجعلكم في ملجاء من عذاب الفقر فاجابوه ان الارض التي تشير اليها وان كانت خصبة ولكنها تحتوى على احجار كثيرة ويريدون بهذه

الاحجار مطالب الحكومة وملتمساتها التي لو تصدوا الى زراعة الاراضي لما كفي محصولها لوفائها

هكذا تكون نتائج التمدن الاروبي في آخر القرن التاسع عشر

❋ عادات الامم في التحية [1] ❋

كما تختلف الامم في جنسياتها واديانها والسنتها تختلف ايضا في عاداتها وفي كل عادة على حدتها منها واشد من هذه العادات تباينا تبادل التحية بين اثنين من افراد كل امة فبينما تري الاوروبيين و بعض الامم الشرقية تعبر عن التحية بالمصافحة اليدوية تجد غيرهم على نقيض ذلك بالكلية وعادة المصافحة بالايدي مأخوذة عن اليهود بواسطة قدماء النصاري فان الاسرائيليين كانوا الامة الوحيدة التي تتصافح بالايدي في الازمنة السالفة

واذا تجول الانسان في انحاء العالم يري في الصين انه اذا تقابل اثنان من ابناء المملكة السماوية ولو لم يمض على افتراقهما زمن طويل فانهما يتصافحان بيديهما ثم يأخذ كل منهما يد الآخر ويضعها علي قلبه قائلا مرتين متواليتين ايزم ايزم واما اذا كان التلاقي بعد طويل فراق فانهما يسجدان على ركبتيهما احدهما تجاه الآخر وجبهتاهما ملصوقتان بالارض ويكرران ذلك اللفظ بعينه

واذا تقابل صيني مع احد من ذوي المراتب العالية والدرجات السامية فانه يضم يديه الي بعضهما ويضعهما فوق راسه ثم يركع وهو على هذه الحال واذا تجاسر واحد منهم على اداء التحية بالطريقة الافرنجية فعقوبته عندهم هي ان يجلد مائة جلدة لان كشف الرأس في اعتبار الصينيين احتقار لمن يفعل معه ذلك

---

(١) بقلم صاحب هذه المجموعة

وعادة التحية والسلام في الجهات التي حول جبال حملايا والجهات الوسطى من آسيا هوان يتلاقي المتقابلان اللذان يريدان تبادل التحية بظهريهما ثم يدومان مدة يحرك احدهما ظهره في ظهر الآخر

ويتبادل اهالى بلاد الهندستان التحية بان يقبض كل من المتقابلين على لحية الآخر اما اهالى جزائر الاقيانوس الهادى فامرهم في التحية غريب لانه اذا اراد احدهم ان يظهر للآخر امتنانه وشكره والاعراب عن ميله له واعتباره اياه اويهديه احسن تحية فانه يدنو منه الى ان يلتصق انفه بانفه ويفعل الاثنان بهما مايفعل سكان آسيا الوسطى باظهرهم

ومع ذلك فانه لايجوز ان يفعل ذلك الا الذين هم من طبقة واحدة في الجمعية اما اذا افضت الظروف بواحد من افراد الطبقة السفلى الى ان يتقابل مع آخر من افراد الطبقة العليا فعلى الاول ان يقوم بحرك انفه في انف الثاني وان ياخذ يده ليضعها على انفه

وللتحية الوان اكثر غرابة من هذه في جزيرة سان لوران فانه اذا تقابل اثنان من اهالى هذه الجزيرة الاصليين واراد كل منهما ان يبدي احترامه للآخر فانه يبصق في كفيه ويدعك باللعاب وجه صديقه

وهذه العادة جارية عند اهالى السومال (جنوبي الحبشة) غير انهم اختصروها فجعلوها قاصرة على ان يبصق كل واحد من المتقابلين مباشرة في وجه الآخر

اما الاينوسيون سكان جزيرة سكالين فانه اذا اراد الواحد منهم السلام على صديق له جعل بطنه لصق بطنه ثم نفخ في اذنه ويفعل الآخر معه ذلك

وللامونيين القاطنين ببعض جهات سيبريا عادة في السلام تناقض كل

تلك العادات فانهم اذا ارادوا اداء التحية والقيام بمفترض السلام يلقون بانفسهم على الارض امام من يريدون السلام عليهم واحترامهم ثم يتناولون اقدامهم ويمرون بها على اوجههم

والقبائل الافريقية كالنازلة مثلا في جهات نهر النيجر اذا ارادوا السلام على بعضهم قصعوا اصابعهم وفي ذلك عندهم دلالة كافيه على المحبة والمودة

وجماعة السودانيين في واداي يسلمون على بعضهم بالمشى كالبهائم اي على ايديهم واقدامهم ويفعل الكاموكيون مثلهم غير انهم يمتازون عنهم بعرك انوفهم في بعضها كما يفعل سكان جزائر المحيط الهادي الذين سلف الكلام عليهم

اما عادات سكان الممالك الغربية من امريكا الشمالية في السلام فهي انه اذا تقابلت المرأة منهم باخرى من صديقاتها ابتدرتها بهذا السؤال « كيف حال وليدك » واهتمام النساء في تلك الاقطار بالسؤال عن صحة الاطفال ناشئ عن ان متوسط من يموت من الاطفال هناك اكثر من متوسط من يموت من المشايخ والمرضى بالامراض العمومية

واهالي امريكا الجنوبية يحبون الاختصار في اداء التحية فاذا فرضنا ان اثنين منهم افترقا ثم تلاقيا بعد عدة سنين فانهما ولو كانا من الاقارب لا يتماسان بالاعضاء كما تفعل بقية الامم في العالم بل يكتفي احد المتقابلين بان يقول سائلا « اماري كو » اي « انت » فيجيبه المخاطب قائلا « أ » اي « انا »

واغرب ما اتصل بنا من عادات التحية والاكرام عند الجونديين وهم من سكان الهند الانكليزية ان الواحد اذا قابل الآخر ورغب في السلام عليه قبض على اذنيه ونزعها بيديه فاذا كانت النزعة خفيفة دل ذلك على فتور العلاقات بينهما والعكس بالعكس

وسكان جزائر كوريا يسلمون على بعضهم البعض بتبادل الصفع على القفا او خمش الخدود

ولو اردنا استقصاء عادات التحية عند جميع الامم للزمنا مجلدات عديدة ووقت طويل وقد كان هذا الاختلاف العظيم مادعا الباحثين في حقيقة الانسان في هذه الايام الى محاولة الوقوف على اسبابه ونحن لانرى تلك الاسباب الا منحصرة عند الامم باسرها من التي تتصافح بالايدي الى التى تتباصق في الاوجه في ميل جميع هذه الامم الى ايجاد طريقة يقدر بها مبلغ كل فرد من افرادها الادب والمعرفة

قضايا التاريخ[1]

ما من فصل اوردناه في الاعداد السالفة من الآداب له مساس بالتمدن والتوحش واسباب ارتقاء وانحطاط الشعوب الا وجعلنا وجهتنا فيه البرهان على ان الدين يجب ان يكون اساساً لكل تمدن يراد تشييد اركانه وان بدون الدين يكون التمدن اشبه بدخان صعد طبقات الجوّ فلايلبث محلقا في الفضاء برهة حتى يتبدد شذر مذر ويذهب ادراج الرياح وقد ضربنا لذلك مثلا ان الامة العربية بلغت اسمى درجات التمدن ولم تسقط من هذه الدرجة الا يوم نبذت الدين جانباً واستهواها شيطان الغيّ والغرور .

اما التمدن الغربي الاروبي فقد دلت التواريخ على ان قائمته لم تقم بالدين وان الوسائل التي ارشدت الاروبيين اليه انما هي ماراوا انفسهم فيه من الحاجة الى الاستكمال كنشر لواء العصيان واشعال نيران الثورات فعندهم

(١) بقلم صاحب هذه المجموعه

الثورة عنوان الدخول في دور الاصلاح والتقدم كما انها دليل عند الامم الشرقية على الانحطاط العاجل والسقوط المائل والشواهد كثيرة على صحة هاتين القضيتين وكتب التواريخ لهذا العهد مشحونة بهما

وليس الغرض من ارسال اليراع في هـذا الموضوع البحث في التمدن الغربي من حيث هو ابن الثورة وصنو الجرائم وانما الغرض ان نثبت هنا ما ارتكبه الاروبيون من الفظائع الشنيعة والاثام المريعة للاستحصال على حريتهم ونبين المفاسد التي سطت حتى على اخلاق العلماء والادباء منهم فالقوا بانفسهم في تيار الجهلاء وصار القضاة منهم لا يفهمون معني العدالة الا بما ينطبق على مآربهم الثوروية وغاياتهم الشيطانية ويدور في اخلادهم من وساوس المطامع السافلة

واشهر الثوارت الاروبية التي كان مدارها على ارتكاب الفظائع ست اولها ثورة سنة ١٦٤٥ بانكلترا وهي التي افضت الى تاسيس الجمهورية بها والثانية ثورة سنة ١٦٦٨ التي ادت الى طرد الملك جاك الثانى والثالثة ثورة ١٧٨٩ بفرنسا وكان الغرض منها استبدال الملكية المطلقة بالجمهورية الدستورية والرابعة ثورة سنة ١٨٣٠ اي ثورة يوليو والخامسة ثورة سنة ١٨٤٨ والسادسة ثورة سنة ١٨٧٠ التي ادت الى استبدال الامبراطورية بالجمهورية الحالية واهم هذه الثورات الست ثورة سنة ١٧٨٩ وقد اخترنا ارشاد القراء الى ماحدث اثناءها من الفظائع بايراد شرح مقتل الملك لويز السادس عشر والملكة ماري انطوانت زوجته والمدموازيل شارلوت كرداي

واذ كان القيام بهذا الواجب يستغرق صفحات عديدة من الآداب فلنلتمس من القاريء عذرا لعدم امكان الاختصار باكثر مما سنفعل اللهم الا اذا

منحنا قسطا من وقته النفيس ليشاهد مما سنقصه عليه مناظر الوحشيه الصحيحة والهمجية الصرفة

ولد لويز السادس عشر الذي حصلت في عهده تلك الثورة سنة ١٧٥٤ وولي الحكم سنة ١٧٧٤ وقد اشتهر في اول امره بالاصلاح ولكن مجلس الاتفاق (الكونفنسيون) اتهمه في آخر ايامه بالتحالف مع الدول الاجنبية على تدمير فرنسا والحط من شانها وحكم عليه في ١٩ يناير سنة ١٧٩٣ بالاعدام وهذه صورة الحكم

المادة الاولى ان مجلس الاتفاق الاهلى قد علم بتواطئ لويز آخر ملوك الفرنسويين ضد حرية الامة وتوفر الامن العام للحكومة

المادة الثانية يقر مجلس الاتفاق على اعدام لويز

المادة الثالثة . يرفض طلبات المحامين عنه المتضمنة التماس الغاء الحكم عليه بالاعدام ويقاضي كل من تصدي لعرض مثل تلك الطلبات ويعاقب عقاب المجرم الذي يريد زلزلة اركان الجمهورية

المادة الرابعة على مجلس التنفيذ ان يعلن هذا الحكم للمحكوم عليه وياخذ الاحتياطات اللازمة لتنفيذه في ظرف اربع وعشرين ساعة تمضى من تاريخ الاعلان واخبار المجلس الاتفاقي بذلك مباشرة

ولما كان يوم الاحد ٢٠ يناير توجه المسيو جارا وزير العدلية ورئيس مجلس التنفيذ والمسيو لوبران والمسيو جروفل من اعضائه الى سجن (التمبل) حيث الملك لويز واسرته في قيد الذل والاسر فواجهه جارا قائلا يالويز! ان المجلس التنفيذي قد كلف باعدامك ثم اشار الى جروفل بتلاوة الحكم المتقدم فبعد ان سمعه الملك اخرج ورقة وناولها الى احد الحاضرين واذا به قد كتب

فيها ما يأتي « اطلب مهلة ثلاثة ايام لاتمكن من تعيين رجل من رجال الدين اعترف اليه بذنوبي واتزود من مقابلة اسرتي في اي وقت اردت وبدون رقيب يطلع على مايدور بيني وبينها وارغب من مجلس الاتفاق الاهلي ان يرفق بعائلتي ويطلق لها حرية الاقامة في اي ارض شاءت واوصيه بالاحسان على اصدقائي الذين عرفوني في ايام الشدة . كتب في سجن التمبل في ٢٠ يناير سنة ١٧٩٣ لويز » ثم ناوله رقعة اخرى مكتوب فيها اسم ادجورث دوفرمون قاطن بشارع باك عدد ٤٨٣ وهو القس الذي عينه للاعتراف على يديه

وبناء على هذه الطلبات قرر مجلس الاتفاق التصريح للملك المسجون بتعيين القس ولقاء عائلته بلا رقيب وكلف احد اعضاء مجلس التنفيذ بان يبلغه «ان الامة بالنظر لما فطرت عليه من حب العدالة ستوالي عائلته بعنايتها ورعايتها » ثم رفض التماسه الخاص بتاجيل الاعدام الى ثلاثه ايام وكلف المجلس التنفيذى بتحرير اعلان لاعلام سكان باريز بما قرره المجلس الاتفاقي وقد لصقت نسخ هذا الاعلان في مساء ٢٠ يناير

ولنذكر انه لما خرج الوفد المكلف بابلاغ خبر الاعدام للملك لويز من عنده اطرق هذا الامير ساعة من الزمن علت على وجهه بعدها علامات الاضطراب والحيرة ثم اخذ يروح ويجيء في القاعة كالذي ينظر حدوث امر وقد فرغ صبره

وروي مرسرو احد مستخدمي المجلس البلدي المكلفين بالمحافظة على لويز ان هذا الامير دخل في قاعة المحافظين فعثر على كتاب عنوانه حقوق الانسان ففتحه واشار الى المادة الثامنه منه وهي «لا يقضى القانون بغير العقوبات الضرورية فلا يصح معاقبة احد الابناء على قانون مسنون قبل وقوع الجريمة

من المذنب» ثم قال لو اتبعت هذه المادة لامكن تجنب اضطرابات كثيرة

وسجن التمبل قصر متين الجدران شامخ الذري بنى في سنة ١٢٠٠ من الميلاد وسط متسع من الارض مساحتها ١٣٠ هكتارا وارتفاعه ٤٨ مترا ويسكن دوره الاول رجال المجلس البلدي والثاني فرقة الحرس والثالث الملك ويحتوي على اربع قاعات واحدة للاكل وثانية للجلوس واخري للنوم ورابعة لاقامة كليرى خادم الملك ولم يوضع في هذه القاعات من الاثاث الا ما كان ضروريا للغاية

وفي الساعة السادسة من مساء ٢٠ يناير حضر الي السجن كل من المسيو جارا وزير العدلية والمسيو سانتير ليخبرا الملك بان قرار مجلس الاتفاق يقضى برفض طلب تاجيل الاعدام ويسوغ له مقابلة عائلته بدون رقيب وانتخاب قس ليودع عنده اسرار خطاياه وقد احضرا معهما القس دي فرمون الذي جاهر باسمه في الصباح طالباً احضاره وانفرد به في الساعة الثامنة

وفي منتصف الساعة التاسعة تقابل مع عائلته في قاعة الطعام تحت مناظرة رجال المجلس البلدى اداء للمفروض عليهم بدوام المحافظة ليلا ونهارا على الملك ومراقبة حركاته واول من قابله من عائلته قرينته مارى انطوانت وبيدها ابنها ثم تليها ابنته مارى تيريز ثم اخته المدام اليصابات وقد كان لويز يلبث معانقا لكل واحدة منهن مدة طويلة تبدى فيها من النواح والعويل ما يلين له الجلمود وقد خرج الجميع من عنده في الساعة العاشرة مساءً بعد ان تواعدوا على اللقاء لآخر مرة في الصباح وحين ذاك اخذ لويز مضجعه بعد ان اوصى الخادم بايقاظه في الساعة الخامسة من الصباح

وما انبلج الفجر في اليوم التالي الا وصارت شوارع باريز كانهار تتماوج

بالناس ذهاباوجيئة فتاهب رجال الثورة لمنع كل طارئ اذ وضعوا في كل قسم من اقسام المدينة العدد الكافي من الجنود ونظموا على جانبي الطريق بين سجن التمبل والمكان الذى نصبت فيه آلة الاعدام (الغليوتين) نحو ١٥٠ الف جندى مدججين بالاسلحة ومنعوا سكان البيوت الواقعة على جانبي الطريق من فتح نوافذها ليطلوا منها . اما تلك الآلة التى اخترعها الدكتور غليوتن فقد اقيمت في وسط الميدان المعروف بميدان الثورة على بعد ٥٠ خطوة من قاعدة تمثال الملك لويز الخامس عشر تجاه قصر التويلري وقد جاء في اعلان المجلس التنفيذي ان سيكون الاعدام فيما بين الساعة الثامنة والساعة الثانية عشرة من الصباح ولذا لم يات هذا الميعاد حتي تقاطر خلق كثير الى الطرقات رغما عن برودة الطقس وانهطال الامطار بكثرة في الليل والصباح وذاع اثناء الليل ان احد عساكر الحرس قتل (لوبلوتيه دوسان فارجو) وان في عزم نساء باريز ان يلبسن ملابس حقيرة ويركضن امام الملك باكيات صائحات ليثرن عواطف الشفقة في قلوب رجال الثورة فلا يعدم الملك ولكن لم يتحقق من ذينك الخبرين غير الاول

ولنرجع الى الكلام على ماحدث في سجن التمبل بعد ان اخذ لويز مضجعه فنقول انه لما وافت الساعة الخامسة من الصباح تنبه الملك من نومه وقال لخادمه لقد نمت طويلا لاني كنت في حاجة الى الراحة بعد مانالني من العناء والنصب امس ثم لبس ملابسه ولم يلبث برهة جالسا حتي دخل عليه القس ادجورث فادي معه صلاة الصبح

وفي الساعة السابعة اعطي اكليري خادمه طابعه وخاتم زواجه وورقة فيها خصلة شعر وكلفه بتسليمها الى الملكة وتبليغ وداعه اليها وبعد ذلك طلب من

رجال المجلس البلدي القائمين بحفظه مقصا ليقطع به شعر راسه فتداولوا في هذا الامر نصف ساعة ثم قرروا اجابته بالرفض فتكدر وقال لاحدهم ارجوك ايها السيد ان تصغى لاجابة طلبي ولا تخشوا ضررا فان خادمي هو الذي سيقوم بقطع ذلك الشعر على منظر منكم فرفض طلبه مرة ثانية · ولا يخفى انه في المساء كان وعد امرأته واخته وابناءه بلقاءهم في الصباح غير ان القس نصحه بعدم مقابلتهم ومثل له مايعتريه من الانفعال الشديد وقتئذ فاستصوب رايه وعمل به وقد اختلف كثير من رجال الثورة الى حيث الملك فيما بين الساعتين السابعة والثامنة وكان الكثير منهم يقذفه بالفاظ البذاءة والهجر فقال للقس انظر كيف يعاملني هؤلاء الناس ولكن ينبغي للانسان ان يتكبد جميع الآلام وفي الساعة الثامنة حضر سانتير رئيس الحرس الوطني ومعه مندوبان من بلدية باريز وهما القس برنار والقس جاك رو فخرج اليهم الملك وقال جئتم تبحثون عني فاجابه سانتير نعم وعندئذ دخل في قاعته ثم خرج وبيده وصيته التي حررها في ٢٥ دسمبر يوم عيد الميلاد واشار الى جاك ان يسلمها لرئيس مجلس البلدية فقال له هذا الرجل لم نات هنا لنقوم بما يلزمك من الخدمة ولكن لنسقيك كاس المنون فقال قلت حقا ثم قصد آخر اسمه بودريه فرضي باداء هذه المهمة وقبل ان يتأهب للمسير اوصى الحاضرين على خادمه واسترسل في الكلام فقال له سانتير لقد قربت الساعة وآن وقت المسير فاجابه الملك هيابنا ثم طرق الارض بقدمه اليمنى

وكان بصحن القصر مركبة خضراء اللون يقف على جانبي مدخلها اثنان من رجال الحفظ وليست تلك المركبة تابعة للحكومة بل هي ملك كلافيير وزير الضرائب العمومية وقد كان الواجب ان يحمل في مركبة رئيس المجلس

البلدي ولكن راي الثورو يون ان ذلك تشريف وتعظيم له وهم انما يريدون الازدراء به والحط من مقامه

وكان قد انكشف المطر عن الانهطال ولكن ضباباً صافياً حل مكانه وخيم على المدينة من جميع نواحيها أما العربة فاستمرت سائرة في طريق سجن التمبل تتقدمها وتتبعها مدافع ضخمة يحيط بها ١٦٠٠٠ جندي بين صفوف مرصوفة من الجنود على جانبي الطريق وقد التزم الاهالي الذين يتبعونهم الصمت العميق • وبينما كانت الحال على هذا المنوال تواترت على الاسماع اشاعات مضمونها ان جماعة من حزب الملك سيحاولون بالقوة انقاذه من المهلكة الشنعاء التي ارادها له عبيد احسانه وقد تحققت تلك الاشاعات لان العربه ما كادت تصل الى شارع (بون نوفل) القريب من باب [ساندنى] الا وانشقت جدران الصفوف وخرج منها رجل وثلاثه بعده فتوسطوا الطريق واخذوا يحركون سيوفهم صائحين « الينا معشر الفرنسويين الينا يامن يريدون انقاذ الملك » فلما لم يسمعوا لصوتهم صدي ولا لندائهم اجابة لجؤا الى الفرار غير ان كوكبة من الفرسان انقضت عليهم فاذاقت اثنين منهما النكال وتمكن الآخران من الاختفاء وهما البارون زو باتز وكاتم سره ديفو

وقد ارتفع وقتئذ الصياح بين الجموع المزدحمين حتى ان الملك كان كلما اراد المكالمة مع القس دي فرمون لا يتمكن من تفهيمه مراده ومع ذلك فقد انقضت هذه الفورة وعاد السكون كما كان بارتفاع انغام الموسيقي العسكرية وكانت العربة تسير ببطء زائد حتى انها لم تقطع المسافة بين السجن وميدان الثورة وتبلغ نحو ٤ آلاف متر الا في ساعتين تماماً فلما وقفت في ذلك الميدان قال لويز للقس ها قد وصلنا ثم انتظر قليلا فجاءه الجلادون وهم خمسة

سنسون واخوه واثنان من المساعدين وقد اضطر سنسون الى القيام باعدام مولاه وان كان في الحقيقة يتمنى ثورة الحزب الملوكي وقيامه لانقاذ مليكهم من ايدي الثوار

وعند نزول الملك من العربة اشار الى القس ثم قال لرجال الحفظ الذين حوله ايها السادة اوصيكم على هذ الرجل فلا يمسنه احد باهانة بعد موتي ثم مكث هنيهة واعاد الوصية وعندئذ اجابوه نعم سنعتني بشانه ان شاء الله فخرج من العربة وكان ذلك في الساعة ١٠ و ٢٠ دقيقة من الصباح

وكانت آلة الاعدام منصوبة بالقرب من قاعدة تمثال الملك لويز الخامس عشر متجهة الى قصر التويلري على مرتفع يصعد اليه بستة عشرة درجة فلما وصل لويز اليها خلع بردته وفك شعوره وشق ثوبه بيديه لكي يكشف عن صدره وكتفيه ثم جثا على ركبتيه واستحضر القس ادجورث ليعترف له بما ارتكبه من الخطايا والذنوب كالعادة الجارية عند المسيحيين ولما قام جاء اليه الجلادون وبايديهم حبل وثيق فلما راي لويز هذا الحبل قال لهم ماتزعمون ان تفعلوا فاجابه سنسون شد وثاقك فقال شدوثاقي.. لا لست ارضي بهذه الاهانة فاقلعوا عن هـذا العزم فلم يصغ سنسون الى قوله بل حاول جذب الملك اليه ليشد وثاقه فعارضه في ذلك وكادت تقوم بينهما معركة لولا ان القس ادجورث قال للملك « يامولاي انى لست اجد في هذه الاهانة مايشين بمقامك السامي » فسكت الملك ووكل امره ثم قال للجلادين افعلوا ماتريدون فلا بد ان استقصى صبابة الكاس وحينئذٍ اوثق اثنان منهم كتافه وقطعا شعوره وصعدا به الى اعلا المرتفع ولما وقف عليه الملك احمر لون وجهه احمرارا شديدا وقال للسكت الموسيقي اني اطلب الكلمة فسكتت فقال بصوت جهوري

« اني اموت بريئا من كل الذنوب والجرائم التي القيت اثقالها على عاتقي ظلما وعدوانا واسامح من كان السبب في مصيبتي وارجو ان يكون دمي سببا في توطيد سعادة فرنسا ورفع شان الفرنسويين ... » وبينما كان يفوه بهذه الالفاظ حصل اضطراب بين رجال الحرس القريبين من آلة الاعدام اذ كان فريق منهم يري ان ميعاد الاعدام قد مضى والفريق الآخر يحكم بضرورة اعطاء حرية الكلام للملك وقد اشتد الخلاف بين الفريقين وكاد يفضي الحال بينهما الي القتال لولا ان سانتير احد زعماء الثورة تقدم نحو الملك وهو يلقي تلك الجمل وقال له انا احضرناك الى هنا لا لتخطب وانما لتموت ثم وجه كلامه للجلادين قائلا قوموا باداء وظيفتكم حالا واشار بسيفه الى العساكر ان يدقوا الطبل فاطاعوا في الحال

وقد برهنت الظروف على ان الملك لويز كان لا يزال آملا في الخلاص من مخالب ارباب الفتن ورواد الثورة لان علائم الياس والقنوط ظهرت عليه حينما فاه سانتير بتلك الكلمات وقال احد الضباط الذين كانوا واقفين بالقرب من آلة الغليوتين ان وجه الملك زال عنه وقتئذ الاحمرار حتي صار كالسفرجل في صفرة لونه وانه لبث واقفا مدة في مكانه وقوفا يؤخذ منه انه كان ينتظر انقطاع صوت الموسيقى ليستأنف الكلام وقد اراد الجلادون القبض عليه بالقهر لوضعه في آلة الموت فقاومهم برهة ثم استسلم اليهم وحينئذٍ طرحوه على لوحة الآلة واحكموا وضع عنقه فوق مسقط السكين وبعد انقطاع العنق وسقوط الراس تناول احد الجلادين هذه من شعر الجمجمة ليريها الى الجمهور وطاف مرتين حول الآلة وعند ذلك صاح جميع الحاضرين قائلين « لتحي الامة لتحي الجمهورية ».

وقد كان في العزم اطلاق مدفع عند سقوط راس الملك (لويز الاخير) ولكن ذهب اصحاب هذا العـزم الي رفض العمل بمقتضاه قائلين ان راس ملك لدي سقوطها لا يصح ان يشيع خبرها با كثر من شيوع خبر سقوط راس احد اللصوص . وقد اخذ الحاضرون في ابداء سرورهم واظهار ارتياحهم مما حصل خصوصاً في ميدان الثورة فلقد كانوا يطوفون الميدان شتى وجماعات مكررين لمثل هذه الالفاظ «لتحي الحرية لتحي الجمهورية لتحي المساواة ليهلك هكذا جميع الظالمين» وينشدون اغاني الحرية و يتعانقون و يرقصون حول آلة الغليوتين و ما الذين كانوا بجوار هذه الآ لة الشنعاء فقد تهاطلوا عليها من جميع النواحى لغمس اطراف رماحهم وسيوفهم ومناديلهم في دم الملك القتيل وقد بلغت الجراءة من احدهم ان صعد الي اعلا الآ لة وملأ يديه مرتين من الدم ثم نثره فوق روس المزدحمين وقال «ايها الاخوان لقد تهددنا البعض بقوله ان دم الملك سيسقط على روسنا فليسقط عليها بل فليغمرها فلطالما غسل يديه في دمائنا . معشر الجمهوريين ان دم الملك يجلب السعادة والثروة»

وقد صعد بعده آخر ممن لم يستحسنوا هذه الاعمال وقال «ماذا تصنعون ايها الاحباب فاقلعوا عن هذه الاعمال فعن قريب يسمعها الاجانب والاعداء فيقولون ان الفرنسويين امة مفترسة قد اصابها عطش الدماء» فاجابه احد الواقفين بقوله «اي نعم نحن عطاشي لدم الظالمين فليضرب في الارض طولا وعرضا من يرغب في لومنا والتنديد بنا»

واستمرت حركة الناس حول آلة الغليوتين مدة طويلة وقد استولوا على ثياب الملك ومزقوها آلافا من القطع تنافسا في الحصول عليها وباعها البعض منهم باثمان باهظة جدا وكلف احد الانكليز طفلا صغيرا ان يغمس له طرف

منديل في دم الملك مقابلة مبلغ ١٥ جنيها دفعها اليه مقدما وقد لوث احد المتشردين اصبعه بالدم ثم ذاقه وقال انه لملح اجاج

اما جثة الملك فقد رفعت بعد اعدامه مباشرة ووضعت في صندوق من البوص ثم حملت على عربة من عربات النقل لتدفن في مقبرة (مدلين) ومن غرائب الاتفاق ان هذه المقبرة كانت خصصت لدفن الذين ماتوا اثناء الاعياد التي اقيمت احتفالا بزواج الملك لويز السادس عشر حينما كان ولى العهد وقد اودعت الجثة في حفرة هناك واهيل عليها ملء عربتين من الجير الحي كل هذا حصل بدون احتفال او اجلال كالعادة المتبعة عند جميع الامم وحصل لدي عودة العربة وفوقها الصندوق ان الناس ازدحموا حولها وتوزعوا هذا الصندوق بعد ان كسروه اربا صغيرة

والى القراء صورة محضر الاعدام الذي حررته اللجنة المكلفة من مجلس التنفيذ بمباشرته وهي « في ٢١ يناير سنة ١٧٩٣ الموافقة للسنة الثانية من الجمهورية نحن . . . . توجهنا في الساعة التاسعة من صباح ذلك اليوم لتنفيذ حكم مجلس الاتفاق الاهلي والاوامر الصادرة منه بتاريخ ١٥ و١٧ و١٩ و٢٠ يناير وانتظرنا الى مابعد الساعة العاشرة بربع ساعة واذ ذاك حضرت العربة المقلة للملك تحت ادارة سانتير القائد العمومي وفي الساعة العاشرة و٢٠ دقيقة نزل لويز من هذه العربة وصعد الآلة في الساعة ١٠ و٢٢ دقيقة فصار اعدامه واظهار راسه للشعب ونختم بالتوقيع على هذا . . . »

وكان مجلس الاتفاق اثناء اعدام الملك منعقدا في قصر المدينة المسمى (اوتل دوفيل) وكانت ترد اليه الاخبار كلما اجتاز مسافة فلما وصل اليه خبر انتهاء الاعدام ظهرت على وجوه الكثير منهم علامات الكآبة والحزن وقد

ادرف احدهم الدموع فسأله الآخر عن الباعث فاجابه متهكماً ان الظالم (اي الملك) كان كثير ما يداعب كابي . وقد تذكرت هذا الآن فلم املك نفسي من البكاء . اما رئيس المجلس المسمى دورور فانه لما انتهى اليه ذلك الخبر ضحك ضحكاً عالياً واخذ يطوح ذراعيه علامة على الفرح وقال «احبابي قد انتهت القضية ونلنا من الايام بلوغ المرام»

ولنرجع الى الكلام على ماري انطوانت زوجة الملك فانها بعد مقابلتها معه ليلة تنفيذ الحكم بالاعدام وعودتها الى قاعتها القت بنفسها على سريرها فقضت ليلها مضطربة من البرد والحزن اما المدام اليصابات شقيقة الملك وماري تيريز بنته ولويز ابنه فقد ناموا وفي الصباح استيقظ الجميع ولبثوا ينتظرون حضور الملك لانه كان وعدهم في مساء اليوم الماضي بمقابلتهم لآخر مرة قبل موته فلما لم يحضر احد طلبت الملكة ماري الاذن بالنزول الى قاعة زوجها فاجابها الحراس ان الملك مشتغل ولا يمكنه مقابلة احد فالحت عليهم فلم يصغوا لمقالها وحين راي لويز ابنها هذا التصلب تخلص من حضن امه والقى بنفسه على اقدامهم ملتمساً منهم ان يصرحوا له بالنزول فسألوه اين يريد الذهاب فقال اطلب من الشعب ان لا يعدم ابي فاناشدكم الله دعوني اخرج اليه فرفض طلبه فعاد منثنياً على عقبيه واخذ يصيح والدي يا والدي مدة طويلة من الزمن

وعندئذ بكت والدته وضمته واخته الى صدرها واخذت تهدئهما وتسكن روعهما وتحضهما على الاقتداء بابيهما في ثبات الجاش والشهامة وعدم الانتقام ممن سلبوه الحياة وقد ارادت ان تغذيهما فامتنعا . وكانوا جميعاً اثناء ذلك يسمعون وقع اقدام الخيول في الطرقات ونغمات الموسيقات العسكرية بدون

ان يقفوا على حقيقة مايحدث وظهر ان ماري انطوانت تنبأت الواقع حيث قالت الامر لله حكم القضا بان لانعود نراه مرة اخرى واستمرت هي واولادها في قلق واضطراب بال الى منتصف النهار وعندئذ سمعت المدام اليصابات شقيقة الملك جلبة هائلة واصوات مزعجة فقالت « لقد انشرح الوحوش وسروا سرورا لامزيد عليه » اما ابن لويز فلما ايقن ان والده ميت لامحالة اخذ يبكي وينتحب وكذلك اخته ووالدته

ولما جاء الظهر احضر الموكلون الطعام فلم يمد يده اليه احد من الحضور وكان الشغل الشاغل للملكة انها كانت تريد تعلم كيف مات الملك زوجها فطلبت من الحراس ان ياتوا لها بكليرى الخادم فابوا عليها ذلك وبهذه المثابة قضت النهار كله بين الشك والتوجع

ولما انقضى الحادث ظهرت علائم الكآبة على مدينة باريز اذ كانت ابواب دورها وقصورها مغلقة وانقسم القوم فريقين احدهما يبدي التحسر على ما كان والآخر يخشي سوء مغبته وكل منهما تحصن ببيته اما الذين استهوتهم شهوات السياسة فقد جاهروا علنا بسرورهم وارتياحهم لما حصل من قتل مليكهم ومن هؤلاء المتشردون وذوو المهن الدنيئة واصحاب الغايات السافلة فلقد كانت القهاوي وحانات الشراب مساء يوم الاعدام كثة بهم حتى اضطر اكثرهم الى اتخاذ قوارع الطرقات ميدانا لمظاهر سرورهم فرقصوا طويلا وغنوا الاناشيد الثوروية والقوا الخطب المهيجة الى غير ذلك من الفظائع التي لايخطر على بال امة متوحشة ان تاتى بها

واما المباحثات فقد دارت بين جميع الافراد بشان الحوادث التي حصلت اثناء اعدام الملك فربما تسمع واحدا استحسن مافعله سانتير من منع الملك

عن الكلام حينما صعد آلة الاعدام ترى اخر يستهجن هذ الفعل ويبكت صاحبه وروي البعض انه راي الامير (فليب ايجالته) بن عم الملك بين من حضروا لمشاهدة الاعدام وانه لما تناول الجلاد راس القتيل ليريها للناس لم لم يستطع مشاهدة هذا المنظر فاختفي بجواده وتناقلت الالسن قصة غريبة ان احد ضباط الجيش مات حينما اتصل اليهِ خبر اعدام الملك وان صاحب مكتبة اخذته جنة وان بعض المتشيعين للملك وصل به القنوط والياس الى انه تناول موسي وقطع بها عنقه . ولاحظ بعض الادباء ان رقم ٢١ كان له تاثير مهم في تاريخ حياة الملك لويز السادس عشر فانه تزوج في ٢١ افريل سنة ١٧٧٠ واحتفل بزواجه في ٢١ يونيو منها ورزق بولده الا كبر في ٢١ يناير سنة ١٧٨٢ وسن قانون الحقوق الانسانية في ٢١ اغسطس سنة ١٧٨٩ وسن القانون العسكري ٢١ اكتوبر سنة ١٧٨٩ واصدر امره بتشييد تمثال لجان جاك روسو في ٢١ دسمبر سنة ١٧٩٠ وهرب الى فرين في ٢١ يونيو سنة ١٧٩١ وابطلت الملكية في عهده في ٢١ ستمبر سنة ١٧٩٢ واعدم في ٢١ يناير سنة ١٧٩٣

وقد فتحت الملاهي ابوابها يوم الاعدام لتمثيل الروايات الثورية فربحت المبالغ الطائلة اما الجرائد فقد ملأت اعمدتها بسرد حوادث اليوم ووصف الاحتفال باعدام الملك وهذا ماكتبته جريدة الجمهوريه الفرنسوية بتاريخ ٢٣ يناير بقلم مارا احد انصار الثورة واكابر اشياعها « لقد وقعت راس الظالم تحت سيف العدل القاطع فسقطت بسقوطها اركان الملوكية وارتفع مكانها بناء الجمهورية الشامخ الرفيع الذي على اساس متين ودعامة قوية . وما اسرع تقلص ظل الخوف والتهديد الذي حاول انصار الملوكية مده الينا لينقذوا

الملك من مخالب القصاص العادل

وقد كان لخبر اعدام الملك من سوء الوقع في الخارج مالا يمكن شرحه في هذا المقام وغاية الامر ان سفراء الدول في باريز برحوا هذه المدينة بحيث لم يشاهد احد منهم حادثة الاعدام وبطانة انكلترا هي اول بطانة وصل اليها خبر هذه الحادثة المشؤمة فعم الكدر والغم اهالي لوندرا وعطل التياترو الملوكي الذي كان عزم ملك انكلترا وقرينته على حضور التمثيل فيه واستدعي سفير فرنسا في لوندره الى السفر لباريز وكان ملك جزيرة سردينيا في ذلك العهد اسمه فكتور اميده الثاني فلما بلغه خبر اعدام الفرنسويين ملكهم تملكه الحزن والالم فتنازل عن الملك قائلا لاحاجة لي بالملك مادامت رعيتي متشوفة الى اتباع نظامات الفرنسويين فاقسم له رعاياه بالطاعة والاخلاص والزموه بالعودة الى تخته واحتفل بذلك احتفال شائق اما امبراطور المانيا فصاح قائلا حينما بلغه خبر اعدام الملك لويز ان هؤلاء الوحوش لاشيء بقدس عندهم ثم اغرورقت عيناه بالدموع

انه وان يكن ما اثبتناه فيما تقدم كافيا للبرهان على ان كل خطوة خطاها الاروبيون في طريق تمدنهم لم تكن الا بسفك الدماء الزكية وافاضة الارواح البريئة واحتقار العقائد الدينية غير اننا لم نر بدا من ايراد واقعة ذات شان في التاريخ لها مساس بموضوعنا الا وهي واقعة الآنسة شارلوت كورداي فانها من الحوادث التي تمثل للقاريء فظاعة التمدن الحديث ونقوض اركانه لرسوها على اساس يناقض الدين ويخالف المبادئ الفيحاء فنقول

يوجد بشمال فرنسا اقليم يسمي كالفادوس كان لاهليه شان مهم في ثورة سنة ١٧٩٣ التى قتل فيها الملك لويز السادس عشر وكان باحدي

مدائنه المسماة (كائن) غادة حسناء تبلغ من العمر ٢٤ سنة تسمى شارلوت كورداي ذات خلال حميدة واخلاق فاضلة وادراك واسع النطاق . ولا غرابة في توفر هذه الصفات الكاملة فيها فانها كانت حفيدة كورني الشاعر الفرنسوي الذي بلغت شهرته عند الفرنسويين شهرة ابي الطيب عندنا وقد ورثت عنه العواطف الشريفة والاحساسات الطاهرة النقية التي كان كثيرا ما يبتكر في مدحها المعاني الفريدة ويصوغها في ابياته الغراء و ينظمها في سمط اشعاره الرائقة . و بالجملة فقد كانت شارلوت من الصفات والخلال بمكان نقول معه انها كانت عقلا مدركا وساعدا عاملا . هذه اوصافها الادبية اما اوصافها الجسمية فقد كانت متوسطة القامة متينة البنية بيضاوية شكل الوجه حلوة الشمائل جميلة الانف ضيقة الفم كستنية الشعر خفيفة الحركات وكان ميلادها في سنة ١٧٦٨ بمدينة سان ساتورين وكان لابيها ملك في جهة لنيري وهو وان لم يكن من اصل عريق وحسب اثيل ولكن كان فقره من البواعث التي حملته على اعتناق الافكار الحديثة والاشتراك مع اصحابها في تعضيد الجمهورية وحط الملكية وقد رزق من امراته بغلامين وثلاث بنات فلما توفيت والدتهم واشتدوا رأي ان ليس في وسعه القيام بتربيتهم فانفصل عنهم بعد ان اودع ابنته شارلوت في دير النساء بمدينة كائن

وقد اعتنت المدام بلزنس رئيسة هذا الدير والمدام دولسيه بونتكولان نائبتها بشأنها واقنتاها المبادئ الطاهرة ولكنها لم تلبث في الدير مدة على هذه الحالة حتى اضطرتها الحوادث السياسية الى مبارحته فان اوامر الحكومة الثورية قضت في ذلك الحين بتعطيل الاديرة وبعض الكنائس القاء للرهبة في القلوب وحلا لعرى العزائم الصادقة ولم ترض بالعودة الى ابيها لما تعلمه من

شدة فقره وعوزه فقصدت خالتها المدام برتفيل فقابلتها هذه بكل ترحاب واسكنتها معها بيتها المعروف في مدينة كائن باسم جرانمنوار وهو بيت حقير عتيق البناء متداع الى السقوط غير منظم الداخل لايحتوي على شيء من الاثاث ومع ذلك فلم تكن شارلوت تانف من الاقامة به اذ معيشتها الحقيقية في فكرها المتوقد وفكرها انما هو بعيد عن مدينة كائن باسرها لانه يحلق في سماء الحوادث والكوارث التي انصبت على فرنسا من جميع الجهات وقد كانت تمضي حصة عظيمة من وقتها في مطالعة مايقع اليها من الروايات والكتب الفلسفية ككتاب وقائع فوبلاس وكتاب هيلوئيز الجديدة وغيرها من مؤلفات جان جاك روسو وبلوتارك والراهب رينال الذي اتى في كتابه الموسوم «التاريخ الفلسفي للبلاد الهندية» بكل ما اعجبها واطربها حتى لقد كانت تهيج فيها عواطف الحماس والغيرة كلما قرات او سمعت كلمات جمهورية وحرية ومساواة وكان لها ميل خاص الى الامور السياسية فما من رسالة او كتاب يظهر فيه الا تتهافت على قراءته حتى بلغ عدد المجلدات التي قراتها من هذا النوع ٥٠٠ مجلد وهذه المؤلفات سوى الجرائد السياسية التي كانت مشتركة فيها وهي (جورنال برليه) و (الكوربيه فرنسيه) و (الكوربيه انوفرسل) و (الكوربيه دي دبرتمان) و (والباتريوت فرنسيه)

وقد كان للمقالات المدونة في هذه الجرائد والكتب اكبر وقع وتاثير على عقلها فانطبعت في صحائف فؤادها اعمال عظماء الرجال الذين روى بلوتارك اخبارهم في كتابه المعهود فهبت الى تقليدهم ووجدت من نفسها ارتياحا الى التشبه بهم وقد ازداد في قلبها لهب هذا الشوق خصوصا وقد رات من ظروف الاحوال مايساعدها على تحقيق امانيها وشاهدت من جمهور الفرنساويين

ميلا الي الانحدار مع حركة تيار ذلك الوقت · اما مذهبها فقد كان كغيرها الميل الى الجمهورية وتعضيد المبادئ العمومية الديموقراطية ولكنها كانت تود ان يكون هذا الميل في غاية الاعتدال والحكمة خشية انعكاس النتيجة وانقلاب العاقبة وكانت تؤمل تحقيق امانيها بمساعي حزب الجيروندبين الذين كانت بيدهم اذ ذاك ازمة الامور فلم تلبث ان سقط هذا الامل بسقوط هذا الحزب وتغلب انصار الفساد عليه وهم السفاكون للدماء الذين قتلوا الملك لويز واساؤا الى اعضاء عائلته الملوكية من ذكور واناث

ولما ضاع املها من جهة حزب الجيروندبين قالت ان سقوط هذا الحزب لا يصح ان يكون باعثا على الفشل والياس ثم تذكرت سير فحول الرجال الذين ضحوا انفسهم للدفاع عن اوطانهم وارادت ان تتساوي بهم بعد ان ودت تقليدهم والتشبه بهم وبعد ذلك سرحت طرفها في افق الحوادث الثورية فوجدت انها قد خرجت عن حد الاعتدال وانعكس الغرض المقصود بالذات منها من الاصلاح الى الافساد ومن حقن الدماء الى اراقتها وان السبب الوحيد في ذلك كله هو الرجل المسمي مارا صاحب جريدة « محب الشعب » فانه ما برح منذ انشاء هذه الجريدة يغرر بذوى الاحلام الطائشة ويحض الجمهور على الفتنة واسالة الدماء فقالت في نفسها ان انا قتلت هذا الرجل حقنت دماء كثير من النفوس البريئة ولا باس اذا جوزيت بالموت فانما هي نفس فداء نفوس عديدة واخذت تكرر هذا القول وتوسع في صدرها له مجالا حتى تربت فيه نية القتل التي صممت على تنفيذها بلا مساعد ولا معين بل ارادت ان تقوم وحدها بواجب الانتقام

وقد اتهمها المعاصرون من المؤرخين بانها لم ترتكب اثم القتل لهذه الغاية

الحميدة بل لغاية غرامية دفعتها على الانتقام من مارا لانه كان السبب في قتل المسيو بلزونس احد اقارب رئيسة الدير الذى ربيت فيه وكانت متهمة بعشقه وهو زعم باطل لان المسيو بلزونس قتل في ١٢ اغسطس سنة ١٧٩٢ ومارا لم يظهر العدد الاول من جريدته الا في ١٢ ستمبر من تلك السنة اى بعد ميعاد القتل بشهر واتهموها بعشق بوجون لونجريه احد الموظفين في اقاليم كالفادوس وهو ادعاء باطل ايضا لانه كان من ذوى الاعتبار الذين يعرفون قيمة شارلوت وتعرف هي قيمتهم وتحترمهم لاعتدالهم في الاقوال والافعال وعليه فلم ترتكب شارلوت اثم قتل رجل انتقاما لرجل بل انتقاما وانقاذا لنفوس كثيرة وقد برهنت الحوادث فيما بعد على انها ماتت عذراء الفؤاد والجسم معا

وقد كان حزب الجيرونديين بعد سقوطه منقطعا في قصر الانتندانس فعزمت على التعرف بار بابه وتوصلت الي ذلك بحجة انها تريد من احدهم رسالة توصية على امرأة تسمي المدام دي فوربان كانت برحت مدينة كائن الى باريز منذ ستة اشهر فتقابلت مع من يسمي بربرو وعرضت عليه طلبها فكتب رسالة الي المسيو لوزدبريه احد رفقائه الموجودين في باريز ورجاه ان يشتغل بامر المدام دى فوربان وقد انتظر بربرو رد الرسالة فلم تات وسيعلم القارئ انها لم تصل الى المرسلة اليه وان هذه الحادثة ستكون السبب الوحيد الذي يساعد شارلوت على تنفيذ مرامها . وبعد ايام قلائل عزمت على السفر الى باريز واستكتبت بربرو رسالة الى صاحبه الباريزي لكي يتيسر لها الدخول عنده وهذه صورتها (ايها الصديق اكتب هذه الكلمات طالبا من همتك بذل المساعي المبرورة في قضية تختص باحدي بنات وطننا والامر كله منحصر في سحب اوراق ومستندات من ديوان الداخلية لاعادتها الي كائن ٠٠٠ واعلم

ان الاحوال عندنا جارية على مايرام اما نحن فقريبا سنكون تحت اسوار باريز)

وقد كتمت شارلوت مشروعها عن كل من يسالها عن الغرض من سفرها الى باريز في ايام قد تكدر صفوها بالثورة والاضطراب ولولا ذلك لما تمكنت من قضاء لبانتها وتمام مرامها وفي صبيحة اليوم الذي سافرت فيه كتبت الي والدها هذه الرسالة (ان فروض العائلة تقضي على بالطاعة والامتثال لك ومع ذلك فقد عزمت على السفر بدون اذن منك وبدون ان اراك ولم اجسر على هذا مروقا عن طاعتك وانما لتجنب الم الفراق والباعث الذي دعاني الى السفر ومهاجرة الوطن هو ان الحياة فيه اصبحت مما لايطاق . فها انا بعد ارسال هذا الخطاب اليك اقصد بلاد الانكليز فاصل اليها وقت وصول هذه الرسالة اليك واستودعك الله ايها الوالد الشفوق كتب في ٩ يونيو . كوردي)

وفي الساعة الثانية من يوم الثلاثاء الموافق ٦ يوليو ركبت العربة قاصدة باريز فوصلت اليها يوم الخميس ١١ يوليو ونزلت بنزل البروفيدنس الواقع في شارع اوغستان وفي هذا اليوم ذهبت للقاء لوزدو بريه فوجدته غائبا عن منزله فعادت مرة اخرى في المساء فقابلته واوضحت له الغرض الظاهري من زيارتها له ثم تواعدا على اللقاء صبيحة اليوم التالى ليتوجها سويا الي ديوان الداخلية وبعد ان خرجت قال الرجل لبناته يظهر لي ان هذه المرأة من ذوات الدسائس والوقائع السياسية فان جميع اقوالها وافعالها تشير الي ذلك ومع هذا ففي الصباح يحمد القوم السري ولما كانت الساعة العاشرة من صبيحة يوم الجمعة الموافق ١٢ يوليو توجه معها الى الداخلية فلم يرض احد مستخدميها بقضاء ماراد والسبب في ذلك هو انه اتهم بوجود ارتباطات بينه وبين اعداء رجال الثورة فجعلوه تحت المراقبـة وتوجهوا الى منزله لضبط اوراقه وحينما رات ذلك شارلوت

شكرته على مساعيه ونصحته بمبارحة باريز والاجتماع باصحابه واخوانه في مدينة كائن فاجابها ان وظيفتي في باريز ولا يمكنني مبارحتها فتركته وذهبت

وكانت شارلوت في خلال هذه المدة قد استفسرت عن احوال مارا صاحب جريدة محب الشعب من خدمه الواقفين على بابه فعلمت منهم انه مريض ولا يمكنه الذهاب الى مجلس الاتفاق وقد قضت مساء يوم الجمعة في تحرير خطاب للفرنسويين الذين يحبون السلام ويحترمون القوانين جاء فيه (الى متى معشر الفرنسويين هذا الشقاق وهذه الشحناء الى متي هذا التباغض والتحاسد الا تعلمون ان راحتكم وسعادتكم ورفاهيتكم مودعة في احترامكم القوانين والنظامات واني لست ارى في قتلي الرجل المسمى مارا مايمس بكرامة هذه القوانين لانه رجل قد تطابقت الالسنة وتوافقت الآراء على انتهاكه حرمتها ومسه كرامتها وما جزاء من يرتكب هذه الآثام الا القتل بالحسام .. واي محكمة تحاكمني اذا اتيت هذا العمل ... اني اذا دخلت بالقيام به في عداد المذنبين فشجعان التاريخ الذين لازالت اسماؤهم مخلدة على صفحاته يكونون احق بهذه النسبة مني لانى اذا قتلت وحشا فانهم انما قتلوا وحوشا كاسرة في ساحات الوغي ومواطن القتال ... ايها الوطن العزيز ان البلاء الذي حل بك قد مزق قلبي واضاع رشدي بحيث لم يكن في وسعي الآن الا ان اهديك حياتي فتقبلها مني) ثم اعقبت هذا الكلام بابيات شعرية من كلام فولتير الشاعر المشهور له ارتباط بهذا المعني

وفي صبيحة يوم السبت الموافق ١٣ يوليو قامت شارلوت مبكرة وتوجهت الى القصر الملوكي ومنه الى احد باعة الاسلحة واشترت منه مدية مقبضها من خشب السأسم (الابنوس) ثم عادت الى النزل وفي منتصف الساعة الثانية

عشرة من الصباح قصدت في مركبة منزل مارا في الشارع المعروف الآن بشارع مدرسة الطب فلم تتمكن من الدخول اليه لمرضه فرجعت الى المنزل حررت هذا الخطاب الى مارا (ايها الوطني الغيور . اني امراة جئت من كائن ولما اشتهر عنك من محبة الوطن والذود عن حماه جئت اليك لاخبرك بالحوادث المكدرة التي حصلت في تلك الجهة ضد الجمهورية وساصل اليك نحو الساعة الاولى بعد الظهر فتكرم بمقابلتي وامنحني لحظة اتمكن فيها من المحادثة معك ففي امكاني ان اوقفك على امور تكون اعظم معوان لك على خدمة الوطن)

اما جان بول مارا فرجل قصير القامة بشع الخلقة صفراوي اللون رث الملابس يضع حول راسه منديلا يجعله اقرب في الشبه من فقراء ساقة العربات العمومية غليظ الطبع لايتكلم مع احد الا ويقذفه بالفاظ السباب كالفاظ خنزير بهيم حيوان الخ هذه صفاته المادية اما الادبية فهو احمق سفاك للدماء لايخطر بباله من الافكار سوي مايتعلق بالقتل والابادة يطعن بجريدته في صلحاء الناس واتقيائهم ويوقع بحياتهم حتي لقبه البعض اذ ذاك بالمذهب الي الغليوتين المخجل للثورة ومن الغريب ان اوصافه هذه في آخر حياته كانت على نقيض اوصافه قبل الثورة فانه ولد في سنة ١٧٤٣ بمدينة نوشاتل من اعمال سويسرة وتربي تربية حسنة في مدينة جنوفة (جنيرة) ثم ساح كثيرا في بلاد اوروبا وتعلم لغات اهلها وفي سنة ١٧٧٧ عين حكيما لحرس الكونت درتوا في فرنسا وكانت له شهرة فائقة في الطب حتي بلغت قيمة عيادته للمريض مرة واحدة ٣٦ جنيها ومما زاد في شهرته ان امراة من العائلات الاثيلة في المجد قد اصابها داء اعيي الاطباء شفاؤه فلما استدعي مارا لمعالجتها وعد بالشفاء

ووفي بوعده ونتج عن ذلك ان تلك المراة شغفت به حبا واحلته في نفسها مكانة سامية فحينما شاهد منها هذا الميل اخذ يحسن ملابسه وينمق زيه كيلا يجعل لانظارها مجالا من قذارة شكله ولم يعد يشتغل بعد ذلك بالطب والابحاث العلمية في النار والضوء والكهرباء وغير ذلك من المباحث الجليلة التي الف فيها الكتب النفيسة والاسفار الضخمة بل تدرج من الاشتغال بالحب الذي الزمه بمغادرة مهنته الاولى الى المضي مع تيار الحركة الثورية ولكنه ككثير غيره لم يكن ليفقه معنى هذه الحركة وغاية ما فهمه ان الغرض منها انما هو الحصول على الشهرة واكتساب الصيت ولذا كان يسمى نفسه محب الشعب وكان يحض الناس على اطلاق هذا الاسم عليه حتي زاده اقبالهم وتوجه آمالهم اليه اغترارا وطمعا واستمر على ضلاله الى سنة ١٧٩٠ حيث اكتنفته المصائب من كل جانب فاصيب مع الفقر بداء في الجلد ولكن العناية رفقت به فقيضت له امراة من ذوات البر والاحسان تسمي سيمون افرار آوته عندها واتخذته رفيقا لها لا يفارقها واستمرت عائشة معه ١٨ شهرا في منزل بشارع الكوردلييه وهو الذي هدم حديثا لتوسيع نطاق المدرسه الطبية في باريز

وفي منتصف الساعة الثامنة توجهت شارلوت الى منزل مارا وبيدها خطاب آخر استعدت لتوصيله اليه اذا لم يرض الخدم بادخالها عليه وحدث ان هؤلاء الخدم منعوها من الوصول اليه كاول مرة فالحت بضرورة المقابلة وارتفع بينها وبينهم اللجاج حتى طرق آذان مارا فعندئذ دعا سيمون اليه وطلب منها ان يسمح للمرأة بمقابلته اذا كانت هي التي ارسلت اليه الخطاب بطريق البريد وكان مارا وقتئذ يستحم بالماء في حوض على شكل الحذاء وهو عاري الصدر والذراعين والى جانبه مائدة صغيرة يكتب فوقها مقالاته السياسية وفصوله التحريضية فلما دخلت عليه شارلوت اجلسها على كرسي الي جانبه ولبثا وحدهما في القاعة

فسألها عن احوال الاضطرابات في مدينة كان فاجابته ان ٨٠ من نواب مجلس الاتفاق يديرون فيها الشؤن وان غالب الاهالى يتهافتون على الانتظام في سلك العسكرية للزحف على مدينة باريز وانقاذها من ايدى الفوضويين ثم سألها عن اسماء اولئك فسردتها له واحداً بعد آخر وكان يكتب اثناء كلامه ولما انتهت شارلوت من كلامها قال لها سوف اعدم اولئك الاشخاص في باريز بآلة الغليوتين فبمجرد ان سمعت منه هذا القول قبضت المدية التي كانت اخفتها في مشدّها وطعنته بها في صدره فلما احس بالطعنة صاح قائلا اليّ ياحبيبتي العزيزة اليّ فسمع هذا الصوت احد عمال الجريدة فجاء مسرعا الى القاعة التي فيها مارا فصادف شارلوت متاهبة الى الخروج منها فقبض عليها وطرحها على الارض وفي هذه الاثناء اتت سيمون مسرعة لتستفسر الحادث فوجدت الدم يسيل كالسيل من الجرح فحاولت منعه بوضع يديها على الجرح فلم تجد محاولتها نفعا وقد كان طبيب قاطنا بالحجرة التي ازاء حجرة مارا وشاهد هذا الطبيب الحادثة فبادر بموافاة الجريح بما في وسعه من وسائل المعالجة ثم حضر بعده الطبيب بلتان فوجده قدمات

وبعد برهة حضر مامور الضبط والربط وسألها عن فعلها فاجابته بكل وضاحة وصراحة بانها هي التي قتلته عمدا وذلك لان الحرب الاهلية صارت على وشك الاستعار بما كان يرتكبه ذلك الرجل من الفظائع والآثام ففضلت ان تقتله وتضحي حياتها لانقاذ الوطن من شروره ثم سألها هل تعمدت القتل فاجابت لولا الاصرار من قبل لما انتقلت من مدينة الى اخرى · وقد فتشها عقب ذلك فوجد معها ١٥٠ ريالا ذهبا وحوالة بمبلغ ٥٠ جنيها وتذكرة مرور وساعة ذهب ومفتاحا صغيرا وكرة خيط ابيض وفي اثناء ذلك حضر جماعة

من رجال الضبط ومنهم رجل يسمى شابو نظر الى شارلوت فلمح بين ثنيات ثيابها من جهة الصدر ورقة فمد يده اليها ليتناولها وكانت هذه الورقة هي التي كتبتها لترسلها الى مارا اذا امتنع خدمه من التصريح لها بالدخول عليه فخطر على بالها وقتئذ انه يريد اهانتها ومس كرمتها بوضع يده على ثديها فتقهقرت الى الوراء بقوة انفكت لها عري ثوبها من الامام حتى بان صدرها وبرز نهداها فانحنت واكبت راسها على صدرها ووضعتها بين ساقيها لتخفى ماظهر من عورتها وطلبت الى الحاضرين ان يحلوا وثاقها حتى تصلح ثيابها فاجيبت الى طلبها وبعد ذلك اظهرت يديها وتاثير الحبل عليهما من شدة الوثاق قائلة اذا كان في قدرتكم ان ترفعوا عني مثل هذا الالم قبل اعدامي فخففوا الرباط حتى لا يؤذيني فقبل طلبها فعادت الى ما كانت عليه من صفاء البال وحضور العقل وحينئذٍ سالها احد الحاضرين هل هي عذراء الى الآن فاجابته نعم وانقضى المساء في استنطاقها على مايشا كل هذه الاسئلة وعند منتصف الليل اخذت الى القاعة التي بها جثة مارا لمواجهتها بها فلما نظرتها قالت أي نعم انا التي قتلته وبالرغم عن شدة ظلام الليل ومضى القسم الاعظم منه اجتمع قوم كثيرون على باب المنزل يصيحون بطلب اخراج القاتلة فلما خرجت لايداعها في سجن (الاباي) اخذ اولئك القوم يقذفونها بانواع السباب والشتم حتى اغمي عليها من شدة التعب وكثرة الغوغاء فلما افاقت من غشيتها قالت لقد قمت بالواجب عليّ وعلى غيري القيام بما بقي وبمجردان سجنت في ذلك السجن توجه رجال الضبط الى المنزل الذي كانت نزلت فيه للبحث عن اوراقها فوجدوا مكتوبًا على ورقة الى ابن الوطن دوبريه) وقد كان هذا كافيًا لايقاع ذلك الرجل في شرك الثوروبين

ولنرجع الي الكلام على مقتل مارا فنقول انه ما كاد يقع هذا الحادث حتي انتشر خبره في انحاء باريز وقال زعماء الثورة ان حياتهم اصبحت مهددة اذ لا يجوز لامرأة ان تجسر على ارتكاب القتل من نفسها بل بتحريض محرض وهذا المحرض لا بد ان يكون حزبا قوي الشوكة متين السطوة وفي اليوم التالى انعقد مجلس الاتفاق فقام رئيسه وقال ياابناء الوطن قد وقع اثم كبير على نفس احد نواب الشعب وهو مارا فقد قتل من يد امرأة فسكت الحاضرون وبانت على وجوههم امارات القلق والاضطراب وفي التالى قرر المجلس الحضور في تشييع جثة مارا يوم الثلاثاء الموافق ١٦ يوليو وقد صبرت الجثة بتعب ومشقة لانها كانت قد دخلت في دور التحليل وظهر فسادها وبلغت تكاليف القبر ٦٤٠٠ جنيه ومجموع ماصرف على الجنازة ٥٦٠٨ جنيهات ولما كان يوم الثلاثاء الساعة الخامسة من المساء احتفل بتشييع الجثة ودفنها في حديقة الكردليه وقالت جريدة (جورنال دلامونتاني) لهذه المناسبة ماياتي: ولما وصل الموكب الي تلك الحديقة كان قد ازداد توارد الناس حول النعش وكلهم ملازمون للصمت العميق فقام رئيس مجلس الاتفاق الاهلى والقى خطبة بليغة قال فيها لقد آن الوقت الذي ينبغي للجمهور يبين فيه الانتقام ممن اتفقوا على قتله وسنقوم بهذا الواجب بكمال التؤدة والسكينة حتى لانستنزل على انفسنا مطاعن اعداء الوطن ثم قال وان الحرية لاتموت بموت مارا بل تزداد حياتها انتعاشا بموته ثم جعلوا قبره على شكل هرم رباعي الاوجه كتبوا عليه قتل مارا محب الشعب بيد اعداء الشعب في ١٣ يوليو سنة ١٧٩٤

وكانت شارلوت كرداي في هذه الاثناء مسجونة في سجن الاباي ويخفرها رجال من الحرس مملون بالاسلحة ليلا ونهارا ومن حوادثها في ذلك السجن

انها بمجرد دخولها فيه طلبت مدادا وقرطاسا ويراعا وكتبت هذه الرسالة
« الى اعضاء لجنة الامن العام · حيث ان لي نصيبا في الحياة جملة ايام فاسمحوا
لاحد المصورين ان يدخل عليّ ليمثل صورتي كي تبقى محفوظة مدي الاعوام
والعصور واذا كنتم تحسبونني قد اقترفت اثما كبيرا وجريمة فظيعة فربما صلحت
صورتي لتمثيل فظاعة الجرائم وارتكابها حتى لا يقدم عليها احد ثم انى اكرر
الطلب مرة اخرى بابعاد الحرس عني فان ذلك مما يمس بالكرامة والسلام
ماري كورداي »

وفي اليوم الذى سطرت فيه هذه الاحرف حررت رسالة طويلة لرجل
اسمه بربرو كانت وعدته قبل سفرها من كائن بان تنهي الى علمه ملخص رحلتها
وهاهو مختصرا « اوقعتني الصدفة اثناء السفر في العربة الى باريز مع جملة من
اجلاف الفلاحين فاخذوا يطوحون اليّ نكتنا فاترة وعبارات ركيكة ولم
تبعثني هذه الوقاحة على الكدر منهم اذ اني كنت في حاجة الى النوم فكان لى
من تلك النكت والعبارات ما اغمض جفني والقاني في النعاس ولما يقظت في
الصباح ظنني احد اولئك الاجلاف من صاحبات الثروة الواسعة فعرض على
ان يتزوج بي فرفضت فالح والحف فازددت تمسكا بقولى ولما يئست منه قلت
له نحن الآن انما نقوم بتمثيل لعبة تياترية مضحكة ويؤدى كل منا دوره احسن
اداء ولكن ليس بالمكان متفرج فدعني ادعو باقي المسافرين ليقتسموا الضحك
والمسرة باستماع اقوالنا فخجل عند سماع هذه الكلمات ولما ارخى الليل سدوله
اخذ يترنم باغاني غرامية ولكن بصوت يدعو الى التثاؤب ويجلب النعاس · · · · · ·
وقد حبسوا معي رجلا بتهمة انه شريكي في قتل مارا وهو ظلم صريح ولقد كنت
اود ان اذهب وحدى فريسة الانتقام لهذا الرجل العظيم · استغفر الله ما هو رجل

عظيم بل شيطان رجيم بل حيوان مفترس اراد اضرام نار الفتن الداخلية تاييدا لاربته الذاتية وغايته الشخصية فليحي السلام وليعش الامن العام واعلم باني في راحة تامة ونعيم بال لان سعادتي متوقفة على سعادة بلادي وانما تحصلت فرنسا على السعادة بموت الشقي اللعين مارا ...»

وفي السادس عشر من الشهر صدر الامر بنقلها من سجن الأباي الى سجن آخر واستحضرت امام رئيس محكمة الثورة لاستنطاقها وكانت الغاية التي يقصدها هذا الرئيس من استجوابها الوقوف على ما اذا كانت هناك عصبة سرية او حزب خفي دفعها على ارتكاب جريمة القتل ولذا فقد كانت اجوبتها مثال الصراحة والوضوح وحرية التعبير عن المراد ومن الشواهد على ذلك انها سئلت عن سبب ورودها الى باريز فقالت ان النية التي قادتني اليها هي اعدام حياة مارا

— وما هي الاسباب التى حملتك على ارتكاب هذا الجرم الفظيع

— ما اقترفه من الآثام الكبيرة

— وما هي آثامه التي تلومينه عليها

— سعيه في خراب فرنسا وايقاد نيران الحرب الاهليه فيها

— وما هى الاسانيد التي تؤيدين بها هذه التهمة .

— لقد كانت آثامه الماضية عنوانا على آثامه الحاضرة اليس هو الذي اعدم الارواح البريئة في شهر سبتمبر واسعر نيران الحروب الاهلية لكي ينصب نفسه رئيساً للحكومة

— هل كنت تقصدين قتله حينما رفعت عليه السكين

— اني كنت مصرة على اعدامه منذ ايام عديدة

— ان القيام بعمل كهذا لا تقدم عليه امراة خصوصاً اذا كانت من

سنك الا اذا حرضها احد ودفعها عليه

— لم ابح بنيتى الى احد من الخلق وعند اقدامي على قتل مارا لم يقم بخاطرى انى ساقتل انسانا بل حيوانا مفترسا كان يريد انتياش جميع الفرنسويين

ثم سالها عن علاقاتها مع بربرو ودوبريه وعما اذا كانا هما اللذان اغرياها على القتل فقالت ان مثل هذا السؤال يتخذ دليلا على الجهل بحقائق الامور ودقائقها الم يكن من الاسهل للمرء ان يقوم بتنفيذ نية القتل بمقتضى ما يكنه صدره من الحقد

ثم اعيدت الى السجن وفيه اتمت رسالتها السالفة الى بربرو ومما جاء في هذه البقية « وآمل ان يطلق سراح كل من دوبريه وفوشين غدا وقد زعم الثورويون ان هذا الاخير قد اخذني معه الى مجلس الاتفاق واجلسني بجانبه ولست ادري كيف الصقوا به هذه التهمة وهو بصفته من نواب الامة لا يمكنه حضور مجلس الاتفاق وبصفته من اكابر القسوس لا يليق به ان يصطحب امرأة »

ثم كتبت الى والدها ما ياتى «والدي الشفوق · ارجوك السماح والعفو لاني تصرفت في حياتى بدون اذنك ورضاك ولست ارتاب انك تكون مسرورا اذا علمت انى بعدم مطاوعتي اياك قد انتقمت لكثير من الابرياء وحقنت دماء جم غفير ممن لا ذنب لهم على ان الشعب اذا لم يعترف بهذه الحقيقة الآن فلا بد ان يعترف بها في المستقبل واعلم باني قد اخترت جوستاف دولسه مدافعاً عني وثبوت التهمة لا يحتاج الى مدافعة ولكن النظام يقضي بذلك فاستودعك الله والدي وارجو منك ان تنساني وتمسح صورتي من ذهنك وتبلغ تحيتي لشقيقتي وجميع الاهل ولا يبرح عن ذهنك ماقاله كورني الشاعر

« ان الذنب داعية الخجل وليس القصاص عليه ففي الغد سيصدر الحكم بالاعدام على . كوردي »

وفي اليوم التالي وهو الاربعاء الموافق ١٧ يوليو احضرت شارلوت الى محكمة الثورة وكان الرئيس عليها مونتانه والقضاة فوكود روسليون واردون واما فوكييه تنفيــل فكان جالسا في كرسي المدعى العمومي فسالها الرئيس هل اختارت مدافعا لها فقالت نعم ولكنه لم يحضر والظاهر انه لم يجسر على قبول المدافعة عني وكان سبب غياب دولسه دسي بونتيكولان وهو المدافع الذي اختارته ان خطابها اليه بطلب الدفاع عنها لم يصل في وقته وعندئذ عين لها الرئيس المسيو شفو لاجارد بصفة محام والمسيو جرنييه بصفة مساعد له

وبعد ذلك قرئت اوراق التهمة فقالت شارلوت انا الذي قتلته ولم تنكر شيئاً بل برهنت على انها هي التى ادركت نية القتل ونفذتها حبا في خلاص وطنها فسألها الرئيس

— من الذي دفعك على قتل مارا

— ذنوبه وآثامه وانا التى صممت على قتله وكان بودي لو اقتله في وسط المجلس ولكن ضاع الامل واأسفاه وكان غرضي من هذا ان اذهب في الحال فريسة الانتقام فلا يعلم احد باسمي لانى تركت اخبارا تدل على سفري الى لوندره

— وهل وسوس لك الشيطان بهذه النية من زمن بعيد

— ادركتها منذ ٣١ مايو وهــو اليوم الذي القى القبض فيه على نواب الامة . وقد قتلت انسانا لانقاذ مائة الف انسان وقد كنت قبل الثورة ميالة الى الجمهورية فليس مارايتموه في من الغيرة والحمية عارضا جديدا

— وما معنى الحمية في كلامك هذا

— معناه نبذ المصلحة الذاتية جانباً والتفرغ لخدمة الوطن

— وكيف تزعمين ان ليس هناك من حرضك على قتل مارا مع كونك تدعين ان هذا الرجل كان السبب في خراب فرنسا وهو مع ذلك كان لا يألو جهدا عن كشف ستار الخائنين وارباب الفتن

— ربما كان اهل باريز هم الذين يذهبون الى استحسان اعماله اما اهل الاقاليم فيقبحونها و يشنعون عليها ولا يرون في مارا الا وحشاً من الوحوش الكاسرة

— كيف تعتبرين مارا من الوحوش وهو الذي لم يسمح لك بالوصول اليه الا حينما بعثت اليه بورقة تقولين فيها انك مظلومة وتريدين عرض ظلامتك عليه

— وما الفائدة اذا تظاهر بالانسانية نحوي و بالوحشية نحو غيري

— وهل تظنين انك بقتله قد قتلت جميع من على مذهبه

— انهم لم يموتوا بموته ولكن الخوف قد يخيم على قلوبهم الواجفة

ولم يكن استجواب الرئيس لها يلهيها عن رؤية مايرٍ بقاعة المحاكمة فانها لاحظت ان رجلا كل يشتغل بتصويرها فسرت سرورا زائدا اذ لا يخفى انها كانت طلبت وهي في السجن ان تصور فلم تجب الى طلبها وسرورها من ذلك نقيض ما كانت توصي به اهلها واصحابها من ان يمحوا ذكراها عن بالهم وان يسرعوا بنسيانها وبعد انتهاء الاستجواب قدمت لها السكين التي قتلت بها مارا فصرفت نظرها عنها قائلة اي نعم اعرفها اي نعم اعرفها وفي هذه الاثناء قام المدعي العمومي وقال ان الطعنة تدل على حذق الطاعن ومهارته

ثم التفت اليها وقال لها لابد انك تعودت القتل من زمن فلما سمعت هذا الكلام ضاع رشدها وقالت بصوت عال ان هذا الوحش يظنني قاتلة

وقد قام المسيو شفولاجارد بالدفاع عنها بقدر الاستطاعة وقد روى لاحد اصحابه ماعرض له من الارتباك اثناء شروعه في الدفاع فقال « لما شرعت في الكلام اوعز الى القضاة ان ابرهن على جنون المتهمة سبيلاً الى الحط من قدرها ومقامها فلم اقبل هذا الاقتراح اما شارلوت فلم تظهر عليها علائم الاضطراب والقلق بل كانت تخامرني بنظرات متوالية تعرب بها عن رغبتها في عدم التبرؤ من التهمة الموجهة اليها كانها علمت ان لافائدة في الجدال وايجاد الدلائل في حين وضوح القضية و بداهة مقدماتها وتوفر القرائن الدالة على حصول القتل باصرار وتعمد · و بالرغم عن ذلك فقد خطر على بالي ان اقوم بالواجب عليّ مراعياً في ذلك ارضاء الذمة فقلت : ان المتهمة قدَ اعترفت بجنان ثبت وجاش قوي انها هي التي ارتكبت جريمة القتل واعربت عن رغبتها في عدم التبرؤ من هذه التهمة وظهور ذلك منها دليل قوي على ان ليس بضميرها مايبكتها على هذا العمل فهي والحالة هذه اقدمت على القتل بثقة ان الامة ستجني من ورائه فائدة عظمى وهذه الثقة لم تحصل الا من شدة تعصبها في السياسة واعتقادها بصحة مذهبهاوثبوت آرائها فتشيعها السياسي هو الذي جرأها على تناول السلاح وافاضة الارواح · هذه هي مدافعتي عن المتهمة اعرضها على تدبير القضاة ليزنوها بميزان القسط والعدل »

ثم قام المدعي العمومي وطلب صدور الحكم باعدام المتهمة فصدرالحكم بذلك باغلبية الآراء وكانت شارلوت اثناء سماعها له هادئة ساكنة البال

فقالت للمسيو شفولاجارد اني اشكرك اذ تفضلت بالدفاع عني وارجو منك ان تتم فضلك عليّ بدفع ماعلي من الديون فاجابها الى طلبها

ولما اعيدت الى السجن جاءها المصور الذي كان يرسم صورتها في الجلسة لاتمامها وفي يوم تنفيذ الحكم بالاعدام حضر اليها الجلاد في الصباح فاستمهلته قليلاً ريثما تعطى لحارس السجن وزوجته خصلة من شعرها تذكارا لامتنانها من معاملتهما لها ثم سلمت نفسها للجلاد الذي البسها الثوب الاحمر المعتاد الباسه للقاتلين وادخلها في العربة المخصصة لحملها الى مكان الاعدام وقد كان حولها كثير من الخلائق فلما رأوا شارلوت اخذوا يقذفونها بالفاظ التحقير وعبارات التعيير ولم يكن المطر الغزير والبرد القارس والرعد القاصف وغيرها من الظواهر الطبيعية التى استحكمت في ذلك اليوم لتمنع أولئك الجموع من الازدحام حول العربة واظهار ماتكنه صدورهم من الحقد الزائد الذي كان يثيره مرأي شارلوت

على ان تلك الجموع لم تخل من بعض اشخاص اظهروا عواطف الميل وعلامات التعجب والدهشة من شجاعة شارلوت وعدم اكتراثها بالنائبات اذ كان منهم واحد يدعى آدم لكس تعلق بالعربة وتمنى علناً لو يموت مثلها وقد تحققت امنيته اذ مات بالغليوتين بعد هذه الحادثة بعدة اشهر

واستمرت العربة على السير وكان قد مضى نحو ساعتين منذ برحت السجن فقال الجلاد سنسون لها لابد انك تجدين الطريق طويلا فاجابته : مهما كان الحال فنحن على ثقة من الوصول ولما وصلت العربة الى ميدان الثورة حيث نصبت آلة الغليوتين وقف الجلاد امامها بحيث يخفي عن عينها منظر هذه الآلة فوقفت هي بحيث تتمكن من رؤيتها وقالت لي الحق اذا

تظاهرت بالميل الى استطلاع كيفية تركيب آلة الاعدام فانه لم تسبق لي مشاهدتها قط . ثم وقفت العربة فنزلت منها وصعدت الآلة وبعد ان حيت الواقفين بتحية الوداع استسلمت الى الجلاد الذي قطع عنقها واظهر رأسها للجموع ولطمها على خدها فاحمر تأثرا من هذه السبة

وعلى هذا المنوال انتهت حياة هذه الغادة الشجاعة وكان انتهاؤها دليلاً على فساد النظام الذي ظنه الفرنسويون موئلاً من استبداد الملكية واعتساف الخاصة والمطلع على تاريخ الامة الفرنسوية منذ مائة سنة تماماً يعلم من مثيل هذه الحوادث ماتقشعر منه الابدان وتنبو عنه الانظار وتجفل منه الطباع ويتخذ دليلاً على ان الامم الافرنكية مادامت على احوالها الحاضرة نابذة دينها الاصلي جانباً وغير مهتدية الى دين كفيل بحياطة وتعزيز تمدنها الباذخ الذي شادته منذ قرون عديدة فلا بد لبناء هذا التمدن الشاهق من الانقضاض والسقوط وهذه معاول التدمير وآلات التخريب حاضرة منها الاشتراك والفوضى ومناواة الاسرائيليين وغيرها من الاحزاب المبنية على التدمير والتخريب



﴿ القسم العلمي ﴾

﴿ النحل والخلايا (١) ﴾

النحل حيوان فهيم ذو كيس وشجاعة ونظر في العواقب ومعرفة بفصول السنة وأوقات المطر وتدبير المرتع والمطعم والطاعة لكبيره والاستكانة لاميره وقائده وبديع الصنعة وعجيب الفطرة وسميت نحلا لان الله تعالى نحل الناس العسل الذي يخرج منها اذ النحلة العطية وكفاها شرفاً قول الله تعالى واوحى ربك الى النحل فاوحى سبحانه اليها واثني عليها فعلمت مساقط الانواء من وراء البيداء فتقع هناك على كل حرارة عبقة وزهرة أنقة ثم تصدر عنها بما تحفظه رضابا وتلفظه شرابا

هذه توطئة عمومية لما نريد شرحه بالتفصيل من أحوال النحل وعاداته وتركيبه وهو

كل منا يعلم حق العلم ماهو النحل لاننا كثيرا مارأيناه ينتقل من شجرة الى شجرة ومن زهرة الى اخرى وكثيرا ما استعذبنا شهده وذقنا عذاب لسعته وهذا الحيوان وان بحث في شأنه كثير من علماء القدم كسقراط وافلاطون ولكن يدعونا الى استئناف الكلام على تركيبه وطبائعه مانعلمه من جهل الجمهور بها اذ انه لايزال البعض يعتقد ان الذباب الشبيه بالنحل نحلا وان العسل ناتج من افرازات اعضائه الداخلة الى غير ذلك من المزاعم الفاسدة والاعتقادات الظاهرة البطلان ولما كانت هذه الاعتقادات والمزاعم

« ١ » للمسيو ارست بلاندنيه المدرس بمدرسة رأس التين الاميرية

مما لا يصح ان تقوم له قائمة خصوصاً في هذ العصر الذي بددت انواره غياهب الجهل وحسرت ظلام الغباوة رأيت من الواجب عليّ والفرض المحتم لدي ان استعين على تبيان بطلانها بما اتيح لي جمعه من شوارد هذا الموضوع المهم فأقول

جعل الطبيعيون النحلة من عائلة الحيوانات الغشائية الجناحية التي يندرج في سلكها الزنبور والنحل وما ماثلها ومما تمتاز به حيوانات هذه العائلة هو دوام الاجتماع والاتحاد على هيئة جمعية او عشيرة يتوقف وجودها او بقاؤها على وجود هذه الجمعية وبقائها وبناء على ذلك فلا يكون للفرد المنعزل عنها منها حياة خاصة به اذ ان وجوده متوقف على اتحاده بالجمعية التي ليس هو الا عضوا منها

ومن يدقق النظر والتأمل في فريق من النحل يلاحظ بمجرد القاء النظر ان الافراد المكونة لهذا الفريق لا تختلف عن بعضها في تركيب الجسم ولا في اللون وان اختلفت في شيء من ذلك فذلك انما يكون لاختلاف الجنس من ذكر او انثي على حسب الوظائف التي يتوقف اداؤها على احدها في النظام الاجتماعي

واغلب الذين تصدوا الى وصف احوال النحل من المؤلفين اجمعوا على تشبيه الخلية بجمعية مؤسسة على قواعد النظام لكل فرد من افرادها فيها واجبات محدودة يفرض عليه القيام بادائها وحقوق معينة لا بد له من الحصول عليها والتمتع بها وقد اكثر الشعراء وارباب الادب والمحاضرات من ضرب الامثال بالنحل في كمال الطاعة لاميره وحسن الامتثال لقائده وتمثيل اميره وهو اكبره شخصاً على هيئة ملكة وحولها رعيتها تقدم لها على اطراف خراطيمها

الشهد اللذيذ وتحظى بالقربي والزلفي منها بما تبديه من النشاط والهمة في خدمتها واخلاص الولاء لذاتها

ولا ينبغي البحث على سر هذا الخضوع و ينبوع هذا الخشوع فيما يقال انه قائم بغريزة النحل وطبيعته حيث انه لامستودع لهذا السر العجيب سوي الناموس المنطبق حكمه على جميـع الكائنات وهو (غريزة الحفظ والبقاء) وذلك لان تلك الملكة المبجلة المعظمة التي يكتنفها من الخدم والحشم من لايصح ان تمثل به بطانة أعظم ملوك الارض شوكة و باسا هي والدة كل العشيرة وأمها الشفوقة وحاميـة ذمارها ولولا ما لها من العناية التامة باولادها لما كان ثمت وجود و بقاء لمن اسـتظلوا برعايتها وحمايتها من النحل الشغال والنحل الـكاذب والاناثيات منه اللواتي تخرج منهن ملكات للخليـة ورئيسات على العشيرة في المستقبل ومما تقدم يعلم ان ما اعتبرناه الآن نزالة أو جمعية عمومية ليس في الواقع ونفس الأمر الاعائلة واحدة جدارها راسخ على أساس النظام ودعائمها قائمة على قاعدتين هما العمل والحب وتلك العائلة لاقوام لوجود أفرادها لا باستحداث بعض المواد كالعسل وشمعه بما أودع فيها من النشاط والقوة

(تركيب النحلة) تتركب النحلة من ثلاثة أجزاء الرأس والصدر والبطن اما الرأس فتحتوي على الفم والعينين المركبتين من سطيحات والقرون المتحركة ويتركب الفم من فكين وهما عبارة عن حمتين تستعملهما النحلة في مضغ السنخ واخراج الرجيع لان هذا الرجيع منتن الرائحة وربما كان وجوده داخل الخلية مضرا بالصحة العمومية فيها و يوجد حول اللسان او الخرطوم ومن جانبيه نوع من الشعر وفي طرفه مثانة شبيهة باسفنجة متناهية في الدقة والصغر وهي التي يرعي بها و يجمع بواسـطتها الفضول الحلوة والرطوبات التي يرشح بها الزهر

والورق · اما القرون المتحركة التي توجد عادة في قمة الرأس أو قريباً منها فهي أعضاء الحس والشعور التي يعرف النحل بها بعضه البعض وتتصل أرجل هذه الحيوانات بالصدر اما الارجل المؤخرة فلها تجويف يحيط به نوع من الشعر يصلح لجمع طلع الازهار وفضولها في ذلك التجويف وهو الذي يصنع منها شمع الخلية

أما البطن فتتركب من جملة حلقات وتحتوي على معدتين احداهما لاشتمال العسل الذي سيوضع في أسناخ الاقراص والثانية للقيام بوظيفة تغذية الحيوان وينتهي الجزء المقدم من جسمه في حالة غضبه بحمة اذا تمعن الناظر فيها يجدها تقطر قطرات صغيرة جداً من السم وهذا السم هو الذي يحدث الالم والانتفاخ في جسم من تلسعه النحلة

وكل طائفة من النحل صلح حالها وانتظم سيرها تنقسم في أوائل شهر مايو الى ثلاثة أقسام اليعسوب وهو ملكة النحل واميرتها التي لا يتم لها رواح ولا غدوّ ولا عمل ولا مرعي الا بها ثم الذكور ثم الخناثي وتسمى أيضاً بالنحل العامل

وللنحل مهارة عظيمة في تشييد بيوتها على وضع أدهش الالباب وخلب عقول العقلاء من قديم الزمان وهو الشكل المسدس وقد اختارته دون غيره لخاصية فيه ذكرها صاحب عجائب المخلوقات فقال ان اوسع الاشكال واحواها المستدير وما يقرب منه أما المربع فقد تخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتي لا تبقي الزوايا فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا اجتمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية

هـذا الشكل ولبيوت النحل أو اسناخه ثلاثة انواع تختلف عن بعضها على حسب الغرض المقصود منها فالنوع الاول و بيوته أصغر في الاتساع يصلح لسكني النحل العامل والثاني و بيوته اوسط فيه يصلح لسكني ذكور النحل والثالث و بيوته اكثر اتساعا ونظاما ونظافة يصلح لمقام أمهات النحل او ملكاته او يعاسيبه وهي صالحة ايضاً لتربية النحل الصغير ولخزن مايتحصل من العسل

والملكة لاتخرج عن كونها نحلة تماثل النحل العامل في الشكل والهيئة ولكنها تمتاز عنه بكبر الجسم واعتدال القوام واستطالة البطن وغلظها لانها تحتوي على البيض الذي تضعه في الخلايا فيتحول الى ديدان لاتكاد تدرك بالحس وتكون هذه الديدان في الايام الاوائل من وجودها بيضاء اللون رخوة القوام لاطاقة لها على تحمل المؤثرات الخارجية فاذا جاء الخامس عشر من ايام وجودها اقفلت النحل فتحات الاسناخ بطبقة وان شئت قلت بنسيج من شمع العسل ثم تتركه هكذا حتى اذا كان اليوم الحادي والعشرين من وجودها يخرج منها نحل صغير الجرم رمادي اللون بعد ان يرفع الحجاب الحائل بينه و بين عالم الخليقة العمومية فتاتي اليه بقية النحل الكبير سراعا وتناوله الغذاء من العسل في خرطومه ثم تأخذ في بسط اجنحته لتمهد له سبيل التمكن من الطيران ومبارحة مهده الاول وبعد ان يقضي في تلقى هذه التعليمات يوما بتمامه يخرج من الخلية ويطوف حولها و يستمر على ذلك يوما او يومين يكون قد اكتسب فيها اقداما وشجاعة فاذا كان اليوم الرابع من خروجه من اسناخه يذهب الى الغيطان والحقول والبساتين ويبتدئ اعماله النافعة اما الملكة او الام فقد ترى طول النهار دائمة الانتقال من سنخة الى اخرى تدلى فيها بطنها ثم تخرجها منها بسرعة غريبة وهي في كل حركة من هذه الحركات تبيض بيضة ويبلغ متوسط ماتبيضه في اليوم

الواحد بهذه الصفة ٣٠٠٠ بيضة .

وهي تخرج نادرا من الخلايا اما اذا شعرت بضرورة الازدواج فتكثر من التردد على البساتين والاختلاف الى الخلوات لتبحث لها على زوج موافق ويكون ذلك في وسط نهار لا يغشى سماءه السحاب وحولها كثير من المفتونين بحبها والمغرورين بجمالها فاذا انتقت واحدا من بينهم اظهرت له اللين والملاطفة ولكنها تذيقه الموت بعد ان تخصب منه ثم تعود الى الخلية وهي تصفق بجناحيها ويجتهد من حولها من النحل العامل اثناء ذلك في تمهيد طريقها وازالة ما يوجد فيه من العقبات والعثرات وفي اليوم الثالث بعد هذه العملية تأخذ في البيض بسرعة غريبة كما اسلفنا ومن الخصوصيات الغريبة التي امتاز بها النحل في التناسل عن غيره من الحيوانات ان ما تضعه في البيض الذي تخرج منه الذكور والخناثي والملكات اي اليعاسيب يكون في بادئ الامر متشابها لا فرق بين الواحدة منه والاخرى وسبب الاختلاف عقب الفقس هو تباين الاسناخ اي البيوت في الاتساع والكبر فالاسناخ الكبيرة تخرج اليعاسيب من البيض الموضوع بها بعد مدة تختلف من ١٣ الى ١٥ يوما بخلاف الاسناخ الصغرى فيخرج منها الذكور والخناثي بعد ان تبقى فيها ١٢ يوما . يؤخذ من ذلك ان كون النحلة ملكة او ذكرا او خنثي يتوقف على اتساع السنخة التي خرجت منها ان كبيرة وان صغيرة وعلى صنف الاغذية التي تعطى لها عقب تحولها من بيضة الى دودة

ومما يتعجب له أيضا هو ان النحل العامل بيده تحويل البيضة المعدة لتوليد نحلة عاملة الى بيضة معدة لتوليد يعسوب وذلك بان توسع السنخة الموضوعة فيها تلك البيضة حتى تصير بمقدار سنخة اليعاسيب

ومع ذلك فلا يمكن أن تتم هـذه العملية الا اذا كان عمر البيضة ثلاثة ايام لانه اذا تجاوز هذا الزمن فانها تحول الي دودة وحينئذٍ يستحيـل تحويلها وليس لليعسوب حمة ولهذا السبب يمكن القبض عليه بدون خوف من ان يصاب الانسان منه بلسعة وهكذا الحال في الذكور من النحل الذي يتولد كما قال المعلم هسبروك من بيض غير خصب فان اولئك الذكور لا يتعدون على غيرهم ولا يأتون احدا بضرر ويظهر ان بقية النحل من يعاسيب ونحل عامل تعرف فيه هذه الاستكانة والذلة فلا يكاد يمضي زمن الجنى واختصاب اليعاسيب او الامهات حتي تشرع في قتله بلا شفقة ولا مرحمة وذلك بان تلسعه بحمتها بين حلقات بطنه فيتخبط في نفسه ثم يخرج من الخلية ويلقي بجثته الي جانب الذكور الذين قضت عليهم الظروف بهذه المعاملة قبله ومما ينبغي ملاحظته هنا ان النحلة اذا كانت في حالة الغضب وثارت على احد من بني الانسان فلسعته بحمتها التي ترتشق في جسم الملسوع لا يمكن اخراجها منه فتتركها فيه ويترتب على ذلك موتها ولكن اذا لسعت واحدا من ذكور النحل فهي لا تدخل حمتها بتمامها وبذلك يتيسر لها اخراجها من غير ان يلحقها ضرر ما والاغرب من ذلك هو انها تتغلب على مثيلة لها اكبر منها مرتين في الحجم بسرعة عظيمة ويشاهد ذلك في شهر اغسطس لدي وقوع المذبحة العامة بين افراد الخلية ·

وقد اسلفنا ان النحلة العاملة تسمي الخنثى لعدم قيـام صفة بها تجعلها متعلقة باحد الجنسين الذكر او الانثى وهذه قاعدة عامة غير انها تنقض في بعض الاحوال اذ كثيرا ما شوهد نحل عامل يبيض كاليعاسيب وهذا النحل يسمى بالبيوض او البائض ومن الغريب انه لا يتولد عن بيض هذا النحل الا نحل ذكر وهذه المشاهدة تثبت ماقاله المعلم هسبروك وتسهل معرفة النحل

الذي من هذا النوع بعدم انتظام وضع البيض وتبعثره بخلاف بيض اليعسوب فانها تضعه بانتظام تام في جميع الاسناخ اي البيوت بدون ان تترك واحدا منها

وقد مثل الشعراء والموءلفون جماعة النحل وهي مقسمة الى اسراب متعددة بعضها يحفظ المساكن وبعضها يدافع عنها وقت الحاجة والبعض الآخر يصنع الشمع وغيره يجني العصارات التي يتكون منها العسل بحكومة منتظمة يعمل كل فريق من فرقها لغرض مخصوص وغاية الجميع اصلاحها وترقية شأنها وقد تغالى اولئك في هذا القول لانه ليس من الحقيقة في شيء لان جمعية النحل العاملة تسعى بكليتها في اتمام ما ناطتها الطبيعة به من الاعمال بدون ان يكون هناك فرق منقسمة لكل منها عمل مخصوص والبرهان على ذلك انك اذا استوليت على اليعسوب او الملكة وهي مجدة في عملها فان الآلاف من النحل الموجودة في الخلية ترفع اليد عن العمل وتخرج ضاربة في سهول الفضاء للبحث على ملكتها وبواسطة عقد جمعيتها ويختل بذلك نظام الخلية لانك ترى النحل بعد ان كانت تأتي الى الخلية وتدخل فيها مباشرة ومعها ما قدرت على تحصيله من طلع الازهار وعصارة الرياحين تقتفي اثر اولئك في التفرق عندما تلم بحقيقة ما وقع بين باقي اعضاء الخلية من التشتت بغياب الملكة ولكنك اذا اعدت هذه الى مكانها وكان النحل مجتمعا في الخلية فانك تسمع منها طنينا لطيفا يدل على الاستحسان والارتياح وتجد النظام قد خفقت راياته على الخلية

ومن البراهين المتعددة على أن لا صفة خصوصية تقوم بالنحل فيما له مساس بالوظائف التي تؤديها الفرقة بأكملها على منوال واحد هو انه لما تضيق الخلية بالنحل عقب الفقس في فصل الصيف يجتمع الكثير من النحل الكبير خارج الثقب المعتبر بابا للخلية ويذهب الكثير من الناس الي ان

اجتماع ذلك العدد في هذه النقطة انما هو للدفاع عن الخلية من خطر يتهددها وهو خطأ بين يظهره للعيان تسابق ذلك النحل الى البساتين والحقول لدى بزوغ الشمس لاقتطاف عصارات الازهار وطلعها

ويزعم البعض ان النحل يقصد باقتطاف طلع الازهار في زمن تكاثره اصطناع شمع العسل وهو زعم باطل يدحضه ان الطلع يحتوي كيماويا على المادة الازوتية التي لابد منها لتربية الديدان وتنميتها وتغذيتها باضافة جزء من العسل عليها ولهذا الغرض شاعت عادة وضع الدقيق بالقرب من الخلايا ليقوم مقام طلع الازهار في فصل الربيع حيث تنقل الكمية اللازمة منه

ومن الضروريات التي يقتضيها قوام حياة النحل ونمو عدده الماء والملح ولذا ترى الكثير من المشغوفين بتربية هذا الحيوان يأتون بالبراميل القديمة المعدة لتمليح المآكل ويملؤنها ماء ثم يضعون على سطح هذا الماء قطعا صغيرة من الخشب كثيرة العدد لكي اذا وقفت النحلة على احداها وشربت لا تغرق ومن كثرة ازدحام النحل على تلك القطع الطافية تظهر لك ضرورة مادتي الماء والملح للنحل

وقال المعلم لياس انه اذا تبلور العسل في اماكنه اي بيوته السداسية الشكل اما لكون عصارة النبات المتحصل هو منها قابلة للتبلور بسرعة كنبات السلجم فذلك مما يدل على احتياج النحل للماء الكثير لكي يحلل عسله وقد زعم الكثير من المتفرغين لتربية النحل ان الماء لا ينفع في شيء مطلقا وهذه دعوى باطلة اذ قام البرهان اليوم على ان منفعة الماء دعت النحل الى التهافت عليه اذا كان موجودا بالقرب من خليتها والى قطع المسافات الشاسعة للبحث عليه اذا كان بعيدا عنها وقد يحصل ذلك كثيرا في فصل الربيع حيث

يكون البرد قارسا قاسيا فلولا ما في الماء من المنفعة العظمى لما تكبدت هذه المشقات

وقال احد الالمانيين ممن لهم الوقوف التام على احوال النحل ان النحلة العاملة اذا كانت فارغة تزن من ١٠٨ الى ١١٠ ميللغرام واذا كانت ملآنة تزن ١٢٣ ميللغراما وان وزن اليعسوب يختلف من ١٤٠ الى ١٥٠ ميللغراما وان وزن الذكر من النحل يختلف من ٢٠٠ الى ٢٢٠ ميللغراما وان الكيلو غرام من النحل يحتوي على ١٢٠٠ نحله تقريباً ولكن سرب النحل المشحون بالعسل يحتوي على ٩٤٠٠ نحله

« في الكلام على الخلية بوجه عام » يحدث في بعض الاحيان ان تولد نحلة انثى يخول لها جنسها التمتع بحقوق الملك والرئاسة على النحل الذي بالخلية فيكون فيها والحالة هذه يعسوبان وهو مستحيل اذ ان بقاء الاثنين يترتب عليه خراب الخلية ودمارها لتنازعهما السلطة وتنافسهما في الاستئثار بالشوكة والحكم وعند ذلك يتنازل اليعسوب الاصلي او الاكبر لابنته عن اريكة السلطنة ويخرج من الخلية بعد ان يامر النحل باتباعه في تسربه ثم يذهب الجميع الى شجرة تكون بالقرب من الخلية ويتراكمون على بعضهم البعض فيكوّنون ما يسمى في اصطلاح العلماء بالسربة وقد ينتهز بعض الذين يعانون تربية النحل من هذه الفرصة لوضع خلية بجانبها فتتهافت النحل على سكانها وينتفع واضع الخلية من ثمار عملها

ولاحظ بعض العلماء ان النحل الذي يسكن الخلية المصنوعة من القش يجعل اقراصه رأسية الوضع او افقيته على حسب ما اذا كان مدخل الخلية بجوانبها او في اعلاها واخترع الكثير من العلماء اشكالا من الخليات تساعدهم

على ابحاثهم العلمية واحسنها هو مااخترعه الاساتذة بوركي ودادان ولايانس ولانجتروث ومونا وتتركب جميعها من الواح خشب متحركة بحيث تسع مايختلف حجمه من ٤٥ الى ٦٠ لترا واذا صنعت الخلية لتجعل في وسط بستان فلا بد من ان يعمل لها سقف مستو او مائل وقاع بارز عن الجدران بمقدار يكفي لحملها على قوائم تثبت في الارض بواسطة مسامير من الحديد او غيره وان يكون الجزء الامامي منها محتوياً على باب صغير لدخول النحل وخروجه والجداران الجنبيان على فتحات صغيرة مسدودة بالواح من الزجاج لكي يتمكن الباحث عن طبائع النحل من مراقبة اعمالها بالسهولة التامة هذا اذا كانت الخلية مخصصة لهذا الغرض اما اذا كانت لغيره فلا حاجة لعمل تلك الفتحات وفي داخل الخلية بالقرب من جدرانها وعلى بعد ٣٨ ملليمترا منها الواح اخرى اصغر من هذه الجدران بكثير ليمكن تحريكها بسهولة تامة والكل متصل بالجهة الخلفية التى تكون ثابتة متينة

ولا يخفى مافي وضع الخلية على هذا النموذج من الفوائد العظمى اذ ان الخلية المصنوعة من القش تكون اقراصها ثابتة بجدرانها الجنبية بخلاف تلك الخلية فان اطراف الاقراص فيها تكون ثابتة على الالواح الداخلة فيتسنى للنحل ان يدور في الخلية ويخترقها من جميع نواحيها · واذا اخذ النحل في تشييد الاسناخ الملوكية فان هذا يدل على رغبتها في التسرب والتهرب ولمنع ذلك نفتح باب الخلية وتأخذ منها القرص الذي يحتوي على الاسناخ الملوكية ثم نقطعه بسكين معك فتتدمر هذه الاسناخ بالقطع ويضطر النحل الى العودة لخليته الاصلية حيث يثابر على عمل العسل ولما كانت كثرة النحل تتوقف على كثرة اليعاسيب فعلى الذين يريدون تكثير نحلهم ان

يراقبوا فرصة تشييد النحل للاسناخ الملوكية حتى اذا علموا ان اليعسوب القديم قد باض بيضتين او ثلاثاً او اربعاً الى ست بقدر الموجود من تلك الاسناخ اتوا بقطع من المعدن مثقوبة كالشبكة وسدوا بها مداخل الاسناخ المشار اليها مع الاحتراس التام من الاضرار بما فيها من الدود المتولد من ذلك البيض فحينما تنضج الاسناخ ويكون ذلك بعد مضي ١٥ يوما يعمد الانسان اليها ويستولي على اليعاسيب التي فيها واحدة فواحدة ويضع كلا منها في خلية محتاجة الى يعسوب يكثر به عدد النحل وفائدة القطع المعدنية التي سلف ذكرها هي منع اليعاسيب من اتباع عادتها المألوفة المؤدية الى هلاكها ذلك انها اذا خرجت بعد الفقس من اسناخها اخذت في القتال حتى تموت ماعدا واحدا منها ترجع اليه الكلمة والنفوذ في افراد الخليه

ظهر مما تقدم انه يمكن بتربية النحل وتمهد شؤنه الحصول على اليعاسيب لانها اذا خرجت من اسناخها تتفانى بحيث لايبقى الا واحد منها وهي على حالتها الاصليه لاتضع الا الخناثي فقط فلاجل ان تضع من البيض مايخرج منه يعاسيب مثلها ينبغي ان تبتعد خارج الخلايا لتختصب ثم تعود اليها فتودع بيوضها في الخلايات الصغيرة اي الاسناخ ويمكن الحصول على هذه النتيجه بطريقتين احداها ان يوضع اليعسوب في خلية صغيرة تحتوي على عدد قليل من الاقراص بها ديدان النحل وينتظر بها حتى يخرج من هذا النحل ماتنتقيه لاخصابها . واذا اراد مربي النحل ان يستبدل يعسوباً قد عاش كثيرا من الزمن بآخر اصغر منه فلا بد من ان ينتظر يوماً سماؤه صافية فيفتح الخلية ويستولي منها على اليعسوب الذي يصعب معرفته من بين النحل وعند ذلك يقع الهرج والمرج في الخلية مدة ساعات متوالية فاذا لاحظ ان

النظام قد استتب ياتي باليعسوب الجديد الذي يريد تنصيبه ملكة على الخليه في شيء اشبه بالقفص الصغير ويدخله في الخليه باحتراس تام فعندذلك ينقض النحل على القفص بغيظ وغضب كانه يريد الانتقام من غريب تجاسر على الدخول في مسكنه بدون استئذان ولكن لاينال اليعسوب شيء من ضرر لسعاتها وبعد مضي عدة ساعات يعمد مربي النحل الى ذلك القفص ويفتح بابه ثم يستعيضه بطبقة من الشمع فياخذ اليعسوب في رفع هذه الطبقه ويخرج فيظن اهل الخليه انه خارج من السنخه فتقابله مقابلة الامة لاميرها وولي امرها

ويكون مطمح نظرها عقب خروجها ان تأخذ في ايداع بيوضها بجميع الاسناخ فيتسع نطاق الخليه من حيث نمو عدد الافراد وغزارة مايصنعونه من العسل . وقد عثر المعلم هسبروك على طريقة مفيدة لاخصاب اليعاسيب وهي في حالة الاسر وذلك بان يضع الاسناخ الملوكية التي تم نضجها في الجزء العلوي من الالواح الموجودة داخـل الخلية في اقفاص قاعها مصنوع من اسلاك من المعدن مشتبكة ببعضها والسطح الاعلى منها عبارة عن قطعة من الزجاج ويجعل فيها ايضاً قرصاً صغيرا نظيفاً

ومن كلام المعلم هسبروك في هذا الصدد مايأتي (كنت اذا خرج يعسوب من سنخه اعمد الى آلة الاخصاب وهي اشبه بعلبة صغيرة لها غطاء من الزجاج فاضمه فيها ثم اجعل الجميع فوق خلية مفتوحة بعد ان اكون قد رفعت من قفص اليعسوب غطاءه ومن علبة الاخصاب قاعها فيجتمع كل من اليعسوب والنحلة الذكر وعند ذلك اذهب بعيـدا عنها خشية ان يكون حضوري سبباً في قلقها ثم اعود بعـد برهة فاجد النحلة الذكر قد ماتت وحينما ارى على اليعسوب من الآثار مايدل على نجاح العملية اتيت بيعسوب

آخر وفعلت به مافعلت مع الاول وهكذا حتى كان يبلغ عدد اليعاسيب التى اجرى عليها عملية الاخصاب اثني عشر في اقل من نصف نهار وقد يحدث في غالب الاحيان ان لاينجح الانسان في هذه العمليات كلها لعلة عدم امكان معرفة الوقت الملائم لاجرائها)

ومع ماعليهِ طريقة المعلم هسبروك من الفائدة الظاهرة والمزية الواضحة فانها اقل انتشارا من طريقة الاخصاب بواسطة الخليات الصغيرة التى سبق الكلام عليها لسهولة هذه ونجاحها المؤكد وصعوبة تلك ويوجد في ايطاليا وفي غيرها من ممالك اوروبا ومدائنها الشهيرة اماكن مخصوصة لاخصاب اليعاسيب ومنها محل لميرنجي في مدينة كرفجيو وبيانكوسيني في بلونيا وكلا هذين المحلين يشتغل بتقديم اليعاسيب الخصبة لمن يرغب الحصول عليها ويسلمها اما يدا ليد او يرسلها بطريق البوستة في اقفاص صغيرة ويختلف ثمن القبضة منها من ٩ فرنكات الى ١٥ فرنكا على حسب اختلاف الفصول وتباين الطقوس ويباع النحل ايضاً بالسرب في تلك الاماكن بشروط تماثل شروط بيعها بالقبضة

« في الخلايا الصيوانية » ان اظرف الخلايا شكلاواحسنها منظراواوفقها لمقام النحل هي ولا شك الخلايا الصيوانية وهي عبارة عن خلايا جدرانها الجانبية منقسمة الى خانات متعددة ماعدا الجدار الذي به مدخل الخلية ويوجد حول هذه منافذ عديدة باسفل كل منها لوحة صغيرة من الخشب تقف عليها النحل عند دخولها وخروجها للاستراحة وبالجزء السفلي منها توضع الآلات اللازمة لمربى النحل ومقتطف عسله وسنتكلم عليها بعد ووجه اوفقيه الخلية الصيوانية هو انه يمكن استخراج اقراص العسل منها واستبدال

اليعاسيب كما ذكرنا سابقاً بسهولة تامة ومن مزاياها ايضاً الحجر على النحل فيها في اواخر فصل الصيف لانها اعتادت في مثل هذا الوقت على التشتت والتشعب والذهاب الى الخليات الاخرى لمحاربة اخوتها فينتج عن ذلك انها تتفانى من جهة وان مايسقط منها ميتاً في العسل يكون سبباً في تعفينه من جهة اخري ولا يخفى ان في تجنب هذه العوائق مايأتي بالارباح العديدة لمن يعاني تربية النحل

(آلات مربي النحل) كان تقدم فن تربية النحل سبباً في تقدم الآلات المتعلقة به وتحسنها ومن هذه الآلات آلة تسمى المستخرج ذو القوة الطاردة عن المركز وهو عبارة عن نصف اسطوانة من الساج بها شبكة من الخشب توضع فوقها الاقراص المراد تفريغها من العسل وهي تدار بواسطة يدلها بسرعة عظيمة فيسقط العسل على منحني نصف الاسطوانة ويسيل منه في آنية موضوعة تحت الجهاز ومتى امتلأت هذه الآنية يمكن اخراجها وتفريغها بسهولة تامة وفي هذه الآلة من الفوائد مالا يخفى على النبيه الحاذق اذ انه بعد تفريغ الاقراص يمكن اعادتها في محلها كما كانت فتبادر الي ملئها بعسلها مرة ثانية وقد يحدث ان قرص النحل في بعض الاحيان تمتلئ مرتين متواليتين في اليوم الواحد فيكون محصول الخلية بهذه الوسيلة لا اقل من ٦٠ كيلوغراماً لاينقص ثمنها عن ١٢٠ فرنكا واول من اخترع ذلك الجهاز المفيد هو الماجور فون هوسكا القاطن بقرية دالو على مقربة من مدينة فنيزيا (البندقية) وقد ادخلت عليه منذ سنة ١٧٦٥ تحسينات عديدة فصار يوجد منه الآن انواع كثيرة والمزية العظمى التي حدثت من الجهاز الذي نحن بصدده هي ان استخراج العسل دون اقراصه لاتمكن البائعين من ادخال الغش فيه اذ لو

استخرج و بيع معها لايتمكن الشاري من معرفة الغش الذي يفعله اصحاب الخليات بوضع سكر الجلوكوز خارج الخلية فتنقله النحل الى اسناخها

ومن الاختراعات العجيبة التي جعلت محصول العسل غزيرا اختراع الاقراص المطبوعة وهي عبارة عن اوراق رقيقة من الشمع بها اثر اسناخ النحل العامل وتصنع هذه الاقراص بآلة مخصوصة على شكل الاقراص الطبيعية ثم توضع في الخليات فلا تضطر النحل الى اضاعة الوقت في تشييد غيرها بل تستعمله في ملئها بالعسل ولما كان من شأن الحرارة ان تلين الاقراص اثناء قيام النحل بعملها وربما ادى ذلك في كثير من الاحيان الى سقوطها وانهدامها فقد توصل مخترع الاقراص الصناعية الى وضع اسلاك من الحديد فيها لتتنزل منها منزله العظام من الجسم

« اعداء النحل وامراضه » من اعداء النحل الذين يجلبون لها الضرر البليغ نوع من الحشرة المسماة ابو دقيق تنتهز فرصة غسق الليل فتدخل في الخلية حيث تضع عددا وافرا من بيضها ولا يخفى ان هذا البيض يتحول الى ديدان تثقب الاقراص وتكسب الجسم غلظا يؤدي الى وقوع النحل في الاضطراب والقلق ويمكن تجنب هذا الضرر البليغ بتبخير الاسناخ بحمض الكبريت ومن اعداء النحل الفيران فانها تدمر خليات باكملها ورؤس الموت وهي نوع من الحيوان يحب العسل كثيرا فيدخل في الخليات ومنها ايضاً النحل والعنكبوت فانها تقرض الاقراص ويموت النحل فيما تنصبه من الشباك ومع ذلك فبانتباه القائم بتربية النحل يمكن تجنب اضرار هؤلاء الاعداء الالداء

اما امراض النحل المشهورة فاولها الاسهال الذي يحدث من عدم تجدد الهواء في الخلية او من اكثارها من التغذي في زمن توجد فيه برودة شتاء

واكثر امراض النحل ضررا هو تعفن الفرخ لانه لادواء لهذا الداء الذي بمجرد انتشاره في خلية يسرى منها الى غيرها وقد اختلف العلماء في اسباب هذا المرض المضر غيران البعض منهم ينسبونه الى شدة البردوقلة التغذيةوهو يعرف بتعفن الخلية واسمرار لون الديدان

« نتيجة » ان ماتقدم يكفي لاظهار درجة التقدموالنجاح التى وصلت اليها تربية النحل وقد ضربنا الصفح عن ذكر كثيرمن احوال النحل لان ايرادها في فصل توخينا فيه شرح هـذه الاحوال بكيفية سطحية مختصرة يؤدي بنا الى التطويل الممل والاسهاب المضجر على ان في ذلك القدر مايثبت اتساع افق الطبيعة وعظم كتابها الذي لم يتصفح ابناء هـذا العصر سوى الاوراق الاولى منه فان دراسة حشرة واحدة من الحشرات التى نعدها محتقرة تتعلق بعدد لاحصر له من المسائل المختلفة التي ينبغي لمن اراد الاحاطة بها ان يكون ملما بكثير من العلوم

واني اعد نفسي سعيدا اذا تحقق املي بان يكون ما كتبته سببا في اعتناء البعض بتنظيم ماعنده من الخلايا على المنوال الذي شرحناه واستلفات البعض الآخر ممن توجد حوالي منازلهم الحدائق النضرة لأنشاء خليات على النمط المذكور لتربية النحل فانهم بهذه الوسيلة يتمكنون من المشاهدة التى من شانها ان توسع نطاق العقل و يعاينون النحل ونظاماته فيجتهدون في التشبه به في النظافة واقتصاد الوقت والنشاط في العمل وغيرذلك و يعلمون انقانون العمل عند النحل كما عنـد الانسان ينتج طبعا من اضطرار المخلوقات الى معالجة احتياجاتهم الجسمية والعقلية و يعرفون ان الشرف كل الشرف في مداركة الانسان احتياجاته بدونان تكون له الى مخلوق مثله حاجة تحط

من منزلته وتخفض من شأنه

ونختم القول بان البلاد المصرية حقيقة بان يعتني فيها بشان النحل اذ ان طبيعتها ودرجة حرارتها تساعدان على ترقية شان هذه الحيوانات وتربيتها تربية تأتي باضعاف الفوائد التي تاتي بها الآن ومما يثبت قولي هـذا ان شمع العسل المصري معتبر عنـد الاوروبين ورائج في اسواقهم فاذا تكرم اولياء الامر بمنح هذه المسئلة جانبا من عنايتهم تحققت الآمال تحققاً تاماً

❊ السنجاب (١) ❊

هو الوحيد من الحيوانات القراضة الذي يستميل الانسان الى محبته والتعلق به وهو وان يكن من نوع الفأر العادي ولكنه انظف منه لباساً واظرف شكلا واخف حركة وأكثر أدبا وأقرب معاشرة وبينه وبين الفأر بون شاسع في العادات والمعيشة اذ ان هذا الاخير يلتمس رزقه من القاذورات والقمامات ويسكن الاماكن الغائطة بخلاف السنجاب فانه لايأكل الا الاثمار الطيبة والفواكه اللذيذة ولا يأوي الا الى قمم الاشجار وسعفاتها . ومما يحسن منظره في عين الرائي دوام تنقله من شجرة الى اخري وتدلدله من الاغصان في الفضاء

وقال الشيخ كمال الدين الدميري صاحب كتاب حياة الحيوان فيه مايأتي (السنجاب حيوان على حد اليربوع اكبر من الفأر وشعره في غاية النعومة ويتخذ من جلده الفراء يلبسه المتنعمون وهو شديد الحيل اذا ابصر

(١) بقلم صاحب المجموعة

الانسان صعد الشجرة العالية وفيها يأوي ومنها يأكل وهو كثير ببلاد الصقالبة والترك ومزاجه حار رطب لسرعة حركته عن حركة الانسان وأحسن جلوده الازرق الاملس وقد أحسن القائل

كلما ازرق لون جلدي من البرد تخيلت انه سنجاب)

وقال القزويني في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات (السنجاب حيوان كالفار الا انه اكبر منه حجما وشعره في غاية النعومة يتخذ من جلده الفراء يلبسها المتنعمون صيفا لانها تبرد بخلاف سائر الفراء ...)

(اقتصاد السنجاب) السنجاب احرص الحيوانات على مراعاة عاداته التي ورثها بالفطرة من ابيه وامه فلا تمر به لحظة الا ويظهر فيها من آيات الاقتصاد والتدبير مايعترف بالعجز وقصر الباع عنه اكبر رجال الاقتصاد في هذا العصر ... لانه سواء كان بالغابات على حالته الفطرية او ببساتين الامراء وحدائق الاغنياء حيث تقدم له اصناف الماكولات بوفرة زائدة يشعر بضرورة ادخار شيء مما يرزق لكي اذا اقبل الشتاء وتعذر الخروج في طلب الرزق رأي من تدبيره وحسن تبصره في العواقب مايكفيه موءنة ذل السوءال وعناء الاقتراض وشقاء التضور جوعا اثناء البرد الشديد ومن غريب مايندفع الي عمله بالغريزة انه يتخذ مدخراته ومخزوناته من المواد التى لاتفسد اذا حفظت مدة طويلة كالجوز وثمر البلوط وما ماثلهما . ويختلف السنجاب الاوربي عن السنجاب الامريكي في وسائل الادخار والتعبية لان الاول منهما يهتم باخفاء مايحصل عليه من الموءن تحت الصخور أو في التجاويف الغائرة التى يحدثها الزمن في الاشجار القديمة حتى لايكون له من الحاح الفيران في الاستقراض او الاستمناح مايكدر عليه صفو راحته واماالثاني اي الامريكي

فانه قد أُرخى العنان في التحرز وقلة الثقة وعدم الاطمئنان لان مايفعله في حفظ أغذيته وادخار موءنته يشبه مايتخذه الانسان البخيل من الوسائل في حفظ ماله بجعله في اماكن متعددة فهو يدفن كل جوزة او ثمرة على حدتها ثم يهيل عليها التراب حتى تختفي عن اعين النظار وبعد ذلك يضع فوق اثر الحفر حجرا صغيرا لكيلا يضل عن موقع التجويف الذي أودع فيه ثمار اقتصاده

وقد يخفيها في بعض الاحيان تحت الحشائش الكثيفة حتى لايعثر عليها أحد · ومن الغريب انه اذا اقبل فصل الشتاء واراد تناول شيء مما اقتصده في الفصول الماضيــة وعلى الاخص منها فصل الخريف عثر عليه بالسهولة مع انه يكون قد مضى زمن طويل من عهد دفنه له في الارض · ورأى بعضهم سنجابا دخل في طبقة من الثلج يبلغ سمكها قدما واحداثم خرج وفي فمه جوزة صغيرة أخذ ياكلها · وعلل العلماء نباهة السنجاب بان من عادة الحيوانات ان تنام في فصل الشتاء فيغنيها النوم عن تكلف المشاق في البحث عن الرزق بخلاف السنجاب فانه بالنظر لحرمانه من هذه المزيه تراه مجدا دائما في السعي وراء مايكفل بقاء حياته بعيدة عن خطر الموت جوعا وهذا لايتسنى له الا اذا اقتصد وعمل لمستقبله

(شغفه بالانتقال) كما ان الفار يرى لذته في التنقل من شق الى خربة او من بركة الى مستنقع كذلك السنجاب يحب الانتقال من شجرة الى مثيلتها وشواهد هذا كثيرة منها ان جيوشا من الفيران في منتصف القرن الماضي تقريبا هجمت على جهة من اوروبا فابادت مافيها من المزروعات والمحصولات ودمرته تدميرا وفي سنة ١٧٤٩ أي في وقت معاصر لهذه الحادثة زحف عدد من السنجاب لايحصى على بلاد بنسلفانيا من امريكا وعفي على ما كان

فيها من الخيرات الواسعة والنعم الغزيرة فلما رأى الاهالى اشتداد الامر عليهم وازدياد الضنك بهم حرضوا فقراءهم على قتل ذلك الحيوان ووعدوهم بالمكافئات العظيمة فلم تمض أيام قلائل حتى قتلوا منها أغلبها وكانت قيمة المكافئة على قتل الحيوان الواحد ثلاثين سنتيما ونصف سنتيم فبلغ مقدار ماصرف لهم في هذا السبيل أكثر من مائتي الف فرنك وبلغ عدد ماقتل ٦٤٠ الف سنجاب

وقد كان للسنجاب اثناء النصف الاول من هذا القرن في كل خمس سنين منه تقريبا غارات مشهورة وهجمات مذكورة على غيطان الفواكه وحقول الحبوب والغلات بالجزء الغربي من الولايات المتحدة الامريكية فانه كان ياتي من الجهات السحيقة فيجتازعوما انهار نياجارا وهدسن والمسيسبي المشهورة باتساع عرضها او ينتشر في المزروعات فيوقع بها الاضرار الجسيمة ولما فطن الاهالي الى ذلك في سنة ١٧٤٩ انتهزوا فرصة وصوله الى الشاطىء الآخر عقب اجتيازه تلك الانهار وقد انهكها التعب وحط من قوتها الجهد للقبض عليه باليد والنكاية به كما ذكرنا وقد كان القدماء يشبهون النوتي الماهر بالسنجاب لان هذا الحيوان اذا نزل في نهر بنية اجتيازه الى الشاطىء الآخر ولم يقدر على مقاومة التيار ثم رأى ان الريح مساعدا له جعل ذيله قائمًا منتصبا كالسارية لكي اذا صادمته الرياح تقدم الى الامام وكان له من هذه الحيلة مايساعده في الاستظهار على ذلك التيار

(السنجاب في عائلته) ليس الازدواج بين الذكر والانثى من هذا الحيوان دائميا بل يقتصر على المدة التى تعلق فيها منه فاذا مضت هذه المدة طلبت منه ان ينصرف أو أكرهته على ذلك بحيث اذا طمح في وقت

من الاوقات الى التقرب منها مانعته وقاومته وكثيرا ماتفضي بهما المقاومة والممانعة الى النزال والقتال . وتحرز الانثي بنعها الذكر من البقاء معها عقب وضعها وان ظهر في مظهر الاستبداد والاعتداء على الحقوق ولكنه في مكانه من الحق والصواب تلقاء ماتلاقيه من العذاب عقب وضعها لان عادة الذكر من السنجاب تقضي عليه بانه اذا رأى صغاره يبادر الى خنقها اواماتتها فللانثي حينئذ الحق في التظاهر بالعدوان والخصام وهذه العادة القبيحة قاصرة على سنجاب الولايات المتحدة بامريكا أما سنجاب أوربا فلا يعرف من أمرها شيئاً

ومن غريب ماتبديه انثى السنجاب من الشهامة وعزة النفس في الدفاع عن صغارها انها اذا يئست من المدافعة وكانت تري من اليفها السابق صلابة ارادة في البقاء معها اختلست اقرب فرصة للانتقال الى شجرة أخري يجهل هو موقعها وتاخذ معها صغارها الذين تبدي لهم من الحنان مايكاد يفوق شفقة الانسان . واذا تعذر عليها في هذه الحالة وجود عش كعشها القديم فانها تسكن موقتا في تجويف شجرة قديمة أو في شيء آخر بقيها وأولادها هجمات المعتدين وربما اعتمدته مقاما ولكن بعد ان تصنع فيه ماينقصه من الاصلاحات التى يترتب عليها رغد عيشها فيه هي وصغارها .

وبعد ان تطمئن في مستقرها الجديد تاخذ في ارضاعها مدة شهر باكمله ويكون عددها في الغالب أربعة وفي اثناء هذا الدور يكون لونها ورديا جميل المنظر واذا كبرت واشتدت قليلا وقدرت على المشي والتحرك تاخذ في تعويدها على أكل الفاكهة وذلك بان تمضغها بين اسنانها اولا ثم تزقها لها كما يزق الطير صغاره .

وبانقضاء ذلك الشهر تشرع في تربيتها وتعليمها ولهذه المناسبة تدعو

جاراتها من جنسها الى الحضور لمشاهدتها أثناء تاديتها هذا الواجب ولكن على شرط ان لاتتداخل احداها فيما تريد تعليمه وتلقينه لها من الحركات والتنقلات

ويظهر الصغار في اوائل التربية الجبن والخجل فاذا قادتها أمها الى فرع افقي لتعودها على السير فوقه بدت عليه علامات القلق والخوف فتجتهد في العودة الى الخلف وتعتنق أمها كأنها تلتمس منها ان لاتدعوها الى ما لا طاقة لها على عمله وقد يشبه الحاحها والحافها في ذلك مايبديه الانسان الذي وقعت به ملمة من الاستعطاف والاسترحام لمن يراه قادرا على انقاذه وتخليصه . واما الام فهي لاتنفعل بذلك الالتماس والتضرع بل ترفضها بلطف وتعمل حيلتها في اكراه صغارها على الامتثال الى ارادتها والانصياع لرغبتها فلا يكاد يمضي اسبوعان حتى تتم التربية ويزول عن صغار السنجاب ما كان يعروها في مبدأ الامر من الخوف والجبن وفي هذه الحالة تصعد الاشجار من جذعها الى ارقي غصن منها في اقرب من لمح البصر وتثب من فرع الى آخر ومن شجرة الى اخرى بخفة عجيبة ورشاقة غريبة وتبدي من الاعمال ما كانت تعده قبل التعلم خطرا جسيما على حياتها

ومن عادة السنجاب ان يقف في اكثر أوقاته على قدميه الخلفيتين بحيث يكون وضع جسمه راسيا ويأتي في صغره من الالعاب مايشبه العاب الطفل اثناء الادوار الاولى من الطفولية غير ان العابه تختلف وتتباين عن بعضها على حسب اختلاف المكان والوسط الذي يعيش فيه ففي بلاد اوروبا مثلا ترى ان العابه قاصرة على ملاكمة مايصادفه من بني جنسه بيديه الاماميتين وهي مخالفة لالعابه في بلاد امريكا فان هذه الالعاب تكون مقصورة على عمل مصارعة تشبه بالتمام ما كان يعمله المصارعون الجبابرة في

في الازمان القديمة بالساحات والملاهي العمومية

ومن الغريب أنه اذا اطمأن الى الراحة واخلد الى السكون لايضيع وقته سدى بدون عمل بل ياخذ في تمشيط شعره وتنظيمه بمهارة وحذق عظيمين يكادان يشبهان مهارة المرأة وحذقها في ترتيب شعورها

هذا واذا كانت أنثى السنجاب على الحالة الوحشية فانها تضع أربعة في كل نتاج بخلاف ما اذا كانت مستأنسة بالانسان في حديقة أو بستان مثلها فانها تضع أكثر من ذلك لان وفرة مايقدم لها من الغذاء يكفيها مؤنة البحث على الرزق والسعي وراءه فتجد من اتساع الوقت لديها وعدم تعلق فكرها بالادخار والتخزين ماتتفرغ فيه الى تكثير ذريتها وتنمية نسلها . ولما كانت أنثى السنجاب كاليفها تعمر عادة عشرين سنة وتضع في كل سنة نتاجا على الاقل واثنين على الاكثر فلا بد ان يكون عدد مايتناسل منها أثناء عمرها لايحصى ولا يحصر وهو مايملأ قلوب رجال الاقتصاد بالخوف ويعمرها بالفزع اذا اتجه ذلك العدد نحو مزرعة لاقتضاب مافيها من المزروعات والخيرات

(ائتلافه بالانسان) يميل السنجاب الى الائتلاف بالانسان والائتناس بعشرته وهو في متنزهات المدائن الامريكية يدنو من المتفسحين ويتناول من أيديهم ماتجود به له أما اذا كان في حدائق العائلات وبساتين الاغنياء فانه لايدنو الا من أصحابها ولا يطمئن لغيرهم وله حذق في معرفة صاحب البيت وأبنائه وأعضاء عائلته وتابعيهم من الخدم وتمييزهم عن غيرهم من الاجانب وقد لاحظ بعضهم ممن لهم عناية كبيرة وشغف شديد باقتناء السنجاب انه اذا جاء وقت تناول الطعام دق هذا الحيوان على باب أو شباك القاعة التي مد فيها السماط كانه يعلن حضوره فاذا رأي من الحاضرين من لم يتعود على رؤيته

عاد ثانيا الى مكانه ولكن بعد أن يأخذ معه مايستطيع حمله من الطعام واذا لم ير بينهم أحدا غريبا أكل باطمئنان وأمان

ولم تكن نباهة السنجاب قاصرة على هذا الحد من ادراك مايحدث أمامه بل انه يميل بها الى استطلاع الامور واستقراء الاحوال ومن الشواهد على ذلك ان بعضهم كان له سنجاب جميل المنظر وكان له صديق يبنى بجواره منزلا فكان اذا استراح البناؤن من العمل أو اجتمعوا لتناول طعام الغذاء ولم يبق واحد يشتغل منهم صعد السنجاب على الاخشاب المنصوبة (السقالات) ونظر ماتم من الاعمال وأطال فيه الامعان والتامل ثم عاد الى مكانه

✻ الحمام الزاجل وخاصية اهتدائه [١] ✻

من المسائل العلميـة التي حارت فيها عقول الباحثين معرفة مركز العضو الذي يهتدي الحمام الزاجل (حمام البطاقة) بواسطته الى وكره ولو كان على بعد سحيق منه · وقد عثرنا على فصل لاحد العلماء الباحثين في هذا الموضوع فاستصوبنا اثبات المهم من معربه هنا فنقول

ان جميع الطيور تهتدي الى اوكارها ولو كانت على مسافة قصية منها وقد استدل على ذلك العالم (سبالنزاني) الايطالي فانه أخذ مرة فردا من الجمام وذهب به الى مكان يبعد عن عشه بمقدار ٣٠٠٠٠ متر ثم اطلقه فيه فلم تمض ثلاث عشرة دقيقة حتي عاد الى وكره ولم ينحرف عن جادة الطريق الموصل الى هذا الوكر وليس الحمام هو الوحيد الذي استأثر بهذه الخاصية فان جميع

(١) بقلم صاحب المجموعة

الطيور مشترك معه فيها

اما القوة التي تهتدي بها هذه الطيور الى وكرها فيذهب جمهور الناس وكثير من العلماء الى ان مقرها البصر وهو خطأ ظاهر وغلط بين حيث ان كروية الارض تحول بين اشعة بصرها وبين وكرها فاذا كان هذا الوكر على بعد ٢٠٠٠٠٠ متر فانه يلزمه ان يكون على ارتفاع ٣١٤٣ من سطح الارض لكي يراه واذا كان على بعد ٣٠٠٠٠٠ فلا بد من الارتفاع الى ٧٠٧٦ مترا واذا كان على مسافة ٤٠٠٠٠٠ متر فيجب ان يكون هذا الارتفاع ١٢٥٨٦ واذا كان على مسافة ٥٠٠٠٠٠ فيجب ان يصعد الى ارتفاع ١٩٦٦٨ مترا

وقد ثبت بالتجربة ان الحمام لايستطيع ان يسمو على ارتفاع ٣٠٠ متر من سطح الارض اي في المنطقة المحصورة بين هذا السطح والمنحني المتوسط للسحاب واول من زاول هذه التجربة هو العالم الطبيعي جستون تسنديه فانه صعد بواسطة المنطاد (البالون) الي ارتفاع ٥٠٠ متر واخذ معه جملة من الحمام فلما بلغ هذا الارتفاع تركها من يده فهوت الى اسفل كقطعة حجر ثقيل فلو كان مدار اهتداء الطيور الى اوكارها على ماوصفت به من حدة البصر لتمكنت تلك الحمائم من رؤية وكرها في الافق المنظور لها من ذلك الارتفاع الذي لايقل بعد مابين محيط دائرته والوسط التي هي فيه عن ١٨٠ الف متر فكانت تحلق في السماء برهة ثم تتجه بهدو وسكينة نحو عشها الذي اعتدت عليها فيه يد الرغبة في الاستطلاع على حقائق الكائنات

وحيث ثبت من هنا ان لادخل لحدة البصر في اهتداء الحمام الزاجل وغيره الى وكره فلا بد وان يكون فيه مستودع آخر لهذه الخاصية المهمة

وقال المعلم (ديرو) ان مقرها اي الخاصية انما هو جسم الطير كله وذلك لانه اذا تاثر من الظواهر الجوية على انواعها بما اودع فيه من الكهربائية اهتدي الى طريقه او ضل عنه على حسب انواع المؤثرات وشدتها وقد استند ذلك العالم في هذا الراي على تجارب المسيو جاستون السالفة الذكر ومما لاحظه في هذا الصدد ان اضطرابات الجو المغناطيسية تمنع الحمام من الاهتداء في سبيله وضرب على ذلك مثلا حمامة اخذت من وكرها الى وسط البحر في مركب شراعية وكان الضباب اذ ذاك باسطا اجنحته على الافق حتى كان من شانه ان حجب الاشعة الشمسية من الانعكاس في مرآة مستوى سطح البحر وصعدت عموديا ولم تسلك السبيل الذي اتت منه في المركب وذلك انما هو لتاثرها من الظاهرة الجوية (الضباب) التي منعتها من الاهتداء الى وكرها بما فعلته فيها من التاثير فاخذت ترتفع عموديا على ان تجد طبقة خالية من الضباب تملك فيها حواسها وتتخلص من شوائب المؤثرات الخارجية فتعود الى مهد راحتها وسرير عزها

ومن الامور المشاهده بالعيان ان الحمام اذا ترك في الصباح صعد الى مرتفع عظيم من الجو لكي يسترشد بما توحيه اليه كهربائية الهواء فيه من المؤثرات وانه اذا افلت في وقت يدوي في اثنائه الرعد ويتألق سنا البرق ويشتد انهمال المطر سف اي طار قريبا من وجه الارض لان كهربائية الهواء والحالة هذه لايشعر بها الا في هذه الطبقة الجوية

والجبال وسلاسل الجبال والاكمات العالية والتلال من العوائق التى تمنع الحمام من الاهتداء في طريقه فبينما يتسنى له اجتياز مسافة سحيقة بين مدينتين او نقطتين أيا كانتا بدون ان يضل عن طريقه لكون الفضاء

بينهما سهل ممهد لاتتخللهاد ربوة عالية او اكمة شاهقة يستحيل عليه وقد صادف في طريق آخر وعر جبلا شامخاً الذهاب الى وراء هذا الجبل مع ان المسافة دانية والامدقريب

وقد اخذ بعضهم ٩٥ حمامة من مدينة (تولوز) وهي احدى مدن جنوب فرنسا الكائنة بالقرب من جبال (البيرنيه) القائمة بين هذا القطر ومملكة اسبانيا الى خلف الجبال المشار اليها من جهة هذه المملكة فلما لم تقدر على تسلق الجبل من قمته اخذت تروح تارة وطورا تجيء وتقف مرة واخرى تطير وما زالت على هذا الحال غير هادئة البال حتى عثرت على مضيق سلكت منه وذهبت الى أوكارها ومن هنا يعلم ان اضطرابها في الاول كان لعدم موافقة الطبقات الجوية التي تشتمها ذري الجبال لارشادها بسبب علوها زيادة على ماينبغي لها

واذا ساقت الرياح حمامة فأتت بها فوق غابة متسعة فانها تسرع الى الصعود عموديا لكي تصادف طبقة من الهواء لاتمنعها من الاهتداء الى وكرها لان من عادة الهواء الذي يلي أعلا الغابة ان يكون كثيفاً من شانه ان يفقد خاصية اهتدائها

وكذلك اذا كانت الارض مجللة بطبقة من الثلج فانه بالنظر للتشعع الذي يحدث فوق هذه الطبقة يضطرب الجو فيسلب من الحمامة خاصية الاهتداء وقد شوهد ان البرد الشديد يعطل هذه الخاصية أيضا واستدل الباحثون على ذلك بانه لما حاصر الالمانيون مدينة باريز واقبل شهر يناير سنة ١٨٧١ الذي بلغ البرد فيه مبلغا عظيما لم يصل من الحمام الزاجل الذي ارسله ارباب الحل والعقد في تلك المدينة الى جهات معلومة لتوصيل الخطابات

والوسائل الا اثنتان فقط

وفي ٢١ نوفمبر سنة ١٨٧٤ سافر احد سكان مدينة (ليبج) الى مدينة (سنكنتان) ومعه ١٢٧ حمامة وأطلقها فيها وكان الجو اذ ذاك متلبدا بالغيوم والامطار تهطل مدرارا فلم يعد منها في اليوم الثاني سوى خمس حمائم وفي اليوم الذي بعده جزء منها وبعد مضى عدة ايام ثلاثة ارباعها واما الباقي فلم يظهر بالكلية بعد

هذا وقد ذهب الدكتور (فجييه) الى الحكم بوجود حاسة للاهتداء في الطيور وان مقر عضو هذه الحاسة هو القنوات النصف حلقية الموجوده في الاذن على انه وان يكن هذا الرأي من باب الحزر والتخمين فان العقل يسلم باحتماله غير انه لم يتوطد للآن بالبراهين الدامغة والحجج البالغة

وقد ذهب الاحتمال بالدكتور فجييه مرة الى وجود عامل يؤثر على اجهزة مجلس احساس القنوات النصف حلقية بفعل مستمر يتغير على حسب اختلاف اوضاع الرأس فأداه هذا الاحتمال الى قول ما يأتي : « انى ارجح وجود هذا العامل المؤثر وهو المغناطيسية الارضية التى تؤثر بتياراتها على قنوات اذن الطير فيسترشد بها ولا بد هنا من ملاحظة ان هذا التأثير لايحدث في الطير خاصية الادراك المستمر والا فانه يكون والحالة هذه شريك الانسان بل يودع فيه تنبيهاً يساعده على ادراك ما يريد ولا يمكث هذا التنبيه الامدة وجود التأثير »

وقد ايد المسيو زيجلر هذا الترجيح بتجاربه المفيدة فانه تناول مرة عدسة من الحديد المصقول ووضعها امام اذن الحمامة لكي يودع بواسطتها فيها الاشعة المغناطيسية الارضية فرأى من الحمامة وقد تأثرت من هذه الاشعة

طموحاً الى اجراء عمل بارشاد ماوجد فيها من الشعور والتنبيه ووضع مرة اخرى تلك العدسة تجاه قلب ارنب فاخذ هذا الحيوان يضطرب اضطراباً شديداً وسبب ذلك هو تأثره من الاشعة المغناطيسية التي تركزت في العدسة

يستنتج مما تقدم ان لتأثير المغناطيسية الارضية دخلا كبيرا في ارشاد الطيور الى اوكارها وقد بالغ العالم « رومان » في شدة فعل هذه المغناطيسية حيث قال في فصل نشرته مجلة (الطبيعة الانكليزية) ان بعضهم سافر من بروكسيل الى لونده واخذ معه حمامة فلما وصل الى هذه العاصمة تركها الى الفضاء فلم تمض لحظة حتى غابت عن بصره وقد علم فيما بعد انها وصلت الى وكرها بعد وصول الاشارة التلغرافية التي ارسلها للاخبار بوقت اطلاقه لهـا ببضع دقائق فقط

وغاية مايستفاد من ذلك ان التيارات الجوية هي التي ترشد الحمامة الى وكرها ويشترك معها في هذه الخاصية جميع الطيور على اختلافها وتباين اصنافها كالنحل مثلا فانه بعـد ان يضرب في البساتين والحقول يمتص من الازهار مايصلح لعمل الشهد ثم يعود الى خليته سالكاً خطاً مستقيماً بحيث اذا نقلت هذه الخلية الى مكان آخر تعذر عليه العثور عليها

وكذلك ثعبان البحر فانه لاينتقل من مركز الى آخر الا اذا وازي في سيره الشاطىء وبدون هذا يضل في اعماق البحر

وللحيوانات الثديية نصيب وافر من الاهتداء غير انه لايوازي نصيب الطيور فيه وقد استدل العلماء على ذلك بما عاينوه في الكلاب والخيول من تتبعها اثر اصحابها ومعرفتها الطرق الموصلة الى مساكنهم ومن الشواهد التي اوردوها على ذلك ان سفينة « استر » الانكليزية كانت خرجت في شهر

مارس سنة ١٨١٦ من ميناء جبل طارق وفيها عدة حيوانات مختلفة فلما وصلت الى رأس الفات الكائنة على مسافة ٣٠٠ كيلو متر من جبل طارق ثارت الامواج واشتدت الرياح واشرفت السفينة على الغرق فرأى عند ذلك ر بانها ان يلقي بما فيها من الحيوانات الى البحر على امل ان تلحق الشاطيء بالسباحة ففعل وكان من بين تلك الحيوانات حمار فلما وصل الى الشاطيء اكل قليلا من الحشائش ثم ظل سائرا عدة ايام حتى وصل الى بيت صاحبه بجبل طارق ومن محاسن الصدف انه لم يتعرض الى اخذه احد من سكان البلاد التي مرّ عليها لانه كان في كل اذن من اذنيه ثقب يدل على ان صاحبه من الجلادين الذي يكلفون بتنفيذ حكم الاعدام على المجرمين فكان كلما دنا منه واحد ابتعد عنه في الحال تشاؤما وتطيرا وتركه في سبيله

ولم يحرم النوع الانساني من نصيبه في خاصية الاهتداء غير ان هـذه الخاصية التي كانت قوية في اسلافه قد ضعفت فيه اليوم ولا بد ان تزداد ضعفاً واضمحلالا حتى تقرب الى التلاشي والزوال بتعاقب الذريات ومبالغة الانسان في التمدن والحضارة

وهذا القانون لايسري على الاقوام المتوحشة والشيع المتبربرة فانهم لابتعادهم عن ابواب المدنيـة صاروا كانهم معاصرون لاجدادنا واسلافنا ومماثلون لهم في التمتع بقوة حواسهم الخمس وتوفر خاصية الاهتداء التي لقبها بعض العلماء بالحاسة السادسة

وقال العالم « هوزو » ليس لدي الانسان المتوحش من الآلات كالبوصلة وغيرها مايساعده على معرفة طريقه بل ان بوصلته الوحيدة التي استغني بها عن الاسترشاد بآلة اوبتعريف احد هي الشمس فتراه يطوي القفار و يلج

الغابات المظلمة والوديان المتشعبة ويقضي في المسير فيها الايام المديدة ثم يعود الى مقره الاصلي ومهده الاول بدون مرشد او دليل

خرجت فرقة من هنود امريكا مرة الى الصيد والقنص فابتعدت عن قريتها بمقدار مائة فرسخ وتجولت في ارض لم تطأها قدمها قبلا ومع ذلك فانها لما ارادت العودة لم تضل الطريق بل اتبعت في سيرها خطاً معتدلا كأنها شعرت بثقل ماتحمله على عاتقها من الطيور والغزلان فتوخت اقرب الطرق الى قريتها لكي تتخلص سريعاً من ذلك العبء الثقيل

هذا هو ما امكن العلماء الوقوف عليه من سر خاصية الاهتداء ومقرها وهو وان يكن من مكنونات الاسرار التي تعذر على العلماء استكناه حقيقتها غير ان الامل وطيد في ان لايلبث طويلا على هذه الحالة حيث قد رأينا من افكار العلماء توجها الى الاستطلاع عليه واندفاعاً نحو رفع الحجاب عنه وما تزاحمت الافكار على شيء الا وانكشف

﴿ الوان الحيوانات (١) ﴾

كان القس جونس الانكليزي من المشغوفين بصيد السمك على شاطئ نهير يمر امام كنيسة باقاليم ديفونشير من انكلترا وكان يقضي في ذلك ساعات فراغه فبينما كان يصطاد ذات يوم اذ وقعت في صنارته سمكة فلما اخرجها وجد لونها حالك السواد فاخذ منه العجب والاندهاش مأخذا عظيما لانه لم يعهد اسماك النهير بهذا اللون الغريب

(١) بقلم صاحب المجموعة

وقد دعاه الاستغراب الى تغيير مكان الصيد فانتخب جهة اخرى القى بها صنارته فلما شعر بتعلق سمكة بها اخرجها فوجد هذه السمكة اغرب من الاولى من حيث اللون وان تكن من نوعها لان لون ظهرها كان كلون الصلب ولون بطنها كالفضة الناصعة البياض تتخلله بقع غامقة الاحمرار وحينما راى ذلك ازداد تعجبه واندهاشه فبرح النقطة التي كان فيها الى بعد مائة خطوة واصطاد سمكة ثالثة من ذلك النوع بعينه ولكن ظهرها كان رمادي اللون تتخلله بقع حمراء وبطنها كلون الذهب تتخلله ايضاً نقط زاهية الاحمرار

وحينما راى القس ذلك قال في نفسه كيف اعثر على ثلاث سمكات من نوع واحد ونهر واحد وجهات متقاربة الابعاد وتكون متباينة اللون لهذا الحد وما لبث ان رفع النقاب عن محيا هذا السر العجيب فانه لاحظ انه قد اصطاد السمكة الاولى من نقطة واقعة بجوار جدار تطل من فوقه شرفة وبالقرب من الجدار نباتات مائية واصطاد الثانية من مكان نباتاته المائية نامية من قاع حجري لونه رمادي يميل الى الصفاء

واصطاد الثالثة من نقطة معرضة للاشعة الشمسية وقاعها ملآن بالرمال التي تتلألأ بانعكاس هـذه الاشعة فكان لونها مماثلا لانعكاس الاشعة في الرمال كما كان لون الاولى والثانية مناسباً للوسط الذي تعيش فيه كلتاهما

على ان القس جونس لم يقتنع بهذا الاكتشاف المهم فقد اصطاد سمكة سوداء مثـل التي اصطادها اول مرة ووضعها في حوض ماء غطاه بقماش ابيض ثم اماط هذا الغطاء في اليوم الثاني فوجد ان السمكة قد تحول لونها من الاسود الى لون ابيض يشبه بياض جدران الحوض وفي هـذه التجربة مايكفي للاقناع بان الاسماك تتلون بلون الوسط الذي تلبث فيه ولكن القس

جونس لم يقتنع بهذا بل اراد ارخاء العنان لتجاربه لكي يزداد تحققاً وتثبتاً فغطى جدران الحوض بشيء من النباتات المائية الخضراء وتركه يوماً كاملا ثم عاد اليه فوجد ان السمكة قد رجع اليها لونها الاسود الذي يطابق لون تلك النباتات في شدة الاخضرار وحينئذ اعتقد اعتقادا تاماً ان السمك يتلون بلون الوسط الذي يكون عائشاً فيه

وهذه الظاهرة ليست قاصرة على نوع واحد من السمك بل على انواع كثيرة منها وقد اشتغل احد العلماء الالمانيين بالبحث عن الوان الحيوانات واجري التجارب العديدة على ذلك فذهب الى نتيجة تناقض النتيجة التى ذهب اليها القس جونس من ان الوان الاسماك تختلف على حسب اختلاف الاوساط وبيان ذلك ان ذلك العالم الالماني واسمه اوتوجوتهلف احضر سمكة وقطع عصبها البصري وانتظر برهة حتى اصيبت بالعما فوجد ان لونها اخذ في التغير عن اصله والحال انها لم تنقل الى وسط آخر فاستنتج من ذلك ان الوسط لايؤثر في الوان الاسماك مباشرة وانما التأثير يكون بواسطة العين بمعنى ان اللون يؤثر في هذه ثم ينتقل منها الى سطح الجسم الظاهر بواسطة المراكز العصبية ثم ان الضوء الذي يحدث تلون هذا الجسم لايصل على خط مستقيم بل ينكسر بواسطة الاجسام المحيطة بالسمك

وقد بحث بعض العلماء عن كيفية سير الضوء من عين السمكة الى الخلايا الملونة فاحضروا سمكة وقطعوا اعصابها فوجدوا ان تغيرات اللون الاصلى لاتحدث بجهات الجسم التي اصابها الشلل وانما من الجهات التى لايزال بها شيء من الحياة

ويحاول الفرنسويون ايجاد وسيلة يسلبون بها اللون الطبيعي لزهر

الزئبق واستبداله بلون آخر كما يحاول الانكليز من جهة اخرى اختراع وسيلة من هذا القبيل تساعدهم على تغيير لون عصفور الكناري الشهير بحسن صوته وقد رأوا بعد اجراء التجارب العديدة انه اذا مزج غذاء هذه الطيور بشيء من فلفل [كيانا] الاحمر تصاب بالتهاب حوصلتها وربما افضى بها الى الموت ولكنها اذا كانت من القوة بمكان يمكنها معه ان تقدر على تناول ذلك الغذاء فان لونها الاصفر يصير قرمزيا

وقد استعمل الالمانيون هذه الطريقة لتلوين الدجاج الابيض فوجدوا ان الفلفل قد اثر في لون رقاب بعضها واطراف ريشه ولم يؤثر في الباقي كلية ومن هذه التجارب وغيرها ظهر جلياً ان التلوين الصناعي لاينجح في طير لونه واحد وان فلفل كيانا الاحمر الذي سبق الكلام عليه يكون ظاهر التاثير شديد الفعل اذا كانت الطيور صغيرة وريشها في مبدا تكونه

ورأى بعض العلماء ان للمواد الشحمية تأثيراً مهماً في تلوين الطيور بمعنى انك اذا مزجت غذاء الحمام مثلا بشيء من الزبدة فان ريشه يتلون بلون معدني مائل للسمرة ويثبت هذا اللون مادام الغذاء محتوياً على تلك المادة

« جناح الفرفور » ظهر من التجارب انه يمكن تلوين جناح الفرفور « ابو دقيق » بنجاح اكثر من النجاح في تلوين الطيور التي سبق ذكرها وذلك بتغيير الغذاء الذي يقدم الى دودة القز قبل تحولها الى حشرة من ذلك القبيل لم يكن تغيير غذاء الدودة للحصول على الالوان المرغوبة باهم من حفظ درجة حرارة الوسط على ماهي عليه ان منخفضة وان مرتفعة اذ كثيرا ما يختلف شكل الدودة بسبب اختلاف درجات الحرارة في الوسط الذي يعيش فيه فلا يشبه ذاته اذا عاش في درجة حرارة لا تتغير

ومما تقدم يعلم ان للصبغة العمومية التى تنتج عن الوسط المحيط والاغذية ودرجة الحرارة تأثيرا وفعلا على الخليات الملونة في الحيوانات واكثر هذه العوامل الثلاثة فعلا في تلوين الحيوانات هو الاول منها ومن الشواهد على ذلك ان الجهات الشمالية التي تستمر مغطاة بالثلوج مدة نصف سنة تصير الوان الحيوانات فيها بيضاء بياضاً ناصعاً وفي جهات الصحراء تتلون الافاعي والطيور والحيوانات الثديية بلون رملها الاصفر الرمادي ومنها ان الببغاء الاخضر لايكثر ولا يتناسل الا في الغابات الموجودة بين مداري السرطان والجدي

وجميع التجارب والظواهر التي اوردناها تكفي لاقناع انصار المذهب الدروبني الذين يذهبون الى ان صبغة الحيوان لاتتغير وان في عدم تغيرها حكمة تناسب المكان الذي تعيش فيه وضربوا لذلك الامثال فقالوا ان ارانب بلاد كندا بامريكا لو لم تكن كلها بيضاء لرآها الثعلب من مسافة بعيدة وافترسها وهو زعم فاسد ندحضه بقولنا انه لو بقى الثعلب اشقر اللون لايتغير لكان من حظه المشؤم ان يموت جوعاً لان الارنب يراه من مسافة بعيدة فيبادر الى الفرار منه

ولهذه القواعد التى سبق سردها استثناآت عديدة شان كل قاعدة منها ان الغربان وهي كثيرة الوجود في البلاد الشمالية تحفظ لونها الاسود على الدوام واذا اعتضدت بهذا الاستثناء دحض مايزعمه الدروبنيون فانهم يقولون لك ان الغربان لايتغير لونها بناء على الوسط لانه لاعدو لها تخشى منه فلا يهمها اذا نظرها جارح واقفة على اكمة من الثلج او لاثم ان غذاءها قاصر في اكثر المواضع على اللحم المنتن فلا تحتاج الى ستار طبيعي يحجب عن الانظار

اقترابها من الجيفة التى تتناول منها غذاءها

وعلى فرض ان لهم الحق في دفع ذلك الاعتراض بهذا الاستشهاد فماذا يكون قولهم في ديك الغاب الذي يعيش في الطبقات المعتدلة محاطا بالاعداء ثم هو لايخشى الافتخار بالوان ريشه الساطعة الزاهية الم يكن الاجدر به ان يكون مكتسيا بمثل ريش السماني الدي لايكاد يوجد فرق بين لونه ولون التراب

واذا بحثت عن حقيقة وجود الالوان الزاهية في الطاؤوس وديك الغاب وغيرها مع انها ربما كانت مضرة بها وسببا في اهلاكها تجد انها ليست لمزية تفيد هذه الحيوانات كما ذهب اليه زعماء مذهب دروين وانما لاستجلاب محبة اناثها واكتساب ميلها

﴿ قوة الادراك في الحيوانات (١) ﴾

ذهب فريق من العلماء الى ان الحيوانات لاتماثل الانسان في ادراك مايقع حولها من الحوادث الي حد معلوم منه فقام فريق آخر لدحض هذا المذهب وتفنيده واقامة الحجة على اصحابه وايد معارضاته بالادلة الآتية المبنية كما ذكر على التجربة والمعاينه

(١) يوجد فوق كنيسة (سان اوستاش) بباريز وكر لطير من الطيور الجارحة يأوي اليه اثناء الليل فاذا ارتفع النهار خرج ليبتغي الرزق فيذهب الى محل مبيع اللحوم في ساعة محدودة لالتقاط مايسوقه الله اليه منها ثم يعود الى وكره أو يذهب الى جهة أُخرى وفي اليوم الثاني يأتي الى

(١) بقلم صاحب المجموعة

سوق اللحوم نفسه في الساعة المعينة · وقال واحد ممن كانوا يراقبون حركات ذلك الطير (كنت اذا رأيته مقبلا انظر في الساعة الوقتية فاجد عقربيها مشيرين الى نفس اللحظة التي فيها أتى في الايام السالفة بدون اخلال مطلقا)

(٢) يقول الفلاسفة الالمانيون ان ما يستعمله الانسان من الآلات المتنوعة في قضاء احتياجاته دليل على عدم اشتراك باقي الحيوانات معه في الذكاء والنباهة والادراك ولكن رأي احد العلماء الباحثين في طبائع الحيوانات ان القرود تصنع من الحجارة آلة ذات طرف حاد لكي تتمكن بها من فتح محار البحر بسهولة تامة في حين ان أرباب هذه الصناعة نفسها من الآدميين يتكبدون مصاعب عظيمة في ذلك مع ان الآلات التي بايديهم مصنوعة من الحديد والصلب ورأى ايضاً انه كان لاحد الفلاحين حمار يرعى في الحقول التابعة له مع باقى الحيوانات الاخرى وكان من بين هذه ثور كبير الجرم لا يصادف الحمار المذكور في جهة الا وينطحه بقرونه واستمر الحال على ذلك مدة ففي ذات يوم بينما كان الثور شارعاً كعادته في الاساءة الى خصمه اذا بهذا الاخير قد تناول في فمه قطعة طويلة من الخشب وجدها بالاتفاق أمامه واخذ يضرب بها الثور حتى اضطره الى الفرار والصق به بذلك العار والشنار

(٣) كان لاحدهم كلب صغير فاراد السفر الى بلد قريب لقضاء اشغال تخصه فيه وترك قبل السفر هذا الكلب عند صديق له واوصاه بالانتباه اليه فكان الكلب يذهب كل يوم الى المحطة في ميعاد كل قطر يرد اليها فاذا لم يجد صاحبه قد اقبل عاد ثانيا الى المنزل · وقال ناظر المحطة المذكورة وهي محطة مدينة رومية الذي راقب هذه الحادثة الغريبة كان

الوابور يتأخر عن ميعاده في اغلب الاحيان بخلاف ذلك الكلب فانه كان يأتي في المواعيد المحددة بدون تاخير ولا تقديم

(٤) اعتاد احد الفلاحين على ان يقدم في ساعة معينة من كل يوم لطيوره الحبوب اللازمة لغذائهم وكان كلما ذهب اليهم وجد بينهم جملة من الطيور الغريبة وعددا من الفيران في انتظار ماياتي به من المأكول ليتناولوا منه ماقسمه الله لهم فرأى ذات يوم فارا كبير الحجم غليظ الجسم يملأ فاه من الحبوب ويذهب مسرعا ثم يعود ثانياً وثالثاً ورابعاً ويفعل مثل ذلك فتعجب الرجل من أمره واراد الاطلاع على سره فقام متتبعا أثره حتي وصل الى مكان منعزل فيه حمامة ضعيفة لاتقدر على الطيران وبجانبها الفار يضع امامها ماسرقه من الحبوب فلما شاهد صاحبنا ذلك ازداد عجبا وقال لولا كرم الفار لماتت الحمامة جوعا وسغبا

(٥) ومما يدل على ان الحيوانات تستدعى بعضها وتجمع قوي أفرادها لمعاقبة من يخالف منها النواميس الاصلية والقوانين الطبيعية التي عليها مدار بقاء الهيئات الاجتماعية في هذه الدنيا ماعلمناه من ان طيرين من اللقلق صنعا عشا في جدار منزل لرجل من مشاهير العلماء فعمد هذا الرجل في يوم خرج فيه الطيران معا لابتغاء الرزق واستبدل البيضة التي فيه باخرى من اوزة ليرى ماذا يكون من أمرهما بعد فلما انتهت مدة لحضانه ورأي الذكر ان الذي خرج من البيضة فرخ من الاوز ظهرت عليه أشارات اليأس والقنوط وغادر عشه قاصدا الصحاري والفلوات ثم عاد بعد أربعة ايام ووراءه اكثر من ٥٠٠ من بني جنسه وبمجرد وصوله اشار اليهم بقتلها هي ونتاجها والمرجح انه لم يامر بذلك الا لكونه ظن ان قرينته ارتكبت الفحشاء والفجور مع ذكر من

ذكور الاوز حيث انها انتجت نتاجا لاينزع اليه في الشبه

(٦) ظهر لاحد علماء الحيوانات ان الغربان تعاقب من يرتكب منها ذنبا بعقوبات تختلف في الصرامة على حسب ثقل الذنب وجسامته تارة بالتعذيب وطورا بالاعدام

وروى الدكتور ادمنسن ان الغربان بجزيرة شتلند تعقد الجلسات في ساعة محدودة من كل يوم للنظر في جنايات أمثالها فاذا ثبت لديها ان أحدها اتى ذنبا يستحق عليه العقاب عاقبته في الحال حتى لاتفوتها فرصة القبض عليه

والحيوانات الرباعية الاقدام أقل من الطيور ادراكا بكثير فان اشهرها نباهة وذكاء وهو القرد لايلحق شأو الغربان مثلا في اداء الحق لمن يستحق وانصاف المظلوم من الظالم وأقصى ماعند القرود في مراعاة العدالة انه اذا اقترف أحدها ذنبا احدق الباقون به واخذوا يضربونه في وجهه ويلكمونه على كتفيه وعجزه

وقال لفنجستون الرحالة الشهير ان احد اهالي منييما من السودان الاوسط قتل امرأة ظلما وعدوانا فلما اراد رئيس القبيلة تطبيق العقاب عليه عرض القاتل على هذا الرئيس ان يقتل والدته بدلا عنه فرضي ولكن على شريطة ان لايعود مرة اخرى الى اقتراف اثم القتل

فاذا كان مارواه هذا الرحالة في محله من الصدق وهو مالا نشك في صحته فلا ريب في ان فرق الادراك اذا لم يكن محسوسا بين الحيوانات والانسان المتمدن فهو بعيد المدى بينها وبين المتوحشين كاهل السودان الذين روى عنهم المستر لفنجستون النادرة السالفة الذكر

﴿ مجالس الحيوانات (١) ﴾

دلت مشاهدات العلماء و برهنت ابحاثها الطويلة في عجائب الكائنات وغرائب المخلوقات ان الله سبحانه وتعالى اودع في بعض الحيوانات سوى النباهة الغريزية والاهتداء الطبيعي شيئاً من محبة العدل والانصاف ومن تلك المشاهدات انه كان لاحد فلاحي ضواحي لوندره كلب يستصحبه معه اذا ذهب الى هذه المدينة لبيع اللبن فيها على عربة له وكان هـذا الكلب بشع الخلقة قبيح المنظر جامعاً للرذائل المادية والادبية معاً لانه كان اذا رأى كلباً آخر اقل منه جسماً وقوة هجم عليه وهارشه وعضه حتى يلقيه على الارض مضرجاً بدمه ومع هذا العتو والعدوان فقد كان يتظاهر بالضعف للكلاب التي يعلم انها اشد منه بأساً واوفر قوة واستمر على هذا الحال مدة اشهر حتى القى الفزع في قلوب الكلاب الضعيفة او الصغيرة والزمها الامتثال والخضوع اليه ولكن شاهد البعض ان بقاءها على هذا الهوان ممـا يزيد ذلك الطاغية تمادياً في طغيانه فحضوا اخوانهم على النهوض الى الثورة للتخلص من اعتساف الكلب فاثر فيهـم ذلك الحض فذهبوا جميعاً الى مقره حيث انتقموا منه وغادروه طريحاً على الارض بين حي وميت وقد وجده صاحبه على هـذه الحالة المحزنة في صباح اليوم التالي فاخذ في معالجته ومنذ نال الشفاء استقامت اخلاقه ولم يعد الى عاداته المرذولة بل جعل همته السير خلف عربة صاحبه للمحافظة على مابها من اللبن . ومنها انه كان لبعض قسوس الانكليز في صحن الكنيسة اثني عشر دجاجة وخمس بطات وديك معجب بازدهاء ريشه وجمال منظره وكان يراقب في غالب الاحيان مايحصل بين هذه الحيوانات من

(١) بقلم صاحب المجموعة

المشاجرات فتبين له في آخر الامر انه كلما شرع البط في الاستيلاء على نصيبه من الغذاء منعها الديك من ذلك بقوة منقاره والزمها بذلك ان تبتعد وتبقى بدون اكل واستمرت كذلك مدة حتى نحلت وكادت تموت جوعاً وقد حدث ذات يوم انها ذهبت لتحاول اخذ حصتها من الغذاء فلم ينلها سوي العذاب والطرد ولما رأت ان هذا الظلم لاينقطع تفاوضت في امر الانتقام فقر رأيها على ان تقف مصطفة صفاً واحداً ثم تسير قاصدة الديك حتى اذا دنت منه حاصرته بينها وانتقمت منه انتقاماً مذكورا وقد فعلت ذلك بخفة ونشاط حتى انها لما قربت من الديك ورأى هذا الاخير ثبات عزمها وانها لاتخشى باسه اعتراه ذهول اوقفه في مكانه بحيث لم يشعر الا والبط تكتنفه من جميع الجهات وتحصره بينها شيئاً فشيئاً لكيلا يتمكن من المدافعة او الهرب برفع مخالبه او نشر جناحيه ثم اخذت تضرب به باجنحتها ومناقيرها وهو يحاول سدي التخلص منها وانتهى الامر بانها طردته من صحن الكنيسة الذي كان صوته فيه القوة الحاكمة والامر النافذ

ومنها ان احد الاساقفة لاحظ ذات يوم مائة من الغربان واقفة بنظام عجيب وامامها غراب في حالة الذل والهوان وكان الجميع ينعقون و يرددون في الآفاق اصواتهم القبيحة فقال في نفسه ربما كان ذلك الغراب متهما بارتكاب ذنب او اقتراف جريمة فعقد له مجلس من مائة غراب لمحاكمته تأديباً له وردعاً لغيره فلما نكر وكانت التهمة ثابتة عليه صاحوا من الغضب والحنق ثم انتظر ماذا يحصل بعد ذلك فسمع صوتاً حاوياً .. جميع الامر ان دل على استحالة انها لما ابداه المتهم من الاعتراف بالحقيقة عقب احتفائها وانكارها وعلم من طيران الغراب المتهم وعودته الى وكره وتفرق الحاكمين

بعد ذلك انهم حكموا بالعفو عنه والتجاوز عن ذنبه لتوبته وصدق اعترافه

ولا بد من ملاحظة ان الغربان لاتتجاوز الا عن الذنوب الخفيفة التي لايتأتي ضرر بليغ من ارتكابها اما الذنوب التي تماثل السرقة والقتل وماماثلهما فان احكامها فيها تكون في غاية الصرامة والقسوة

يؤخذ من هذا ان انتقام البط من الديك غير مؤسس على العدالة التي تقضي باعلان المتهم بالتهمة المنسوبة اليه قبل اصدار الحكم عليه باي نوع من انواع العقاب بخلاف احكام الغربان فانها مبنية على الحق والعدل لان الغربان لاتدع المتهم بارتكاب ذنب فريسة لانتقام اعدائه انتقاماً خاصاً بل تدعو الفريق منها الى الاجتماع للنظر في ذنب المذنب اذا كان يستحق العقوبة فيشدد عليه العقاب او لايستحق فيبادر الى تبرئة ساحته واطلاق سراحه بمعنى انه اذا سرق غراب المواد التي اعدتها جيرانه من الغربان الكبيرة في السن (متوسط مايعيشه الغراب ١٠٠ سنة) لعمل الاعشاش وفشا سر هذا الاختلاس وعرف صاحبه عقد اجتماع كبير من غربان الناحية واستدعى الغراب الموجهة اليه التهمة الى الحضور في هذاالاجتماع فتبتدىء المحاورات وتتبادل المجادلات و يستمر الحال على هذا المنوال برهة يصدر فيها الحكم على المتهم اذا ثبتت جنايته بعقاب يكون له ارتباط وعلاقة بهذه الجناية اما العش الذي بناه من مال الغير فيهدم وتعطى مواده للذي لا قدرة له على تحصيل مثلها وربما حكم على المتهم بالنفي فيطوف اقطار الارض بدون ان يجد مأوى ولا ملجأً لان غربان هذه الاقطار تعلم ان الوافد عليها هو من الجناة فلاتدعه يقيم بينها

﴿ تربية الحيوانات المفترسة (١) ﴾

تختلف اسعار الحيوانات المفترسه على حسب اختلاف انواعها وندورتها فمنها مايتجاوز ثمنه ٢٥ الف فرنك كالكركدن مثلا فانه لولا ندورته وصعوبة العثور عليه لما بلغ ثمنه هذا المبلغ وكذلك الزرافة فلقد بيعت واحدة منها بمبلغ ٢٧٥٠٠ فرنك الى بستان الحيوانات في مدينة ريوجانيرو عاصمة البريزيل وقد كان ثمن الزرافة الواحدة منذ عشر سنوات لايزيد على ١٥٠٠٠ فرنك والرينوسروس اي وحيد القرن لايقدر على شرائه الا اصحاب الثروة الواسعة وعكسه القرد فان اسعاره في هبوط مستمر حتى ان ثمن الواحد منه قل ان يتجاوز عشرة فرنكات في فصول السنة ماعدا فصل الربيع فان ثمن القرد يرتفع الى ٣٥ فرنكا وقد كان من المنتظر ان اثمان القرود ترتفع ارتفاعا زائدا عقب ذهاب المستر جارنر الى اواسط افريقية للبحث عن لغة القرود ولكن خاب امل التجار الذين يتعاطون بيعه لما اشيع من خيبة هذا العالم في مشروعه وعودته بخفي حنين

اما الثعابين والافاعي فقد قل عدد الراغبين فيها ولذلك هبطت اسعارها هبوطا فاحشا وعلل احد العلماء الانكليز واسمه الدكتور روبنس ذلك بكراهة الانسان للافاعي على تباين انواعها وتضارب اجناسها والغالب انه ارتكن في هذا التعليل على ماقاله دارون صاحب المذهب المشهور من انه قد حدثت قبل الطوفان معركة هائلة بين الحيوانات الثدية ومنها الانسان وبين الافاعي والثعابين فصارت كراهة الانسان لهذه الحيوانات المؤذية

---

(١) بقلم صاحب المجموعة

غريزية فيه حتى انه ليأنف من لمسها باصبعه

اما الاسود والنمورة والفهد والدب فلا تزال اثمانها محترمة لانها لاتستجلب كراهة الانسان بل تستدعي تعجبه واستغرابه ويختلف ثمن الاسد من ٣ الى ٥ آلاف فرنك اما الدب الوارد من جهات القطب الشمالي فيساوي الواحد منه ١٠٠٠ فرنك وهذا بخلاف الدب الاسود او الاسمر فان ثمنه لايزيد على ٦٥٠ فرنكا اللهم الا اذا كان لون الجزء المقدم من راسه مخالفا للون بقية جسمه

ومنذ ثلاثين سنة وصل ايطالي اسمه كازانوفا الي مدينة همبرغ ومعه ملء سفينة من الحيوانات المفترسة وكان هو اول تاجر صرف جميع مالديه من الاموال في شراء الحيوانات للاتجار فيها وقد تقدمت هذه التجارة من ذلك الوقت الى الآن تقدما ظاهرا وصار مركزها المهم في ارو بامدينتي همبرغ بالمانيا وليفربول بانكلترا

والاتجار في الحيوانات المفترسة خطر من جميع الوجوه ليس فقط لصعوبة البيع وانما لما يستلزمه من كثرة المصاريف لنقل الحيوانات وتغذيتها ومن الشواهد على ذلك ان كازانوفا السالف الذكر لما احضر الحيوانات المفترسة من داخل افريقية الى مدينة سواكن لم يلزمه اقل من ١٢٠ جملا لحمل مايلزم لهذه الحيوانات من الغذاء والشراب وقد امضت قافلته ٢٦ يوما لقطع المسافة التي بين كسلا وسواكن فمات في اثنائها كثير من الحيوانات التي اشتراها او اصطادها وفر بعضها وليست هذه الخسائر باقل من الخسائر التي عرضت في البحر فان الفيلة مثلا حينما تمشي على سطح السفينة تضطرب باضطرابها فتفقد موازنتها ومتي فقدت الموازنة سقطت وفي سقوطها موتها

وضف الى هذا ان ميلها لتناول الغذاء الذي يكون عظيما اذا كانت موجودة على سطح الارض يضيع بالكلية اذا انتقلت الى السفينة وتستمر كذلك مهما طالت مدة السفر وقد كان مع كزانوفا حينما وصل الى سوا كن ٤٠ فيلا فلما وصل الى مدينة تريستنه لم يبق منها سوي ١٣ فقط ٠ واما طير النعام فان معدته معتادة على اهتضام الحصي والاحجار الصلبة وهي لاتتيسر على سطح السفن ولقد كانت احدى السفن تحمل نحو ٤٢ طيرا من النعام برسم المسيو هاجنبك احد العلماء الطبيعين بمدينة همبرغ ففى اثناء السفر قامت زوبعة كبيرة ارتجت بسببها السفينة رجة هائلة كانت نتيجتها تقصف سوق ٣٣ طيرا من تلك الطيور وسقوطها في البحر

اما حيوان الرينوسروس فيتحمل اتعاب البحر ومشقاته ولكنه لايتحمل اتعاب العربات وقد حمل حيوان من هذا النوع على عربة وسارت هذه العربة في طرق مدينة لوندرة وكانت ارجله الاربعة مربوطة ربطا وثيقا في العربة واما راسه فلم تكن مربوطة وحدث بالصدفة ان وابورا كان سائرا على بعد ففزع الحيوان من ضوضاء سيره ولم يكن منه الا ان نطح بقرنيه الكرسي الجالس عليه سائق العربة فسقط هذا وكرسيه تحت سنابك الخيل

ودخل احد العلماء في محل تربية الحيوانات بمدينة همبرغ فوجد اسدا وبجانبه شاة يظهر لها علامات التعطف والحنان ووجد الفيلة والكلاب والنمورة عائشين عيشة واحدة لايدخل بينها كدر ولاغم والسبب في ذلك ان هذه الحيوانات ربيت مع بعضها منذ صغرها فنسيت ماتكنه فطرتها من البغضاء والضغينة لبعضها والتفتت كل الالتفات الى التمرينات التى يدربها عليها اصحابها

والفرق بين قوي هذه الحيوانات التمييزية واه جدا ولذلك عارض لمسيو هاجنبك الذين يذهبون الى اثبات ان فيلة آسيا ارقي ادرا كا وارق تمييزا من ادراك وتمييز فيلة افريقية وقال ان فيلة القارتين تقدر على القيام بالحركات التي تتعلمها بدقة واحدة ومهارة واحده ثم ان الانثى من حيوان معلوم لاتقل عن الذكر في الادراك والتمييز ويزعم بعض العلماء ان النمر اذا كان صغيرا يميل بفطرته الى الافتراس وهو زعم باطل وراي فاسد اذ قد تبين بالتجربة انه يمكن تربية النمر بنفس السهولة التي يربى بها الاسد وربما يمتاز عنه بتعلقه الزائد بصاحبه ولاحظ المسيو هاجنبك انه لم يكن محبوبا لدي حيوان من الحيوانات المفترسة التي كانت موضوعة تحت مراقبته في بستان حيوانات مدينة همبرغ مثل نمر كان يربيه برسم امبراطور المانيا

وتعلم الحيوانات على اجراء تمرينات مختلفة صعبة منها الجلوس على كرسي شبيه بهرم ناقص والالتفات الى من يناديها باسمائها والمشي بانتظام يوافق نغمات الموسيقي ولا ينبغي على من يعلم الحيوانات ان يستعين بطرق القسوة واساليب الجبروت على تعليمها وانما يجب عليه استعمال طرق اللطف والصبر كأن يناولها قطع السكر والحلوي ويعاملها بالحسني والرفق فاذا امضت سنتين وهي تتلقى هـذه الدروس الابتدائية انتقلت الى مايليها في درجة الصعوبة والخطر كأن يجلس الاسد على متن جواد ويرمح هذا الجواد خببا وفي اثناء ذلك يقوم الاسد باجراء بعض الحركات الجمنازية التي تسر الناظر او ان يجلس النمر على عربة من العربات التي تدار باقدام الراكب ولها ثلاث عجلات ومما لابد من ملاحظته هنا ان الاسد والنمر اللذين يقومان بهـذه الالعاب لايبديان مايدل على سرورهما بل يترجمان عما يدور بخاطرهما من الكدر وعدم

الارتياح بالزمجرة التي يتلافي المعلم عقباها باعطاء تلك الحيوانات قطعه من اللحم او من الغذاء الذي يلائمها تزيل ماتراكم على قلبها من صدأ الهم والغم

واشتهر الدب بميله الى الرقص واستماع آلات الطرب ولذلك فانه اذا رقص على حبل فمكافأته هي شعوره بارتياح طبيعي يجده في نفسه وليس بانتظار غذاء من الاغذية كما يفعل الاسد والنمر

وظهر من المشاهدة ان صغار الحيوانات اكثر ادراكاً وتمييزاً من كبارها لانه اذا حصل اضطراب فانما يكون بين الكبار وليس بين الصغار التي تتلقى التعليم من الانسان كما انه اذا سقط جسم ما على الارض ووصل صوت السقوط الى آذان الحيوانات فاول حيوان يبارح كرسيه الهرمي الشكل هو الاسد فيتوجه الى الجسم الساقط و يرمي بنفسه عليه وعندئذ يقع الخلل في نظام الحيوانات الاخرى وحدث مرة انه بينما كانت الحيوانات مصطفة صفاً افقياً جالسة على كراسيها الهرمية الشكل لسماع الدرس من استاذها اذ قامت الشحناء بين فهد ونمر و بما ان الاول هو الذي كان السبب في هذه الشحناء فقد طرده الاستاذ الى خارج القاعة وكان حرمانه من الدرس عقاباً له لعدوانه على غيره واما الكلب فقد اشتهر بميله الى الجدال والمعاركة ولذا صعب على العلماء اخضاعه الى ضد هذه الخصال الذميمة وروى المسيو ملرمان احد العلماء المشهورين بتربية الحيوانات ان كلباً ونمرا تعاركا معاً عراكا شديدا فتداخل للفصل بينهما فلم يكن من الكلب الا ان عضه عضة مؤلمة اما الفهد لم يجسر على الاضرار بصاحبه واستاذه

﴿ دقة الاحساس في الحيوانات (١) ﴾

كلما تعمق الانسان في البحث عن أحوال الحيوانات واطوارهاوحاول الوقوف على اسرار اخلاقها وعاداتها وجد فيها من الاحساس والشعور والعواطف مايكاد يضارع هذه الامور في الانسان فانها ليست باقل منا في الانصياع للاحكام الشهوانية الصارمة ونواميس الحب القاسية والخضوع لمؤثرات الغضب والحقد والضغينة وهو مايدل على دقة شعورها ورهافة حد احساسها ومن أقرب الشواهد على ذلك انها اذا كانت من الحيوانات الاهلية الداجنة التى الفت الانسان ابدت لصاحبها علامات شكرها وممنونيتها اعترافاً بعنايته بها وذلك باشارات وعلامات مخصوصة يدركها من يمعن النظر و يدقق الفحص فيها ومنها ايضاً انها تظهر في علاقاتها مع امثالها ومع اعدائها بالوراثة مايدل على حسن مبادئها وميلها الى التعاون والتعاضد وغير ذلك مما تقتضيه الارتباطات اليومية التي تنجم عن الاجتماع في المعيشة و بالجملة فان الحيوانات جديرة بالعرف لانها لاتنكر حسن الصنيع ولاتخفيه عمن عاملها به

اعتراف الهر بحسن الصنيع — اشتهر الهر أي القط بانه اكثر الحيوانات كفراناً للنعمة وجحوداً للفضل وهذا اللوم وان كان لايستحق ان يوجه باجمعه الى هذا الحيوان الانيس الا انه يدل دلالة صريحة على انه مجرد مما امتاز به الكلب من صدق التعلق بصاحبه واخلاص الولاء له وهي الصفات التى احتكرها دون غيره وقلّ ان يوجد بين بني آدم من تشرف بالاتصاف بها ولا يتسنى لاحد استمالة هذا الحيوان الى محبته والتملق به الا اذا صنع

(١) بقلم صاحب المجموعة

فيه معروفاً وعمل جميلا ويمكنه ان يعلم ذلك بما يبديه من حركات التمحك والتزلف فانها تدل على مايخالجه من عواطف الشكر والامتنان

اما الهر فانه سريعاً ماينسى ما امتاز به نوعه من دقة الاحتراس والمبالغة في الحذر فاذا رأى امامه دسما قد دس فيه السم بادر الى ابتلاعه بلا ترو ولا صبر فلا يلبث برهة حتى تظهر نتيجة العجلة وعاقبة الشره فان المسكين تأخذه الحمى فيرى نفسهُ في حاجة الى التماس الماء ليغمر فيه مخالبه الاربعة ليكون له من برودته مايقال فيه ألم التسمم

وقد حصلت مثل هذه الحادثة لهر في بلاد سويسره فما كادت تراه صاحبته على هذا الحال حتى اسرعت باحضار الطبيب الذي اخذ يعالجه عدة ايام بانواع الادوية فلما لم ينجح دواؤه احضر كمية من اللبن ادخلها في بطن المريض فلم تمض لحظات قلائل حتى عاد الى حالتـه الاصلية فاخذ يثب فوق اسطحة المنازل ويتمسح بصاحبته ويتماق لها

وفي الليلة الاولى عقب حصول الشفاء التام بينما كانت هذه مضطجعة على سريرها اذ سمعت مواء هرّ فالفتت نظرها الى النافذة فوجدت هرّها وبفمه فارة قد قتلها ثم اخذ يدنو منها شيئاً فشيئاً حتى وضـعه بين قدميها مكافأة لها على حسن صنيعها معه وعنايتها به اثناء مرضه واظهارا لما يكنه فؤاده لها من عواطف الميل والمحبة

ولم يقتصر الهرّ على هذا التظاهر الولائي في الليلة المذكورة بل كان في كل ليلة يجول في المنازل ويجوس خلالها حتى اذا مكنته الفرصة من فأرة اصطادها واحضرها في الحال لصاحبته ومنقذة حياته اما هي فكانت ترد اليه بالطبع هذه الهدايا ثم تمر بيدها عليه ايذاناً بسرورها وان له الحرية التامة

في التصرف في الفارة حسب ماتقتضيه ارادته

وكان لاحد قسوس الانكليز هرّ يعترف بالصنيع ويقر بالجميل فانه بينما كان ذات ليلة يرفع غطاء فرشه لينام اذ وجد تحته جثث ستة فيران كبيرة مصفوفة بجانب بعضها على خط مستقيم فلما رأى القس هذا الحال لم يتمالك ان قال ان الافراط في كل شيء سفه ونقص خصوصاً اذا كان في التظاهر بفضيلة نادرة كالاعتراف بالجميل

اجتماع المرضعات — كما ان الهر يستميل قلب الانسان اليه باجراء تلك المظاهرات الغريبة في بابها كذلك يستميل اليه محبة ابناء نوعه بالتعاضد الذي يصح ان يكون فيه قدوة للنوع الانساني فلقد روى أحد الباحثين في طبائع الحيوانات وعاداتهم ان ثلاث هرات وضعن في يوم واحد ومكان واحد بقرية من قرى الفلاحين فلما ضجر صاحب المكان من كثرة عدد اولادهن قتل الثلثين منهم وهما أولاد هرتين من الهرات الثلاث فلما شاهدتا هذا الامر لم تأخذهما الغيرة والحسد من الثالثة بل عرضتا عليها ان تساعداها في تغذية صغارها بلبنها فقبلت منهما ذلك وظل الثلاث هرات يرضعن الصغار بالتناوب حتى بدت علائم السمن عليها وكانت الهرة التي حفظت اولادها تظهر كل يوم لصاحبتيها شكرها وامتنانها منهما بحركات خاصة ومواء غير اعتيادي وكانت اذا ذهبت لتقوم في الارضاع مقام احدى صاحبتيها تمرر لسانها على رأسها وتسمعها من صوتها ما لو ترجم لكان معناه هكذا « اني ايتها الصديقة العزيزة اقدر خدمتك لي حق قدرها اذ انك تقاسمت معي متاعب التربية وازلت بذلك عن عاتقي جزءا عظيما من حملي الثقيل فلك الشكر مني ما دمت على قيد الحياة وارجو منك الآن ان تردي لي ذلك الجزء

استنزهي ساعة واصطادي فارة او صغيرا من صغار الارانب الكثيري العدد في جوارنا فاذهبي اذن باليمن والاقبال ودعيني اقاسي هذا الحال »

وما زالت روابط الوداد والصحبة بينها و بين مساعدتيها على غاية ما يرام من الوثوق طول مدة الارضاع ومن الغريب انها في هذه المدة عدلت عن اصطياد الفيران وعولت على الايقاع بالارانب لدسامة لحمها ولذة التناول منها وتقويتها للبدن وكانت اذا عثرت واحدة على ارنب لا تستأثر به على صاحبتيها بل تتوزعه معها بمراعاة العدالة في القسمة والدقة في التساوي

تاريخ صديقين — كان روجي وهو اسم لكلب وترمبة وهو اسم لهر يتبادلان المحبــة والمودة وان اختلفا في الجنس لانهما ولدا في مدد متقاربة وربيا مع بعضهما منذ صغرهما ولم تكدر صفو هذه المودة ضربة مخلب او عضة ناب بل كانا اذا وجدا قطعة من اللحم او الخبز اقتسماها بالنصف واذا ملا اللعب وضجرا من كثرة المزاح اضطجعا على الارض بجانب بعضهما للاستراحة واذا افترقا من بعضهما لحادثة من الحوادث ثم تلاقيا بعــد ذلك ولو ببضع دقائق بذل كل منهما للآخر ما في وسعه من المظاهرات التي يمكنه بها التعبير عن محبته الخالصة ووداده الصافي

وقد كان هذا الوفاق العاري من شوائب العداوة التي اودعها الباري عز وجل بين جنسي الكلاب والقطط من دواعي تعجب كل من اطلع على احوال ذينك الحيوانين فان روجي كان اذا رأى هرا غير صاحبه ركض خلفه وعامله بموجب العداوة الغريزية التي بين الجنسين وهذا بخلاف ما كان يظهره لصاحبه الهر ترمبة فانه كان يرى فيه حيوانا مقدساً لا يجوز معاملته الا بالمعروف والحسنى ولقــد كانت مبالغته في محبته و كراهة الهررة الاخر التي

كان يتبعها حيث سارت و ينازلها مهما كانت صغيرة او كبيرة بيضاء اوسوداء سبباً في احداق المصائب به فانه صادف ذات يوم هرا ضخم الجسم وفيه القدرة الكافية لمصارعته ومقاومته فبدرت منه ضربة مخلب اصابت عينه ففقأتها فلما عاد الى المنزل وهو بهذا الحال حزن صاحبه عليه ولكنه اهمل في احضار الطبيب ولم يراع قول بعض الحكماء اذا اصاب العين اليمنى ضرر فلا بأس من نزعها لانقاذ العين اليسرى فنشأ عن هذا الاهمال ان العين الصحيحة انتقلت اليها العدوى فاصبح الكلب كفيفاً بحكم التماثل

ومن هذا الوقت انصبت عليه البلايا والرزايا فانه اراد النزول مرة من السلم فاخطأت قدمه الدرجة الاولى فسقط في صحن الدار ونتج عن هذه السقطة انه اصيب بجرح اعيا الاطباء البيطريين علاجه ولم يجد الكلب المسكين في هذه الظروف من يخفف عنه اثقال هذه المصائب ممنوناً سوى صديقه القديم الهر ترمبة فان هذا القط الصادق الوداد المخلص المحبة لم يترك ذلك المسكين لحظة واحدة بل كان في اوقات الاكل يأتي له بما يكفيه من الغذاء واذا هب النسيم استصحبه الى الحديقة ليروضه بها و يذهب عنه الغم والكدر بالسير معه في انحائها أو الاستظلال باشجارها وكان منظر الاثنين في هذه الحالة من اغرب واعجب مناظر الشفقة الحيوانية التي تثير عواطف الحنان في قلب المشاهد لها من بني الانسان فان الهر كان يجذب الكلب بلطف من طرف خرقة مضمد به جرحه لكي يدله على الطريق

ولما شاهد صاحب الكلب ما اصبح فيه هذا الحيوان الامين من المذلة والعذاب خطر بباله ان يقطع حبل حياته ظناً منه ان ذلك يكون من دواعي راحته فناوله ذات يوم قطعة من الدسم قد دس فيها شيئاً كثيرا من السم

فأخذ الكلب المسكين يقاسي ألم هذه القسوة ساعة ثم مات فانظر يارعاك الله الى الانسان والقط واحكم ايهما قد قام بعهود الصحبة والمودة وقل لي بأبيك هل كان يجوز لذلك الرجل ان يستند على الاسباب التافهة التي ابداها ليتخلص من خادم امين طالما دافع عنه وذاد عن حماه وسهر الليالي في حراسته وتمسح به استجلاباً لرضاه واستجذاباً لمحبته ومن الافضل هو اوالقط الذي رافق صاحبه في الضراء كما رافقه في السراء بالرغم عن العداوة الغريزية بين الاثنين

الحيوان غشائي القدم — اشتهرت الحيوانات الغشائية القدم كالبط والاوز بمحبتها للسلم والسكون وجنوحها الى التآلف والتعاضد بمعني انه اذا وجد عشرة منها في مكان واحد فلا ترى واحداً يسطو على الآخر لضغينة في نفسه او يحسده على رزقه كما لاترى ان هذا الاخير يضن بشيء من هذا الرزق الى المعوز من بني جنسه وقديقوم في بعض الاحيان بينهم وبين الديكة القتال العنيف ولكن لايلبث الباحث عن أصل هذا الشقاق ان يجد الحق بيد البط وان الاعتداء والتعدي كانا من الديكة

وقد كان بمنزل المستر هوكس محرر جريدة السبكتاتور بانكلترا ٦٠ طيرا من الطيور الاهليـة كان من بينها دجاجة فحدث ان ديكاً نقرها في عينيها ففقأهما فصارت كفيفة لاتنظر ومعلوم ان الدجاج الذي يصاب بالعمى يكون كثير الخجل والحياء ولذا تراه ينزوي في ركن من الاركان ويستمر واقفاً فيه الى ان توافيه المنية وقد فعلت تلك الدجاجة ذلك ولولا ان بطة كانت تأتيها بالغذاء مرتين في اليوم لماتت شر ميتة وقد استمرت واقفة في الركن ثلاثة اسابيع متوالية والبطة لاتقصر كل يوم عن القيام باداء ما ناطت

به نفسها شفقة واحساناً حتى اخذها صاحبها وذبحها

ولنذيل هذا الفصل — بما قاله الدميري في كتابه حياة الحيوان في السنور اي الهر اتماماً للفائدة وهو

السنور حيوان الوف متملق خلقه الله تعالى لدفع الفار وهو يحب النظافة فيمسح وجهه بلعابه واذا تلطخ شيء من بدنه لايلبث حتى ينظفه واذاالف السنور منزلاً منع غيره من السنانير الدخول الى ذلك المنزل وحاربه اشد محاربة وهو من جنسه علماً منه بان اربابه ربما استحسنوه وقدموه عليه او شاركوا بينه وبينه في المطعم وان اخذ شيئاً مما يخزنه اصحاب المنزل عنه هرب علماً منه بما يناله منهم من الضرب واذا طردوه تملقهم وتمسح بهم علماً منه بانه يخلصه التملق ويحصل له العفو والاحسان واذا مر الفار على السقف استلقى ويحرك يديه ورجليه ليراه الفار فيسقط من السقف فزعاً واذا صاد شيئاً من الفار يلعب بها زماناً فربما يخليها حتى تمعن في الهرب وظنت انها نجت ثم يثب عليها ويأخذها فلا يزال يخدعها بالسلامة ويورثها الحسرة والاسف ويلتذ بتعذيبها ثم يأكلها والسنور ثلاثة انواع اهلي ووحشي وسنور الزباد وكل من الاهلي والوحشي له نفس غضوبة ويفترس ويأكل اللحم الحي واما سنور الزباد فهو كالسنور الاهلي لكنه اطول منه ذنباً واكبر جثة ووبره الى السواد اميل وربما كان انمر ويجلب من بلاد الهند والسند والزباد فيه شبيه بالوسخ الاسود اللزج وهو ذفر الرائحة يخالطه طيب كطيب المسك

❊ الحسد في الحيوانات (١) ❊

ان الحسد الذي منشأه الحب لا تفيد القاريء دراسته شيئاً لانه من العواطف التي ينقصها التنوع والعداوة التي يتبادلها الذكور تتوفر بصبغتها الخاصة بها في جميع الذوات الحية وفي مقدمتها الانسان فانه خاضع بكليته الى نواميس عاطفة الحسد التي قال عنها دوزين الفيلسوف الطائر الصيت انها العامل الكفيل بتحسن الانواع وارتقائها وقال ايضاً ان التنازع الابدي الذي لا يخلو منه كائن من الكائنات الحية هو من اسباب التدمير التي تذهب بالضعفاء وتهيء للاقوياء اسباب الخلود والبقاء · ومما يرتاب في حقيقته ان يكون الحسد بشكله المتقدم قد اثر على الحيوانات تأثيرا ماله الخير النافع لها ولكن لا يرتاب في انه لم يحسن الانسان ويرفع شأنه بالتدريج فالحسد الناتج من الكبرياء التي تدفع صاحبها الى عدم احتمال منافس له لا يعلل بالنواميس العمومية للطبيعة ولذا كان من الاقرب تعليله بالمراقبة والمعاينة

(الكلب الهرم) كان — شارلي — كلباً قد تجاوز الحد المعهود لاعمار الذرية الكلبية ولذا كان منظره مما تتوجع له القلوب وتشفق منه العواطف فان لون فمه الاسود تحول الى لون ازرق تنقبض منه الصدور وثناياه التي كانت تنافس اللؤلؤ في البهاء تساقطت واحدة بعد اخرى ونباحه الذي كانت تردده الآفاق صار هريراً خافتاً قلّ ان يسمعه الواقف بقربه وقوتي سمعه وبصره لم يبق لهما اثر وبالجملة فقد انصبت فوق هذا الحيوان المسكين جميع المصائب التي تلازم الكائنات الحية في السنين الاخيرة من عمرها ·

---

(١) بقلم صاحب المجموعة

وقد حدث ان سيده لم يتبصر فاحضر كلباً آخر صغير السن اسمه جاك لكي يخلف شارلي الذي آذنت شمس حياته بالافول وكان ذاك الكلب جميل المنظر خفيف الحركات لاتفوت دقيقة الا ويقوم فيها بدور يضحك لاجله الحاضرون فيرمون له قطع السكر التي كان يتناولها بلا مبالاة ثم يذهب ليتحكك بصاحبه ويتمسح باولاده وذويه . ولما رأى شارلي الحال جارياً على هذا المنوال عقره في قلبه شيطان الحسد ولم يحتمل ان يرى خلفه متمتعاً بمثل هذه الرعاية وهذا الالتفات وهو حي فكان اذا اظهر أحد أعضاء العائلة انعطافاً الى جاك سمع من شارلي هرير يدل على تذمره وعدم ارتياحه من توجه هذه الرعاية الى خصمه وحرمانه منها . ومن الغريب ان هذا الكلب الهرم في ليلة وصول جاك الكلب الجديد لم يقبل من الغذاء سوى اللحم كانه اراد ان يظهر ان مقامه يترفع عن تناول شيء غير هذا الطعام ثم اخذ على عهدته بعد ذلك سرقة مايجهز للكلب الجديد من الاطعمة كاقراص الخبز الذي ترفع عن تناولها امام اصحابه لتحقير خصمه والتظاهر عليه . والاغرب من ذلك هو انه لما شاهد انصراف الانظار عنه من اصحابه لشيخوخته اراد ان يسترجع محبتهم له وميلهم اليه بتقليد جاك فيما يأتي به من الحركات المضحكة فاذا رأى ذبابة او فرفورا في البستان جري خلفها او عصفورا نبح واخذ يركض في جميع الجهات كما يفعل جاك . هذا ولا يخفى انه يوجد فريق من الكلاب يرى الماء عنصرا طبيعياً وفريق آخر بعكس ذلك لايحب ان يمس جسده الماء حارا او باردا ولم يكن شارلي يميل في حياته الى الماء اذ كثيرا ما كان يحاول سيده غسل جسده بالماء بدون ان يتمكن من ذلك، واستمر طول حياته على هذه العادة التي تمكنت منه بتقدمه في العمر وقد حدث انه رأى

ذات يوم خصمه جاك يقتحم لجة الماء للحصول على عصا القاها سيده فيه فلم يكن من شارلي الا ان قذف بنفسه في البحر لمجاراة خصمه وكانت هذه اول مرة في حياته مس الماء جلده . وبعد مضي ايام من هذه الحادثة مات شارلي من آلام جسمه وتقدم عمره ولو لم يمت من الشيخوخة لمات من الحسد .

واذا نظرنا الى احوال الكلب شارلي نجد ان عواطفه كانت مجردة عما يشم منه رائحة الكرم والتسامح ولكنها كانت شبيهة بعواطف الانسان لانه معذور فيما ابداه فانه رأى خصما ينازعه مكانته علانية ويسلب منه نصيبه من قطع السكر كما لاحظ ان انظار العائلة منصرفة الى ذلك الخصم بعد ان استأثر بتلك التوجهات مدة سنين والداهية الدهياء انه نظر سيده معرضاً عنه وتاركا له في زوايا الاهمال فانخدش حبه الذاتي وانجرحت عواطفه وحاسياته بهذا الاعراض وذاك الميل وكان هذا من الدواعى التى حملته على التشبه برفيقه في الخفة والرشاقة ومما تقدم يعلم القارئ ان الحيوانات (كالكلاب مثلا) بسبب معاشرتها للانسان قلدت طباعه الرديئة وشهواته الممقوتة . ومما يستحق العجب والاندهاش ان ليست عواطف الحسد منبثة في الكلاب فقط فقد ظهر ان الحمار من اكثر الحيوانات غيرة وحسدا ومن الشواهد على ذلك ان فلاحاً كانت له بقرة وحمار وكانت امرأته تدخل في كل صباح لحلب البقرة فكلما جلست تحتها وقبضت على ضرعها لتستدره نظر اليها شزرا واخذ يتحكك فيها كانه ينبهها الى ان الواجب عليها ان تعامله كما تعامل البقرة ويقول لها « لقد تعذر عليّ الوقوف على سبب الفرق بيني وبين هذه البقرة فانك كل صباح تجلسين تحتها ولا تنظرين اليّ بنصف

عين الم اكن مطيعاً لك وخاضعاً لاوامرك مثلها » ولم يظهر الحمار مع ذلك جنوحاً الى الانتقام من البقرة او الاضرار بها كما يفعل الحسود بل كان يغبطها و يود ان ينال من عناية ربة المنزل مانالته منها

وللحيوانات نوادر ظريفة فيما يختص بالشعور القلبي والاحساس الباطني فقد حكى بعض العلماء ان اعظم الحيوانات ادراكا الخيل وانها اقرب من غيرها الى مزاج الانسان حتى انها لاتنزو على محرم ابدا وقد جيء لحصان باخته مبرقعة فلما نزل عنها انكشف الثوب فعرفها فجعل يجري حتى القى نفسه من جبل شاهق فتقطع وحكي ان رجلا ولدت عنده فرس حصاناً واخرى انثى فائتلفا فكان اذا فرق بين واحدة واخرى لاتمشى كل منهما ولا تاكل ولا تشرب وتصيح حتى تجتمعا وربما كان يطرح الاكل للواحدة قبل الاخرى فلا تذوقه حتى يطرح للاخرى وان احداهما تدفع بيدها حشيشاً الى الاخرى وقد مغلت ففصدها البيطار فلما رأت الاخري الدم قطعت الرباط وجاءت فرغت نفسها فيه حتى سقطت ميتة فلما رأتها المفصودة طرحت نفسها عليها فاذا هي ميتة ولا ننسى ماروي عن ابي العير فانه كان عنده حمار فمات فرآه في النوم ينشده شعرا يقول فيه انه مات عاشقاً فسأله المتوكل ما الذي كان شأنه قال ياامير المؤمنين كان اعقل من القضاة ليس له هفوة ولا زلة فاعتل على حين غفلة فمات فرأيته في النوم فقلت له الم انق لك الشعير وابرد لك الماء فما سبب موتك فقال اتذكر اذ وقفت بي على الصيدلاني (العطار اوالاجزاجي) قلت نعم قال مرت اذ ذاك اتان فافتتنت بها ومت فقلت وهل قلت في ذلك شيئاً فقال نعم وانشد

هام قلبي باتان   عند باب الصيدلاني

تيمتني يوم رحنـا　　بثناياها الحسان

وبجـد ذي دلال　　مثل خدّ الشنفراني

فبها متّ ولو عشـ　　ـت لقد طال هواني

فقلت له يا ابا معاذ وما هو الشنفراني فقال انا مشغول وهذا كلام تعرفه الحمير فاذا رأيت حمارا فأسأله فضحك المتوكل وامر له بعشرة آلاف درهم

﴿ حيوانات الملكة فكتوريا (١) ﴾

اشتهرت الملكة فكتوريا صاحبة الجزائر البريطانيـة وامبراطورة الهند الانكليزية بالميل الشديد الى اقتناء الحيوانات خصوصاً ماندر وجوده منها بانكلترا والمستعمرات التابعة لها ويوجد باسطبلاتها خيول صفراء اللون قليلا خصصتها لجرّ مركبتها الملوكية في الاحتفالات العمومية والاعياد الدورية وجياد سود لجرها حين توجهها الى مجلس النواب (البرلمـان) يوم الاعلان بافتتاحه

وجلالتها عزبة صغيرة قام بانشائها جناب البرنس البرت بالقرب من سراي وندسور مسكن جلالتها وتحدث فيها مع موظفين ليس لهـم علاقة بالسياسة وغير خاضعين لوزارة من الوزارات فيقومون بقيامها ويسقطون بسقوطها وهي حرة في اعمالها بالعزبة المشار اليها وليست ملزمة بان تبوح بهذه الاعمال تارة للمستر غلادستون وطورا للورد سلسبري بل جل عنايتها منصرفة الى تربية الحمير والخيل والكلاب

---

(١) بقلم صاحب المجموعة

(الحمر الملوكية) لهذه الحيوانات المرتبة العليا والفضل الاكبر على غيرها في اعتبار جلالة الملكة ولذا كانت عنايتها بها عظيمة ومحبتها لها مفرطة ومن عادة جلالتها انها اذا سافرت لقضاء حصة من فصل الشتاء بجنوب فرنسا او في بلاد ايطاليا لا تأخذ معها وزيرا من وزرائها بل تأمر باحضار « جاكو » وهو حمار جميل المنظر اصله من فلورنسا احدى مدن ايطاليا وصفاته هي الصبر والقوة ولكنه يحب الدعة والسكون ويميل الى الكسل والبطالة واما وظيفته فهي جر مركبة صغيرة ذات اربع عجلات اعتادت جلالة الملكة على قيادتها بنفسها ولما كانت طباعه الخلود الى الراحة والسكون كما قلنا الآن فهو اذا وضع في المركبة اظهر الحرن والجموح ولكن لا يلبث ان يخضع لقائدته خضوعاً تاماً ويقوم باداء وظيفته اتم قيام

ولجلالتها حمارة تسمى (جيني) موصوفة بالطاعة والخضوع لمن يقودها ولكنها قد تجاوزت الآن الخامسة والعشرين من عمرها فأمرت جلالة الملكة (باحالتها على المعاش) وحسن معاملتها جزاء لها على ما اتصفت به من النشاط والهمة اثناء كل تلك المدة

ويوجد بالاسطبلات الملوكية حمار يسمى .... وهو يمضي الايام والاشهر راتعاً في البساتين والغياض ولا يكلف بعمل لا لتقدم سنه وانما لجمال منظره ورشاقة قوامه واصل ذلك الحمار من القطر المصرى وقد كان احضره منه ثم اهداه الى جلالة الملكة جناب الجنرال وولسلى عقب واقعة التل الكبير التى انتصر فيها الانكليز على المصريين وقد عرض هذا الحمار مرة في احد المعارض الزراعية فكان منصرف التفات الزائرين وتعجب المتفرجين

(الخيول الملوكية) بالاسطبلات الملوكية جوادان اهداهما الى جلالة

الملك منذ زمن طويل جواب الملك فكتور عمانويل امبراطور ايطاليا وكانت خصصتها جلالتها لجر مركبة اهداها اليها الامبراطور لويز فيليبس ملك فرنسا قبل قيام الجمهورية وقد مضى الآن على هذه المركبة وذينك الجوادين زمن طويل حتى صارت لاتصلح لاداء ادنى خدمة كانت ومع ذلك فان الجوادين لايزالان الى اليوم بعيدين عن العاهات الحيوانية لشدة عناية الملكة بامرهما

وبها ايضاً جواد حربي اهداه لجلالتها الامبراطور فريدريك الثالث وهو وان اشرف على الثلاثين من عمره وعد من الحيوانات التي لاعمل لها ولكن يظهر انه لازال يعتبر نفسه في زهرة شبابه وابان عمره حيث انه مشغوف بمحبة حمارة صغيرة تسمى (نينت) تستعملها الاميرة فكتوريا دي كونوت حفيدة جلالة الملكة في جرّ مركبتها وقد بلغ به الحب انه رآها تجر هذه المركبة ففعل مايفعله العاشق الاسير للتخلص من قيوده املا في التقرب من معشوقته وقد استمر على هذا الحال مدة لم يهدأ عقبها الاحينما رأى الحمارة (نينت) بالقرب منه وعندئذ اخذ يثب ويصهل ويبدى من الحركات مايترجم عن السرور الزائد الذى خالط قلبه وخالج صدره

اما نينت فلم تعبأ بهذه المظاهرات الحبية اذ كانت تري ان مداعبة جحش صغير من سنها خير لها من شغف جواد كبير بها وللجلالة الملكة فرس تسمي « جساي » مشهورة بلطف حركتها واستقامة مشيتها وقد بلغت الآن من العمر ثلاثين سنة فاعفتها جلالتها من الخدمة وكانت في مبدأ الامر تركبها كلما استعرضت العساكر فلما تقدمت في السن خصصتها لجر مركبتها كلما خرجت لهذا الغرض وقد قام مقامها الآن الحمار « جاكو » بعد ان جعلت في مصاف الحيوانات التي لاعمل لها اما جلالة الملكة فلم يبرح عن فكرها ماتعودته من

اعتدال طباع الفرس «جساى» ولذلك فانها لم تذهب مرة الى قصر وندسور الاواعرابت عن رغبتها في رؤيتها وامرار يدها على ناصيتها

(نعيم الكلاب) لجلالة الملكة فكتوريا ٥٥ كلباً تلازم حجرتها وهذه الكلاب هي غير التي يديرشونها ويتعهد لوازمها اللورد ربلسدال ولجميع هذه الكلاب قاعة اجتماع لها مفروشة بالبسط والطنافس الثمينة وعلى جدرانها الواح معلقة تحتوى على رسوم تمثل كل واحد من هذه الكلاب على حدته وبكل لوحة اسم المصور واسم الكلب واذا مات الكلب صاحب الصورة اخذت خصلة من شعره وعلقت في صورته ورغماً عن ان هذه الصور قد قام بعملها اشهر المصورين فان الكلاب لا تلتفت اليها ولا تظهر اندهاشها منها اذ لا يخفى ان الشعور بقيمة الفنون غير نام في هذه الحيوانات ولها مطبخ خصوصى وخدمة مخصوصون يقدمون لها الاطعمة الشهية في مواعيد الاكل وطعامها في الصباح هو الفطير الجاف وفي الساعة الرابعة بعد الظهر . الشوربة والخضارات ورأس العجل وقطع « الروزبيف » وفطير الشعير وغير ذلك من الاطعمة الفاخرة

« قاعات النوم والحمامات » اما قاعات نوم هذه الكلاب المتمتعة بهذه النعم والخيرات الجزيلة فهي عبارة عن خليات ارتفاعها متر ونصف وتمر منها انبوبة تملأ بالماء الساخن في فصل الشتاء لمنع البرودة وليست مرتبة في هذه الخليات على حسب اختلاف اجناسها وانما على حسب اميالها الى بعضها والا فيكون وضعها في خليات مخصوصة من باب الاحتقار والاخضاع وبالقرب من كل خلية حوض صغير منحدر الحوافي انحدارا خفيفاً يملأ بالماء النقي في كل يوم لكي اذا راق لاحد الكلاب ان يسبح فيه سهل عليه ذلك وبطرف كل حوض صيوان صغير يذهب اليه الكلاب عقب السباحة لالتماس

الراحة ولكي يجف جسمها في اشعة الشمس ولتوفر الاسباب الصحية في هذه المساكن ترى الكلاب متمتعة بالصحة التامة ومن اقرب البراهين على ذلك انه منذ شهر فبراير الماضي الى الآن لم يدخل مستشفى الكلاب المعد لها الا كلب واحد منها هذا وقد كان الملك لويز الرابع عشر ملك فرنسا مشغوفاً بتربية الكلاب واقتناء النادر منها وكان يذهب به حبه لها ان يناولها الطعام بيده ويباشر شؤونها بنفسه وقد اقتدت به جلالة الملكة فكتوريا في ذلك وزادت عليه انها لا تدني منها سوى الكلب الذي يمتاز على غيره بصفة من الصفات المحمودة وليس المعول عليه في ذلك جمال المنظر وانما الامانة وصدق الانتماء واول كلب عندها بلغ هذه الدرجة القصوى هو الكلب المسمى دارنلي ثم يليه كل من بيو وجيناً واما الكلاب الثلاثة سبوت وروا وماركو فهي التي ترافق جلالتها اثناء سياحتها في جنوب فرنسا او في ارجاء ايطاليا كعادتها السنوية وقد ظهر لها من صداقة هذه الكلاب ومحبتها لها ما بعث رغبتها في اصطحابها لها حيثما حلت واينما ارتحلت وربما كانت لذلك تفضلها على ثلاثة من عساكر الحرس الذين صار ديدنهم الجنوح الى العصيان وشق عصا الطاعة

﴿ تعليم الفيران (١) ﴾

زار احد الادباء مدينة باريز فروي ما يأتي

دخلت مرة ملهي (الفولي برجير) فارتفع الستار عن شاب أسمر اللون

---

(١) بقلم صاحب المجموعة

طويل القامة مسترسل شعر الرأس اسود الشنب يلبس ثياباً يظهر فيها كانه من أهل القرون الخالية والعصور البالية وما شخصت انظار المتفرجين اليه حتى جرد من جيبه مزمارا صغيرا من الغاب فوضعه في فمه واخذ يستخرج منه صوتاً حادا تمثيله بالكتابة هو [ترلوتوتوتوتو ...] وما كاد ينتهي من توقيع هذا الدور الموسيقي الذي تغلق دونه ابواب صيوان الآذان والجمهور بين ضاحك من منظر ذلك الرجل ومتعجب من تفاهة عمله حتى رأوا جيوشاً من الفيران تنسل من مسارب المرسح وانحائه فازداد المتفرجون عجباً وكادوا يهلكون من الضحك

وقد رأيت من هذه الفيران انواعاً متعددة واصنافاً مختلفة فمنها ما كان ناصع البياض نحيف الجسم أوحالك السواد فظاً لايكاد يقدر على المشى ومنها ما كان لونه جامعاً بين السواد والبياض أو مبرقشاً بالوان مختلفة ثم ظهر قط اسود اللون بشع الشكل والصورة على مرتفع بقرب المرسح فاخذت الفيران تروح وتجيء امامه وتدور حوله وهو في اثناء ذلك لايبدي اقل حركة او ادنى اشارة كان قد نزعت منه العادة ما اودعته الفطرة فيه من كراهة الفيران وغريزة التحفز للوثب عليها والايقاع بها

ولم تكتف الفيران بهذه الاعمال بل صعدت على المرتفع واخذت تداعب القط فتارة كانت تقف على ظهره وطورا تنام بقرب مخالبه وآونة تجتمع كلها يدا واحدة على اسقاطه من المرتفع الجالس هو عليه وحيناً تسحبه من ذنبه وكان الرجل في اثناء ذلك يقول لها بصوت مرتفع (خذي حذرك من القط . ابتعدي عنه . كيلا ينهشك . فانه عدوك الالد . وحاسدك الاعمي) فلم يؤثر فيها هذا القول بل كان يزيدها شقاء وعنادا وكان القط

بضد ذلك يواسيها بدلا عن ان يبيدها و يلاشيها

ولما ازداد بي العجب والاندهاش سألت في اليوم التالي عن محل اقامة ذلك الحاوي مربي الفيران الى ان عرفته فلما دخلت فيه وجدت ذلك الرجل مضطجعاً على سرير و بجانبه أرنب صغير و بالقرب من رأسه قفص يحتوي على اشباح سوداء لم أتمكن من تمييزها وحينما رآني قام لمقابلتي وحياني بأحسن تحية وقد علمت اثناء محادثتي معه انه روسي الوطن والمولد والمنشأ وانه زاول حرفة تربية الحيوانات كالكلاب والقطط والديكة والماعز والشياه من زمن طويل وانه لم يعالج حرفة تربية الفيران الامنذ سنة واحدة ثم انه أتي بلباب عيش مندي بالماء ووضعه على غطاء فرشه وفتح باب القفص فخرجت منه اربعة فيران غلاظ وهي التي كنت ارتبت في أمرها لدى دخولي واخذت تأكل من هذا اللباب بينما كان يقص على ما يأتى

ان هؤلاء هم اصدقائي في السراء والضراء حيث قد مضى عليهم زمن طويل وهم معي لايخونون لي عهدا ولا يخلفون وعدا ولقد عشت ماعشت فلم اجد اسلس من الفيران طبعاً واسهل معاشرة وارق اخلاقاً فاني كنت اطاب الواحد منها في الامكنة القذرة التي اعتاد على المعيشة فيها فيبادر في الحال الى تلبية طلبي ويقف بين يدي مطيعاً خاضعاً ولا تمضى عليه ساعة وهو في هذه الحالة (على شرط اكرامه) الا ويكون قد تعود على معاشرة الانسان والدنو منه بدون فزع او خوف والوسائل التي عولت عليها في الوصول الى هذه الغاية ثلاث تعهدها بالغذاء الطيب ومعاملتها باحسن معاملة وتشنيف آذانها بالنغمات الموسيقية الرخيمة

وبعد ان أتم حديثه اخذ فارا صغيرا اوقفه على اطراف اصابع يده

اليسرى منضمة الى بعضها فاخذ الفار ينظر اليه بعينين براقتين و يلتفت تارة الى اليمين وطورا الى الشمال ثم قدم له حبة قمح بيده اليمنى فدار الفار حول اطراف اصابعه فلما التقطها منه قبض دوروف وهو اسم ذلك الرجل على حبة اخرى وقال للفار (موشكا تناول حبة القمح) فانتصب موشكا على قدميه الخلفيتين وتناول من سيده الحبة · وبعد تمام هذه العملية قال لي لقد علمت مما عاينته الآن ان حسن المعاملة والاكرام هما العاملان القويان في اخضاع الفيران للارادة الانسانية فقلت له اجل ولكن اين العامل الثالث وهو الموسيقى فاجابني قائلا اي نعم فانها هي الجامعة لما تفرق من شتاتهم والمنظمة لما انتثر من عقدهم واكبر دليل اقيمه على ذلك هو اني اذا خرجت من منزلي هذا او من غيره في كل بلد وفدت اليه اخرجها من اقفاصها للتفسح في زوايا البيت وشقوقه فاذا عدت في المساء وزمرت لهـا بالمزمار توتولوتوتو بادرت بالانصراف نحو مصدر الصوت فلا تمر دقيقة الا وأراها حولي تتجاذب اطراف ملابسي وربما جلبت معها فيرانًا اخرى لم يسبق لي ان رأيتها وقد حدث لي مرة ان ذهبت الى مدينة برشلونة من اسبانيا فدخلت انا وامرأتي وابني وفيراني في مأكل (لوكاندة) لتناول الغدا فبينما نحن كذلك اذ انفتح باب القفص وخرجت منه الفيران وكان يبلغ عددها ٢٣٠ فارا وانتشرت في ارجاء القاعة فلما رأى ذلك الزبائن وقع في قلوبهم الخوف والفزع فمنهم من كان يقف على المائدة او على الكرسي ومنهم من كان يتعلق بحوامل القناديل فتنقطع فيقع على الارض فيزداد صراخه وجزعه ومنهم من نجا بالفرار وفضل مغادرة الطعام على حضور ذلك المنظر الشنيع ومنهم من كان يفتش على العصي والاسلحة لمقاومة هذا الجيش الفاتك الجرار فلما رأيت ان الحال وصل

الى هذا الحد ثارات مزماري وصحت فيه تو . . ترلو توتو فلم يكن الا كلمح البصر حتى عادت ودخلت في مسكنها واستتب بذلك الامن والنظام

﴿ الهجن في القتال [١] ﴾

نوق القتال هي الهجن التي تقوم مقام الجياد في بعض الاحوال لحمل المقاتلين ويوجد فرقة منها ضمن الجيش المصري والغاية من الهجانة الذين يحاربون فوق الهجن انما هي قتال الامم والقبائل التي تسكن الصحارى والقفار وغيرها من الجهات التي يتعذر على الجياد السير فيها واستعمال الهجن للاستعانة على مقاتلة العدو ليس بالامر الحديث فلقد استعمله في العصور السالفة والازمان المتوغلة في القدم امم الفرس والرومانيين ودليل ذلك مارواه هيرودتس المؤرخ المشهور واكزانفون عن موقعة سارده التي فاز فيها قيروش ملك الفرس على كريزوس ملك الليديين سنة ٥٢٥ قبل الميلاد اعني منذ ٢٤٣٠ سنة من انه كان يوجد في جيش قيروش عدة فرق من الهجانة وتوضيح ذلك انه لما استعد هذا الملك لمقاتلة عدوه وكان يخشى فرسان الليديين جمع ماوصلت اليه يده من الهجن والنياق وامر رماة السهام ان يركبوها فلما فعلوا ذلك جعلهم في مقدمة جيشه وجعل الفرسان في مؤخرته وعلة هذا الترتيب هي كما قال المؤرخ اكزانوفون السالف الذكر « ان الجياد لا تطيق عادة رؤية الجمل والنياق ولذلك تراها تنثني براكبها مهما بذل من الجهد في منعها عن العودة ولما وضع قيروش الهجانة في مقدمة عسكره هجم

(١) بقلم صاحب المجموعة

على الجناح الايسر من جيش عدوه فتقهقرت الجياد فزعاً منها اما جياد قيروش فلم تنثن الى الوراء لانها لم تر الهجن

وروى المؤرخ تيت ليف معركة مانيزيا التي حصلت بين سيبون الاسيوى وانطيوخوس ملك الشام سنة ١٩٠ قبل الميلاد فقال « وكان الجيش الملوكي يحتوي على هجن القتال غير الخيول والفيلة وكان يركب هذه الهجن رماة من العرب يحملون سيوفاً طول السيف الواحد اربعة اذرع لكي يمكنهم اصابة العدو بها

وقد وضع انطيوخوس هجانته في مقدمة الجيش كما فعل قيروش ولكنه لسوء حظه لم يفز بالنصرة على خصمه وتكلم ديودورس الصقلي على الهجن واستعمالها فقال « ان بعض قبائل العرب تربي قطعان الجمال وتنتفع بها في كل ماهو ضروري لحياة الانسان في بلادهم فهم ينتفعون بها في الحرب لمقاتلة العدو و ينقلون بواسطتها الاحمال الثقيلة فتقطع بها المسافات الطويلة والابعاد القصية التي كثيرا ماتتجاوز ١٥٠٠ استادة (اي ٢٤٥ الف متر) وذكر المؤرخ بروكوب الذي اقتفي اثر الملك بلبزار في افريقية في القرن السادس فقال حصلت معركة هائلة بين عرب المغرب والرومانيين الفرسان كانت الدائرة فيها على هؤلاء لان الجياد التي امتطوا صهوتها انذعرت من النوق التي كان يركبها العرب فانثنت الى الوراء وجميع هذه الامثلة تدل دلالة واضحة على اهمية الهجن في القتال . ويؤكد الباحثون في هذه الايام ان الامبراطور نابليون بونابرت انشاء فرقة من الهجانة ايام اغارته على مصر منذ مائة سنة ومن الغريب ان الكتب التي اورد فيها تاريخ ذلك البطل لم تأت على ذكر هذا الامر المهم في حين انه قد ثبت أنه عند عودته من مدينة السويس في دسمبر

سنة ١٧٩٨ عهد الى الكولونل كفاليه قيادة فرقة الهجانة من حملته وقال المريشال مرمون دوق دي راجوز Maréchal Marmont, duc de Raguse في مذكرته ان هذه الفرقة ادت خدمات جمة للحملة الفرنسوية وكانت مؤلفة من ٦٠٠ هجان مع كل واحد منهم مايلزمه ويلزم ناقته من الزاد والعلوفة والذخيرة الحربية مدة اسبوع كامل فسهل عليهم اجتياز الصحارى والقفار ولم تكن فرقة مثلها جاء نظامها منطبقاً على مقتضيات الزمان والمكان

ومن عادات عرب القفار ان يقطعوا الطرق على الراحلين ويشنوا الغارة على اهل المدائن لنهب ماتصل اليه ايديهم من عندهم وينزلوا في المزارع لسلب مافيها ثم يعودون الى داخل الصحراء راكبين على الجياد فلا يلحقهم احد ولكن بواسطة النياق المسماة بالهجين في مصر والمهاري في الجزائر يمكن لحوق اسرع الجياد عدوا في الصحراء فيتيسر بهذه الوسيلة محاربة العربان ومعاقبتهم على تعدياتهم وقد حدث في أواخر شهر سبتمبر سنة ١٧٩٩ من الميلاد حينما توجه الجنرال دوزكس الفرنسوي لمقاتلة مراد بك احد امراء المماليك شعر ببطء سير الفرقة التي يقودها فلم يكن منه الا ان احضر النوق اللازمة وأمر العساكر بركوبها ففعلوا ولولاها لاصابهم الضرر الاكبر من حرارة الشمس في الصعيد وفضلا عن ذلك فانهم صادفوا فرسان المماليك بين الواحات وجهة سليمان فلما هاجموهم الزموهم القهقري الى شاطىء النيل وعبوره للاختفاء في الصحارى التي تلي الضفة الشرقية منه ومن الشواهد العديدة الدالة على فضائل الهجن في القتال انتصار الجيش الفرنسوي بواسطتها في حملة الشام منذ اكثر من اربعين سنة وانتصاره ايضاً على الانكليز بالقرب من ثغر اسكندرية في ٣٠ مارس سنة ١٨٠١ فان فرقة الهجانة في هذه

الواقعة امتازت بالاستيلاء على بعض الحصون الامامية للانكليز ووضع اليد على مدافعها واسر العساكر الموجودين بها على ان الانكليز قد استولوا بعد هذه الواقعة على مدينة الرحمانية وتمكنوا بهذا الاستيلاء من قطع الاتصال بين مدينة اسكندرية وبقية مدائن القطر المصرى ولما رأى ذلك القائد العام مينو أمر الكولونل كفالييه قائد فرقة الهجانة ان يتجول في داخل البلاد ليأخذ كل ماتصل اليه يده من المؤن والذخيرة فخضع الكولونل لامره ولكنه لم يلبث سائرا مدة نصف ساعة حتى رأى الفرسان الانكليز محدقين به من جميع الجهات فعند ذلك حث السير مدة ثلاث ساعات كان لايزال الماجور ولسن قائد الانكليز يقتفي اثناءها اثره حتى تعبت الهجن واخذ البعض منها يسقط على الارض وابتداء العساكر يشعرون بالعطش الشديد لفرط الحرارة واستمرار القيظ وقد اعلنه هذا القائد بضرورة الاستسلام فابي اولا ثم لم يجد مندوحة من الاجابة على طلبه على شريطة ان يتعهد بارجاعه الى فرنسا مع فرقته واعتبار هذا الاستسلام ضرباً من ضروب المودة لامن قبيل الاسر والاذلال . هذا هو ما اردنا ايراده هنا استدلالا على فضل استعمال الهجن في القتال خصوصاً اذا كان العدو يسكن الصحارى والقفار

❊ مصارعة الحيوانات (١) ❊

ان الحيوانات المفترسة اذا الفت الانسان واستأنست به لاتعود تضر بالحيوانات الاخرى او ببعضها فترى الاسد واقفاً بجانب الجواد والنمر بجانب

(١) بقلم صاحب المجموعة

الاسد وهذا بالقرب من الفهد وهكذا نعم لايستغني الحال من وقت الى آخر عن تبادل اثنين من تلك الحيوانات المضاربة بالمخالب ولكن هذه المنازعات قل ان تفضى الى الموت والقتل وروى بعض العلماء عن هجانبك المشهور باخضاع الحيوانات المفترسة واستئناسها في مدينة همبورغ ان شهرة الافاعي الكبيرة بالميل الي المصارعة والمقاتلة مع بعضها غير صحيحة وذكرت مجلةامريكا الشمالية ان كراهة الحيوانات الثديية لبعضها وراثية وسببها حصول قتال عنيف بينها قبل الطوفان تمكنت بسببه الخصومة في القلوب وجاء في الجريدة عينها ان القرد الشقي الذي تعود الاساءة الى من حوله بالعض او بالخمش يركن الى الخضوع والاستكانة اذا ابرزت له ورقة مرسوماً فيها شكل ثعبان والذي ذهب الى الاعتقاد بصحة هذه الحادثة يريد المبالغة في خبث الثعبان وخيانته واشتهاره بذلك حتى انه اودع الخوف منه في قلوب الحيوانات الاخري ولكن نقول ان ليست الافاعي بجميع انواعها تميل الى القتال والمصارعة اذا لم تكن الغاية منها حفظ الوجود وصيانة الروح من الموت بسبب الجوع ولو كان من طبعها المشاحنة والمناوشة غرثانة كانت اوشبعانة لما اخلدت الى السكون والهد و في الاقفاص التي يضعها فيها الذين اتخذوا استئناس الحيوانات حرفة لهم بحيث اذا نقلوها من مكان الى آخر كانت اشبه بحبل سفينة ينقله النوتي و يتصرف به على ما تقتضيه مصلحته ولسنا ننكر انها في بعض الاحايين تنزع الى الخيانة والايقاع بمن حولها ولكن هذه احوال نادرة والنادر لا حكم له وقد حصل مرة لهاجنبك الذي اوردنا اسمه في هذا الفصل انه كان ينقل الافاعي من قفص الى آخر فلما قبض على السابع منها لم يشعر الا وقد احاط بجسمه على شكل حلزوني ولولا ان ستة انفس من مستخدميه كانوا

واقفين بجانبه اذ ذاك لذهب فريسة ذلك الثعبان الغادر

ولا يجمل بالمستخدمين في مكان من الامكنة التى تعرض فيها الحيوانات المفترسة والافاعي الكبيرة على الخصوص ان يغتروا بما تبديه هذه من علامات التوافق والالتئام فانه كثيرا ما يجنح بعضها الي مقاتلة الآخر ولا بد لهذه المقاتلة من باعث ضروري واذا كان هذا الباعث عند بني الانسان « المرأة » فهو عند الافاعي « الارنب »

ذكر علماء الحيوانات ان ثعبانين لبثا في عيشة واحدة بقفص واحد مدة سنين لم يقم بينهما اثناءها نزاع ففي ذات يوم نسي الخادم الموكل بمباشرة شؤنهما فقدم الى واحد منهما دون الآخر غداءه وهو عبارة عن ارنب مذبوح في امل العودة لاحضار غذاء الآخر فما كان من الثعبان الثاني الا ان هجم على الاول واغتصب منه نصيبه وكان اصغر من المعتدى واقل منه قوة بالطبع فلم يقدر على مقاومته غير انه انتظر حتي تخدر خصمه كما يحصل للافاعي عقب الاكل فهجم عليه وعضه عدة مرات واخذ يضغطه على جدران القفص وفي اثناء ذلك كان الثعبان المختصم منه الآن يصفر صفير القنوط لانه لم يقدر على المقاومة مطلقا لامتلاء معدته بالارنب ولبث عدة ساعات لا حراك له ولما كان اليوم التالي عادا الى ما كانا عليه من الوفاق والمحبة

وقد تفضي المماركة بين الافاعي الى موت الفريق المغلوب منها فقد اشار هاجنبك الى ثعبان كبير من الافاعي التي عنده وقال اصاحب له اذا كان هذا الثعبان وحيدا في القفص فهو الذي جر الى نفسه ملل هذه الوحدة اذ قد كان معه ثعبان آخر في هذا القفص رافقه عدة سنين ففي ذات يوم دخل ارنب في القفص فانقض عليه احدها وابتلعه بدون ان

يتسم مع الآخر فيه فتتغلب عليه وتقتله هذا وتلد جملة واحدة وعليه فيكون
الارنب ينهضم مرتين مرة في معدة الثعبان الاول والثانية في معدة الثاني
وأورد صاحب مجلة (ماك كورس مجازين) الانكليزية ان افعى كبيرة
الجسم يبتلع في نهار واحد اربعة من رؤوس الضأن ثم تمضي تسعة ايام صائمةً
وبعد انقضاء هذه المدة يبتلع شاة بأكملها

ومع ما في عليه هذه الحيوانات من الاذى لا نعلم الاسباب التي حملت
حكومة فنزويلا على الدفاع عنها وتغريم من يقتل واحدا منها ١٠٠ فرنك
وقد تبلغ هذه الغرامة خمسة امثالها اذا حصل القتل في فصل ازدواجها
ببعضها وربما كان الباعث الحكومة على ذلك ميل الافاعي التي في بلادها
الى اصطياد الفيران وغيرها من الحشرات المضرة بالمزروعات ولكن كيف
تخشى الضرر الطفيف الذي ينشأ من تلف جزء من المزروعات وتلك
الافاعي اذا لم تجد ما يكفيها من الحشرات تعوّل على الاهالي فلا يمر يوم
الا يسمع انها ابتلعت ٣ او ٤ اطفال او اكثر من قرية كذا

وقد كان ضمن مجموعة هاجنبك الحيوانية ستة تماسيح فحدث ذات
يوم ان اثنين منها تشاجرا ولم يكن من الاربعة الاخر الا ان قدموا كشهود
القرون الماضية اذ دخلوا في المعركة فصار القتال عمومياً

﴿ وقائع المستر جارنر في بلاد القرود (١) ﴾

سافر المستر جارنر الى بلاد الكونغو لدراسة لغة القرود ونشرت مجلة

(١) قلم صاحب المجموعة

امريكا الشمالية (نورث امريكن رفيو) هذا الخبر ونقلته عنها جرائد العالمين تعجب جميع القراء من اقدام ذلك الرجل وحذقه ومجازفته بنفسه لخدمة العلوم والمعارف واملوا له جميعاً نجاحاً تاماً في مشروعه · وقد كانت المعدات التي أخذها معه للتوقي من اخطار تلك الجهات قاصرة على قفص من الحديد سماه فيما بعد (قلعة القرود) وآلة فونوغراف ليسترق بواسطتها اصوات هذه الحيوانات وبطرية كهربائية ذات قوة عظيمة واثنتي عشرة بندقة من البنادق المتقنة الصنع · ويظهر للمتأمل بداءة بدء ان هذه الآلات الاخيرة التي يقصد منها الافناء والتدمير ليست ضرورية لمن يرغب في استطلاع الحوادث العلمية ولكن لا يلبث ان يحكم بضرورة التسلح والتدرع حذرا من الحيوانات الضارية الكثيرة الاختلاف الى تلك البقاع · وقد تدبر المستر جارنر في هذا الامر ورأى من المفترض عليه ان يدافع عن قلعته بآلات القتال وان يظهر للاسود والقرود وملوك العبيد ان امريكياً من النسل الانكليزي السكسوني لا ينتقل من جهة الى اخرى الا وهو مجلل بالاسلحة وعلى ثقة من قدرته على معاقبة من يعتدي عليه بعقاب القتل بالكهربائية وهو العقاب المتبع الآن رسمياً في الولايات المتحدة الامريكية · على انه لحسن طالع المستر جارنر لم يضطر الى استعمال هذه الاسلحة او الى تطبيق اي عقاب من العقوبات فانه كان موضع احترام القرود وغيرها من الحيوانات الضارية · اما قلعته الحصينة فقد وضعها على شاطئ نهر اوجوبه حيث يكثر تردد القرود وكان كلما علم عن هذه الحيوانات شيئاً بادر بارساله الى المجلات العلمية وعلى الخصوص النورث امريكن رفيو ومك كلارس مجزين ووستمنستر بدجت

(عند ملوك العبيد) ولم يكتف المستر جارنر بمساعدة اولياء الامر الفرنسويين فانه قبل ان يتجول في داخل الاراضي السودانية استجلب اليه محبة ملوك العبيد وامرائهم وقد قابله الملك ادنده الذي تمتد سطوته الى مايلي نهر جابون بكل تجلة واحترام فاندهش المستر جارنر من ادبه وحسن اخلاقه وازداد اندهاشه حينما سمعه يتكلم باللغتين الانكليزية والفرنساوية ويعلم جميع الاحوال السياسية التي تحدث بمدينتي لوندره وباريز وفي الواقع فمن الغريب وجود ملك سوداني واقف على احوال العالم المتمدن في حين ان بلاده موجودة على مسيرة ٣٦ يوماً من الشاطىء · واوجد بينه وبين ملك قبيلة الامرنجوس علائق ودادية مهمة حتى انه لما خاطبه بلغته جاوبه شاكرا وعرض عليه ان يزوجه بنته ولكنه رفض هذا الاقتراح لاسيما وان هذه البنت معقود عليها لاحد رؤساء القبائل وربما نشأت الحرب بينه وبين الملك اذا اراد هذا فسخ العقد وكانت قد فرحت كريمة الملك فرحاً شديداحينما نقل اليها بانها ستكون زوجة — السائح الابيض — طمعاً في اجتياز البحر الاطلانطي لزيارة معرض شيكاغو

[على شواطىء بحيرة ازهنجا] مامن حادث جديد يقع في بلاد افريقية الاستوائية الا وتتداوله الالسنة بحيث يشيع في زمن قصير · وقد حدث هذا بالنسبة لصاحبنا — السائح الابيض الذي يريد دراسة لغة القرود — فانه ما كان يدنو من قرية الا ويجتمع اهلوها حوله لكي يبيعوا له جماجم القرود فلم يتمكن من شراء شيء منها لانه فاته جلب كمية من التبغ وشراب الروم ليستبدل بها ماشاء لان هذين الصنفين هما العملة الجارية في بلاد السودان وبعد ان استطلع المستر جارنر احوال شواطىء بحيرة ازهنجا

رأى من الاحسن لديه والاسهل له ان يجعل مركزه بين نهري اوجويه وجمبوجمي على بعد ٢٠٠٠ متر من بيت الآباء المبعوثين وهناك اقام قفصه وبالحري قلعته التي سميت قلعة القرود كما قلنا وفيها اخذ يراقب حركات القرود وسكناتها

[الزيارة الاولى] بينما كان المستر جارنر جالساً في قلعته ذات يوم اذ رأى على مقربة منه قردا صغيرا يتقدم نحوه بمشية الطفل الصغير الذي يعجز عن الوقوف فيمشي على يديه وقدميه ثم وقف على مسافة خمسة امتار واخذ يتأمل في المستر جارنر بدقة وامعان وكان هذا العالم جالساً لا يتحرك كالتمثال واستمر الحال على هذا المنوال مدة طويلة المرجح ان القرد كان في خلالها يسأل نفسه عما اذا كان الشخص الذي يراه حياً اوميتاً ومع ذلك فلم تأخذه رهبة من هذا المنظر او يختلج صدره غضب بل لبث فاغرا فاه محركا شفتيه في اوقات متفاوتة كانه يعرب عن دهشته وحيرته · وفي نهاية الامر سمع منه المستر جارنر هذا الصوت « امف » ورآه يتأهب للعودة من حيث أتى · واذا سألنا سائل ما معني ذلك اللفظ فاننا نقول له انتظر حتى يظهر قاموس المستر جارنر في لغة القرود

[القرود الايمة] قلنا انه كان بجوار قلعة القرود المتحصن فيها المستر جارنر بيت للآباء المبعوثين وقد كان لهؤلاء الآباء كلب يقصد كل يوم المستر جارنر ويجلس بجانبه مدة من النهار ويرافقه اينما سار وقد خرج ذات يوم حاملا بندقته وبرفقته الكلب فصادف في طريقه قردة سوداء وفوق ظهرها جرو لها وقد رأى ان هذه القردة لم تنتبه اليه بالكلية بل بهتت في الكلب ولم تظهر انها مذعورة منه وانما قعدت على الارض واخذت تمعن النظر وتدقق

التأمل فيه بكيفية يبدو منها انها تحتقر هذا الحيوان وتتعجب من جسارته التي ادت به الى الوقوف في حضرتها وبعد مضي عدة دقائق التفتت الي المستر جارنر ثم قامت وتركتها سائرة الهوينا · ويقول اهالى الجهة ان من النادر مخاطرة انثى القرود بنفسها الى هذا الحد خصوصاً اذا كان معها جروها وقد بحث المستر جارنر في الضواحي فلم يجد اثرا لذكر تلك القردة او القبيلة التى هي منها وقد استنتج من ذلك ان ذكرها مات وانها لقباحة منظرها الناشئة من تقدمها في السن لا تجد لها زوجاً جديدا وقريناً صالحاً

(رئيس القبيلة) يذهب علماء التاريخ الطبيعي في اوربا الى ان القرود الاكثر شبهاً بالانسان تميل دائماً الى العزلة وتتجنب الجماعات من امثالها وقد دحض المستر جارنر هذا الزعم بقوله ان جماعات مؤلفة من ١٢ الى ١٥ قردا كانت تأتي على التعاقب حول قفصه ثم تعود معاً الا انه لم يتمكن من مراقبة حركاتها تماماً لانها كانت تخشى الدنو كثيرا من القفص وقد قال الاب بوليون رئيس الآباء المبعوثين للمستر جارنر انه حضر مرة في وليمة هيأها القرود لرئيس قبيلتها فلاحظ انها كانت تحترمه وتسعي في ارضائه واستعطافه لانه كان يتناول فقط طعام الوليمة بينما كان الآخرون يحضرون له الحبوب والفاكهة ويقول اهالى جهة اوجويه الوطنيون ان للقرود ملوكا يخطفون الاولاد الآدميين ويحفظونهم عندهم لكي يضطر آباؤهم الى تقديم الدية من محصولات البلاد واولئك لا يقتصرون على ذلك فقط بل يستهويهم الطمع الى السرقة وارتكاب اثم قتل الانسان ليستنزفوا دمه من صدره ويقولون ان القرد قوي الفكين حتي ليمكنه بالسهولة ان يكسر انبوبة البندقية المصنوعة من الصلب كما يكسر الطفل البندق او الجوز ولسنا نظن هذه

المدعيات الا مغالاة ومبالغة من الاهالى الذين يخافون من القرود خوفاً دعاهم الى اختراع الا كاذيب والخزعبلات في حقها فثبتت هذه الا كاذيب في عقولهم كانها الحقيقة مجردة من المبالغة وصاروا يعدون من ينازل قردا و يغلبه من كبار الشجعان

« لغة القرود » لم يصدق المستر جارنر ما كان يرويه عليه الاهالى من الخرافات والمبالغات بخصوص القرود وان هذه الحيوانات على جانب عظيم من القسوة والافتراس ولهذا لم يطل الكلام على طبائعها وعاداتها وجعل اشتغاله مقصورا على البحث في هل للقرود لغة تتفاهم بها مقاصدها وتتبادل افكارها العائدة على طائفتها بالنفع العام والخير الشامل وهل يصح أن تكون لهـا لغة يترتب عليها ان لها ادرا كا وفهما وهي لا تعرف الى الآن ان تشيد لنفسها ملجأ في حين ان لا طير من الطيور الا و يصنع عشه لنفسه

و يزعم المستر جارنر انه رأى جملة من القرود على بعد خمسين مترا منه وسمع من بعضها اصواتاً تدل على ان هذه الحيوانات كانت تتناقش في امر يختص بالقبيلة و يزعم ايضاً انه في الساعة الخامسة من الصباح سمع ملك القرود يصيح صيحة تدل على انه يأمرهم بالانتباه من النوم والتأهب لاعمال اليوم

هذا ولا نظن ان اقامة سنة بل اقل منها وهي المدة التى لبثها المستر جارنر بين القرود تكفي لوصوله الى نهاية بحثه بمـا ينطبق على مقصده ولذا فقد اخذ منا العجب ما أخذه حين بلغنا انه عول على طبع قاموس للغة القرود مرتب على حروف المعجم كعادة اللغويين في ترتيب الالفاظ اللغوية

﴿ الحياة في الماء (١) ﴾

ان مهنة الغواصين من المهن التي يجهل حقيقتها الجمهور وان تكن من اصعبها عملا ولكن القائمين بها يشعرون باحساسات لطيفة قلَّ ان يشعر الانسان بمثلها على سطح الكرة الارضية وكما ان هذه الاحساسات ليس لها اثر من الوجود في العالم الدنيوي الارضي كذلك لا توجد في الطبقات العليا من الجو فلا يطمح الباحث الشغوف بالاستطلاع الى الانفعال بمؤثرات احساسات يكون مركزها في طي الطبقات الجوية ويتشوف الي ركوب متن المنطاد (البالون) لبلوغ هذه الغاية بل يجب عليه ان يجعل قاع الاقيانوس ومستقر البحار الخضمة مجالا لايمكن الا فيه الشعور بتلك الاحساسات الغريبة

كلما هبط الانسان في اعماق البحار واوغل في مجاهل الاقيانوسات وجد نفسه محاطاً بامور مادية وغير مادية يبهت فيها استغراباً وتعجباً فهو على الدوام يستنشق الهواء الذي يرسل اليه بواسطة الضغط الجوى ويرى الحيوانات البحرية من خلال حجاب المياه الشفاف الفاصل بينه وبينها مجسمة ومكبرة عن اصلها بكثير من المرات ويسرح عقله في التأملات الغريبة والتخيلات التي يوحيها اليه خوفه من المخاطرة بنفسه في وسط هذه البقاع المجهولة من بنى الانسان فاذا كان ممن نيطوا باستخراج مودعات سفينة غرقت فانه يرى نفسه محاطاً بحيوانات بحرية تبدو عليها علامات الدهشة من زيارة احد سكان الارض اليابسة لها وكلما تقدم خطوة واحدة الى الامام او الى اليمين او الى الشمال او تأخر الى الخلف صادف عند نقل اقدامه جثث الغرقي

(١) بقلم صاحب المجموعة

الذين اماتهم هياج الرياح واضطراب الامواج فتجيش نفسه الى التخلص من هذا المنظر الكئيب المحزن ولكن يوطده على البقاء والاحجام عن تلك النية امله في استخراج الصندوق الذي اودع فيه قبطان السفينة الوف الدنانير الرنانة

والمعلوم ان الكنوز قد يتعذر الحصول عليها في كل زمان ومكان ولكن بلوغ هذه الغاية سهل اذا كان الغوص في البحار من وسائلها وكثيرا ما اصبح الغواص الفقير غنياً دفعة واحدة بسبب ما ربما يكون قد عثر عليه من الاموال الوافرة اثناء غوصه على المفقود منها على انه فيما عدا هذا يكسب مبلغاً وافرا في اليوم الواحد اجرة غوصه اذا ان ماهيته فيه وهو لا يشتغل منه الا اربع ساعات تختلف من ٥٠ الى ١٥٠ فرنكا تبعاً لمهارة الغواص وقدرته على استخراج الاشياء الفاقدة وتوجد في نيويورك من امريكا شركة للغواصين جعلت من شروطها ان اجرة العامل الواحد في في اليوم لا تكون اقل من ١٥٠ فرنكا ومدة العمل لا تزيد على اربع ساعات وهذا في الواقع لا شيء تلقاء ما يعرض للغواص من الاخطار والمكاره اثناء قيامه بعمله

وما يلبسه الغواص من الملابس لاداء وظيفته ينحصر في خوذة من النحاس تغطي مجموع الراس مثل التي كان يضعها المقاتلون في العصور السالفة وبها ثقبان مستديران تجاه العينين ليتمكن من النظر فيما حوله من الكائنات المائية وهذان الثقبان مسدودان بالزجاج سدا محكما حتى لا يصل الماء الى الوجه فيعطل دورة التنفس ويموت الغواص وباعلا تلك الخودة انبوبة من الجلد يختلف طولها من ٣٠ الى ٤٠ مترا ويبلغ

طولها في احيان كثيرة اضعاف ذلك وتصلح هذه الانبوبة لايصال الهواء الى الغواص من فوق سطح المياه · ويلبس في قدميه حذاء من الرصاص يبلغ وزنه فى كل قدم ٧ كيلو جرامات وفي وسطه نطاقاً من الجلد وعلى جسده ثوباً من القماش الذي تصنع منه أشرعة السفن واذا كان الغوص في فصل الشتاء فيزيد على ذلك ثوباً كثيفاً يلي بدنه مباشرة

ويجب ان يناط بشخص او جملة اشخاص المحافظة على الغواص والقيام بايصال الهواء اليه بواسطة الآلة الخاصة بذلك فان الشخص الذي ليس بينه وبين عالم الاحياء من بني نوعهِ وصلة سوى منفذ للهواء وحبل يسمى بحبل النجاة قد يذهب فريسة اغفال الموكلين بالمحافظة عليه برهة صغيرة لانهم اذا كفوا عن تحريك الآلة المتصلة بالطرف الاعلا من الانبوبة او لم يلتفتوا الي حركات حبل النجاة ربما افضي هـذا الاهمال الى هلاك الرجل المسكين

وقد يحدث ان الغواصين الذين لم تصادفهم الاخطار في قاع البحر يهملون في انتقاء مساعديهم فيعرضون بحياتهم الى الفناء والهلاك وقد روي المسيو جوستاف كوبيه في مجلة سكر بنرس مجازين الامريكية انه لما اراد الغوص في قاع البحر كلف احد البحرية السويديين بتحريك آلة الهواء وكان هذا البحري لا يفهم الانكليزية فاوقفه المسيو جوستاف على غرضه بالاشارة وافهمه العلامات التى بواسطتها يخبره بما يريد ان يفعله وقد اتبعت الى الآن وهي انه اذا حرك مرة واحدة معناه (انا نزلت الي جهة واطية جدا) واذا حرك مرتين معناه (يلزم ان انزل زيادة) واذا حرك ثلاث مرات معناه (اني في خطر شديد) واذا حرك ست مرات معناه (ارسل

لي قدوماً) واذا حرك سبعاً معناه (ارسل لى بلطة) واذا حرك تسعاً معناه (ارسل لي حبلا)

ولم يعط المسيو جوستاف علامة الخطر الامرة واحدة في حياته وهي ان الهواء كان قد انقطع عنه حتى كاد يموت مختنقاً وحيث انه كان بعيدا عن سطح الماء بعشرين مترا فقط فقد تمكن اصحابه من تخليصه في أقل من دقيقة واحدة ولو كان على مسافة ثلاثين او اربعين مترا لكان الزمن اللازم لانقاذه لا يقل عن دقيقة ونصف او دقيقتين وهو زمن كان يكفي لهلاكه ومن هنا يتضح ان حياة الغواص ربما توقفت على ثانية او ثانيتين

ولما افاق المسيو جوستاف كوبيه من غشيته عقب هذه الحادثة اراد ان يبحث عن السبب الذي كاد يودي بحياته فعلم بعد البحث الدقيق ان بعضاً من صغار الاطفال كانوا اثناء وجوده في قاع البحر يلقون داخل الانبوبة الهوائية كرات من الورق فانسدت مسالك الهواء وحصل ما حصل مما كان نتيجته عدم وصول الهواء اليه وفي ذات يوم بينما كان احد الغواصين يبحث في قاع البحر بميناء نيويورك اذ انفصلت القطعـة الزجاجية الموجودة امام عينيه ايرى من خلالها فلم يتمالك المسكين ان اعطى اشارة الخطر ولما تم اخراجه من قاع البحر اضطر اصحابه ان يستعملوا لافاقته الوسائل التي تستعمل لافاقة الغرقي على انه وقت دخول الماء في داخل الخودة لم يكن الا على عمق ١٥ مترا من سطح البحر وعلم من الاحصائيات انه لاينجو من الخطر في قاع البحر الا واحد من عشرة من الغواصين الذين يبادرون باعطاء علامة الخطر وقد يكون الخطر في بعض الاحيان خفيفاً فانه حدث لاحد رفقاء المسيو جوستاف ان اعطى علامة الخطر فلما تم انقاذه وجد سليما غير انه

لم يتخلص من الفزع الذي اثر عليه عند حدوث الحادثة الا بعد زمان طويل

وكتب احد الغواصين مقالة في الجريدة السالفة الذكر قال فيها انه رأى خيالا كالعفريت تحت الماء ولكنه رجع عن الاعتقاد في هذه الخرافة بقوله انه دخل ذات يوم في سفينة وتوجه الى القاعة التي توجد في مؤخرها فبينما هو سائر فيها رأى خيالا مقبلا عليه فظنه عفريتاً غير ان لم يلبث قليلا حتى وثق بان هذا الخيال هو نفس جسمه منعكساً في مرآة تلك القاعة

وكثيرا ما رأى المسيو كوبيه الاهوال في داخل البحر فانه بينما كان يغوص مرة اذ رأى امام عينيه مباشرة انوارا فوسفورية علم انها عينا سمكة من الاسماك الكبيرة ولم تمض عدة ثوان حتى تحولت هذه السمكة عنه قليلا وضربته بذيلها ضربة القته على مسافة خمسة امتار من موقفه الاول على انه لم يحدث للرجل ضرر من السقطة لان الماء يسهل على الساقط صدمة السقوط · والاسماك الكبيرة لاتميل عادة الى الهجوم على الغواصين لانها ربما كانت تظن انهم نوع من انواع الاسماك الاخرى وكثير من هذه الحيوانات يقدر على ابتلاع اي شخص من بني الانسان ولكنه يخشى هذا العمل مادام يرى الغواص واضعاً على رأسه خوذة ذات منظر مخيف وان هذه الخوذة متصلة بانبوبة منتهية الى سطح البحر وقد يكون الصوت الشديد الناشيء عن مرور الهواء من الصمام الموجود في اعلا الخوذة من الدواعي التي تلزم الاسماك الكبيرة بالفرار من الغواصين ويفضل المسيو جوستاف اثناء الغوص مقابلة الاسماك الكبيرة على مقابلة جثث الذين ماتوا بسبب الغرق وقد روي ان سفينة اسمها برونكس كانت غرقت على مقربة من نيويورك فلما غاص للبحث والتفتيش فيها كالمعتاد ووصل الى قاعة الآلة البخارية وجد المهندس

الميكانيكي جالساً على كرسي وهو جثة لاحراك لهـا فأخذه من هذا المنظر المريع فزع لا يوصف ولا ريب في ان مثل هذه المناظر الهائلة من شأنها ان تلقى الفزع والخوف في قلوب اناس غير واثقين بعودتهم الي الحياة ولذا كان همّ الغواصين الذين يبذلون الجهد في استخراج محمولات السفن الغريقة هو البحث عن جثث النوتية الغرقى حتي لايصادفوها في كل خطوة فيتكدر بالهم وقد يحدث للبعض منهم اذا دخل في قاعات السفينة ان يصعب عليه الخروج من الجهة التى دخل منها وهنا الطامة الكبرى خصوصاً اذا اشتبك حبل النجاة او الانبوبة في سارية السفينة . نعم قد يتأتي ان الغواص يقطع الحبل والانبوبة في امل ان يدلى له الملاحظون غيرهما ولكن يستحيل عليه ان يفعل ذلك وهو يعلم ان عدم وصول الهواء اليه مدة صغيرة يكون من البواعث القاضية على حياته

وهذه المشروعات الخطيرة قد يكتسب لاجلها الغواصون مكاسب جمة وفي سـنة ١٨٧٨ غرقت سفينة اسمها توماس روسل على الشاطئ الجنوبي الغربي من افريقية فنيط بالمسيو جوستاف كوبيه استخراج مبلغ مائتي الف فرنك كان بالسفينة فسافر من مدينة نيويورك ومعه ستة من رفاقه فبعد مضي شهر بتمامة توفي ثلاثة منهم وكانوا قد تمكنوا من الاستحصال على المبلغ وقد نال المسيو جوستاف عشرين الفاً منها

وقد عثرغواص آخر اسمه سدني كوك على مبلغ قدره ٢٠٠ الف فرنك ذهباً كانت موجودة بسفينة اسمها جولدنجات غرقت على سواحل البحر الهادىء وقد تألفت شركة في لوندره لاستخراج ما بها ولكن لم تنجح فضلا عن انها خسرت خسائر جمة فتكونت شركة برئاسة ذلك الرجل فكان

من حظها انها عثرت على المبلغ

ولسنا في حاجة الى البرهان علي ان صناعة الغوص لا تنتج على الدوام ارباحاً جمة فان شركة الغواصين التى تألفت لاستخراج محتويات السفينة اسحاق نوتن بعد ان اشتغلت اكثر من شهر اصاب رئيسها من الارباح ١٥ فرنكا واصاب كل واحد من رفقائه ثلاثة فرنكات و ٧٥ سنتيما وقد عرقت سفينة اسمها هوسار بالقرب من مدينة نيويورك في سنة ١٧٨٠ أي منذ ١٣٥ سنة وذلك أيام حرب الاستقلال وكان بهذه السفينة مبلغ جسيم مخصص لماهيات الجيوش البريطانية التى كانت تحارب بدون ادنى نجاح جيوش روشنتر ولافاييت وواشنطن وقد عثر المسيو جوستاف أخيرا على مرساة هذه السفينة اما المبلغ وهو خمسة ملايين من الفرنكات فلا يزال بها

وقد تعود الغواصون على المعيشة تحت المياه حتى انه كثيرا ما كان يعرض عليهم ان يتركوا العمل مدة من الزمن للبحث عن الراحة وللمزاح مع بعضهم وقد يحدث ان البعض منهم ينامون طلباً للراحة

﴿ بحث في لغة القرود (١) ﴾

القي الاستاذ جارنر الشهير خطبة في لونده شرح فيها اعماله ومباحثه التي قام بها في وسط افريقية للوقوف على لغة القرود واخلاقها وعاداتها

وقد ارتكن في مذهبه الذي قطع فيه بوجود لغة للقرود على ما ابداه

(١) بقلم صاحب المجموعة

ارسطاطاليس ودورين من ضرورة وجود لغة لهذه الحيوانات مرتكنين على ان اعضاءها شبيهة باعضاء الانسان وانه لما كان الحيوان كالانسان فيه شيء من الشعور والتمييز ففي سعته ان يعبر عن انفعالاته الناشئة عن هذين الامرين وقد استند الاستاذ جارنر على هذا المبدأ وقضى نحو ١٢ سنة يراقب حركات القرود ويصغي الى اصواتها وهي محبوسة امامه في الاقفاص

ولما انقضى كل ذلك الوقت ولم ير نتيجة من ابحاثهِ عول على مراقبة القرود في معاهدها المعهودة ومقراتها التي يكثر فيها عددها · ويذكر القراء ما اوردناه من انه توجه الى افريقية ومعه قفص من الحديد وآلة لنقل الاصوات ومكث هناك مدة طويلة جمع فيها بعض شوارد من بحثه كانت موضوع الكلام في الخطبة التي نحن بصدد الكلام عليها

وملخص هذه الخطبة هو انه امضى في افريقية تسعة اشهر وبرفقته قردان سمي احدهما موسى والآخر هارون تمكن من توطيد علائق المودة والمحبة بينه وبينهما وانه من كثرة اختلاطه بهما وادمانه على الجلوس معهما قد خطر على باله انه تجرد عن الانسانية وصار قردا كرفيقيه ويظهر من كلامه انه غير واثق من توفر الخلال الحميدة والاخلاق الكريمة في القرود وقد شرح ذلك في جزء من خطبته اتبعه بقوله « ولا لوم في ذلك على القرد فكثير من بني الانسان نراهم قد تجردوا عن صفات الكمال والادب »

وكان يرافق الاستاذ جارنر طفل صغير من ابناء الجهة التي امضى التسعة أشهر بها وكان لا يفهم كلامه بدرجة عدم فهمه لكلام القرود ولكنه لاحظ ان هذا الطفل قد تمكن اكثر منه من فهم ما يدور بين القردين من الكلام واستنتج من ذلك وجود الاتصال والقرابة الشديدة بين لغة السودانيين ولغة

القرود وقد ادعى الاستاذ جارنر انه توصل بواسطة الفونوغراف من نقل بعض كلمات القرود المتداولة الاستعمال بين الكائنات الحية ككلمات خبز · ماء · نار الى غير ذلك ومن ايصالها الى اسماع القرود بحيث تفهم هذه الحيوانات المقصود بالذات من هذه الاصوات

ومن كلامه «لا ريب في ان القرود تتكلم وتحسب ولها الفاظ مخصوصة للاعراب عن رغباتها ولاظهار التاثر والانفعال من مؤثر طرأ عليها وربما كان الصوت او الكلمة تفيد معنى جملة اشياء مختلفة على شرط أن يكون بين بعضها تناسب في المدلول ولا شك في انها لا تستطيع تركيب جملة با كملها لان خواص الكلام غير متوفرة فيها وربما توفرت مع توالي الاعوام والسنين»

وقد حاول المستر جارنر تقليد صوت القرد غير ان السرعة اللازمة لذلك لم تمكنه من الوصول الى هذه الغاية وهذا هو السر في أخذه آلة الفونوغراف معه ليتسنى له مكالمة القرود بواسطتها وذكر ان القرد موسى كان ينفذ بالدقة اوامره ثم يأتي ليطلب منه المكافأة على ذلك · وافتخر المستر جارنر بانه الوحيد من الاوروبيين الذي رأى كثيرا من القرود على اختلاف انواعها وقال ان الاهالي السودانيين اوصوه ان يطلي وجهه بلون اسود لكيلا تنفر القرود منه ولكنه لم يفعل ذلك لقلة الماء اللازم لعمل الطلاء وقال ايضاً ان قردة انثى « lady » gorille مرت امامه مرة مقتفية اثر كلب كان القى اليه قطعة من اللحم ليأكلها فلم يتمكن من الحادثة معها الا انها لما رأته ظهرت عليها علائم الاندهاش والاستغراب وداخلها الخجل من منظر شخص ابيض لم تتعود على نظر مثله ولم تستطع الكلام · وختم المستر جارنر خطبته بقوله انه عزم على العودة مرة ثانية الى افريقية ليحضر منها جملة من القرود

ويبرهن على صحة زعمه بالعمل والفعل لا بالقول والتخمين

وروى حادثة غريبة لانظن انها صادفت اعتقاد سامعيها لخروجها عن حد التصور والعقل وهي انه اكتشف بحيرة بالجهات التي نزل بها لمراقبة حوادث القرود فرأى فيها مركباً فوقها رجلان ابيضا اللون تطوف بهم المركب في كل ناحية من نواحي البحيرة بدون ان تمس الشاطئ ولم يذكر المستر جارنر ما يستدل منه على ما اذا كانت القرود اسرته هذا الامر فتوهم انه رآه او انه قال ذلك على سبيل الفكاهة والمزاح

﴿ لغة الداهوميين (١) ﴾

داهومي هي احدى الممالك السودانية الكائنة في غرب افريقية ومالكها يسمى بهانزين وهو الذي يتحارب معه الفرنسويون منذ شهرين بقيادة الجنرال دودس حتي استولوا على عاصمة بلاده والقوا القبض عليه كما افادت بذلك الرسائل البرقية

وقد عثرنا في احدى الجرائد السياسية الاوروبية على فصـل في لغة الداهوميين آثرنا تلخيصه للقراء لما فيه من الفوائد فنقول اذا تقابل داهومي مع آخر في الطريق أو زاره في منزله وأراد السلام عليه قال له بالتتابع (أوكو) أي نهارك سعيد (أوكوديا) أي نهارك سعيد جدا (أوكوديا فواندبيا) أي نهارك اسعد ثم تقدم اليه وقبض على يده اليمنى وعركها بين يديه فاذا انتهى من ذلك اخذ يقصع اصابعه بحيث يسمع لها صوت كصوت قشر الجوز

(١) بقلم صاحب المجموعة

اذا تكسر وهو شرط ضروري لا بد من القيام بوفائه قبل الدخول في ميدان المحادثة ومن عادة الداهوميين ان يميلوا في محادثتهم الى التطويل والاسهاب ويعتبرون ذلك من البلاغة والفصاحة واللغة الصحيحة عندهم الخالية من شوائب الكلمات الغريبة تسمي جيجي ولا يتكلم بها الا اصحاب المراتب السنية والاقدار الرفيعة في المملكة واما من دونهم من ارباب الطبقات الدنيئة فيتكلمون باللغة الداهومية العمومية مخلطة بكلمات اخرى من لغات الامم المجاورة وللامة الداهومية اجتماع سنوى بمدينة ابومى عاصمة بلادها يقوم فيه نبهاء افرادها واصحاب الغيرة الوطنية والحمية الملية منهم بتعداد مآثر ملكهم واظهار ما لبلادهم من الرفعة والسمو على جميع البلدان الاخري

وقد لاحظ احد الرحالين ممن عاينوا هذه الاحتفالات ان اغلب الفاظ الداهومية « ونريد بها هنا لغة جيجى التي تتكلم بها الطبقة الرفيعة » تنتهي بحرف متحرك يزيدها عذوبة ورقة في اذن السامع ولم يتمكن المبعوثون وغيرهم من الوقوف على حقيقة هذه اللغة كتمكنهم من معرفة لغة « ناجو » احدي اللغات التي يتكلم بها الداهوميون فانهم يتخاطبون بهذه اللغة كانها لغة وطنهم وقد وضعوا لها حروفاً ودونوا فيها كتباً حتي ان المسيو « دافيزاك » تمكن بواسطة هذه الكتب من معرفة اللغة الناجوية وهو لم يخرج من بلاد فرانسا وزعم المسيو « دابيكا » احد ضباط الجيش الفرنسوي في داهومي الآن أن اغلب اصوات اللغة المسماة جيجي حلقية جافية وهو زعم لم يؤيده البرهان فضلا عن انه قد ثبت لدى الباحثين في لغات الامم وعاداتهم ان لا اثر للاصوات الانفية او الحلقية في الفاظ اللغة الجيجية وان هذه الاصوات توجد حقيقة في لغات الاقوام القاطنة غربي نهر « فلطا » وشمالي

نهر (نيجر) بالبلاد الخاضعة للعرب

وتمتاز لغة جيجي التي نحن بصددها عن باقي اللغات الاخرى باللين والعذوبة والسلاسة كما قلنا فاذا ترنم احد الداهوميين باغنية امامك ظهر لك من صوته اثر الشكوى والتضرع ولا يكاد الباحث المنتقد يفقه لاصواتهم في حالتي الرضا والغضب فرقاً ابداً بمعني انه اذا اغتاظ احدهم من آخر واراد البطش به فأخذ بمكبته ويعنفه اولا فانه يتعذر على السامع ان يحكم بان المتكلم في ثورة الغضب وذلك انما هو لتناهي الصوت في الرقة والالفاظ في السلاسة والانعطاف ومن يتأمل في اسباب ذلك يجد انها انما لخلو الالفاظ من الاصوات الحلقية

واما اصوات الامازونات وهن نساؤهم اللواتى يخرجن الي الحروب والقتال فهي ابحة وتشبه صوت الغلمان الذين يناهزون البلوغ وسبب ذلك هو انهما كهن على شرب التبغ عقب رقصهن مدة طويلة يسيل فيها عرقهن كالسيل على اجسامهن ويتكلم بلغة جيجي في داهومي اكثر من ٣٠٠ الف نفس

ومن الغريب ان الداهوميين اميون لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ولذا تراهم في مخاطباتهم مع الامم الاخري يضطرون الي الاستعانة بمن يعرف اللغة العربية وهم كثيرون اخذوا بالانتشار في جميع انحاء الداهومي ويمكن تمثيل اللغة الجيجية بالكتابة كما تخرج من اللسان الناطق بالفاظها وهم لا يعرفون التذكير ولا التأنيث في الاسماء فرجل معناه في لغتهم (سونو) وامرأة (نيونو) و بنت (فنيونو) ورئيس (جان) واذا ارادوا جمع رجل قالوا (سونوليه) او جمع امرأة قالوا (نيونوليه) فالجمع عندهم هو زيادة لفظ (ليه) في آخر الجموع والصفة لاتتغير عندهم مهما كان نوع الكلمة التي اسندت اليها

فرجل جميل معناه عندهم (سونو انيوديبه) كما ان امراة جميلة معناها (نيونو انيوديبيه) ايضاً بدون ان يطرأ تغيير على الصفة المسندة الى المؤنث والافعال عندهم ماض ومضارع للحال والاستقبال وامر ومصدر

وليس للداهوميين مكاييل ولا نقود وانما عملتهم هي المحارات البحرية التي يستجلبونها من سواحل موزنبيق ويسمونها كوري وأخر الاعداد عندهم هو كيس واحد يحتوي على عشرين ألف كوري والارقام البسيطة عندهم أسماء خاصة وهي من ابتداء الواحد · دي · هو · أتون · اينيه · أتون بتشديد التاء · ايزن · طنهوي · طنطون · هو هو يو · وعشرون · كو · ومعنى لفظة جواهر عندهم (نوهوا كوي) ولفظة فطور زنزنودورو وزوج آسو وزوجه آسي وشره مينودونوترالا وجرنال هويداداهوداهو هذا وفي نية المسيو دافيزاك عقب انتهاء الحرب الجارية الآن بين فرنسا والداهوميين أن يذهب لاستقصاء اللغة الداهومية والوقوف على احوالها ليضع فيها كتاباً يبرز به مكنونات أسرار هذه اللغة

﴿ لغة الدجاج (١) ﴾

قد كان المجد الذي نال المستر جارنر الباحث في لغة القرود من البواعث التي دفعت المستر اسجر همريك الى البحث في لغة الدجاج لكي يصيب من المجد والفخار قسطاً مثل الذي اصاب ذلك الباحث الذى اوردنا اسمه اكثر من مرة في الآداب ولحد الآن لم تأت ابحاث المستر اسجر

(١) بقلم صاحب المجموعة

بنتيجة قطعية غير انها تستحق التشجيع والتعضيد لاسيما وان القيام بهذه الابحاث لايستلزم عناء مثل الذي تكبده المسترجارنر بالسفر الى غابات افريقية والاقامة بها مدة اشهر متواترة في قفص من الحديد بغية المحادثة مع القرود الذين لايميلون الى معاشرة من لم يعرفوه من قبل ولا ريب في ان المستر اسجر باستكشافه لغة الدجاج يؤدي خدمة جليلة لاهل القرى وسكان المدائن لانه يكون قد اوجد لهم وسيلة من وسائل ازالة الاتراح وهي معرفة مايجري من المحادثات بين افراد عالم الحيوانات المنزلية · ولسنا نقول ان الجيل الحاضر هو الذي سيتمتع باستطلاع اخبار الدجاج وتبادل الافكار معها بل لابد لتعيين لغة هذه الحيوانات من زمن طويل وربما جاء منتهاه معاصرا للجيل الآتي من ابنائنا · على ان هذا لايمنعنا من ايراد ما وصل اليه المستر اسجر بالبحث والتنقيب فنقول حينما شرع المستر اسجر في البحث عن لغة الدجاج ابتدأ يقلد حركاتها ومشيتها وشكل وقوفها فكان يثب مثل وثبها ويعطف دماغه كما تفعل ثم يلفته الى جهة أخرى فجأة ويضرب الارض مرة برجله اليسرى وثلاث مرات باليمنى كما تفعل هي ايضاً وبعد ان اتقن هذه الحركات اتقاناً لايجاريه فيه أحد من الذين اتخذوا تقليد اعمال الحيوانات حرفة لهم أخذ يقلد صياح الديكة فلاحظ بعد البحث الطويل انه لايوجد في كل مائة من الديكة ديكان يكون صياحهما متشابهاً بل ان لكل ديك صياحاً خاصاً به وقد قلد اصوات جملة منها وبالغ في التقليد حتى يكاد يظن السامع اصوته انه صوت ديك لاصوت انسان وكثيرا مادخل في القاعة التي اعدها لوضع الدجاج واخذ يصيح صياح الديكة ويقلد حركاتها فكان يراها تقصده من جميع الجهات

وقد شرع المستر اسجر في تعليم الدجاج اللغة الانكليزية فبدأ بتعليمها الحروف المتحركة ثم انتخب خمس دجاجات سماها بالتتابع بت بيت بويت بايت بوت وحاول بعد ذلك تعويدها على اجابته فاذا نادى احداها وهي بت جاءت مسرعة وخلفها بيت وبويت وبايت او نادى احدى هاته حضر الباقيات معها اما بوت فلم تنتقل من محلها الا اذا دعيت باسمها الخاص بها ولذا فانه كان كلما يدعوها اليه المستر اسجر تأتي مسرعة كما يفعل التلميذ الذي يستدعيه الاستاذ ليمنحه مكافأة على معرفته حروف الابجدية وقد استنتج المستر اسجر من هذه التجربة ان الدجاج لا يميز الحروف المتحركة التي تدخل في تركيب كلمات بت وبيت وبويت وبايت بخلاف الحرف المتحرك الداخل في كلمة بوت فانه يؤثر على سمعها بنوع خاص ونحن لا نقبل هذه الاستنتاجات الا موقتاً لان الحروف المتحركة قل ان تخرج من حلق الانكليزية وهي ممتازة عن بعضها بالتمييز الذي وضعته لها اللغة

وبناء على ذلك فلا تصح الثقة بمدعيات المستر اسجر الا اذا قام غيره بتجارب جديدة على الدجاج وعلى شريطة ان يكون ممن ينطقون في لغتهم بالحروف المتحركة بكيفية واضحة لا ادغام ولا تعقيد فيها

ويقول المستر اسجر ان صياح الدجاج والديكة يمكن في المستقبل من معرفة الغرض الذي تشير اليه وقد لاحظ انها اذا كانت منفردة تميل في النادر الى الصياح واذا كانت مجتمعة كثر صياحها وظهرت عليها علائم الاقدام والشجاعة

✻ القريحة والمرأة (١) ✻

ذكر العالم الفسيولوجي الايطالي قيصر لمبروزو الذي اشتهر بتجاربه العلمية في الآفاق انه لاجل تمييز الفرق بين « القريحة » و « العلم » بالشيء او معرفته يكفي التأمل في النساء فان الباحث يجد من بينهن من هن على معرفة أكيدة وعلم متين بامر او عدة امور ولكن لايجد واحدة منهن ذات قريحة الا في النادر والنادر لاحكم له

وقد اختلف العلماء في اسباب ذلك فمنهم من يذهب الى ان تجرد المرأة من القريحة وقوة الاختراع هو لتأثير الظروف الاجتماعية عليها ومنهم من يقول انه بسبب الجهالة التي تمرغت فيها منذ صغرها والعوائق التي قامت لها في طريقها و يقول العالم لمبروزو ان حرمان المرأة من القريحة ليس لانحطاطها انحطاطاً طبيعياً عن الرجل ولا لجهلها اذ ليست النساء كلهن جاهلات وفي الواقع فان من قرأ تواريخ الامم يعلم ان نساء الطبقة العليا من اهل فرنسا كن يتلقين العلوم مع الرجال و يحضرن على اكابر العلماء مثل لافوازييه الملقب برب الكيمياء و كوفييه العالم الطبيعي الشهير و يعلم ايضاً ان نساء العرب في القرون الوسطى بالاندلس والممالك الاسلامية كن نابغات في العلوم والفنون حتى ان كثيرا من علماء الاسلام المشار اليهم بالبنان تلقوا عليهن علوم الآداب والشرع الشريف وتحصلوا منهن على الاجازات الدالة على براعتهم ومع كل ذلك فلم تشتهر واحدة منهن بالقريحة وقوة الاختراع مهما نبغت في العلوم واحاطت باطراف المنطوق منها والمفهوم وهذه الحقيقة واضحة اليوم

(١) بقلم صاحب المجموعة

من انكباب النساء على الدرس والمطالعة عن ذي قبل كما لم يناقضها التاريخ بالنسبة للنساء اللاتي اشتهرن بالنبوغ والاحاطة في القرون السالفة ومن اقرب البراهين على ذلك اننا اذا نظرنا الى نساء الافرنج ورجالهم نجد ان نسبة اللاعبين على البيانو من هؤلاء قل ان تبلغ العشر من نسبة اللاعبات عليه وبالرغم عن زيادة هذه النسبة زيادة عظمى فاننا لم نر من بين النساء من اشتهرن لحد الآن بالنبوغ في الضرب على البيانو واختراع الادوار الجديدة والتوقيعات الملائمة للاذواق في حين ان الرجال ولا يبلغ عدد اللاعبين منهم على آلة البيانو سوى العشر من عدد اللاعبات كما قلنا قد نبغ منهم العدد الكثير ولا تكاد توجد كراسة تحتوي على دور موسيقي جديد الا ويكون من اختراعهم وابتكارهم

وهكذا الحال في امريكا الشمالية حيث يفوق عدد النساء المصورات عدد الرجال المصورين بكثير وقد بلغ من نلن من النساء شهادة الدكتورية في فن التصوير لهذا الزمن ٣٠٠٠ امرأة واما فرنسا فقد دلت احصائياتها على انه كان يوجد بها في سنة ١٨٨٩ نحو مائة الف نفس يتعاطون التعليم في المدارس نصفهم من النساء والآخر من الرجال واذا ذكرت لنا المدام نوالوسكي وروزا بونور وكاتاني وغيرهن ممن رسخت اقدامهن في ميدان العلوم والفنون فنقول ان النادر لاحكم له على ان من منهن وهب الطب اكتشافاً جديدا او التصوير اختراعاً حديثاً او التعليم اسلوباً سهلا مقرباً

ودلت المعاينة والمشاهدة ان الانثى في الحيوانات الفقرية على العموم تكون اقل بدرجات من الذكر من حيث العقل والادراك وان كل جميل ومستحسن اول مايبدو من الذكور · تأمل في عالم الطيور المغردة تجد ان

التغريد هو حظ ذكورها لا اناثها وقد لاحظ دروين الفيلسوف الشهير ان ميل ذكور القرود الى الموسيقى اكثر من ميل الاناث اليها وانظر الى عالم الحشرات كالنمل والنحل يتأكد لديك ان انثى النحل لا ترتقي ولا تصير يعسوباً الا اذا صارت ذكرا

على ان هذه الامثلة لا ترتبط الا ارتباطا واهياً بما حاول المعلم لمبروزو اثباته وتأييده من انحطاط المرأة عن الرجل فانه فسر هذا الانحطاط بانحطاطها في الادراك والفهم وان السبب في حرمانها من نعمة القريحة هو ان القريحة تميل بصاحبها الى الاختراع والايجاد والتعشق في كل حديث وهذا لا يلائم المرأة التي عرفت بالمحافظة على التقاليد القديمة والتمسك بالاعتقادات والعادات السالفة وقال سبنسر ان المرأة قليلا ما تنتقد على الامور الجارية وتهتم بها بل كل اهتمامها موجه الى ما تميل اليه وهو الاشياء القديمة فاذا تعلقت بالسياسة كانت من الاحزاب المحافظة واذا خيرت بين امرين فضلت القديم منهما على الحديث وكل هذا مما يدل على عدم دقة شعورها واحساسها وقلة نشاط عقلها ومع ذلك فقد شرفتها الطبيعة واعلت شأنها لشرف وعلو الوظيفة القائمة هي بها الا وهي وظيفة الامومة والتمست لها عذرا لان هذه الوظيفة تستغرق نشاط المرأة وقواها المادية والادبية معاً فالامومة حينئذٍ هي المبدأ الاول والقاعدة الاساسية التي تقوم عليها احوال المرأة جسما عقلا

وقال المسيو لمبروزو في كتابه (قريحة الانسان) اذا اريد الوقوف على اسباب انحطاط المرأة وقلة احساسها فلا بد من البحث اولا في اسرار وظيفة الامومة القائمة هي بها اذ ان المرأة مضطرة لحفظ النوع ان تصرف كثيرا من مجهودها الحيوي في حين ان الرجل لا يصرف شيئاً من قواه

العضلية والعصبية ولذا فاقها في متانة العقل والجسم

يؤخذ مما سلف جميعه ان القريحة اي ملكة الايجاد والاختراع تصادف في النادر عند النساء واذا صودفت فانها تكون اقل من قريحة الرجل بكثير نعم ان كثيرا من النساء الشرقيات والغربيات قد امتزن بسمو الادراك وارتقاء الفهم مثل زينب الملقبة بسيدة الفقهاء وهي التي تلقى الفقه عليها الزمخشري وغيره من الائمة والسيدة نفيسة المحدثة وشهدة ومزنة الناظمة الناثرة وعائشة القرطبية وصفية الشاعرة ولبنى كاتمة اسرار الخليفة عبد الرحمن الاموى ومريم الاشبيلية الشاعرة التى طوت المسكونة شرقاً وغرباً وغيرهن من نساء الاسلام وماري سومرفيل العالمة بالطبيعيات والمدام اليوت ومدام جورج سند ومدام دوستائل في التحرير والتحبير ومدام روزا بونور ومدام لبران في الفنون ومدام آدم في السياسة (وهي من المعاصرات ولها كتابات عديدة في المسئلة المصرية بالنوفل رفو اي المجلة الجديدة) وغيرهن من الغربيات ولكنهن لم يبلغن شأو الزمخشري او البخاري او المتنبي او ابن بطوطة او غليلة او نوتن او شكسبير او اسكندر دوماس

وقد اورد بعض الباحثين كلاماً يفهم من مغزاه ان للنساء قدرة على شؤن المملكة والقيام بمهامها خير قيام واستشهد على صحة مدعاه بالملكة بلكيري امبراطورة الشرق في القرن الخامس من الميلاد وماري دي ميديسى ملكة فرنسا في القرن السابع عشر وماری تیریز ملكة المانيا والمجر في القرن الماضي وقال ان من اطلع على تاريخ البلاد الهندية لم يجد عصرا اشتهر فيه اهل هذه البلاد باحترام القانون والخضوع الى المراسيم وكان الامر والنهى فيه لامرأة وسبب ذلك واضح للمتأمل فان قوام الحكومة وانتظامها

وخضوع الرعية لحكامها لا يتوقف على القريحة بل على الدهاء والمكر وحسن السبك وهي خصال توفرت في النساء وقامت عندهن مقام القريحة عند الرجل · على ان عدد النساء اللواتي استطعن تدبير شؤون الحكومات قليل بالنسبة لعدد الرجال الذين قبضوا على ازمة الاحكام وفضلا عن ذلك فان أكثرهن في هذا العصر قائمات بامر الحكومة اسما لا فعلا ولولا الوزراء لما استطعن تدبيرا

وقال المسيو جنكور « لا امرأة ذات قريحة فاذا عرضت لها القريحة تكون رجلا » وقد رأى العالم لمبروزو ان هذا القول حق فاستند عليه في تأييد زعمه وتوطيد مذهبه فقال ان توفر شيء من القريحة في المرأة يصادف شذوذا في تركيب خلقتها يكاد ينطبق على شكل الرجل واستطرد الى ذكر النساء الشهيرات اللواتي نبغن في فرع من العلوم والآداب فقال ما من واحدة منهن الا وتبدو علامات الذكور في افعالها واقوالها وحركاتها وشكل خلقتها ومن الشواهد على ذلك ان تلزيل شاعرة ارغوس كانت تقود الابطال والشجعان الى مواطن الحرب والطعان والمدام جورج ليوت السالفة الذكر كان وجهها كوجه الرجل اذ كانت كبيرة الدماغ غير مرتبة الشعور غليظة الانف والشفتين طويلة شعر الشارب مستطيلة الوجه كبيرة الفكين والمدام جورج سند كان صوتها كصوت الرجل تماماً وكانت تلبس ملابس الذكور فلا يعلم بحقيقتها الا من يعرفها وجميع نساء انكلترا واميركا اللاتي اشتهرن في الايام الحديثة بانهن من ذوات القرائح يشبهن الرجال اكثر مما يشبهن جنسهن اللطيف ومن الغريب ان فكهن السفلي يشبه فك الرجل بلا شك اي يكون منحنياً كانحناء السيف انظر الى المثلة التي طارصينها في آفاق

الارض وهي ساره برنار والمشخصة الشهيرة دوز (شخصتا كثيرا في ملهي الاوبرا بالقاهرة) تجد ان فكيهما على ذلك المثال وضف الى هـذا ان كتابتهن تكون ككتابة الذكور

يؤخذ مما سلف جميعه ان المرأة تليق للسياسة وتدبير الممالك لما منحته من دقة الذوق والتمييز وانها اذا اجتهدت في التعليم صارت انفع من المعلمين الذكور نعم انها محرومة من نعمة القريحة وهبة الاختراع والاستنباط وبناء عليه احط درجة من الرجل ولكنها اذا اتقنت العلم والمعرفة ساوته بل ربما سبقته وبالجملة فان ابواب الاختراع والايجاد بالنسبة لها موصدة ولكن فضاء التقليد امامها فسيح ومديد فهي تفوق الرجل فيه كما فاقها في الاختراع

❋ مخ المرأة (١) ❋

قد شرع العلماء المدققون الذين لا يميلون الى مداعبة النساء والتزلف لهن حصولا على مرضاتهن في فتح باب جديد يتوصلون منه الي البرهان على انحطاط المرأة عن الرجل انحطاطاً كلياً من جميع الوجوه وذهب فريق منهم الى اعتقاد ان الله ضرب على النساء نقصان العقل وقلة الادراك بحيث مهما كدت وكدحت في تحصيل العلوم والمعارف فلن تبلغ شأو الرجل ودرجته فيها وادعي فريق آخر انه كلما ازدادت المرأة تقدماً ازداد وزن مخها بحيث اذا دأبت على الاجتهاد عادل مخ الرجل فصارت المرأة مثله في قوة الادراك (قوة الادراك بالسنتمتر المكعب) كان وزن مخ كوفييه العالم الطبيعي

(١) بقلم صاحب المجموعة

المشهور ١٨٦١ جراماً ووزن مخ اللورد بيرون الشاعر الانكليزي الطائر الصيت ١٨٠٧ جرامات وقد حاول العلماء بناء على ان وزني ذينك المخين يجاوزان الوزن المتوسط للمخ بمقدار ٢٥٠ او ٣٠٠ جرام ان يقيسوا الادراك والنباهة بالسنتمتر المكعب ولكن هذه العملية لا تصح الا بعد الوفاة ولو امكن اختراع آلة له يعرف بها وزن مخ الانسان وهو على قيد الحياة لانبت حبل الاشكال وزال الشك والارتياب وسواء كان الوزن قبل الوفاة او بعدها فلا بد ان يقل وزن مخ المرأة عن وزن مخ الرجل بكثير خصوصاً كلما كانت المرأة من الطبقات العالية في الهيئة الاجتماعية وقد تبين بالتجربة والمعاينة ان المرأة من الطبقة السفلى في اهالى الهند تكاد تعادل زوجها في درجة العقل لان حجمى مخيهما يختلفان عن بعضهما بمقدار ٨١ سنتمترا مكعباً في حين ان الفرق بين حجمى مخي الباريزي والباريزية العريقين في المدنية والرفه هو ٢٢٢ سنتمترا مكعباً ويتوسط بين هذين الفريقين النهائيين الاستراليون وقدماء المصريين والصينيون والايطاليون . ويستنتج من هذا انه كلما ازدادت الامة عراقة في التمدن كلما ازداد دماغ الرجل منها حجماً ووزناً ونقص دماغ المرأة

(الفيلة وسمك البال) علم مما تقدم ان مخ المرأة مهما كانت الحالة اقل وزناً وحجماً من مخ الرجل وانه يجب عليها ان تعترف ايضاً بزيادة انحطاطها العقلى عن الرجل كلما كانت من أمة عريقة في التمدن ولسنا نظن انها تسلم بهذا الزعم ما دامت مسئلة الحكم على نباهة الانسان بواسطة وزن مخه قضية قابلة للاستئناف والنقض والابرام فاننا اذا نظرنا الى الفيلة او سمك البال المشهور بضخامته وكبر جثته حتى ان الواحد منه ليشبه الصخرة في وسط

اللجة نجد ان مخ كل منها اكبر حجماً واكثر وزناً من مخ كوفييه او اللورد بيرون فهل مع ذلك يستنتج ان الفيل ذو ادراك واسع وان البال ذو قريحة وقادة

وقال المسيو لدوج بخنر في مجلة (نور فيو) لا يصح في مثل هذه الظروف اعتبار الوزن المطلق فقط للمادة النخاعية بل الوزن النسبي ايضاً وبعبارة اخرى لا بد من ايجاد النسبة بين المخ وباقي الجسم ومعلوم ان وزن مخ الفيل هو ربع خمس وزنه وان وزن مخ البال هو ٣ اجزاء من ١٠٠٠ جزء من وزنه فقط فينتج من هذا ان القوي الادراكية في الفيل ارقي بكثير منها في البال وان قواهما معاً ليست بشيء يذكر في جانب القوى العظيمة للانسان الذي يعادل وزن جسمه وزن مخه ٤٠ مرة

واذا طبقت هذه القاعدة على مخ المرأة لاعترفنا بأن الرجل وان امتاز بالوزن المخي المطلق ولكن المرأة تفوقه في محافظة مخها على الوزن النسبي فهو دائماً ربع خمس جسمها . نعم من المؤكد ان مخ الرجل يزن اكثر من مخ المرأة ولكن جسم هذه متناسب معه اكثر من تناسب جسم الرجل ولا يخفى ان توفر النسبة يدل على زيادة الفهم والادراك فاذا اعتبرنا لاجل قياس ادراك ذات حيوية النسبة الموجودة بين وزني جسمه ومخه يكون الفيل اكثر ادراكا وفهماً من سمك البال والرجل اكثر ادراكا من الفيل والمرأة أكثر ادراكا من الرجل

(التماثيل اليونانية القديمة) ان البرهان السالف لا يكفي لاقناع العلماء الذين توخوا طرق الكهنة الاقدمين في اعتقاد ان ليس للمرأة روح او بالاقل تظاهروا بعدم اعتبار هذا المذهب لوضوح فساده في اعين علماء اليوم فحاولوا

اثبات انحطاط المرأة في العقل والادراك عن الرجل مستندين في براهينهم على التماثيل والانصاب اليونانية القديمة فانه مامن تمثال يمثل ذكرا او آخر يمثل انثي الا يجعل اليونانيون جبهة الاول عريضة وجبهة الثانية ضيقة جدا وقد صنع فدياس النقاش اليوناني المشهور في كتب التاريخ تمثالا للمشتري فجعل جبهته مرتفعة جدا وصنع بركستيلاس تمثالا للزهرة فجعل جبهتها على شكل مثلث قاعدته الحاجبان ورأسه مفرق الشعر كأن صناع اليونانيين منذ آلاف من السنوات قد شعروا بما سيكون من نتائج ابحاثنا العلمية في هذا العصر وفي الواقع فان جزء الجبهة من الدماغ اذا كان مخط القوى العقلية العالية فهو في الرجل اكبر منه في المرأة ويدل في الذكور على قوة التصور والاستعداد الخصوصي لمزاولة العلوم الدقيقة اما في الاناث فيدل على شدة الشعور وكثرة الخضوع للانفعالات ولذا ترى المرأه تخضع لاول تأثير يجري عليها ولكن لانراها تبدي فعلا تصوريا يناقض اميالها الطبيعية

[النوع والكمية] ان الوظائف العقلية للمخ هي اعضل مسائل النوع البشري ويظهر ان العالم جوهانس مللر احد محرري جريدة [وسترمنس مونتس هفت] ينكر وجود ارتباط وعلاقة بين عقل الانسان ووزن جسمه لانا اذا شرحنا رؤوس اشخاص امتازوا بجسامة جباههم وجماجمهم للاحظنا ان الذين يختلف وزن مخهم من ١٨٠٠ الى ١٩٠٠ جرام اي يزيد على متوسط وزن مخ النسل الاوروبي بمقدار ٥٠٠ جرام ليسوا ممن اشتهروا في حياتهم بسمو العقل والادراك في حين ان جسامة ذلك الحجم كانت تخول لهم الحق في ان يكونوا مثل كوفييه واللورد بيرون وقد شوهد من جهة اخرى ان الرجال الذين يختلف وزن مخهم من ٨٢٠ الى ٨٣٢ جراماً وكان يجب

ان يكون ادراكهم كادراك القرود لم يظهروا اثناء حياتهم ادنى اشارة تدل على وهن عقولهم وضعف ادراكهم

(عند الامتحان يكرم المرء او يهان) ويوجد امر دقيق لم تمتد اليه سيطرة العلم وهو نوع المادة النخاعية فلا بد ان المرأة قد عادلت بما منحها الله من نعمة لطف التركيب وجمال الخلقة وسرعة البداهة مامنيت به من انحطاط مخها عن مخ الرجل الذي هو مركز القوى العقلية المرتفعة ونرى ان الاوفق لقياس ادراك الانسان وعقله ليس وزن مخه او اجراء اي عمل من هذا القبيل بل النظر الى ثمرات اعماله فانما المرء بها وعند الامتحان يكرم او يهان

وقد اتضح ان في مدارس الولايات المتحدة المختلطة اي التي يتعلم فيها البنون والبنات في آن واحد لا يفوق الذكور الاناث ولا الاناث الذكور الا بالنسبة المعلومة وربما كان الاناث اصبر على تلقي العلوم من الذكور لان الذي يهم هؤلاء هو فقط تعلم المعارف الابتدائية وشيء من مسك الدفاتر للاستخدام عند التجار ومن الدلائل القوية على مهارة النساء وحذقهن انهن اقمن في معرض شيكاغو قصرا ضخما بدون ان يشترك معهن احد من الذكور

النساء الجميلات (١)

ان الجمال في اعتبار اليابانيين غيره في اعتبار الاروبيين وباقي الامم الشرقية فبينما الانكليز مثلا يرون الجمال في شقرة الشعور واحمرار الوجه يراه اليابانيون في نقيض ذلك وسبب نفورهم من هذا اللون هو اعتقادهم أن

(١) بقلم صاحب المجموعة

شعر الشياطين والابالسة يكون مائلا الى الاحمرار وهم يمثلون صورهم بهذا اللون في الاوراق ويجعلونها بين أيدى اطفالهم فيشبون على هذا الاعتقاد وبناء عليه فاذا نزلت انكليزية او فرنسوية شقراء الشعر بمدينة طوكيو او مدينة يوكوهاما فلا ريب في انها لا تصادف من شبان هاتين المدينتين المتظرفين اقبالا عليها او ميلا نحوها بل تعتبر انها من بنات عم ابليس او غيره من المردة والشياطين واما اذا كانت شعورها سوداء اللون فمجرد بياض بشرتها يكفي لايجاد ذلك التأثير نفسه عند اليابانيين لان صفاء الاديم عندهم من الاشارات الدالة على ضعف البنية وخضوعها للامراض المضنية

وروت احدي النساء الاروبيات ممن درسن احوال البلاد اليابانية ان جمال المرأة في هذه البلاد صنعة تكتسب منها العيش الكفاف وتحصل بواسطتها على احترام الجمهور لها وليس ذلك بمثل ما تستعمله الافرنكيات من البروز فوق مراسح الرقص والملاهي العمومية او بتلبيتها الدعوة من قبل شبان تعاقدوا على احياء ليلتهم بالانس والحبور وانشراح الصدور ومن عادة النساء اللاتي من هذا القبيل انهن اذا دخلن في الاماكن التى أعدت لتكون معهدا للفرح في تلك الليلة يقمن بواجبات التحية والاحترام للحاضرين كالعادة المتبعة ثم يتناولن آلات الطرب ويوقعن عليها الاغاني الحبية والاناشيد الوطنية

وبعد انتهاء دور الغناء والعزف على الآلات تبرحن مجالسهن وتمتزجن مع المدعوين للمحادثة معهم وقص النوادر والحكايات على اسماعهم وقد يحدث ان شاباً يوجه اليها نكتة على طريق المزاح فاذا أجابته بجواب مسكت او بجملة تدل على دقة فكرها تناقلت كلامها الالسنة واشير اليها

بينان الامتياز والفوقان على صويحباتها والعادة المستحكمة تقضى على العامل الفقير او ذي الحاجة ان يدخل بنته اذا كانت جميلة الوجـه معتدلة القوام دقيقة الادراك في هذه الحرفة منذ السابعة من عمرها ولذا تجد اغلب تلك النساء على جانب عظيم من الجمال والعقل واما اذا كان والد البنت التي توفرت فيها هذه الصفات من ذوى السعة واليسار فهو يشترك مع والدتها في تعليمها اساليب العيافه وكيفية التبسم ووضع اليدين قائمة او قاعدة والنظر الى الغير فاذا تدربت على هذه الامور احضر اليها استاذ يعلمها الموسيقي والغناء والرقص والتمثيل بالايماء والمرأة التى تبرع في هذه الفروع تسمى عندهم (غيشا) ولا بد لها لاجل حصولها على هذا اللقب ان تكون واقفة على اقوال شعراء اليابانيين وقادرة على النظم ارتجالا اذا اقتضت بذلك ظروف الاحوال وفي هذه الحرفة التي تستلزم معارف كثيرة ومبلغاً جسيما من التعب والنصب ما يقضي على القائمات بها بالدخول يومياً في حمامات خصوصية ليدلك اجسادهن شيوخ من العميان والاعتقاد ثابت بان هذه الطريقة هي الواقية للجسد من عواقب التعب والنصب الناشئين عن تعاطي تلك الحرفة وزد على ذلك انهن يخرجن من هذه الحمامات وقد ازداد قوامهن ليناً وانعطافاً اما الدلك فيكون اما بالساعد او براحة اليد وتارة بكرة من الخشب موضوعة في علبة يحركها الدالك روحة وجيئة فتدور فيها الكرة بحيث لا تخرج منها وأجرة الدالك الذى تتوفر فيه الثقة و بحسن الظن في ذمته لا تتجاوز ستة ملليمات في الساعة الواحدة

واما المزين (الحلاق) فاجرته باهظة جدا ويزداد مقدارها او ينقص على حسب شهرة المرأة [الغيشا] او خمول ذكرها ثم هو يعد ماهرا حاذقاً في صنعته اذا امكنه ترتيب الشعر الذي في مقدمة الراس وتسويته بحيث

يظهر اعلا الجبهة مستديرا تمام الاستدارة وقد كان المزينون في الزمن السالف يزيلون شعر الحاجبين ويستبدلونه باقواس صناعية من الالوان المائلة للسواد ولكن بطلت هذه العادة وقام مقامها الاقتصار على ازالة الشعر الذي يخرج بالحواجب عن حدود الاستدارة التامة والانحناء المنتظم

ومن شروط تسوية الشعر ان يبقى منضما الى بعضه انضماماً تاماً بحيث متي ما برزت خصلة منه وطوحها الهواء صار للمقص حق في السطو عليها ويستعينون على ضم الشعر الى بعضه بحيث يخال للناظر ان الرأس عبارة عن قطعة من خشب السأسم (الابنوس) بالزيتون والادهان وما ضاهاها من المواد والشهيرة من نساء تلك الطائفة تسوى شعورها ثلاث مرات في الاسبوع وقد يوجد منهن من تحافظ عليه اسبوعاً كاملا بان لا تجعل راسها وقت النوم على وسادة بل تضع عنقها على قطعة سميكة من الالك وتبقي راسها في الفراغ لا يمسها شيء على الاطلاق

والنساء اللواتي من العائلات الاثيلة المجد وتقضي عليهن عادات البلاد بعدم البروز في المجتمعات ينظرن بعين الحسد للنساء الغيشا بسبب حرمانهن من النعيم واللذة اللذين يتمتع بهما هاته النسوة

﴿ النساء شاربات التبغ (١) ﴾

اذا تبخترت احدى غادات باريس فى شارع من شوارعها الطويلة العريضة قابضة بين اناملها على سيكارة من التبغ تدخن منها كلما حضرت

(١) بقلم صاحب المجموعة

اليها الرغبة في ذلك فلا شك في انها تستنزل على نفسها ازدراء المارين بها وضحكهم عليها ولكن لاسلطة لرجال الحفظ عليها فانها حرة في اعمالها مادامت محافظة على الامن العام ومتجنبة كل مايؤدي الى الاخلال به اما اذا اقتدت بتلك الغادة اخري من غزلان امريكا فليس اقرب من ان يقصدها احد رجال الحفظ متهيئاً للقبض على ناصيتها وقودها الى مركز الامن لمعاقبتها او تغريمها . وقد اوردت احدى الجرائد الامريكية نادرة من هذا القبيل قالت فيها انه بينما كان ثلاث من بنات مدينة لويفيل من الولايات المتحدة وهن الاوانس الخرد اني واسن وامي كرنجتون وماري واسن يتنزهن في ميدان من ميادين تلك المدينة اثناء الليل وبايديهن سكارات يدخن بها اذ هجم عليهن اثنان من رجال الحفظ وأودعاهن السجن وفي اليوم التالي اقيمت عليهن القضية بحجة انهن احدثن خللا وشبهة في الطريق العمومي غير ان القاضي بوكلي بعد ان اصغى الى شهادة الرجلين وسمع اقوال المتهمات قال بكل وقار واحتشام ما يأتي « مع الاعتراف التام بان المتهمات لم يراعين بالدقة قواعد الآداب الاجتماعية لا نرى وجهاً لاتهامهن بانهن هتكن ستار القانون » وعند ذلك قام المحامي عنهن وقال « ان موكلاتي لم يخالفن قانونا وغاية مافي الامر هو اننا اليوم في عصر التقدم والتمدن وهن يقمن باضاءة الطريق الموصل اليهما » وبناء على ذلك برأ القاضي بوكلي ساحتهن

وقد كان الاجدر والاحرى بالقاضي من جهة والجالس على كرسي النيابة من جهة أخرى ان لايتساهلا الى هذا الحد معهن ولو كان غيرهما من العارفين بحقيقة التبغ وما ينشأ عنه من المضار قائماً مقامهما لشدد وطأة الحكم مستندا على ان للتبغ اسوأ فعل على النظام العضوي للرجال فكيف به على النساء

وهن ارق مزجاً وادق عودا وعول باسم الصحة العمومية على اصدار الاحكام القاسية على تلك السيدات وكان في امكان الجالس على كرسي النيابة ان يقوم واقفاً و يبين للقضاة والمحامين والحاضرين في الجلسة مضار التبغ وسوء تأثير النيكوتين بالكيفية الآتية

ان شرب النساء للتبغ يؤدي الى اتلاف لبن المرضعات منهن وربما افضى الى فقده وخسرانه وقد دلت التجارب التى اجريت على سكان حارة من حارات احدى المدائن الاوربيه قد انشئت فيها معامل السيكارات وتحضير الدخان على انه كان يعترض النساء العاملات في هذه المعامل امراض سيئة اثناء الحمل وانهن اذا وضعن يكون اولادهن نحفاء الجسم صفر الوجوه ويموت اغلبهم سريعاً

وفي بلاد الولايات المتحدة الامريكية التى تعود كثير من نسائها على التدخين قد كان شيوع هذه المصيبة فيها من الاسباب التي تفضي الى التفريق بين الزوج وزوجته وقد حدث مرة ان امرأة اتهمت زوجها بانه مدمن على شرب التبغ وانه يدخن منه اثناء الليل وهو مضطجع على سريره فسلمت المحكمة بهذه التهمة واصدرت الحكم بالطلاق من اول وهلة

ومع ذلك فقد يكون في امكان المحامي عن المتهمات الثلاث اللاتي اتينا على ذكرهن اذا كان ملما بتاريخ التبغ ان يؤيد حجته بالبراهين الوثيقة والادلة الوطيدة كأن يروي على القضاة امر التبغ في اسبانيا وماله من جليل الاهمية عند اهلها من قديم الزمان و يقول ان النساء الاسبانيات يدخنّ بالتبغ من ازمنة قديمة والبرهان على ذلك هو ان احدهم تجول في اسبانيا وجاب انحاءها فتقابل في مركبة برجل من اهالي قادس مع زوجته وابنته وقس من طائفة

البندكتيين فرأى الجميع وسائق المركبة يدخنون الدخان وقد اسف من عدم تعوده على التدخين به حتى يكون مثلهم

ولم تحفل نساء فرنسا بامر التبغ الا في عهد الملك لويز الرابع عشر فان الدوقة دوشرتر والدوقة دي بربون كانتا تستنفدان منه في اليوم كمية وافرة وكانتا تقتنيان المعدات اللازمة له ولا ننسى من النساء الشهيرات اللاتي تعودن على شرب التبغ المدام جورج سند (وقد اوردنا عنها كلاماً في فصل سابق عنوانه القريحة والمرأة فراجعه) فانها كتبت سنة ١٨٣٧ رسالة جاء فيها : « اذا اظهرتم الجمهورية على الملكية اثناء غيابي فلكم ان تستولوا على ما امتلكه من مال ونوال ولا تخشوا في ذلك لومة لائم اما اراضي ففرقوها على من ليست له ارض وكذلك منزلي الوحيد اجعلوه مستشفى للجرحى وقد تجدون فيه نبيذا عتيقاً فاشربوه هنيئاً وتبغاً فدخنوه وكذلك مؤلفاتي المطبوعة احشوا بها بنادقكم . وليس يوجد ضمن املاكي غير شيئين خسارتهما لا تعوض وهما صورة جدتي وستة اقدام مربعة من الارض ينبت فوقها شجر الاثل والورد فان هذه الارض قد ضمت في بطنها بقية جدتي وعظام والدي »

واني اضع هذا القبر وتلك الصورة تحت رعاية الجمهورية وحمايتها ولها في مقابل ذلك اني لا اطالبها عند عودتي الا بتعويض واحد وهو — يراع ومداد ومبسم سيكارة — فان بواسطة هذا العوض اعيش سعيدة مرتاحة البال واقضي بقية اجلي في تدوين ما احسنتم باجرائه صنعاً »

ونحن نرى ان السيكارة في فم المرأة تجعل منظر هذه من ابشع المناظر وافظعها ومع ذلك فان كثيرا من نساء الشرق واسبانيا وامريكا الشمالية قد رضين بهذا الحال وهن بها في ارتياح بال

وليت عادة التدخين كانت قاصرة على نساء العامة بل تجاوزتهن الى نساء الخاصة ومن الشواهد على ذلك ان قرينة جلالة امبراطور النمسا تدخن في اليوم الواحد من ٣٠ الي ٤٠ سيكاره وعندها معدات التدخين وآلاته مصنوعة من الفضة وكذلك قرينة جلالة قيصر الروسيا فانها تشرب قليلا ولكنها لا تتجاسر علي الشرب امام زوجها بل في مخدعها خفية وتشرب التبغ جلالة ملكة اسبانيا وجلالة ملكة رومانيا وجلالة ملكة ايطاليا

وقد كانت خطيبة جلالة الملك همبرت امبراطور ايطاليا اميرة مدمنة على شرب الدخان وهي البرنسيس متيلدة النمسوية كريمة الارشيدوق البرت وقد ادي بها الادمان الي نحافة جسمها ولما علم بذلك والدها امرها بالامتناع عن شربه فلما لم يمكنها اخذت تدخن خفية وبينما كانت ذات يوم في مخدعها تتلذذ بالتدخين اذ طرق الباب بقوة فبادرت الى فتحه فلما وجدت ان الطارق هو ابوها اضطربت اعضاؤها هلعاً. وخوفاً من ان يدرك انها تدخن وضعت السيكارة في جيبها فسرت النار منه الى جميع ثيابها وقد اصيبت من جراء ذلك بجراح خطيرة ادت الي وفاتها بعد ايام قليلة فتأمل كيف تكون عاقبة التدخين

✲ التليتوغراف والبنتيليغراف (١) ✲

التليتوغراف آلة يمكن بواسطتها كتابة او رسم صورة بدقة زائدة وقد اخترع هذا الجهاز المستر اليشاغراى احد علماء الامريكيين المشار اليهم بالبنان

(١) بقلم صاحب المجموعة

في هذا العصر وقد جرب مرارا فوجده على ما يرام من الدقة والسرعة في نقل الكتابة والصور والنقوش الى مسافة تربو على مئات الالوف من الامتار كما ينقل التلغراف الاشارات الخاصة به وفي استعمال هذا الجهاز الجديد من الفوائد ما لا يختلف فيه اثنان اذ انه يفضل على التلغراف من عدة وجوه اقلها ان آلاته متقنة الصنع بخلاف آلات هذا فانها غير تامة من ذاتها فينشأ عنها الغلط الذي اذا أضيف الى سهو المستخدمين كان سبباً في تغيير معني رسالة الراسل وقد اورد المسيو لو يس فجييه حكاية غريبة بهذا الشأن حيث قال بعث أحد كبار تجار الاقاليم الى وكيل من وكلاء الاشغال بمدينة باريز رسالة تلغرافية هذا نصها « لا يخفاك ان اسهم البنك سترتفع كثيرا في بورصة الغد فارجوك ان تشترى لى منها ثلاثة · آلاف تحية مني اليك · الامضاء بلنشار » فلما شرع مستخدم التلغراف في ارساله غير فوضع النقطة التي بين ثلاثة وآلاف وجعلها بين آلاف وتحية فصار التلغراف هكذا « لا يخفاك ان اسهم البنك سترتفع كثيرا في بورصة الغد فارجوك ان تشترى لى منها ثلاثة آلاف · تحية مني اليك · الامضا بلنشار»

فلما وصلت الرسالة التلغرافية الى المرسلة اليه اندهش من اتساع دائرة اشغال المسيو بلنشار فوق ما كان يعهده فاشترى الثلاثة آلاف سهم بلاتردد ومن حسن حظه كما كان من حسن حظ مرسل الرسالة التلغرافية ان الاسعار قد ارتفعت كما نبأ به فكانت النتيجة انه قد حصل ما يوزى متمناه الاول الف مرة ولكن لو انخفضت بدلا من ارتقائها لازدادت الخسائر الف مرة عما اذا اشتري ثلاثة اسهم فقط وكان لا بد في هذه الحالة من وقوع الشقاق بين الراسل والمرسل اليه والواسطة بينهما وهي مصلحة التلغرافات

ولم يكن البحث في اختراع التليتوغراف حديثاً فانه بمجرد اختراع التلغراف سعى كثير من العلماء في استبداله بآلة توصل الكلمات بدلالاتها اللغوية وليس باشارات مصطلح عليها ومن هؤلاء العلماء الراهب كازبلى معلم الطبيعة في كلية فلورنسا فانه اول من شرع في حل هذه المسئلة سنة ١٥٦ من الميلاد وجاء جوستاف فرومان فسار في طريق ذلك الراهب فوصل بعد بحث ست سنين متوالية الى انشاء آلة لنقل الكلمات المكتوبة وهذه الآلة كانت تتركب من قرصين منخنيين من المعدن يخترق كلا منهما نقطة تدور دائرة انتقالية فتمس جميع نقط القرص وفي محطة الارسال توضع الرسالة المراد نقلها الى جهة اخرى على أحد القرصين مكتوبة في ورق فضي بالحبر الغير الموصل للكهرباء ولا يخفى انه اذا كان القرص الموضوعة فوقه الرسالة متصلا بينبوع كهربائي فان الكهرباء يمكنها ان تنتقل بواسطة النقط المتحركة السالفة الذكر الى الطرف الآخر من الخط التلغرافي اى الي الجهة المرسلة اليها الرسالة وكلما مرت النقطة المتحركة على الكتابة المسطرة بالحبر الغير موصل للكهرباء انقطع التيار الكهربائي وارتسمت الكلمات على ورق مطلي بمادة كيماوية موضوع فوق القرص الذى بمحطة الاستلام ولكن بكيفية غير واضحة وقد انشيء خط في سنة ١٨٦٣ بين مدينتي باريز وليون لاجراء هذه التجارب فكانت النتيجة كما علمت غير ان عدم وضوح الحروف اضطرت اصحاب الاختراع الى تركه واهمال جهازه الذي سمي بالبنتيليغراف

أما التليتوغراف فمؤسس على قواعد اخرى اذ هو مركب من قلم بطرفه خيطان ينتهيان الي الركنين العلويين من الاركان الاربعة لسطح مستطيل

وكل خيط من الخيطين المذكورين ملفوف حول عجلتين بواسطة زنبرك فاذا اقترب القلم من احد الركنين الذي ينتهي اليه الخيط يلتف حول احدي العجلتين وينحل من الاخري وهكذا الحال اذا ابتعد القلم من اعلا الي اسفل وتكون حركة العجلتين اثناء الالتفاف والانحلال تابعة لحركة الخيط فاذا دارتا بمقدار جزء من واحد من ملليمتر فان حركة دوران العجلتين تبعث تيارا كهربائياً سلبياً او موجباً في خطين تلغرافيين منفصلين عن بعضها وبمحطة الاستلام ساقان متحركان ويرتبطان ببعضها فعند وصول ذلك التيار يتقدم هذان الساقان الى الامام او يتأخران الى الخلف على حسب نوع التيار موجبا كان او سالباً وفي ملتقي ذينك الساقين يوجد قلم ينفعل بحركة التقدم او التأخر فيسطر على ورقة موضوعة تحته هذه الحركات التي تمثل هيئة المكتوب او المرسوم في محطة الارسال

وهذا الجهاز وان ظهر من وصفنا انه بسيط للغاية ولكن به من الآلات الدقيقة الكثيرة العدد ما لا يحتمل اثبات شرحه هنا مقام الاختصار الذى نتوخاه لدفع الملل والسآمة

ولا بد ان نسمع بعد قليل زمن ما يستفاد منه اشتغال بعض العلماء باختراع آلة غير التليتوغراف تكون اسهل منها استعمالا واحسن نتيجة كما جاءت هذه بالنسبة للتلغراف وانه وان يكن هذا في الامكان ولكننا لا نظن انه يحصل قبل ان يقوم التليتوغراف مقام التلغراف في العالم بأسره ويقتطف منه مخترعه اوفر الثمار

﴿ فرط السمانة (١) ﴾

اوردت الجرائد الانكليزية في الايام الاخيرة خبر وفاة اللادي ويلز وقالت ان وزن هذه المرأة يبلغ ٥٥٦ رطلا انكليزياً اي ٢٠٧ كيلوغرامات بحيث لزم لحملها الى ضريحها ١٢ رجلا من الاشداء وكانت تصفها احدى الجرائد بانها اسمن امرأة في العالم ورأى بعضهم انها اذا وضعت في كفة ميزان كبير ووضع في الكفة الاخرى نساء من الباريزيات اللواتي يبلغ متوسط وزن الواحدة منهن ٥٢ كيلوغراماً للزم لموازنتها اربع منهن على ان اللادي ويلز ليست باول امرأة اشتهرت بفرط السمانة فان مؤتمر النساء الغليظات الذي انعقد بمدينة فيلادلفيا سنة ١٨٨٤ قطع بان اغلظ نساء امريكا والعالم هي السيدة اما مركلي وقد حازت هذه المرأة في السنة الماضية المكافأة الثانية في معرض الجمال وكانت تعرض في الملاعب والملاهي العمومية لمن يريد التفرج عليها واستمرت كذلك عشر سنين متوالية وقد اورد بعض اصحاب هذه الملاعب مساحتها في اعلان فقال انها تزن ٦٠٠ رطل وان محيط قامتها ٦٢ ابهاماً ونصف ابهام وعرض كتفها ٣ اقدام الخ ولكن قد علم بعد ان وزنها الحقيقي هو ٥٦٠ رطلا ومن العجب انها كانت في السنة العشرين من عمرها في درجة من النحول والنحافة لاتنبئ بانها ستصير اغلظ نساء العالم

وكانت في عهد الامبراطور لويز فيلبس بباريز امرأة المانية يبلغ ارتفاعها مترا و ٧٥ سنتياً ووزنها ٢٢٥ كيلوغراماً وعمرها ٢٥ سنة واخرى فرنسوية اسمها ماري فرنسواز كان طولها مترا و ٦٤ سنتياً ومحيط جسمها مترا

(١) بقلم صاحب المجموعة

و ٦٦ سنتيا وكانت جمجمتها بموازاة كتفيها لزيادة ارتفاعهما من الغلظ وكان لايمكنها ان تجعل ذراعيها قريبين من جنبيها لوجود كثير من الشحم واللحم فيهما وكان لايمكنها المشي ولا الاضطجاع بل كانت تقضي ليلها ونهارها جالسة على كرسي

وفي سنة ١٨٨١ قدم احدهم الى الجمعية الطبية بباريز فتاة عمرها ١٢ سنة فلما قاسها احد اعضاء الجمعية وجد ان طولها يبلغ مترا و ٤٥ سنتيا ومحيط جسمها مترا ونصفاً ووزنها ١١٥ كيلو غراماً

وروى المسيو بارو ان امرأة من اهالي مدينة الكاب كانت في درجة من الغلظ لايتسنى لها معها ان تنتقل من مكان الى آخر وانها استمرت باقية في سريرها ١٢ سنة وقد حدث ان اشتعلت النيران في قاعتها فلما وافاها رجال الانقاذ من الحريق لم يتمكنوا من اخراجها لامن باب القاعة ولا من نوافذها فاضطروا الى تركها فريسة للنيران

ومن الرجال الذين اشتهروا بفرط السمانة المستر وليم لرفيس الذي توفي سنة ١٧٩٣ وكان وزنه ٦٤٠ رطلا انكليزيا اي ٢٣٨ كيلوغراماً وكان بجهة بنافيا مزارع يبلغ وزنه ٣٢١ كيلو غراماً وقد مات بصعوبة التنفس ويوجد بجهة لنكولن رجل وزنه ٢٦٤ كيلو جراماً ويمكن لسبعة اشخاص ان يدخلوا في ثوبه وكان ادوار برايت يزن ٦٥ كيلو غراماً في العاشرة من عمره و ١٦٥ في العشرين منه و ٢٧٩ حينما فاضت روحه وكان انكليزي اسمه سبونر يزن ٣٠٥ كيلو غرامات فلما توفي انفذ بعضهم في بطنه سكيناً بمقدار ١٢ سنتيا فلم تصب السكين عضوا من اعضائه الاصلية ولم ينزل الدم وفي هذا دليل على فرط سمك الغشاء الشحمي الذي يحيط بجسمه

وجاء في التاريخ ان الدوق دي ورتمبرج جاء الى باريز لحضور الاحتفال بقران الامبراطور نابليون بالبرنسس ماري تيريز فاعدت له مأدبة شائقة بقصر تلك المدينة وقطع جزء من المائدة على شكل حدوة الحصان لكي اذا جلس يسع هذا الفضاء بطنه الكروية الجسيمة

وقد مات السنة الماضية في برنزويك الجديدة رجل سوداني اسمه فورمان شونك يبلغ وزنه ٥٣٥ رطلا وتوفي حاني بمدينة دوفر وزنه ٥٦٠ رطلا ولم يكن هذا الرجل مشهورا بكثافة جثته وانما بسعة معدته فانه كان لا يكف عن الاكل والشرب طول نهاره وقد اشتهر رجل بفرط سمنه في بلاد الغال من انكلترا اذ كان يزن ٤٤٨ كيلو غراماً وقد لقبه اهل بلده بملك الغلاظ

ومن الغريب ان الغلاظ في الولايات المتحدة قد أسسوا لهم جمعية جعلوا من شروطها ان لا يقبل ضمن اعضائها الا من يبلغ وزنه على الاقل ٣٠٠ كيلو غرام وان تعهد الرئاسة لا كثرهم وزناً وليس لاوفرهم عقلا واكملهم استعداداً واهلية

وقد حاز الرئاسة في السنة الماضية احد قضاة مدينة بردجيور الذي بلغ وزنه ٢٧٥ رطلا ووزن وكيله الاول ٣٦٧ رطلا والثاني ٣٦٠

وفي ليلة انتخابه اقيمت وليمة عظمى جمعت ٤٣ عضوا واعدت لجلوسهم مقاعد محمولة على قوائم من الحديد فلما تم انتخابه استلم صولجان الجمعية وهو قضيب من الفضة تنقش عليه اسماء الرؤساء ووزن كل واحد منهم بجانب اسمه وقالت احدى الجرائد الامريكية انه قرأ تلك الاسماء ثم اعتذر بانه لم يجاوز بعض اصحابها وزناً وانما سيبذل قصاري الجهد لتنمية جسمه وقد كان الرئيس لهذه الجمعية في سنة ١٨٨٧ المستر فسك الذي يزن ٤٠٨ ارطال

❊ معرض شيكاغو (١) ❊

اعتاد ابناء مدينة برلين اذا تحدثوا عن هذه المدينة ان يصفوها بالعظم والفخامة ولكن من قابل بينها وبين شيكاغو يرى من العدل اطلاق ذلك الوصف على معرضها بعد سلبه من مدينة برلين فان الزوار الذين يقصدون هذا المعرض ستأخذهم الدهشة لدى وصولهم الى محطته من تمادي قبابه في الارتفاع ومن تناهي سطحه في الاتساع حتى ان القسم الخاص بعرض الآلات منه وهو مغطى بسقيفة من الزجاج والحديد تبلغ مساحته ١٢ هكتارا ويسع من الناس فيه اكثر من ٥٠٠٠٠٠ نفس فهو بناء على ذلك أكبر بنية في العالم وبجانبها تظهر قاعة عرض الآلات من معرض باريز كالعش بجانب قاعة المنزل ولقد اجتمع بها في شهر اكتوبر من السنة الماضية اكثر من مائة الف نفس لاقامة الاعياد به فكانوا يظهرون فيه كقافلة ضلت سواء السبيل في وسط البيداء الشاسعة الاطراف ومن أغرب ما يستحق الذكر ان احد الامريكيين عزم على شراء البنية التي نحن بصددها بعد انتهاء المعرض ونقلها برمتها من مدينة شيكاغو الى مدينة نيو يورك ليجعلها حلبة لسباق جياد الخيول في فصل الشتاء

(تكاليف المعرض) كانت قدرت تكاليف المعرض في بادىء الامر بمبلغ ٧٥ مليوناً من الفرنكات ولكن ظهر بعد ذلك ان هذا المبلغ لا يفي فقدر بمائة مليون ولا يخفى ان معرض باريز في سنة ١٨٨٩ ومعرض فيينا الاخير لم تبلغ تكاليفهما معاً سوي ٥٠ مليوناً ولما رفع القائمون بامر المعرض

---

(١) بقلم صاحب المجموعة

شكواهم من عدم كفاية المبلغ الاول الى الحكومة صدرت اوامرها بضرب نقود توازى قيمتها اثنى عشر مليوناً ونصفاً من الفرنكات بسكة مخصوصة وشكل جديد وقدمتها اليهم على سبيل الهدية فانتهزوا من ذلك الفرصة وعزموا على بيعها بضعف قيمتها بحجة انها ستكون تذكارا خالدا يذكر زائري المعرض به على توالى الايام والسنين

(ميزانية ايرادات المعرض) يظهر من التقديرات الرسمية أنه لا يدخل في المعرض كل يوم أقل من ٢٠٠٠٠٠ نفس لزيارته فاذا عين رسم الدخول فرنكين ونصفا بلغت ايراداته مدة قيامه (أي ١٥٠ يوماً) ٧٥ مليوناً من الفرنكات يضاف اليها ٣٥ مليوناً من الفرنكات ناتجة من هبات الاغنياء ومن بعض ايرادات ثانوية فيكون الحاصل ١١٠ ملايين يطرح منها ٥ ملايين وهي رواتب المستخدمين في المعرض فيكون الايراد الصافي هو ١٠٥ ملايين

(قتلي وجرحى المعرض) في بلد مثل الولايات المتحدة اغاب اهلها من المتمولين يسهل على رجال الهندسة والاعمال الجسيمة ان يبذروا الملايين من النقود في قطعة بلادهم كبستان جكسن الذي اقيم عليه المعرض ثم يتعهدونها بالري من مياه اجتهادهم وعنايتهم فتنمو منها المباني الشامخة والاعمال الباذخة ولكن كان الاجدر بهم اذا اسرفوا في هذه الملايين ان لا يسرفوا في مثلها من ارواح امثالهم فان الاحصائيات دلت على انه قد توفي في المعرض لحد دسمبر الاخير وفاة عرضية ناتجة من حادث اكثر من ٢٣ شخصاً بجراحات ادت الى ضرورة اجراء عمليات جراحية خطرة واصيب ١٧٠٣ بامراض مختلفة وكل هؤلاء من المشتغلين في اقامة المعرض وضف الى هذا العدد ٧٠ نفساً من الزوار بين قتيل وجريح في أعياد شهر اكتوبر

(غرائب المعرض وعجائبه) ان من زار معرض باريز في سنة ٨٩ ثم يزور معرض شيكاغو لا بد ان يندهش من رؤيته لشارع القاهرة الذي كان موجودا فى ذلك المعرض والكراسي المتحركة التي كانت به ايضاً ويبلغ عددها ٦٠٠ كرسى والغرض منها هو انه اذا تعب احد المتفرجين في المعرض واراد الجلوس طلباً للراحة جلس على احدها وامر سائقها ان يطوف به في اى جهة اراد مدة ساعة ثم يدفع له ثلاثة فرنكات ونصف والذين يعز عليهم دفع هذا المبلغ يجدون تحت طلبهم ٨٠٠ عربة اخري يسوقونها بانفسهم ولذلك يدفعون أجرة اقل بكثير

ومما يستوقف النظر في المعرض عجلة كبيرة افقية الوضع معلق بمحيطها مقاعد لمن يريد التفرج من الزائرين وعلى الخصوص الاطفال والعساكر اشبه بالقبة التي تحمل كثيرا من الخيول المصنوعة بالخشب وترى في اسواق الاعياد لتسلية الاطفال غير ان الاولى تمتاز على هذه بجسامة حجمها وتحرك مقاعدها فان هذه المقاعد ترتفع وتنخفض بمقدار ١٥ عشر مترا اثناء دورتها حول محور العجلة . و يبلغ قطر هذه ٨٣ مترا وتدور حول محور محمول على برجين ارتفاع كل منهما ٤٥ مترا بقوة آلة بخارية تكفي لتحريك مثل هذه العجلة التي يبلغ وزنها مليوني كيلو جرام

و يتمكن الذين يركبون في المقاعد بمحيط من العجلة من مشاهدة المعرض جميعه على اختلاف ارتفاعات ما فيه من الاشياء اذ ان تلك المقاعد تصل اثناء حركتها الرأسية الى نقطة لا يقل بعدها من سطح الارض عن ٨٣ مترا وهو اقصى ارتفاع لأعلى بناء في المعرض والزائرون الذين لا يجدون في هذا الجهاز الغريب كفاية لمعاينة جميع ما في المعرض وما في اطرافه يمكنهم

بواسطة السكة الحديدية الحلزونية ان يصعدوا برجاً يبلغ ارتفاعه ١٨٧ متر وقطره ٢٥ متراً وتحرك القطارات على تلك السكة بقوة الكهربائية

وليس ما ذكرناه الآن من وصف هذا البرج وتلك العجلة بوازي في الغرابة ما نسوقه اليك من وصف البرازيق « الترتوارات » المتحركة التي سيعم نفعها مدينة شيكاغو عقب انتهاء المعرض ويسري الى ما يماثلها من المدائن الكبيرة فتبطل منفعة مركبات الامنيبوس والتراموابي وغيرها وتتوفر على الانسان مشقة الانتقال من مكان الى آخر بتحريك الاقدام او خسران النقود لاكتراء المركبات ولا يبقى عليه الا ان ينقل اقدامه من عتبة بيته الى البرزوق الذي يسير بسرعة تختلف من ٤ الى ٥ كيلومترات في الساعة ومن هذا البرزوق تنتقل الى آخر تبلغ سرعته في الساعة الواحدة ضعف الاول وتجلس على كرسي فيه حتى اذا وصلت الى الجهة التي تريدها تنقل قدمك الى البرزوق الاول البطيء الحركة فلا يصيبك شيء من الضرر وقد عمل في المعرض مثال من هذه البرازيق

(سوق الافكار) لقد كان انشاء المعرض في شيكاغوا من بواعث الابتكار وظهور بنات الافكار ومن ذلك ان احدهم عزم على اقامة عيد كبير على سطح بحيرة مشيغان يمثل فيه سفر كريستوف كولومب لاكتشاف امريكا ويشخص اضطرابات الامواج حول سفن تماثل بالتمام السفن التي ذهب بها ذلك الرجل الى القارة ومنه ان جملة من المهندسين اقترحوا بناء برج يبلغ ارتفاعه الف متر ومنزل مؤلفاً من ٤٠٠ طبقة وانشاء مسا كن تحت بحيرة مشيغان ومنه ايضاً ان بائعاً من باعة العطر سيعرض عجوزا قد موج جبينها الهرم ويطلي نصف وجهها بطلاء اخترعه ويبقى الآخر كما هو عليه

لكي يتأكد المتفرجون من نضرة النصف الاول وغضاضته ان طلاءه يستحق أن يسمى بعيد الشبوبية ومزيل الهرم والكهولة

ومنه ان عالمًا بالهندسة طلب من ادارة المعرض أن تمد له محلا يكفي لتعليق لوحة سوداء لكي يبرهن للمتفرجين على امكان تربيع الدائرة وهو الامر الذي أرسل مثلا للدلالة على الاستحالة وعدم الامكان ومنه ان مهندسًا آليًا يدعى بوجود الحركة الدائمة المستمرة ومنه ان رجلا انكليزيًا يزعم انه المسيح وان الله أوحى اليه منذ الازل معرفة المكان الذي يقام فيه معرض شيكاغو الخ

﴿ الاعدام بالكهرباء في نيويورك (١) ﴾

اسلفنا في « اكتشافات واختراعات واخبار » العدد الماضي انه في الثامن من شهر مايو الماضي صدر الحكم بالاعدام على شاب يدعى هاريس من طلبة الطب لانحصار الشبهة فيه بانه قتل معشوقته بوتس وقد ورد الينا العدد الاخير من « كوكب امريكا » محتويًا على شرح هذا الاعدام فآثرنا اثباته هنا افادة للقراء الكرام قالت تلك الجريدة الغراء

ذكرنا سابقًا ان والدة هارس الذي صدر الحكم عليه مؤخرا بالاعدام قدمت الى والى الولاية المستر فلور عرض حال موقع عليه من الاهالى تلتمس به العفو عن ولدها المتهم بقتل زوجته هيلانه بوتس فعين الحاكم المذكور عمدة للنظر في هذه المسألة ثانية ومراجعة الفحص المدقق وبعد اجراء كل

(١) نقلا عن احدى الجرائد

ذلك لم تثبت براءته فذهب سعي والدته المسكينة سدى وقطعت أملها من انقاذ حياته ولم تجد نفعاً بمساعدة احد لهـا فان الحكومة لا تحابي بالوجوه فتضع امام عينها آلة العدل وتجازي كلا حسب اعماله

و يوم الجمعة خامس الشهر الحالى حضرت امه المذكورة من نورفلدمع ابنها الاصغر المدعو ألن الى ليان سن سن ودخلت النيابة وطلبت من رئيس السجانين مقابلة ولدها فسمح لها بذلك الا انها كانت تخاطبه عن بعد ثلاثة اقدام تقريباً من قفصه الحديدي وكان هارس آنئذ ينتظر والدته بفروغ صبر حيث مضى عليه ستة اسابيع ولم يرها قط

وكان المحافظون عليه يراقبون سائر حركاته وسكناته ليلا ونهارا خوفاً من ان يفعل بنفسه شيئاً لانه من التلامذة ذوي الحذاقة الذين انهوا دروسهم الطبية وعند ما رأي والدته واخاه سلم عليهما بهز اليد وجري بينهم حديث طويل كانت والدته في اثناء ذلك تمسح دموع عينيها بمنديل في يدها غيرانها حاولت مرارا الا تظهر امامه حزنها الشديد تشجيعاً له ولكن ما الحيلة و بعد ايام قلائل ستعاين ولدها جثة بلا حراك

وكان الجمهور من حولهم يذرفون الدمع لهـذا المشهد المحزن الذي تقصر عن وصفه الاقلام

اما هارس فلم يبال بما حكم عليه وهو مستعد ان يجلس على الكرسي الكهربائي بقلب لا يهاب المنون ولا يزال مصرا على اقراره بانه لم يرتكب ذنباً يستحق لاجله الموت

وعند ما أتي والده الشيخ ليراه طفق يذرف الدموع السخينة مرددا قوله اراه ... واحر قلباه ... وا اسفاه ... ما الحيلة ياولدى ... وكان

يرجف من شدة الحزن فاجتهد هارس ان يسكن روع والده المسكين فاخذه الى ناحية وتعانقا مدة ثم ودعا بعضهما وقبل ذهابه قال له اني استودعك الله يا ولدي الى ان نجتمع ثانية في الفردوس السماوي وبات هارس ليلتي السبت والاحد كعادته زاره فيهما احد القسوس ليعظه ويصلي من اجله ووزع مأمور السجن رقاع الدعوة على بعض الاهالي لمشاهدة قتله

ويوم الاثنين الواقع في ثامن الشهر الحالى الساعه ١٢ ونصف رفعت في بناية الليمان الراية السوداء انذارا بقرب حلول الوقت لانفاذ قصاص المحكوم عليه بالاعدام فاجلس على كرسى الموت البرقي وربطت يداه ورجلاه واغمضت عيناه بمنديل وقبل اطلاق المجاري الكهربائية عليه قال ايها السادة اريد ان اتكلم بعض كلمات واظن لا يتأخر السجان عن اجابة طلبي فرفع الحجاب عن وجهه وقال ما الفائدة الآن من اصرارى ان كنت مذنباً وقد دنا اجلي وما الغاية من اخداع الناس ونفسي وانا اعلم حقيقة حالى فتأكدوا من اني سأموت بريئاً مما حكم به علي وعند نهاية قوله اطلق عليه الدكتور دافيس المجارى الكهربائية دفعة واحدة وكانت ١٧٦٠ فنفذت حياته بأقل من ٥٦ ثانية

ثم اخذت جثته لمحل الفحص التشريحي واجري الاطباء فيها امتحانات عديدة لكي يحققوا مفاعيل الكهربائية وبعد الفحص المجهرى وجدوا انه لم تظهر فيه علامات حروق ولكن رأوا بقعاً حمراء على فخذه الايمن حيث كان طرف المجري السلبي وبعد ذلك وضع الميت في نعش مغطي بالسواد وعليه صفيحة مكتوبة هكذا (كرلايل هارس المقتول في ٨ ايار عام ١٨٩٣ عمره ٢٣ سنة و ٧ اشهر و ١٥ يوماً)

وتحت هذه الكلمات كتب ما يأتي وهي (لو علمنا لما حكمنا) وهي جملة

فاه بها احد الاثني عشر حكما بعد ان حكموا جميعاً باعدامه وذلك ان احد الشهود قرر تقربوا في النهاية القى اعضاء المجلس في ريب مما حكموا به ففاه احدهم بالجملة المتقدمة بعد ان قضى الامر بتوقيع الحكم وبناء عليه طلب هارس ان يخطوها على نعشه

ولا تزال والدته حتى الآن تنادى ببراءة ولدها وهي لا تريد ان تتعزى افقده وكانت تخاطب مكاتبي الجرائد بما معناه . ايها السادة اعلموا ان الحكم بقتل ابني كان ظلما اى نعم قتلوا شاباً بريئاً وا اسفاه عليك يا ولدي هلا سمعتم اعترافه الاخير بانه بريء ماذا انتفعت عائلة بوتس هل اعاد موت ابنى على هذه الحال ابنتهم الى قيد الحياة . كل عاقل يتأكد براءته واظن انه يوجد كثيرون يصادقون على ما اقوله لكنهم لا يريدون اظهار افكارهم الآن والمستقبل كشاف الخفاء ولابد ان يكشف القناع عن وجه الحقيقة

ذهب ولدي كارلايل الى داره ليكون هناك بين قضاة يعرفون الحق والواجب ولى كلام ساطلعكم عليه ايها السادة لتذيعوه بين الناس

وقد اخذت الجرائد المحلية في نيويورك من جهة محا كمته وقصاصه الاخير غاية الاهمية حتى ان جريدة الهرالد الصادرة بتاريخ ١٠ منه نشرت رسالة مطولة صدرتها برسم القاضي سمث الذي حكم بقتله قالت ان كثيرين من رعاع الاهالى كتبوا عدة رسائل يتهددون بها القاضي المذكور مع المحاميين اللذين كانا يثبتان جريمة القتل على هارس لدي المحكمة وقد ارسلت هذه الرسائل مع البريد وبعضها موقع باسماء كاتبيها فنذكر منها الرسالة التي وصلت الى القاضي من ولاية الباما وهذا مؤداها « ايها القاضى القاتل انك تعد ظالماً قتلت بريئاً وقد حان الوقت لكي تجازي حسب ما تستحق واني ساحضر

قريباً الى مدينتك نيو يورك من الالباما لاريح العالم منك وانتقم لذلك الشاب المسكين كارلا بل هارس الذي قتلته بحكمك ظلما فان شئت فاضحك مما اقول او اعتبر ذلك كتابة مختل الشعور واريدك تعرف باني لا أكف عن اقتفاء أثرك ولا شيء في العالم يقدر أن يؤخرني عن اتمام ماعولت عليه وسأصل الى موضع اقامتك قريباً فاجعلك هباء منثورا واهدم بناية مجلسك بالديناميت واريدك لاتنسى بان لا أحد يمكن ان ينقذك من يدي القادرتين »

✱ بحث في الانتحار (١) ✱

صرف احد اطباء الانكليز منذ سنوات عديدة عنايته الى البحث في كثرة الانتحار ببلاد انكلترا واستكناه الاسباب والبواعث التي تحمل اليائسين على حرمان نفسهم بنفسهم من نعمة الحياة · وقد نشر خلاصة بحثه في رسالة لطيفة الحجم وقال انه لايكفل الدقة المطلقة اذ انه استعان في الحصول على بعض الاستعلامات والفوائد بمصلحة الضبط والربط وبما كانت تنقله الاخبار البرقية مختصاً بالانتحار

ورأى ذلك الطبيب ان كل مائة حادثة من حوادث الانتحار التى حصلت في سنة ١٨٩٣ الماضية تنقسم الى اقسام تختلف على حسب الاعمار من صغير وكبير والانواع من ذكر وانثى والمراتب الاجتماعية من غني وفقير والاسباب الحاملة على الانتحار والوسائل التي استعملت للوصول الى هذه الغاية

اما العمر الذي تقع فيه عادة حوادث الانتحار فمحصور بين السنة التاسعة

(١) بقلم صاحب المجموعة

والسنة الثمانين وفي كل مائة انتحار ثلاثة تختلف اعمار اصحابها من ٩ سنوات الى ١١ سنة وتسعة تختلف اعمار اصحابها من ١١ الى ١٨ سنة وثلث التسعة اصحابه من الاناث وبين السنتين الثامنة عشرة والثلاثين يبلغ عدد المنتحرات ثمانية ولم يبين عدد المنتحرين وبين الثلاثين والستين نقع اغلب حوادث الانتحار

ولاحظ الطبيب فقال وربما يندهش القارىء من قلة نسبة المنتحرات ولا حق له في هذا الاندهاش اذ ان النسبة الحقيقية تظهر اقل ايضاً اذا كانت في عدد اكثر من المائة وفي انكلترا لا يبلغ عدد المنتحرات ثلث عدد حوادث الانتحار في السنة وسببه عدم تعرض المرأة مباشرة لحوادث الاحوال المعيشية والنزاع الحيوي وله اسباب اخرى ايضاً تختلف باختلاف المواقع ففي بلاد البروسيا مثلا لوحظ ان عدد المنتحرين من ابناء المدارس قد بلغ من سنة ١٨٨٣ الى ١٨٨٥ — ٢٩٩ نفساً منهم ٤٩ بنتاً واما تعلق الانتحار بالمرتبة الاجتماعية التي يشغلها اليائس من حياته فلم يتحصل المؤلف على الاستعلامات الوافية بصدده ومع ذلك فان استنتاجاته بهذا الصدد غاية في الدقة والضبط وقد بحث في مراتب خمسين منتحرا فوجدها منقسمة بالصفة الآتية ٨ عملة و ٦ اغنياء و ٦ خدمة و ٥ ضباط و ٤ تجار من ذوي الثروة الواسعة و ٤ مستخدمين وصرافان وتاجران وطبيبان واديبان واستاذان واثنان من اصحاب الفنادق وتاجر صغير وكاتب سر ومعلمة وزارع وغادة ممن يقفن في الخانات لبيع المشروبات . واكد مؤلف الرسالة ان نسبة الموت الاختياري تكون متوفرة جدا في مرتبة العمال الماهرين الذين يكتسبون مرتباً كافياً لدفع الاحتياجات المعيشية وانما تطمح نفسهم الى ترقية شأنهم وتنمية مالهم وتوسيع دائرة معيشتهم فلما يخالط اليأس افئدتهم يعولون على اعدام ارواحهم

ولا بد من ملاحظة ان القواعد الدينية والتهذيب والتربية العقلية لاتقوى على ارادة الانسان اليائس من الحياة فتعتريه حالة شبيهة بالجنون فيقتل نفسه واذا بحثنا في احوال الطبقات السفلى من الهيئة الاجتماعية نجدها مع سوء حظها اقل اقداماً على الانتحار من الطبقات الوسطى واسباب ذلك عديدة جدا اهمها عدم الشعور بالآلام ومن يظن ان الذين نحوطهم بشفقتنا من الفقراء والمساكين ويظهر لنا انهم يقاسون أشد التعب والحرمان اكثر استعدادا الى الانتحار فغير مصيب اذ ان الفقر الذي يدعو الى اعدام النفس ليس الفقر البدني وانما الفقر الادبي لان الآلام الجسمية قلما تكون من اسباب الانتحار

واذا كان الرجل والمرأة في كل دور من ادوار عمرهما يبحثان على ملجأ في الموت الاختياري فان الوسائل التي توصلهما الى هذه الغاية كثيرة الاختلاف فاسباب كل مائة انتحار تنقسم الى ٢١ بالغرق و ١٨ بالاسلحة النارية و ١٢ بالشنق و ١١ بالسكين و ٩ بالسم و ٨ باسباب مختلفة و ٢١ باسباب لم تعرف

والنساء يملن أكثر من الرجال لى جعل الغرق سبباً لاعدام حياتهن لانهن يجدن في المضى مع تيار المياه لذة تدفعهن على استحسانه على غيره من اسباب الموت وهن يستعملن الاسلحة النارية في النادر وبعكسهن المنتحرون من الضباط وارباب الاعمال فانهم يفضلون الموت بتلك الاسلحة على غيرها واستعمال الحبل للاختناق يدل على ان الذين يعدمون ارواحهم به تختلف اعمارهم من ٣٥ الى ٤٠ سنة اما قطع العنق بسكين فدليل على ان فاعله مصاب بجنون حاد للغاية ونظرا لما فيه من الصعوبة تجد النساء لا يقدمن عليه الا في الاحوال

النادرة جدا و يستعمل النساء والرجال السم بدرجة واحدة ويفضل الرجال التسمم بمادة اللودنم اما النساء فيفضلن التسمم بالسوائل السامة على ان اختيار السم يتعلق بالظروف اكثر من تعلقه بمن يريد الانتحار به ذكرا او انثى

وقال الطبيب مؤلف الرسالة « في كل حادثة انتحار حصلت تكون اسباب هذا الانتحار عادة غير كافية لتوضيح العزم النهائي الذى دفع المنتحر على الانتحار ويذهب البعض الى ان الجنون الطارئ هو المشجع على التمسك بذلك العزم ولكن ألم نسمع كثيرا ان رجالا مشهورين بسلامة العقل قد فضلوا الممات على الحياة فاعدموا انفسهم بكل سكون وطمأنينة وكانوا لآخر لحظة من حياتهم كاملى العقل والادراك اذن فالباعث العمومي على الانتحار انما هو محض الرغبة والارادة مهما اختلفت الاسباب »

ثم استشهد المؤلف على ذلك بالكاتب الشهير كاستللو برانكو فقال ان هذا الرجل عاش طويلا حافظاً لجميع قواه العقلية محبوباً عند جميع من عرفوه سليم الصحة قوى البنية ومع ذلك فقد قتل نفسه بان اطلق عليها عيارا ناريًا وقد كان قبل هذه الحادثة مشتغلا بتحرير قصة مغزاها ان الموت الاختيارى هو احسن خاتمة قضاها صاحبها في الاشتغال والعمل

واتى المؤلف بشاهد آخر وهو ان شاباً كان استاذا في احدى المدارس الطبية وكان يلقى على الطلبة درساً في فعل السموم على الحياة فما كان منه الا ان وضع نقطتين من السم الذي كان يبين لهم خواصه في اناء وقال « التفتوا ايها الشبان التفتوا فسترون رجلا يموت بعد دقيقتين من الزمن استودعكم الله جميعًا » ثم تناول السم فمات حالا

وبعد ان اورد هذا الشاهد قال لا يصح ان نسند فعل هذا الرجل الى

الجنون وانما الى خال في عقله اقل مرتبة من الجنون في قوة الفعل

واورد مثلا آخر وهو ان رجلا عاش الشطر الاعظم من حياته في حالة بين العسر واليسر فحدث انه ورث بعد ذلك سبعة ملايين ونصفاً من الفرنكات اي ٣٠٠٠٠٠ جنيه فاتخـذ له قصرا متين البنيان فسيح الاركان رفيع الذرى جميل الرياش وعاش عيشة تفوق في الراحة واللذة عيشة الامراء والملوك واستمر على ذلك مدة قابل بعدها احدى خادماته فقال لهـا انه مع هذه الابهة وهذا المجد لايجد له رفيقاً يقطع معه اوقات الفراغ وانه قد مل من هذه الحال ثم تناول مسدساً وقتل به نفسه

وفي هذه الحادثة وامثالها مجال ليراع علماء الادب والاخلاق وميدان فسيح للسان الخطيب الفصيح

﴿ المناطيد الحربية (١) ﴾

من المسائل التي اشتغلت بها افكار العلماء اليوم استخدام المناطيد (القباب الطياره) اثناء احتدام نيران القتال في معرفة احوال العدو واستكشاف اسراره وقد اطلعنا في احدى الجرائد الافرنكية على فصل في هذا الموضوع فاحببنا ايراد ملخصه هنا اتماماً للفائدة فنقول

منذ اختراع المنطاد توجهت الافكار الى اتخاذه وسيلة لاستطلاع حالة العدو ففي سنة ١٧٩٣ قرر المجلس الاهلي بفرنسا الذي كان حينذاك مجدا في خدمة العلم والانسانية بناء على اقتراح العالم كارنو احد اعضاء لجنة السلام

(١) بقلم صاحب المجموعه

العمومي ووزير الحربية انشاء فرقة حربية من المنطاديين وقد انشئت هذه الفرقة وقامت باعباء وظيفتها قياماً تستحق عليه جميل الثناء وحسن الذكرى ولما كانت سنة ١٨٠٤ أمر الجنرال بونابارت بالغائها وسبب ذلك هو ان الضابط جرنربن احد منطاديي الامبراطور كان قد صنع منطادا كبير الحجم زينه بثلاثة آلاف مصباح مختلفة اللون وتاج امبراطوري وضعه فوقه ثم تركه يخترق الفضاء احتفالا بتتويج الجنرال بونابارت امبراطورا لفرنسا في سنة ١٨٠٤ وكان قد كتب عليه بحروف ذهبية هذه الجملة « باريز ٢٥ شهر فريمير سنة ٨ تتويج الامبراطور نابليون بقداسة البابا بيي السابع » وفي اليوم الثاني علم ان المنطاد قد سقط فوق قبر نيرون الامبراطور الروماني الشهير بالظلم والاعتساف وان التاج الذي كان فوقه قد تهشم فتشاءل الامبراطور شؤماً وامر بنفي الضابط والغاء فرقة المنطاديين

ولو كانت بقيت هذه الفرقة كما كانت عليه ولم يطرأ عليها ما اوقف سيرها ونموها لوصلت في هذه الايام الى درجة سامية من التقدم

وقد نشأ عن الغائها ان انظار الناس انصرفت عن البحث في أمر المناطيد مدة ٥٠ سنة حتى كانت أيام الامبراطور نابليون الثالث فانه تيقظ الى وجوب انشاء فرقة من المنطادين يرفقها بالحملة التي وجهها الى البلاد الايطالية فاناط بذلك احد العلماء المشهورين وهو المسيو اوجيه جودار

وبعد ذلك بمدة سنين حصلت حرب اجتماعية سالت فيها الدماء واهرقت كؤس الارواح بين اهالي شمال الولايات المتحدة الامريكية وفلاحي الجنوب واسباب هذه الحرب هو ان اهالي الشمال حسدوا هؤلاء على ماهم فيه من النعمة والخير والبركة فأرادوا سلبها من ايديهم فلما هاجموهم

لم يستطيعوا التغلب عليهم لان الفلاحين استعملوا في محاربتهم كل ما كانوا اخترعوه من آلات الحرب ومعداتها ومن بينها المناطيد الاسيرة

وفي سنة ١٨٧٠ هجم الالمانيون على باريز مدينة النور العلمي والضياء الادبي واطفأوا هذا النور بفمهم الضعيف حتى صارت ظلاماً حالكاً وقيدوا اطرافها بالسلاسل والاغلال بعد ان كانت مطلقة الحرية في الحركة وتركوها في هذه الحال السيئة مدة ثلاثة شهور متوالية فلما كان اليوم الثلاثون من ستمبر سنة ١٨٧٠ صعد من وسط باريز منطاد سمي بالسماوي وفي زورقه المسيو جاستون تساندييه (صاحب ومحرر مجلة الطبيعة الآن) فأخذ يخترق الفضاء فوق رؤس الاعداء وهم ينظرون اليه مبهوتين وتلاه بعده اكثر من ٦٠ منطادا تقتفي اثره وتسلك سبيله وقد تمكن المسيو غامبتا رئيس الحكومة الوقتية بهذه الواسطة من مغادرة باريز الى الاقاليم وحض اهلها على مهاجمة اعدائهم وقد نشأ عن ذلك تأثير مهم اذ ان اهالي بزانسون وتور امكنهم ارسال جنود عديدين لمهاجمة الاعداء

وفي ٢٨ نوفمبر قام المنطاد المسمى « لافيل دورليان » من باريز في وسط الليل حاملا رسالة الى المسيو فريسينه الذي كان اذ ذاك وزيرا للحربية ومقيما بمدينة تور مضمونها عزم الجنرال دوكرو على الخروج من العاصمة الفرنسوية لمقاتلة محاصريها خارج حصونها وقد حدث ان المنطاد حملته العواصف الى بلاد السويد حيث سقط على الثلوج ولو كان وصل الى وجهته الاصلية لما وقعت باريز في مخالب اعدائها

ولما شعر الفرنسويون عقب انقضاء الحرب بضرورة وجود المناطيد ضمن المعدات الحربية انشأت مدرسة بمدينة شاليه لدرس أحوالها والتنقيب عن

الوسائل الموصلة الى توجيهها وادارتها حسب رغبة الراكب فيها وقد نجحت مساعيهم في ذلك غير انها لم تأت بنتيجة تنطبق تمام الانطباق على حاجات النظامات الحربية وما زالوا يوالون البحث والتنقيب في مدينة ميدون حيث اطلق في الفضاء منطاد يسمى [فرنسا] سنة ١٨٨٤ فاخذ يدور في الفضاء دورة كاملة في ٢٣ دقيقة ولا ريب ان في ذلك برهاناً على تقدم المناطيد ولكن ليس الى الحد الذي يمكن معه توجيهه حيث يراد الراكب وفي ذلك الوقت لهجت السنة الجرائد بان علماء المنطاد قد وقفوا على ضالتهم المنشودة منذ زمن طويل وهي تسيير القبة الطيارة وفق رغبة الراكب والحال ان النجاح لم يكن الا مبدئياً ولا يزال سره محفوظاً الى الآن في صدور تلامذة مدرسة ميدون المنطادية واساتذتها وما ذاع الخبر الا وتوقدت افئدة الدول الاخرى وبادرت بمباراة فرنسا في اختراع اسلوب لانشاء المناطيد الحربية فاسست انكلترا مدرسة منطادية بجهة شاتام وسلمت زمام ادارتها الى المستر طمبد الذى منح رتبة ماجور يوم تعيينه في تلك الوظيفة واقتفت اثرها فى ذلك كل من المانيا والدانمارك واسبانيا وايطاليا وبلجيكا اما الروسيا فقد اوعزت الى أحد العارفين بانشاء القباب الطيارة ان ينشيء لها قبة طوربيدية وصرفت عليها المبالغ الباهظة غير انها وقت اجراء التجربة لم تبرح الارض وقد نشأ عن مجاراة الدول في البحث عن اسرار المناطيد واستكناه طرق توجيهها ان تحقق الامل في قرب الوقوف على هذا السر المكنون وبكل جيش من جيوش الدول الاروبية جملة من الضباط يقضون نفيس اوقاتهم في البحث والتنقيب عن ذلك السر واننا نشك في انهم ينالون بغيتهم قريباً

وكثيرا ما استعمل الفرنسويون القباب الطيارة في مستعمراتهم ببلاد

التونكين لارشاد الجيوش وكذلك ايطاليا قلدت فرنسا في هذا السبيل ببلاد الحبش

ويقول العارفون ان وجود القباب الطيارة في الحرب المستقبلة ضروري جدا خصوصاً وان البارود الذي سيستعمله المتحاربون فيها عديم الدخان

❋ في قوة الجسم الانساني (١) ❋

(وسرعة الركض)

سأل بعضهم احد العلماء عن السر في استمرار بعض الراكضين على الركض مدة ساعات متوالية فاجابه العالم ان في قدرة الانسان ان يركض عدة ساعات بدون انقطاع ويسبق الخيول والكلاب وكثيرا من الحيوانات الوحشية المشهورة بسرعة الجري

وكان الركاضون مشهورين في الازمان السالفة وكان الاغنياء يستخدمونهم في اواخر القرن الماضي للركض امام عرباتهم كما في البلاد المشرقية الآن وكان اشراف الانكليز يتنافسون في احراز الركاضين السريعين وكانوا يسمونهم (رونن فوتمن)

فقال السائل وبناء عليه فقد درب الانكليز الانسان على الركض قبل ان يدربوا خيولهم عليه فاجابه العالم نعم وكان الركاض الماهر عندهم هو الذى يقطع في الساعة الواحدة سبعة اميال أى أكثر من ١١ كيلو مترا وقد اتصل بي أن الكونت دي هوم الذي كان قصره على بعد ٢٥ ميلا اي ٥٦٠٠٠ مترا من مدينة اديمبرغ اوعز مساء ذات يوم الى ركاضه ان يوصل رسالة لاحد اصحابه

(١) بقلم صاحب المجموعة

في هذه المدينة ثم نام فلما اصبح الصباح قام من نومه فوجد ذلك الخادم نائماً خارج باب قاعته فاستشاط غضباً وقال له بعد ان ايقظه الم تذهب للآن الى ادمبرغ ولهذا الحد تراخيت في قضاء حاجتي فما كان من صاحبنا الا أن ابرز له خطاباً ردا على الخطاب الذي استلمه من سيده وعليه فيكون هذا الرجل قد قطع ١١٢ كيلو مترا أي ٢٧ فرسخاً في ليلة واحدة

ومن نوادر الركاضين ان احـد الامراء اقام وليمة فاخرة في قصر له فرأى انه لا تكمل بهجة الاحتفال ويتم رونقه الا باستحضار اثاث نفيس موجود في عزبة له على بعد ١٥ ميلا من القصر فبعث ركاضه لاستحضارها فلم تمض ساعتان حتى عاد وبيده ذلك الاثاث .

وكثيرا ما كان الركاضون الانكليز يسابقون الخيول في الركض ويظفرون بها ومن النوادر المتعلقة بذلك أن الدوق ملبورج كان يقود بنفسه عربة يجرها اربعة من الخيول الصافنات فتصدى احد الركاضين لمسابقتها ففاز بسبقها ولكنه مات بعد لحظات قليلة

اما المشاؤون فنوادرهم لاتحصي ولا تعد ومنها ان امريكياً قطع امريكا الشمالية من مدينة سان فرنسسكو الى مدينة نيويورك سائقاً امامه عربة ذات عجلة واحدة

وفي اول هذا القرن تعهد القبطان بوكارى بان يدفع مبلغ ٣٠٠٠ جنيه اذا لم يقطع مسافة الف ميل انكليزي أي ١٦١٠ كيلو مترات في الف ساعة متوالية أي ٤١ يوماً

ولا ننسى اعمال ارنست منسن الملاح النروجي التي ادهشت اهـل اوروبا منذ ٥٠ سنة فانه قبل ان يذهب على قدميه من باريز الى مسكو في

٢٥ يوماً فبرح عاصمة فرنسا في الساعه ١٠ افرنكي صباحاً من يونيو ووصل الى مسكو في ٢٥ منه الساعه ١٠ افرنكي صباحاً وعليه فيكون قد اخترق ٢٥٠٠ كيلو في ١٤ يوماً و ١٨ ساعه .

وقد استخدم سنة ١٨٣٦ في مصلحة شركة الهند الشرقية فكلفته الشركة بايصال رسالة من كلكتا عاصمة الهند الى الاستانة العلية وكانت المسافة ٩٠٠٠ كيلو متراي ربع محيط الكرة الارضية تقريباً فقطعها منسن في ٥٩ يوماً أى في أقل مما تقطعه فيه القافلة السريعة

واقيم سباق على الاقدام مرة بين باريز وكريل وقد اعتني أحد الاطباء بقياس طول المتسابقين ووزنهما قبل السباق وبعده فوجد ان السابق قد قصر بمقدار ثلاثة سنتمترات

وبالجملة فان جميع تلك التجارب التي تدل على قوة الجسم الانساني ومتانته قد افادت العلم فائدة عظمي وافضت الى اكتشافات علمية مهمة كما افضت تجارب الذين يبتلعون الحصى والاحجار والمدي بالطبيب استفنس الايقوسي الى اكتشاف العصارة المعدية والوقوف على اسرارها وبغيره من الاطباء الى معرفة درجة تعود على الاعضاء التى تلى الحلق على قبول الاجسام التى لا توافقها في الاصل وغير ذلك من الفوائد العامية

✻ تباين الذريات البشرية والفواعل الطبيعية (١) ✻

من اهم مايبحث فيه جمهور العلماء في هذه الايام هل جميع افراد بني

(١) بقلم صاحب المجموعة

آدم من ذرية واحدة او ان هنالك فرقاً بين الافريقي والاوربي او هذا والاسيوي من حيث تفرع الاصول وقد اطلعنا على كتاب الفه في هذا الموضوع حديثاً احد علماء الاوربيين ذكر فيه مايفهم منه انه من نصراء الرأي الاخير الذاهب الى تعدد الفروع البشرية والذريات الانسانية وقد أردنا أن نلخص للقراء ما جاء فيه من النقط المهمة التي برهن بها المؤلف على أن ليس للفواعل الطبيعية والاسباب الخارجية تأثير في ذلك التعدد او في التركيب الطبيعي للبنية الانسانية قال المؤلف

لا تعلق لالوان جلود الجنس البشري بتأثير الضوء او الحرارة او غيرهما من وسائل التلوين الطبيعية وغيرالطبيعية من حيث الفعل في مجموع ذرية بأكملها فان هذه المؤثرات الخارجية تستطيع تغيير الفرد الواحد ولكنها لا تستطيع تغيير الذرية او الجمع من الافراد الذين تربطهم رابطة من الروابط القومية ونحن وان سلمنا بامكان تأثير تلك المؤثرات على بعض افراد الذرية البيضاء لسبب من الاسباب ولكننا لا نسلم به تلقاء الامم التي تتوالد وتتناسل ولكل منها لون طبيعي مخصوص

على ان الوان الجلود البشرية واختلافها ليست الا صفات مميزة من الصفات العديدة التي تعرف بها الانواع البشرية وربما كانت من اقلها اهمية فالذي يعول عليه لادراك الفروقات المتعددة بين الاجناس انما هو شكل الدماغ وطول القامة او قصرها او ملامسة الشعر او خشونته وقلته او غزارته وغير ذلك من الاوصاف الرئيسية التي نوردها اليك فنقول

يوجد من بين العبيد النسل او الفرع الافريقي والفرع الاقيانوسي وسمات العبيد الافريقيين تنحصر فيمن يسكن منهم وسط القارة الافريقية وشرقها ومن

هذه السمات ان يكون الفك العلوي بادياً الى الامام بحيث ان جزءه الذي توجد فيه الاسنان لا يوازي خط الجبهة

ثم ان الهيكل العظمي للعبد الاسود غليظ ثقيل غير معتدل القوام وصدره فسيح وا كثر تحدباً من صدر الاوروبي ويكون في غالب افراد العبيد كالشكل الاسطواني وشعره قصير مفتل مجعد ودمه كثيف واسود كذلك ويسيل بيطء زائد

هذه هي امهات الصفات الطبيعية التي تميز الاسود الافريقي عن الجنس الابيض اما صفاته الادبية والعقلية فاشهر من ان تذكر وانما حصرا لهذه الصفات نقول ان قوة ادراك العبد غير فسيحة المدى وفهمه ضيق النطاق وانه لا يبالي بالامور وينصدع للامر اذا عومل معاملة حسنة قريب الاخلاص لمولاه على هذا الشرط ولكنه يجنح في اغلب احيانه الى الخيانة والانتقام بقسوة زائدة وقد اسند بعضهم الانخفاض العقلي في العبيد الى تأثير المؤثرات الطبيعية والحرارة وغيرهما مما ذكرناه سالفاً وهو خطأ بين وغلط فاحش واضح اذ انه لا تستطاع معرفه صفات أمة خصوصاً ما له مساس بالصفات العقلية منها الا بعد معرفة لغة هذه الامة ومعاشرة افرادها زمناً طويلا ونحن لم نتوصل للآن الى اكتشاف جميع بلادهم بل ولا معرفة شيء من لغتهم وعاداتهم فكيف نحكم عليهم بناء على حيثيات سطحية لا يصح ان يركن اليها او يعول عليها اذا كان الغرض تحقيق الحق وتقرير الصواب

ولا ريب في ان معرفة لغاتهم تكون هي الوسيلة الوحيدة لبلوغ هاته الغاية البعيدة المنال كما ان المدارك تختلف عن بعضها اختلافاً عظيماً فاذا حاولنا الحكم على درجة انخفاض مدركة امة من الامم اودرجة ارتقائها بدون ان نعرف لغة أهلها وكنه الفرق بين مدركة كل فريق منهم نكون قد خبطنا خبط عشواء

في الليلة الظلماء

وقد حدث لى مرة ان رأيت طفلا من بلدة طوبران التابعة للحكومة العثمانية ناهز من العمر اثنتى عشرة سنة فحكمت من اول وهلة بانه آية في الذكاء والنباهة لانه كان يتكلم بالعربية والتركية وباللغة الفرنساوية كما يتكلم بها أحد ابنائها ولكن ما لبثت ان رأيت نفسي مخطئا في ذلك الحكم لما عاينته من بلادته بعد ذلك وصعوبة ادراكه لدرس من دروس العلوم الطبيعية فتحققت وقتئذ من أن الحكم على درجة نباهة أى شخص لا يكون بما يري في مبدأ الامر من سرعة لهجة هذا الشخص في لغة او لغتين او اكثر وهو ما يكون قد اكتسبه بالاختلاط والممازجة وانما يعرض له من السهولة او الصعوبة في فهم وادراك شيء طاريء واذا كان هذا هو اغترارنا مع الذين نفهم كلامهم فكيف مع العبيد الذين ليس لاقوالهم معنى

والمعلوم ان ذرية السودانيين فطرت على الخمول وعدم النشاط فاننا لم نسمع منذ اختلاطنا بها انها قامت بانشاء اثر فنى او ادبي او شادت بناء كالاهرام في جسامته او كالمسلات في رشاقتها وتنميقها او نبغ منها أحد من ارباب الافكار العالية فسعي في اصلاح بلاده وترقية أمته كافلاطون وارسطو عند قدماء اليونان ولبنتز ونيوتن عند الانكليز وغيرهم عند الامم التى اشرقت عليها شمس المدنية والعمران

ولكن مهما كانت درجة العبيد من الانحطاط المادى والانخفاض الادبي فانى لا استنتج من ذلك انهم لا يقدرون على الارتقاء او لا يستطيعون مجاراة المتمدنين في اتساع نطاق العقل وانفساح مدي المدارك بل مثل هذه النتيجة تعد بمكان مكين من القسوة في الحكم والاجحاف بالحق وقد ذهبنا الي هذا

المذهب مستندين على ما نراه من الذرية البيضاء والوظيفة التي تقوم بها اليوم فان هذه الذرية قد انتشرت في الارض واسست دولا واماً لها المقام الارفع في تاريخ الشعوب المتمدنة

ولكن لا يمكن الحكم على امة ما من حيث نصيبها من النباهة وحصتها من التمدن بنباهة بعض افرادها او تمدنها في مدة معلومة من الزمن كما لا يمكن الحكم على امة اخري من حيث ما يناقض ذلك بغباوة بعض افرادها او ضلالها في الهمجية في مدة محدودة فمثلا لايصح ان نحكم بشهامة العائلات الجرمانية والسلافية لانه قد خرج منها رجال في العشرة قرون التي تتألف منها القرون الوسطي مشهود لهم بالثبات في موطن القتال او بتقهقر الذرية الانكليزية السكسونية لانه لم يخرج منها في تلك الحقبة العصرية نفسها رجال من المشهود لهم بالبراعة في الشعر والاختراع والسياسة والملاحة وعلوم التاريخ والفلك والفلسفة ولانه لم يكن لها دونمة قوية او مستعمرة نائية وهذا المثل الذي سقته انما هو مختص بالامم الحاضرة اما الامم القديمة البائدة او التى لا يزال لها اعقاب الي يومنا هذا فلم يحافظوا على ما كان لاجدادهم من المجد وعلوّ الشان فان مثلها عندي هو انك اذا رفعت النقاب عن تاريخها فانك تجد ان اليونانيين الذين فاقوا معاصريهم في تلك الاعصر لم يحافظ ذراريهم واعقابهم الباقون الي اليوم ما كان قد حازه اجدادهم من التمدن والارتقاء حتى لقد يعسر على المتأمل ان يري بينهم اليوم و بين من نسميهم برابرين وهمجيين فرقاً واضحاً ومع ذلك فلو تنبه احد الكتبة المعاصرين لاسكندر الاكبر المقدونى الى وضع كتاب في فلسفة التاريخ لقال في كتابه هذا ان الرتبة التى وصل اليها اليونانيون لابد ان تكون لهم وان يكونوا لهامدي الاعصار والدهور

وكان الاحري به ان يقول ان هذه المرتبة السنية لا يصح ان يشغلها احد من عصري الذي اعيش فيه وعليه فما يقال اليوم عن العبيد السودانيين وعن اعقاب اليونانيين المعاصرين لنا كان يخطر على بال الامم اللاتينية وغيرها حينما كانت هذه الامم في درك الجهل والهمجية

ولا يشك عاقل بناء على ما قدمناه في ان امة السودان ستكون يوماً ما صاعدة درجات التمدن كالامم التي تمتعت بنعمة التمدن او المتمتعة بها الآن فانها قبل وصولها الي هذه الدرجات كانت في حالة من التوحش شبيهة بحالة السودانيين منه الآن الم تكن صفحات التاريخ مفعمة بشرح انتقالات الامم من هذه الحالة السيئة الى احسن منها بالتدريج الم نقل فيها ان اليونانيين كانوا في مهواة الخمول فلما ان ساعدتهم المقادير واسعفتهم العناية استولوا على قارة آسيا بتمامها ووطدوا سطوتهم في ارجائها وهم اصغر امة في العالم قديماً وحديثاً وان بعضاً من الصوريين سكان مدينة صور ببلاد الشام هاجروا الى جنوب ايطاليا فلما ان لبثوا بها مدة زلزلوا هذه المملكة وضعضعوا اهلها وهم نفر قليل وان العرب هبوا من وسط الصحراء والبيداء فاخضعوا لسطوتهم جزءا عظيما من العالم ولولا ارادة الله لكانوا اليوم اصحاب الكلمة المسموعة والامر النافذ في البلاد الاوروبية فكل هذه الشواهد تدل دلالة اكيدة على سرعة زوال الدول وقصر اعمار الممالك التي اشتهرت بالقوة في القتال او التقدم في العلوم والمعارف حتى صرنا ونحن لا يختلج احدنا شك في ان الامة التي تكون قابضة اليوم على صولجان السطوة والنفوذ لابد ان تتنازل عن مركزها في الغد لغيرها ولقد قبض على هذا الصولجان الهنديون والمصريون في غابر الازمان وكل من هذه الامم اضطرت الى التنحي عنه لامة خلفتها وان الشعب

الذي يكون قد بهر العالم بعلومه واختراعاته واكتشافاته حتى استلفت الانظار اليه هو الاقرب الى السقوط في مهواة الهمجية والادنى من العودة لحالته الاولى

أهل يفسر بعد ذلك التوضيح الكافي ارتقاء وانحطاط اليونانيين وتقدم وتأخر المصريين بما للحوادث الجوية والآثار العلوية عليهم من الفعل والتأثير كلا بل اذا كان لهذه الحوادث والآثار دخل في تقدم الامم وتأخرها وتمدنها وتوحشها لبقيت كل امة على فطرتها ان متمدنة وان متوحشة وهو فيما نظن محال

يستنتج مما تقدم جميعه ان جهلنا الحاضر بدرجة استعداد الذرية السودانية لايمهد لنا سبيل الحكم عليها ببقائها على حالها او انتقالها منه وانه لايجمل بنا ان نسند عدم ارتقائه مهما كان ذا استعداد واهلية او ليس له نصيب منهما الى المؤثرات الطبيعية كالظواهر العلوية ولو كان لهذا الزعم الذي ذهب الى تأييده بعض علماء اليوم ظل من الحقيقة لكانت الطوائف التي تهاجر بلادها الى بلاد غيرها تتغير سمات وجوههم والوان ابدانهم بحيث تصير كسمات والوان الامم التي جاوروها لتأثرهم بنفس المؤثرات التي اثرت في هاته الامم انظر الى الافغانيين مثلا وغيرهم من الامم الاسيوية التي امتازت بشدة سواد الشعر وكثافته وملاسته وبقصر القامة وفطوس الانف وتشابهوا في لون البشرة تجد ان هذه الاوصاف لاتتغير سواء مروا ببلاد غير وطنهم الاصلي او قضوا فيه اعمارهم وهؤلاء اقوام الهنديين سكان امريكا الاصليين فان منظرهم متماثل متقارب في جميع انحاء هذه القارة على اتساع انحائها وابتعاد اطرافها ولا يخفى على اللبيب ان الطقس في امريكا الشمالية غيره في امريكا الجنوبية وانه يختلف عن بعضه في جهات الامريكتين وقد

قال بعض العلماء انه توجد مشابهة كلية بين ذرية الهنديين في جميع النواحي القارة الامريكية حتى لقد يخال لمن يرى واحدا منهم في ناحية من الانحاء المشار اليها انه قد رآهم في جميعها وحيث كان الامر كذلك فما هو الارتباط بين حرارة الشمس التي هي واحدة من الظواهر العلوية وبين احداث الفروق في الشبه والشكل واللون وغير ذلك من مميزات الامم عن بعضها يؤخذ من هذا جميعه ان الآثار العلوية والظواهر الجوية لاتأثير لها في ايجاد الفرق بين الطوائف البشرية من حيث مايختص بالمحسوس من الانسان فكيف بغير المحسوس منه

❋ كشف المستقبل (١) ❋

مهما ارتقت الامم وارتفعت الى اسمى درجات التمدن والحضارة فلابد ان يكون للأضاليل الفاسدة والاعتقادات الباطلة سلطان على عقولهم وفعل في عاداتهم ولا تختلف في ذلك امة عن اخرى كما دل عليه امتلاء جملة من حارات باريز وهي المدينة المشار اليها بالبنان في هذا الاوان بعدد عظيم من المنجمين ورسل الضلالات والخرافات الذين يزعمون انهم قادرون على معرفة المستقبل واستطلاع مكنوناته فيوقعون في شباكهم البسطاء والسذج وكثيرما هم ومن يطلع على احوال اولئك المضلين ويلم بطرق احتيالهم وتدليسهم لايعجب من ازدحام الجمهور عليهم وتواردهم اليهم أفواجاً أفواجاً بين راغب في معرفة مايكون له من أمره في مستقبل الزمان وطامع الى تحقيق بغية تجسمت

(١) بقلم صاحب المجموعة

انظره في الوهم والخيال

ومن اشتهروا بالبراعة في تلك الصناعة رجل يدعى كوناك كان عائشاً في القرن السابع عشر من الميلاد المسيحي وله جملة من المؤلفات لاتزال لخلفائه اليوم نورا يستضيئون به وعلما يهتدون بواسطته الى انتزاف اموال المغرورين وابتزاز دراهم الطائشى الاحلام ومما جاء في بعض تلك الكتب ان البنت التي تولد في يوم الاحد تكون شقراء اللون خفيفة المنظر رشيقة القوام رقيقة الطبع حلوة الشمائل باسمة الثغر وانها اذا تزوجت بغني وعاشت معه حتى منتهى الاجل لاترزق بكثير من الاولاد ويكون متوسط حياتها ستين سنة واذا ناهزت التاسعة والثلاثين او الاربعين منها اصيبت بداء عضال تشفى منه

أما الولد الذي يولد في ذلك اليوم فيكون ميالا الى الغضب جانحاً الى سفك الدماء وافاضة الارواح أسمر لون البشرة متهيئاً بطبعه للاصابة بالامراض الوبائية واذا تزوج فيكون زواجه عنواناً على مستقبل انفصاله من زوجته بموتها او بطلاقها وتزوجه بثانية وثالثة ورابعة الخ بعد ذلك الى أن تنتهي حياته التى لاتتجاوز ٦٣ سنة

وللرجل الذي يولد في يوم الاحد خلاف هاته الاميال انعطاف نحو التغرب والتنقل في البلدان غير انه يلزمه ان يزاول جملة من الحرف والصنائع لكي يكتسب منها مايمهد له سبيل الوصول الى قضاء هذا الوطر

وان البنت التى تولد في يوم الاثنين تكون كستناوية اللون (أي كاون الثمر المعروف بأبو فروة) جميلة الشكل متناسبة الاعضاء لا بالفظة الغليظة ولا بالنحيلة الضئيلة مستعدة لامراض المعدة ولا تتجاوز الخمسين من السنين. وهي اذا تزوجت برجل من ارباب المناصب في الحكومة تكون دائماً خائفة

منه ممتثلة الى ارادته مذلولة النفس يرتفع عليها الوضيع ويهينها الحقير وتخلف من الذكور أكثر من الاناث

أما الولد الذي يولد في يوم الاثنين فيكون بلغمي المزاج مستعدا للنزلات وآلام الاسنان والقولنج (المغص) وداء الفيل و يعيش سبعين سنة ولا يحب الا الارامل من النساء واذا ترشح الى وظيفة فاما ان يكون مهندساً للآلات او صائغاً او كاهناً او نقاشاً او رباناً لسفينة او جابياً للاموال او صاحب مطبعة اوطحاناً او سفيرا لدي امة من الامم .

وان الذي يولد في يوم الثلاثاء يصاب بحمى الربع و بالسحج (أي النزيف) و بالشقيقة (أي وجع شق الرأس) و باليرقان أو الارقان (وهو ان تصفر عينا المريض ولونه لامتلاء مرارته واختلاط المرة الصفراء بدمه) و بالنملة (وهي بثور صغار مع ورم قليـل وحرقة وحكة وحرارة تسرع الى التقريح) ثم بالموت الفجأة

ولما كان كوكب يوم الثلاثاء هو المريخ فالشخص الذي يولد في هذا اليوم يميل الى معالجة الاسلحة ومزاولة القتال و يصل بشهامته الى أرقي غايات المجد والفخار وهو يعيش ستين سنة ولا يتزوج في عمره الا بواحدة فقط يرزق منها بقليل من الاولاد و يكون من طبعه الميل الى التأنق في المأكل والمشرب

وان البنت التي تولد في يوم الاربعاء تكون صغيرة الوجه قصيرة القامة مع تناسب هذه ووضاحة ذلك وصباحته و يكون ميلها الى الآداب والفنون التشخيصية فاذا تزوجت برجل من ارباب الاقلام وهو الغالب يموت وتبقي بعده أرملة

وأما الولد الذي يولد في ذلك اليوم فانه يكون هائل الخلقة ضخم الجسد

ويعيش خمسين سنة يتزوج اثناءها بثلاث نساء و يرزق منهن بثمانية اطفال بين ذكور واناث

ولما كان كوكب يوم الاربعاء هو عطارد فيكون من حظه على الدوام الترقي الى اعلا المناصب وأشرفها كان يكون سفيرا لدى دولة او رئيساً لمصلحة او مشيرا او كاتباً او طبيباً وقد يتأتي ان يصير من جملة المتشردين الذين لامأوى ولا ملجأ لهم او كسولا او من مزيفي النقود او رئيساً لمكان من امكنة الفسق والفجور

وان البنت التي تولد في يوم الخميس يكون شعارها التقوى والصلاح وطبعها المحافظة على الاسرار والميل الى المحادثة في الامور الدينية وتعيش من العمر ٧٢ سنة وهي اذا تزوجت تتزوج ثلاثه اشخاص بالتعاقب ترزق منهم باولاد غاية في الجمال وتكون سعيدة في شيخوختها

ولما كان يوم الخميس يوافق كوكب المشتري فالذي يولد فيه يكون صاحب نفوذ وكلمة و يكون كثير الاصحاب و يرزق بكثير من الاولاد و يعيش ثمانين سنة

وان البنت التي تولد في يوم الجمعة يكون نزوعها الى التجمل بالملابس الانيقة والحلى الثمينة والتعطر بالغالية والروائح الزكية . واما الولد الذي يولد فيه فيكون مشغوفاً بفن الموسيقى مقرباً من النساء يتزوج مرة واحدة في حياته و يرزق من الاناث اكثر من الذكور و يعيش ٧٢ سنة

وان البنت التى تولد في يوم السبت لاتكون جميلة بالمرة بل وسطاً بين ذلك وتصير مستعدة للامراض الشديدة مقترة على نفسها تقالل من مأكلها ومشربها بقدر الطاقة خشية من الوقوع في عاقبة السرف والتبذير وهي تتزوج

صغيرة السن وتقضي عمرها في خصام مستمر وشقاق دائم مع زوجها . وأما الرجل الذي يولد في ذلك اليوم فانه يكون قبيح الشكل بشع الوجه بخيلا اذا اقترض مبلغاً من غيره لايرده اليه و يعيش مائة سنة تقريباً

فمن تأمل في هذه الخرافات وقارنها بما فاضت به بعض كتبنا العربية كأبي معشر والديربي يرى بين الاولى والثانية قرابة شديدة من حيث تزويق الآمال وتمويه الأماني ولكن اذا كان انصياع الشرقيين لمـا يوحيه اليهم الدجالون رسل الكذب والضلال هو لجهلهم وعدم تلقيهم المبادئ التهذيبية في غضارة الفتوة ونضارة الشباب فما عذر الاوربيين في اعتقاد مايقول به دجالوهم وهم قد درسوا العلوم والآداب وتلقوا من الاصول التهذيبية مايكفل بقاءهم في معزل من تطرق تلك الاضاليل الباطلة الى اعتقادهم

✻ الصينيون والافيون (١) ✻

كتب أحد السياح في هذه البلاد (الصين) الى صديق له ممن يمارسون فن الطب بالبلاد الفرنسوية رسالة قال فيها (لو قصصت عليك ما حدث لى من الضرر بتعاطي الافيون دفعتين فقط بمدينة كنتون — من بلاد الصين — لقلت لى اني اخشى من عواقب انتشار استعمال المجهزات الافيونية بين النساء الفرنسويات وان الآلام الطبيعية والادبية بالنظر لوفرة عددها تجاوزت حد النسبة مع ملاذنا وشهواتنا حتى اننا خيرنا ترجيح هذه على تلك وقد اعترف المسيو سلفستر دوساسي العالم المستشرق المشهور بان المدمنين على تعاطى

(١) بقلم صاحب المجموعة

الافيون والحشيش يرون في تعاطي هاتين المادتين مع فقرهم ورثاثة ملابسهم وحقارة مجالسهم لذة عظمى تجعلهم يعتقدون انهم أسعد الناس طالعاً واوفرهم حظاً ويخشى من أن شرب اللودنم ولذعات المورفين تشيع عند الاوروبيين شيوع تلك المواد عند الشرقيين)

وقد اجتمعت بكثير من العلماء الذين قصدوا المملكة السماوية للبحث في حقيقة تأثيرات الافيون والحشيش على الانسان ووقفت على كثير من خلاصات مباحثهم ولذا رأيت من الواجب على ان ارسل بملخصها اليك مفتتحة بمقدمة تشتمل كيفية زراعة الخشخاش في بلاد بنغال وعلى الافيون الذي ينتج منه فاذا تناوله المشغوفون به اضر البعض وافاد البعض الآخر وعلى تاريخ ادخاله في البلاد الصينية حيث تستنفذ اكبر كمية منه فنقول

ان شجر الخشخاش المسمى باللاتينية بيافر سمنيفرم ينمو في بلاد العجم والصين والهند الشرقية ويكون محصوله في هذه اوفر واحسن منه في ذينك البلدين وما فتئت الحكومة الانكليزية تحث الهمم وتستنهض الاهالي على توسيع نطاق زراعته و يدها احتكاره كما تحتكر الحكومة في فرنسا تجارة التبغ وما ذلك الا لان زراعه الخشخاش من الموارد المالية التي تعمر بها الدولة الانكليزية خزائنها المالية ولا ينسي القراء ما كان من مباحثة اعضاء مجلس العموم في امر الافيون بالبلاد الهندية وعدولهم عن ابطال زراعته بناء على طلب البعض منهم لما ينشأ عن ابطاله من الاضرار بميزانية الدولة

ومن يتجول في وادي نهر الكنج ومراكز بطنا و بناريس يري ارض هذه الجهات مجللة كلها بشجيرات الخشخاش الذي تستخرج منه مادة الافيون المضرة بالجسم والعقل وفي وقت الازهار يكون الجو متشبعاً بالروائح المخدرة

والارض مغطاه باوراق الشجيرات فتكسبها لوناً يورث للناظر اليه الحزن والغم

و يبلغ وزن الافيون الذي يستخرج من أشجار الخشخاش باقليم بنغال وحده ٧٠٠ مليون كيلو غرام تكتسب الحكومة الانكليزية منه كل سنة ١٥٠ مليوناً وكيفية جنى الافيون هي ان محافظ الخشخاش قبل جفافها تفرز مادة لزجة على شكل كرات كهرمانية اللون فيأتي الجماعون و يقطفونها بواسطة آلات ذات شكل مخصوص واشهر هذه الآلات واكثرها ذيوعاً آلة مثلثية الشكل كورقة الشجرة طولها ثمانية سنتمترات وعرضها سنتمتر ونصف ويجب ان يكون مع كل جماع هندى أربع آلات مثلها يجعلها في صندوق صغير عند عدم استعماله لها وتكون معه لوحة اخري ينشر عليها مايجمعه من كرات المادة المنفرزة ثم يجعل هذه الكرات في قدر من الفخار يغطيها بغطاء محكم و يذهب الى معامل الافيون التي يديرها موظفون من طرف الحكومة الانكليزية وهناك يأخذ هؤلاء الموظفون في تفتيش القدر لكي يتحققوا من عدم وجود مواد غريبة اضافها الجماعون غشاً بواسطة احد الكيماويين المستخدمين في المعمل وتلصق ورقة على القدر ثم توضع هذه في قاعة واسعة خاصة بها لكي يكتسب مشمولها فيها الصلابة اللازمة مدة من الزمن وعقب ذلك تجعل على شكل كرات كبيرة حجمها كحجم رأس الانسان بحيث يكون وزنها واحدا والصانع الماهر يصنع من هذه الكرات مئه في اليوم الواحد وتصلح اوراق الخشخاش لتقليل تماسك الكرات ببعضها فتجفف وتسحق وتجعل حول كل كرة كما يفعل الاطباء في حبوبهم

وبعد تدوير الافيون بالشكل المتقدم يوضع في جفنة ثم ينقل منها الى مكان التجفيف و يوضع فيه بنظام محكم وترتيب تام وفي اثناء التجفيف ينفذ

في الكرات سلك من المعدن لكي يدخول الهواء في داخلها لاتتخمر والعملة يوجهون الي هذه المسألة عناية خاصة تمنع تصاعد الغازات التى من شأنها أن تجذب الحشرات التى تضر كثيرا بالكرات

وترسل كرات الافيون من بنغال الى مدينـة كلكتا عاصمة الهند في صناديق متينة توضع في سفن شراعية لها علامة مخصوصة بحيث اذا ماسارت على نهر الكنج ابتعدت عن طريقها المراكب الاخرى احتراماً لمشمولها والصناديق التي يوضع فيها الافيون تصنع من خشب جبال النيبول وهذا الخشب يأتي منها بكميات وافرة جدا ومهما كانت شهرة افيون بنغال وآسيا الصغرى فاحسن افيون يستعمله الاجزائيون في الادويةهو ما كان واردا من جهة ازمير لان مادة المورفين فيه اغزر منها في غيره وتختلف كيفية جمع الافيون الازميري عن كيفية جمع الافيون الهندي اختلافاً كبيرا وتبلغ قيمة مايصدر منه في كل سنة الى انكلترا وبلجيكا خمسة ملايين من الفرنكات ويختلف ثمن الكيلو غرام الواحد منه من ٣٠ الى ٨٠ فرنكاً

والافيون الذي يباع بالمفصل يدخله الغش في اغلب الاحيان ومع ذلك فان ثمنه يكون ارفع من ثمن الافيون النقي الخالي من عيوب الغش و يتفنن أهالي سواحل البلاد الصينية في تهريبه رغما عن تعدد دواوين الجمارك ومبالغتها في شدة المراقبة فمنهم من يضعه في زوارق خفيفة اذا شقت عباب البحر لاتلحقها سفن الجمارك ومنهم من يخبئه في جهات من اجسامهم لا يتبادر الى ذهن المتأمل انها تكون موجودة بها وربما وضعوها في مواسير الطلمبات والساعات الزمنية وعجلات المراكب ومجاديف الزوارق وغير ذلك مما لايحصيه قلم او يحصره لسان

ومدون عند الصينيين انهم عرفوا الخشخاش في القرن الثامن من الميلاد المسيحي ولكن لم يستعملوا منه في صوالحهم سوى بذوره واول من عرفهم سر مافيه من الافيون هم المسلمون لمـا كان لهم من العلاقات التجارية القديمة بالبلاد الصينية

وفي سنة ١٥٧٨ من الميلاد أتم العالم الصيني المشهور (لى شي شن) كتابه الذي الفه في المادة الطبية وقد اورد فيه تاريخ الخشخاش وقال ان تاريخ هذه المادة ينقسم الى ثلاثة مدد الاولى هي التى كانت خواصها مجهولة فيها أي من القرن السابع الى الحادى عشر من الميلاد المسيحي والثانية التى استكشف فيها على ما يعلو سطح محافظ الخشخاش من الترشح والافرازات التي تأتى من داخله واستعماله هذه الافرازات في معالجة امراض البطن والثالثة التي فيها وردها المسلمون الى البلاد الصينية على شكل قطع وقال «لى شي شن» ان الافيون يوجد على السطح الظاهر للخشخاش وانه عظيم الفائدة اذا استعمل مطبوخاً في العسل ثم هزأ بأحد الاطباء السابقين لانه قال ان الافرازات التى توجد على سطح محافظ الخشخاش تفني الروح كما تفنيها ضربة السيف وبعد ان أفاض في الكلام على استعماله دواء في أمراض الحدار والربو قال ان أهالى مدينة بكين (عاصمة الصين) يستعملون الافيون على شكل حبوب لتحريض الشهوة واثارة الباءة والذين يعرفون أحوال الصينيين لا يندهشون من ذلك مطلقاً اذ انهم لم يقتصروا على ذلك فقط لاستنهاض قوة الجماع بل استعملوا لحم بعض الطيور والاسماك التى ظهر من التجارب أن آكلها يجد في نفسه استعدادا الى الافراط من الجماع وقد نشأ من الادمان في تعاطي الصينيين للافيون ان كبرت عندهم نسبة عدد الاموات و بلغت حدا لا يكاد يصدق

وقد صدرت اوامر ملوكيه في القرن الثامن عشر من الميلاد تقضي بابطال استعماله ولكن لم تجد هذه الاوامر نفعاً حيث ان الاهالى لم يزدادوا الاطغياناً على طغيانهم ولم يردعهم وازع عن ذلك وقد تضاعف عدد الاموات منذ عمله الهولانديون للصينيين ممزوجاً بالحشيش واليك توضيح كيفية دخول هذه العادة في البلاد الصينية

لما استولى الهولانديون على جزيرة فرموزة واستتب لهم الامر فيها سنة ١٦٢٤ شيدوا قلعة زيلانديا واستخدموا في تشييدها كثيرا من البتافيين فعلم هؤلاء اهل الجزيرة الصينيين استعمال مستخرج الكتان والافيون ممزوجين ببعضها تدخيناً في شبك من البوص الهندى وكان يشعر المدخنون بتخدر فيه لذة تمكث معهم طول الليل وقد استرسلوا في الاكثار من استعماله استدامة لهذه اللذة ولكن كانت العاقبة على العموم هي الموت العاجل وقد اراد الاوربيون ملافاة الامر ولكن كان قد تفشي الداء وتعذر الدواء فذهبت مساعيهم ادراج الرياح ومن الدلائل الواضحة على شغفهم بتدخين الافيون شغفاً زائدا انه اذا حكم على أحدهم بان يضرب بالعصى كان يبكي وينتحب لا من الم الضرب وانما لحرمانه من شرب الافيون مدة تطبيق العقاب اليه وربما طلب ان تضاعف العقوبة على شرط أن يسمح له بتناول الافيون

وقد اضطر الهولانديون الى مغادرة جزيرة فرموزه فعاد الصينيون اليها واستولوا عليها وقال المؤرخون الصينيون انه منذ هذه الحادثة اعتاد ابناء المملكة السماوية على افظع عاده واحط رذيلة في الرذائل وقد مضي اكثر من مائتى سنة والاوربيون قدملأوا جيوبهم من هذه التجارة ومع ذلك لم تنجع الوسائل التي اتخذها علماء الصين ورجال الحل والعقد لمنع انكباب الصينيين

على تلك الآفة المهلكة وقد فرضت عليهم الغرامات والعقوبات وهم مع ذلك لا يزدادون الا غلوا في غيهم واسترسالا في بغيهم على ان الحكومة الصينية لما رأت ذلك أصابت في رفع قيمة الرسوم المضروبة عليه فاستفادت بذلك المال واعتدال الكثيرين في الشرب وانظر الآن اذا كان تغاضي الحكومة الصينية عن المدخنين للافيون يضر بالصينيين ضررا بليغاً كما هو المتواتر على المسامع او لا يضر بهم

اقول ان الاطباء الذين خالطتهم في بلاد الهند الصينية يثبتون انه اذا استعمل الافيون باعتدال لا يضر بالشارب حتى ان الرجل الهرم يمكنه ان يشرب منه بدون أن يخشى على جسمه ان يتألم أو يصيبه مرض ويقول اولئك الاطباء انهم شاهدوا انه اذا حرم الصبي من شرب افيونه برهة يحصل له اضطراب في الجسم وخلل في العقل كما يحصل للبحري الاوروبي الذى يحرم من مضغته التى اعتاد عليها اوالسكيرين الذين يحكم عليهم بشرب الماء الزلال وقد أظهرت التجارب أن البعض ممن يشربون الافيون لا يلم بهم ضرر اذاهم انقطعوا عن شربه بغتة لعارض من العوارض كالسجن مثلا وقد دخل احد الاطباء في سجن من السجون الصينية فوجد به شاباً قال انه منذ ثلاثين سنة لم ينقطع عن تناول الافيون يوماً واحدا ومع ذلك فلم يتكبد ضررا من انقطاعه عن شربه منذ القى في السجن وان صحته قد تحسنت تحسناً محسوساً لانه لما دخل السجن كان يزن ١٠٧ ارطال فلم تمض ايام حتي بلغ وزنه ١١٠ ارطال وازداد قليلا حينما افرج عنه وخلي سبيله

وشوهد ايضاً ان الافيون يفقد شيئاً من تأثيره السمي بتصاعده على شكل دخان وان الافيون الذى يستنفده الصينيون يفقد ٢٠ في المائة من مادة

المورفين الموجودة فيه وشارب الافيون لا يميز شيئاً ولا يجد فرقا في التأثير الناشيء من تعاطيه اياه سواء كان محضرا او غير محضر

وقد اجرى بعض الاطباء الانكليز تجربة غريبة على نفسه وهو انه اخذ في شرب نصف اوقية من الافيون كل يوم فشعر بتأثيرات لذيذة استدل منها على شدة الالم الذي يصيب من يحرم من تناوله وكان معتادا عليه وقد شرب ايضاً من الافيون المحضر فوجد ان تأثيره هو عين تاثير الاول الغير محضر من حيث ايجاده للسرور واللذة لا من حيث فعله بالجسم وقد زعم هذا الطبيب ان ضربات نبضه ودرجة حرارة جسمهِ لم تتغير على الاطلاق اثناء تناوله تلك المادة وقد اعاد التجربة على جملة من الاوربيين فشاهد ما اكد زعمه وحقق ظنه

وقال لي وكنت اعد ضربات نبضهم وافحص درجة حرارتهم بعد أن اكون قد قدمت لهم ١٢ شبكا معمرة بالافيون فلم ار تغييرا حدث

وقد قلت في اول هذه الرسالة اني حاولت بنفسي شرب الافيون وكان ذلك في وليمة دعاني اليها بعض الاخدان فشربت شبكين ولم اقدر على تعاطي الثالث لما شعرت به في نفسي من الالم الزائد الذي يشبه ما يحدث للمسافر في البحر لاول مرة

يتلخص مما تقدم ان تعاطي الافيون من اكبر المضار التي تصيب الصينيين في جسمهم ومالهم وقد وقع الكثير منهم في الفقر المدقع بسبب تلك الآفة اللعينة وصارت حالهم الى أسوأ حال وكما ان الرجل الغني المتعود على تناول النبيذ الفاخر في اوروبا يهدي الى أصحابه كاساً او كاسين منه كذلك الصيني الذي في رغد العيش بشرب الافيون ويهدي منه « نفساً » لاصحابه واخوانه

وقد دلت الاحصائيات على ان الذين يذهبون كل سنة فريسة الافيون في بلاد الصين ٦٠٠ الف نفس وهذه هي نعمة التمدن التى غمرت الدولة الانكليزية بها الصينيين بعد أن فتحت عليهم الحرب الهائلة المسماة بحرب الافيون لالزامهم بشربها وذلك لترويج بضاعتها وتكتسب منها الاموال الطائلة

﴿ الماء والصحة (١) ﴾

ان المياه من الاسباب الاساسية التي تساعد على انتشار الوباء خصوصاً اذا كان هذا الوباء حمى تيفوسية أو كوليرا وعلى ذلك فسبب انتشار الكوليرا بالديار الاوروبية في السنين الماضية هو امتلاء مياه الشرب بالجراثيم المساعدة على الاصابة بهذا الداء ومن الشواهد على ذلك الوباء الهايل الذي فتك باهالي مدينة مدريد في سنة ١٨٣٤ من الميلاد المسيحي فانه لما بحث العلماء في اسباب انتشاره تأكد لديهم ان الحارات التي ضاع اهلها فريسة له كانت تستقي من مياه الآبار بخلاف سكان باقي الحارات فانه لم يبلغهم اذي لاستقائهم من العيون الجارية وقد حدث في ذلك الوقت ان الاهالي اتهمت القسوس بانهم وضعوا السم في الآبار بنية الاضرار بهم لمصلحة دينية لهم وقد حملهم هذا الظن السيء على التألب عليهم والايقاع بهم فبعد أن كانت العناية مصروفة الى مواساة المرضى والبحث عن وسائل تلافي الضرر اتجهت الى الفصل فيما بين الفريقين ومنع الاهالى عن الاعتداء على طائفة الكهنة بدون ان يأتوا من الاعمال ما يستوجب هذا العدوان

(١) بقلم صاحب المجموعة

وفي سنة ١٨٦٦ أحضر الطبيب (سنو) الانكليزي خريطة مدينة لوندره وأشر على الجهات التي فتك داء الكوليرا باهلها فتكا ذريعاً فتأكد لديه ان سكان هذه الجهات كانت تستقي من مياه (برودستريت) المشهورة بانها مسكن جراثيم الامراض الوبائية وكانت توجد بقرب مدينة (شومون) من فرنسا آلة رافعة ترفع المياه من حضيض عميق بقرب المدينة فكان يظهر داء الحمى التيفوسية في مواعيد تحرك هذه الآلة ولما أمر الدكتور ميشل بالغائها كف الداء المشار اليه عن معاودة الاهالى بالمرة

وفي سنة ١٨٧٩ وقفت امرأة مصابة بالحمى التيفوسية قريباً من غدير ماء جار كان أهالي قرية أوكسير يأخذون منه ما يلزمهم لشربهم ومصالحهم البيتية فلما انتشرت جراثيم ذلك المرض في الغدير أصيب به غالب سكان تلك القرية واما الباقى فلم يمسهم اذي ولا ضير لانهم كانوا يستقون من مياه اخري صافية ولما شعر ارباب الحل والعقد باسباب انتشار الداء حولوا مجرى الغدير واستبدلوه بآخر فانقطع الداء بالكلية واستؤصلت بهذه الوسيلة شأفته

وفي سنة ١٨٨٤ لدي انتشار داء الكوليرا بمدينة جنوفا لاحظ الاطباء والعلماء ان في كل خمسين نفساً اصيبوا بذلك الداء ثمانية واربعين منهم شربوا من مياه غدير بقرية كانت في الزمن السابق مناخاً للامراض الوبائية وعلى الاخص منها داء الكوليرا فلما علمت الحكومة السبب وقطعت المياه عن المدينة انقطع الداء عنها ايضاً ومن غريب الحوادث ان فرقتين من عساكر جيش واحد احداهما من المشاة والاخري من الفرسان كانتا تستقيان الماء من مورد واحد غير صاف فاصيبتا بالاسهال فلما تيقظ الي هذه الحالة طبيب الفرقة الاولى منهما امر العساكر الداخلين في دائرة نفوذه الطبي ان لايشربوا

الماء الا بعد ان يغلى على النار غلياناً شديدا فلما اتبعوا نصيحته غادرهم ذلك الداء بخلاف عساكر الفرقة الثانية فانهم استمروا مصابين به لان طبيبهم لم ينصحهم بشرب الماء مغلياً

وفي سنة ١٨٨٦ تفشي داء الكوليرا في مدينة جلفنك من شمالى فرنسا فارسلت الحكومة الفرنسوية الدكتور (كرين) للوقوف على اسباب المرض والمبادرة الي تلافيه فلما وصل اليها وقام باعباء ما عهد اليه ظهر له ان المياه التي كانت تستعمل في غسل الملابس وما ماثل رشحت في الآبار فملأتها بجراثيم الكوليرا ونشأ عن ذلك ما نشأ من ذهاب العدد العديد من الاهالى فريسة لهذا الداء واما الطريقة التي استعملها لصد الداء عن دوام الفتك بالاهالى فهي غلق فوهات الآبار باحكام زائد ومنع وصول المياه الى داخلها وقد ساقت الغفلة والجهل سكان تلك المدينة الى فتح الآبار ثانياً عقب عودة الدكتور الى باريز للانتفاع بمياهها فعاودتهم الكوليرا مرة اخري وعند ما علمت الحكومة بذلك قررت غلق الآبار اجباريا فانقطع الداء

وقد حدث ايضاً انقد ظهرت الحمى التيفوسية في حي من احياء مدينة بييرفون للمرة الخامسة منذ خمسة عشر عاما فلما بحث كل من الطبيبين شنتمس وفيدال في الماء الذي يستعمله ذلك الحي وجدا فيه جراثيم الحمي التيفوسية وعلما فيما بعد ان الآبار المستخرج هو منها مجاورة لمستودعات البرازفي المنازل وقد توصلا الى ملافاة الضرر بملافاة اسبابه

ومن جميع هذه الشواهد يتبين للقاريء اهمية اتخاذ مياه الشرب من المياه المجردة من الجراثيم التي تجعل تناوله مضرا بالصحة ضررا بليغاً

ويمكن اعتبار المياه الجارية من العيون خالية عن الجراثيم الغريبة وذلك

لان مرورها في خلال طبقات الارض يكمل تمتعها بهذه الخاصية العظيمة
ولما كان من المتعذر على كل فرد الحصول على هذه المياه سواء كان لندورتها
أو بعد موردها او لغلاء ثمنها فاحسن وسيلة للتحقق من ان الماء لا يضر بالصحة
هي ان لا يستعمل الا بعد الغلي والترشيح فان الماء الذي يتناوله الشارب
بهذه الصفة يكون صافياً مفيدا للصحة مانعاً من الاصابة بالامراض المعدية
على العموم

وتوجد طريقة اخري غير طريقة الغلي ليست باقل من هذه فائدة ومنفعة
وهي ان يضاف الى الماء يسير من حمض الليمون بنسبة جرام واحد في كل
لتر ماء فان هذا القدر يكفي لابادة الميكروبات و يجعل الماء بعد امتزاجه فيه
بنصف ساعة خالياً عن كل جسم غريب وهذه طريقة مستعملة بكثرة لدى
الايطاليين فانهم اذا ارتابوا في ماء الشرب اضافوا اليه قبل شربه جزءا من
عصارة الليمون

وكذا استعمال الشب فانه يصفي وينقي اكثر المياه تكدرا وتعكرا وهذه
الطريقة عرفها الصينيون من ازمان متوغلة في القدم وذلك انهم كانوا يضعون
قطعة صغيرة من الشب في غابة كبيرة مثقوبة بعدة ثقوب ثم يعمدون الى
الماء الذي يريدون شربه ويحركونه بواسطة هذه الغابة فلما يذوب الشب
ويلامس المواد الغريبة الموجودة في الماء يسقط معها الى قاع الاناء الموضوع
فيه هذا الماء ويكون الماء عقب ذلك صافياً شفافا

والطريقة المتبعة الآن في المعامل الفسيولوجيه لتنقية الماء هي ترشيحه
بواسطة الخزف ولكن لا يخفى ما في هذه الطريقة من الصعوبة اذ ان مستعمليها

يضطرون الي تنظيف المرشح الخزفي في كل اسبوع مرة واحـدة على الاقل وهو ما يتعذر اجراؤه لاسباب عديدة لامحل لذكرها هنا

وللتخمر الكؤلي شأن عظيم في تنقية الماء من الجراثيم المكروبية وابادتها فقد اظهرت التجارب انه اذا اضيف الى كمية من الماء مقدار يماثلها من النبيذ ثم تركت مدة اربع وعشرين ساعة فان استعمال ذلك الماء لا يخشى منه على الصحة بعد انصرام المدة المذكورة

ولتنقية المياه الغير صافية مما يعتورها من المواد الغريبة طريقة أخري مستعملة في جملة من المدن الاوروبية وعلى الاخص منها مدينة (انفر) وهي طريقة تمرير الماء على الاسفنج الحديدي وفضيلة هذه الطريقة أن الماء يتأكسد بمروره على الاسفنج المشار اليه فيموت مابه من الجراثيم في الحال وقد لاحظ ذلك الدكتور فرنكلند وقال ان هذه أحسن الطرق لتنقية الميـاه بكميات وافرة ومرشحات مدينة أنفر المؤسسة على هذه الطريقة ترشح في كل ساعة ٢٨٧ لترا من الماء فاذا كان في كل بيت مرشح من هذا القبيل فان هذا المقدار يكفي لتدبير مصالح البيت طول النهار

اما المياه المعدنية النابعة من العيون فهي على العموم خالية من الجراثيم غير انها لما كانت قلوية فهي أخص بالاستعمال الطبي من الاستعمال اليومي الذى تستلزمه الضرورات المعيشية ثم لا يبرح عن الذهن ان قلوية الماء ربما كانت مضرة بمعدة الشخص السليم الصحة فاذا نزلت تلك المياه منزلة الماء العادى واستعملت استعماله فلا ينتج عنها الا ضد ما كان ينتظر منهـا

﴿ الكوليرا ومياه الشرب (١) ﴾

الف الدكتور دارنبرج الطبيب الفرنسوي المشهور كتاباً سماه (الكوليرا واسبابها ووسائل التحفظ منها) وقد ابان فيه ان باشلس الكوليرا يكمن في الاراضى التي اودع فيها براز المرضى بهذا الداء حتى اذا هطلت الامطار او فاضت مياه الانهار خرجت من مكامنها فتصيب كل من استعمل هذه المياه ويستصوب الدكتور المشار اليه عدم رى الاراضى المجاورة للمدائن الآهلة بمياه البول والبراز فرارا من الوقوع في شرك ذلك الداء اللعين وقد أفاض في الكلام على الوسائل التي يجب على الانسان اتخاذها حفظاً لحياته وحرصا على بقائه اذا اناخت الكوليرا بركبها في الوسط الذي يعيش فيه ولما كان الماء هو المساعد الاصلي والسبب الفعال في انتشارها فقد آثرنا أن نورد من كتابه الفصل الخاص بتنقية المياه وتصفيتها لما في ذلك من الفائدة للعموم فنقول

اذا طرأ على الماء مايجعله غير صالح للشرب يمكن ازالة ما اعتوره من الاسباب المضرة اما بالترشيح او بالغلي لدرجة ١١٠ او باضافة مواد عليها من شأنها ان تعدم جراثيم الكوليرا بدون ان تضر بالشارب فاما الترشيح بالمرشحات المصنوعة بالفحم وماماثل فانه لايجدي نفعا لمرور المكروبات منها وربما كان الماء الغير مرشح اسلم عاقبة واحمد مغبة من الماء المرشح بهذه الصفة

وتباشر شركات المياه بمدن لوندرة وهمبرغ وبرلين وفرنكفورت وفرسوفيا وغيرها من المدائن المتسعة ترشيح المياه قبل توزيعها على الاهالي بواسطة تمريرها على الرمال غير ان هذه الطريقة لا تفي بالغرض المقصود مهما كان الرمل دقيقاً لانه بمجرد ابتداء عملية الترشيح تمر المكروبات من خلال هذا الرمل

---

(١) بقلم صاحب المجموعة

وتستمر على هذا الحال حتى اذا انتهت العملية شاهد الرئي ان فوق الرمل طبقة مخاطية اوشبيهة بزلال البيض يمكنها منع المكروبات من المرور ولكن ما هى الفائدة التي تؤمل منها حيث ان تكونها لايكون الا بعد انتهاء العمل واذا اريد الاستمرار عليه فان اندماج جزئيات الطبقة المذكورة لا يؤذن للماء بالمرور من خلالها الا اذا زيد في الضغط على الماء والضغط في هذه الحالة يبدد اجزاءها ويمزق نسيجها فيمر الماء باندفاع قوى منها وفيه الجراثيم والمكروبات كما هي

وبناء على ذلك ينبغي لتخفيف الضرر الناشئ من الترشيح بواسطة الرمل ان تغير هذه المادة من وقت الى آخر على الدوام غير ان هذه الطريقة تستدعي مصاريف باهظة لا يتحملها الفقير وربما كانت كافية لشراء المياه المعدنية الخالية من جراثيم الامراض وتناولها بدلا عن المياه العادية ولذا وجب على الحكومات والمجالس البلدية في المدن ان لا تتواني في مداركة الامر وملافاة الخطر وتحتم على افراد الاهالى ان يستبدلوا المرشحات الفحمية بغيرها من المصنوعات بالخزف (الصيني) او بالحرير الصخرى فان المرشحات المصنوعة منهما لا تدع جرثومة واحدة تفلت من خلالها غير انه يجب العناية بها من حيث التطهير والتنظيف كل يوم بالآلات المختصة بذلك ثم لا بد من مراعاة الاحتراس اثناء عملية التطهير فى نفس الشموع المقطرة فانه يوسع في مسامها ويسمح في هذه الحالة للمكروب بالمرور منها وتعهد التطهير والتنظيف كل يوم من الامور الضرورية لان المكروبات بدونهما تجتمع وتتراكم على النسيج فتمنع الماء من النفوذ كلية ويحسن وضع شموع المرشح من وقت الى آخر في كمية من الماء المغلى الممزوج بقليل من الخل وفائدة الخل هنا هي اعدام باسيل

الكوليرا لان الخل حمض والاحماض كما لا يخفي تميت هذه الجراثيم

وقال المسيو ارالون ان المرشحات المصنوعة من الخميرة المعدنية تمنع المكروبات والمواد السمية التى تفرز منها في المياه العائشة فيها من المرور مع الماء المترشح

واما غلى الماء بدرجة ١١٠ فهو اضمن الوسائل لسلامة العاقبة من شرب المياه غير ان في هذه الطريقة ثلاثة عيوب الاول كثرة التكاليف والثاني زوال المواد الغازية من المياه فيصير طعمها لا يقبله الذوق والثالث رسوب جزء من كربوناتها فتصير كدرة عكرة لا تسر البصر . ولا يخطر ببال احد ان ضرر هذه العيوب على درجة من الجسامة تمنع من التمتع بفوائد هذه الطريقة المفيدة على انه يمكن التحرز من ضرر احد تلك العيوب الثلاثة وهو فقدان الغازات المائية بالطريقة الآتية التى استعملها الدكتور شارل جيرار مدير المعمل الكيماوى الخاص بالمجلس البلدي في مدينة باريز

وهي ان توضع المياه في قناني من الزجاج وتغلق غلقا محكما بالكيفية المتبعة في غلق قناني الجعة (البيرة) ثم توضع هذه القنانى في مرجل (قزان) ملآن بالماء تضرم النار تحته حتى ترتفع درجة حرارته الى ١١٠ وبهذه المثابة تموت جراثيم المياه الموجودة داخل القناني بدون ان تفقد هذه شيئاً من موادها الغازية

اما التصفية اى التنقية الكيماوية فقد استعملها الشرقيون من ازمان متوغلة في القدم وهم لا يزالون يستعملونها الى الآن وهى قاصرة على مزج المياه بكمية قليلة من الشب ورأى الدكتور بابس المقيم بمدينة بخارست عاصمة مملكة رومانيا انه اذا اضيف من ١٥ الي ٢٠ سنتجراما من الشب على لتر واحد

من الماء ورج هذا الماء رجا شديدا ثم ترك ونفسه مدة ٢٤ ساعة فان جميع المكروبات والاجسام الغريبة التي توجد فيه ترسب في قاع الاناء ويبقى الماء غاية في الصفاء والنقاوة . ويحسن في ازمان الكوليرا تحميض المياه بكمية من حمض الليمون تختلف من ٦٠ الى ٨٠ سنتجرامافي كل لتر وهذه الطريقه اسلم عاقبة من غلى الماء اوترشيحه غليا تاما اوترشيحا كاملاواذا لم يتيسر الليمون بالاتفاق اثناء تلك الحاجة الماسة فلا بأس من استعمال حمض الطرطير اوحمض الكلوريدريك وينبغى ان لا تخصص المياه المحضرة باحدى الوسائل السالفة للشرب بل يجب ايضاً استعمالها في غسل الايدي والوجه والجسم ومعالجة المأكولات بها والا فما الفائدة من تنقية مياه الشرب فقط وترك المياه اللازمة للضرورات الاخرى مأوى للجراثيم وموئلا للمكروبات

ومن الملحوظات التى يجب العمل بمقتضاها لدي تفشى الامراض الوبائية عدم استعمال المياه المثلجة بالثلج الصناعي لان كثيرا من العلماء حكموابعدم كفاية برودة الثلج لقتل جراثيم المياه المصنوع هو منها

﴿ تلقيح الكوليرا ﴾

نقلت الينا الصحف العلمية في هذا الاسبوع شرح تلقيح الكوليرا من مصدرين موثوق بهمااحدهما الماني للمعلمين بريجر وواسر من الذين افاضا في تفصيل هذه المسئلة الطبية بالعدد الرابع من جريدة (دوتش مديكال وخنسخريفت) الالمانية المطبوعة في برلين وهي نفس الجريدة التى نشرفيها الدكتور كوخ سنة ١٨٩٠ شرح تلقيح الدرن الرئوي والثاني روسى المنشأ للمعلم هفكن المقيم بمدينة موسكو وقد نشر ملخص تجاربهِ في عدد ٦١ من

جريدة المجموعة الطبية (بوللتان مديكال) والغرض من كلا الاكتشافين واحد هو الوقاية من الهواء الاصفر بالتلقيح غير انهما يختلفان عن بعضهما في كيفية تحضير مادة التلقيح وفي التجارب ايضا لان الطبيبين الالمانيين جربا مادتهما على الحيوانات بخلاف الطبيب الروسي فانه جربها على نفسه وعلى بعض اصحابه

وقبل الشروع في شرح كل طريقة على حدتها نقول من باب التمهيد ان أشغال الطبيبين الالمانيين مؤسسة على النظرية الخلوية (للمعلم فرشو) التى مؤداها ان بعض الاعضاء ذات الانسجة الكثيرة الخلايا متمتع بقوة عظيمة معدلة للسموم العضوية التى تتكون في البنية ومن هذه الاعضاء الجسم الدرقي والتيموس والعقد اللنفاوية وقد تمكنا من استعمال خلاصة التيموس لتقليل الفعل السمي لمستنبت باسيل الكوليرا بشرط بقاء هذا الباسيل في مستنبته حافظاً ما يلزم من القوة لوقاية من يلقح ببعض من هذا المستنبت من الكوليرا وعليه فهذه الطريقة عبارة عن تطبيق نظرية فرنكل على العمل ومؤدى هذه النظرية هو ان الجواهر الواقية من الامراض الوبائية والعفنة المعدية تكون في جسم البكتيريا متميزة عن الجواهر السمية فيها

وتنحصر الطريقة الالمانية في اعدام الفعل السمى لمستنبت الباسيل الواوى بتأثير الحرارة في درجة ٦٥ مئينية مع حفظ القوة الواقية أي المعدلة فقط وأما كيفية التحضير فهي ان يزرع الباسيل الواوي على خلاصة التيموس مدة ٢٤ ساعة ثم يوضع في تنور حرارته ٦٥ درجة مئينية مدة ربع ساعة أو في تنور حرارته ٨٠ درجة مئينية مدة عشر دقائق فقط

ثم يعرض للتبريد في آلة مثلجة مدة ٢٤ ساعة وهذه هي الطريقة التي تحصل بها ذينك الطبيبان الالمانيان على مادة تلقيح التيتانوس وبالنظر

لصعوبة كيفية التحضير المذكوره تستعاض خلاصة التيموس اذا مست الحاجة بمرق البيتوت المسخن لدرجة ٦٥ مئينية

كيفية العمل — استعمل بريجر وواسرمن مادتهما حقنا في بريتون الكوباى (نوع من الارانب) بمقدار سنتيمتر واحد مدة اربعة ايام متوالية وقد يكتفى الحال احيانًا بيومين فقط فكانت نتيجة الحقن وقوع هذا الحيوان في المرض وقد تبين ذلك بارتفاع درجة حرارته ثم بانخفاضها من درجة ٢ الى درجة٦ وفي الايام الثلاثة التاليه نقصت هذه الاعراض وتحسنت صحة الحيوان فلم يمت بل صار غير قابل للاصابة بالكوليرا لانه حقن بمقدار من مستنبت باسيل الكوليرا التام الفيروسية (اى الغير ملطف) يعادل ثلاثة اوار بعة امثال المقدار الكافي منه لقتل كوباي ملقح في بضع ساعات بالكوليرا واما مدة هذه الوقاية فلا يمكن تحديدها بالدقة حيث لم يمض لحد الآن ثلاثة اشهر بعد الحقن الاول

وحيث ان تجارب بريجر وواسرمن على الكوباى لم تكن برزت اذذاك من ابواب معامل هذين الطبيبين فيمكن تشبيهها من هذا الوجه بتجارب (جماليا) وغيره بباريز على الكلاب في الموضوع نفسه

واما طريقة هفكن فهي فرنسوية من حيث الاساس وكيفية تحضيرها تنحصر في الحصول على فيروس ضعيف ومستخرج الفيروس وهو المتحصل من مرور الفيروس من حيوان لآخر ومن عادته ان تكون قوته ثابتة اي انها مستنبتة بقتل الحيوان بمقدار ثابت وفي مدة ثابتة ابدا

وقد اضعف هفكن هذا الفيروس بزرعه بدرجة ٣٩ مئينية في جو متجدد الهواء دائمًا أي في الشروط الضرورية لموت الباسيل الواوي وتحصل

بهذه الكيفية على مادة التلقيح التى وقت الكوباي والحمام والارانب من الكوليرا قبل تجربيها على الانسان

واول تجربة بهذه المادة اجراها الدكتور هفكن على انسان كانت على نفسه فانه قال في جريدة [البوللتان مديكال] ما معناه : حقنت لنفسى في الثامن عشر من شهر يوليو سنة ١٨٩٢ فى النسيج الخلوى تحت جلد الخاصرة اليسرى مقدارا من المادة الاولى اي الفيروس المضعف بالطريقة السابق شرحها وكان هذا المقدار اكثر من اللازم لوقاية الكوباى فانحرف مزاجي مدة ٢٤ ساعه بارتفاع درجه حرارة جسمى عن المعتاد فانها بعد ان كانت قبل الحقن ٣٦ر٦ صارت بعده ٣٧ر٤ مع ظواهر حمية هى الم الرأس وجفاف اللسان وتركز البول بدون ادنى تكدر معوى واما التأثير الموضعي فكان عبارة عن الم وانتفاخ في محل الحقن واحتقان في العقد المقابل وبعد خمسة ايام زال الالم واما الورم فزال بعده باربعة ايام وفي يوم ٢٤ يوليو الماضى اي بعد الحقنة الاولى بستة ايام حقنت لنفسي في النسيج الخلوى تحت جلد الخاصرة اليمني من الفيروس الثاني اى الفيروس المستخرج وهو القتال فنتج عن ذلك ارتفاع في الحرارة والموضعي ولكن لم ينتفخ الجلد ولا العقد المجاورة له و بلغت الحرارة ٣٨ر٦ وزالت الحالة العمومية بعد ٢٨ ساعه وزال الالم بعد الحقن بثلاثة ايام وفي هذه المرة أيضاً لم يحصل ادني تكدر معوي

وفي يوم ٢٢ يوليو حقنت للدكتور [لاوين] المقيم بمدينة بطرسبورغ عاصمة الروسيا وهو أثقل مني وزناً بسبعة عشر كيلو جراماً بمقدار ما حقنت لنفسي من الفيروس الاول فزال عنه انحراف المزاج بعد خمس ساعات وكان الالم محسوساً بالضغط لغاية اليوم الرابع وزال الانتفاخ في اليوم الثالث وبلغت

درجة الحرارة بعد الحقن من ٢ر٣٧ الى ٦ر٣٧ درجه

وبعد مضي ستة أيام لم يبق ثمت أثر لانحراف المزاج بالكلية وفي اليوم السابع حقنت له بالفيروس المستخرج [ويمكن تسمية هذا الفيروس بالفيروس المنفرز] فكان تأثير الحقن خفيفاً حيث ان درجة الحرارة ارتفعت بعد ثلاث ساعات من ٢ر٣٧ : ٤ر٣٧ درجة أي زادت بمقدار خطين فقط ثم انحطت بعد خمس ساعات الى ٩ر٣٦ وكان الالم الموضعي أقل بكثير في هذه المرة من المرة الاولى ولم يحصل بالكلية تكدر في الحالة العمومية

وفي ٢٥ يوليو لقحت للدكتور (فامامشيف) حكيم مدينة تفليس وهو اقصر قامة مني باربعة اخماس ما حقنت به لنفسي من المادة الاولى وكانت حرارته اثناء الحقن ٢٨ درجة فبلغت بعد مضي تسع ساعات ١ر٣٩ درجه ثم صارت في اليوم التالى ٧ر٣٧ اما الالم والانتفاخ الموضعيين فقد زالا كما في الحالتين السابقتين ولم يطرأ على الملقح فيه ادني تكدر هضمي ولكن حصل له امساك خفيف ظهر في اليوم الثالث عقب الحقن

وفي ذلك اليوم ايضاً حقنت لمن يسمي [ويبوشو يتش] مهندس مدينة مسكو وهو اقصر قامة من فاما مشيف بمقدار مساو لما حقنت به هذا الاخير في النسيج الخلوي للذراع الايسر (وكان المحقون قبل اجراء عملية الحقن بثلاثه ايام مصاباً باسهال خفيف) فلم يتجاوز ارتفاع درجة حرارته ٥ر٣٨ ثم انحطت في ثاني يوم الى ٤ر٣٧ درجة غير ان الالم والانتفاخ الموضعيين إستمرا ولم يحصل اثناء كل هذه المدة تكدر في الهضم أبداً

الى هنا انتهى كلام الدكتور هفكين ولم يذكر شيئاً له مساس باسهال المهندس ولا حاجة بنا للخوض مدة الوقاية بهذه الطريقة من الكوليرا حيث

أن الحكم في ذلك موكل بالزمن فقط ثم أنه لم يمض على التجارب التي أوردناها هنا بنصها وفصها سوى شهرين ونصف تقريباً وهذه المدة هي كما لا يخفي غير كافية للحكم قطعياً على فائدة اكتشاف حديث مهم مثل هذا والسلام

(بقلم المرحوم الدكتور محمد افندى لطفي حكيم مستشفي دمنهور المتوفى سنة ١٨٩٤)

☀ الاطباء القدماء وعلاجاتهم [١] ☀

كلما تقدم علم الكيميا قل عدد المواد التى يكتبها الاطباء في تذاكرهم اذ لا يخفى ان المواد التى يقررها الاطباء ويسمحون للمريض بتعاطيها محصورة العدد تكاد توجد مكررة في كل تذكرة وداخلة في كل تركيب

وقد كان قدماء الاطباء من الاروبيين يشحنون التذكرات باسماء كثير من المواد لانهم كانوا يجهلون التأثير الحقيقي لكل مادة وتركيبها الكيماوي فكانوا يوردون اسماء مواد كثيرة لكي اذا لم ينجع احدها اتي الاخر بالفائدة المنتظرة وهذه صورة تذكرة كتبها الدكتور سدنهام احد اكابر أطباء القرن السابع عشر لرجل مصاب بداء النقطة وهي « خذ جذور حشيشة الملوك والبيلسان العطري وعرق الجناح وورق الافسنتين العادي والقنطريون والفراسيون الابيض والكماندريوس والايفت والكريوم والكمان العادي والتركيز والسكسفراج والملبرتوى والعذراء الذهبية والسربلة والنعنع

(١ بقلم صاحب المجموعة

والسوج والسدب والشوكة المباركة والبوليو والارون وازهار البابونج والتنزياء والزعفران والقلاع وحبوب الفلسبي وحشيشة المعالق والكراوية وثمر العنب وحب العرعر من كل منها المقدار الكافي وجفف كل مقدار على حدته ثم اسحقه سحقاً ناعماً وخذ من كل مسحوق ست اواق وامزجه بالعسل الجيد او بنبيذ كناريا ليتكون من هذا الممزوج لعوق يلعق منه المريض درهمين في كل صباح ومساء »

واطباء اليوم يكتفون عن هذه المواد كلها في معالجة ذلك الداء بالساليسلات أو باللحلاح فقط

وكتب الدكتور كوان رسالة في العلاجات القديمة التي انتقلت مع تعاقب القرون والاعصار من قدماء الرومانيين واليونانيين ولا تزال الآن مستعملة في اهم مراكز التمدن

واذكر هنا علاجاً يوصف لنزيف الدم وهو ان تكتب حروف هـ ب س ف و ن ا ي على قطعتين من رق الغزال ثم تقرأ على فخذى الرجل المصاب او المرأة المصابة بالنزيف الدموي فان الدم يقف حالا ويبرهنون على صحة هذا العلاج انه اذا كتبت تلك الاحرف على سكين وذبح بها خنزير فان هذا الحيوان لا يفقد بالكلية شيئاً من دمه

واذا كانت المرأة قد تعذرت عليها الولادة فتكتب لها احدي الدعوات الدينية التي اولها « بترنوستر » على آنية من الرخام ثم تمحى بماء فاذا شربته وضعت جنينها بدون خطر

واذا كان لاحد مريض واراد أن يعرف اذا كانت عاقبة المرض السلامة او الموت فيؤخذ شيء من بوله في آنية ثم ينقط فيه لبن امرأة سوداء الشعر

ترضع صبياً فاذا طفا اللبن فوق البول كان ذلك دليلا على الوفاة واذا امتزج به نجا من الموت واما اذا كان المريض انثى فلا تصح التجربة الا اذا كان الرضيع طفلة

وقال الدكتور كولن السالف ان هذه التجربة متخذة من أهالى الهند في الازمنة الخالية فان اطباء ملبار وهو الساحل الغربي من البلاد الهندية كانوا يملأون الاناء من بول المريض ثم يسقطون فيه نقطة من الزيت فاذا وقعت هذه النقطة داخل البول كان ذلك دلالة على وفاة المريض واما اذا طفت على سطحه دل ذلك على نجاته

وجاء في كتاب الدكتور جرتس الذي الفه في العلوم الطبيعية بالشرق الاقصي ان الاطباء اليابانيين يوصون في معالجة الامراض الجلدية بغسلها بالمياه القذرة المتخلفة من تنظيف ثلاثة منازل وفي معالجة البول السكري بشرب مياه المراحيض وفي الزكام والالتهاب الشعبي بشرب المياه المتخلفة من غسل الاقدام

﴿ الافيون وشاربوه (١) ﴾

بحث الدكتور مارتن بحثاً طويلا في دخان الافيون وتأثيره على الحيوانات الناطقة وغير الناطقة فرأى ان الادمان على تعاطى هذه المادة يتحول الى شهوة يعسر على المتعاطي لها أن يتخلى عنها او يحاول استئصال جراثيمها متى اخذت من قلبه مغرساً عميقاً وقال ذلك الدكتور ان من العادات القديمة المتبعة في البلاد المشرقية على العموم والبلاد الفارسية على الخصوص ان يعود

(١) بقلم صاحب المجموعة

اهلها خيولهم على شرب كمية من خلاصة الافيون لكي تنشط وتقوي على حمل الاثقال الباهظة وقطع المسافات البعيدة وقد تصير رغبة التعاطى فيها طبيعية بحيث متى جاء الوقت الذي اعتادت على تناول الافيون فيه ولم يسعفها صاحبها او اصحابها بنصيب منه هاجت واضطربت وضربت الارض باقدامها وملأت الآفاق بصهيلها

وفي بلاد الكوشنشين من الهند الصينية توجد شهوة تعاطى الافيون متوفرة بالتمام في الخنزير فان هذا الحيوان يتناول ما يلقى من محافظ الخشخاش (ابو النوم) التي يؤخذ من سطحها مادة الافيون فيأكلها بشراهة مفرطة ثم يطمئن برهة حتى اذا اثر فيه الافيون اخذ يسمع صوته بكيفية تدل على ما يمازجه من الفرح والسرور والانبساط . ومن الدلائل القوية على ان حاجة الحيوانات الغير ناطقة لتعاطي الافيون اذا تعودت عليه كحاجة الانسان اليه انك اذا قطعت عنها مرتبها اليومى منه في ساعته المحددة فانه يعتريها الالم وترفض الغذاء وينتهي امرها الي الموت والذهاب فريسة شهوتها المفرطه

وقد تعود قرد على تعاطي الافيون حتى صار لا يهدأ ولا يسكن الا اذا اكل منه كل يوم حصته المعلومة في الوقت المحدود لذلك وكان ذلك القرد كفيف النظر لا يبصر فعثر في ذات يوم على بقية ما كان يشرب به سيده من الافيون في ركن من اركان قاعته فاكلها وكان قد اهتدى اليها بحاسة الشم

وتميل القطط الى نشوة الافيون باستنشاق دخانه لا بأكله كما تفعل القرود والخنازير والذين يزورون محلات التدخين في مدينة كمبودج من الكوشنشين وغيرها من مدائن الشرق الاقصى يتعجب من تقاطر القطط جماعات ووحدانا الى تلك المحلات وتهالكهم على البقاء فيها حتى يقبل ميعاد اقفالها

وذكر الدكتور مارتن السالف الذكر ان واحدا من سكان بلدة داتهو بالقرب من مدينة سيفون كان له قط من ذلك القبيل يميل بكلية الى استنشاق دخان الافيون فكان كلما رأى سيده يشرع في شرب هذا السم القتال دنا منه واخذ يستنشق الدخان الذى يخرج منه حتي اذا اخذ منه كفايته نام ولم يتيقظ الا بعد زمان طويل ومن الغريب انه اذا لم يصادف سيده في الوقت المعلوم لا يهدأ له بال مطلقاً وكان لاحد تجار مدينة كانتون الصينية كلب عوده على استنشاق دخان الافيون في كل يوم فحدث انه غاب عن منزله لعذر اضطره الي ذلك فما كان من الكلب الا ان اظهر الحزن والتوجع وامتنع عن تناول الاكل اياماً فمات

ولاحد الاوروبيين بمدينة سيجون قرد صغير من عادته كلما شرع صاحبه في شرب الافيون ان يضع انفه فوق النار التى تحرقه لكي يستجمع فيه الدخان الذي يتصاعد منه وبعد ان يفعل هذا عدة مرات ويستولي عليه التخدر ينام زمنا طويلا

وكان لاحد تجار جزيرة (جاوا) احدي جزائر الاقيانوسية قرد كبير تعود على استنشاق دخان الافيون فصار يبحث عليه حيث يوجد ويستنشق منه ما يخدره تخديرا تاماً وكان حينما يوضع في قفصه ويشعر بقرب ساعة تعاطي الافيون في مجلس صاحبه يأخذ في الصراخ ومحاولة كسر اسلاك القفص ويبدي غير هذا من الاعمال التى تدل على تغيظه وتهيجه

ومن الاقوال الشائعة في بلاد الهند الصينية انه يمكن بواسطة الافيون استئناس الحيوانات الضارية كالنمر والفهد والسبع بحيث تصير اكثر هدواً وسكوناً من الشاة

❋ لعبة البلياردو ومنافعها الصحية (١) ❋

اخترعت هذه اللعبة اجيال غبرت وقرون عبرت ولكنها لم تنتشر باوروبا الا في القرن الثالث عشر من الميلاد المسيحي ثم انتقلت منها الى جميع انحاء العالم وكان الدكتور فاجون يوصى الملك لويز الرابع عشر ملك فرنسا بالمثابرة على لعبها بعد تناول الطعام تسهيلا للهضم وفي الواقع فانها جمعت من المزايا الصحية العديدة ما لا يتوفر في سواها فان لاعبها يتعلم بواسطتها الحذق والمهارة وتسري فيه روح الغيرة والنشاط اذا كان خاملا ساقط الهمة واوفق الامكنة للعبها واليقها به هو ما ليس بمكان عمومى اذ لا يخفي ان الجو في هذه الامكنة يكون على الدوام مشحوناً بالدخان الناتج عن التدخين بالتبغ والتنباك وغير ذلك من العوارض العديدة التى ربما كانت لعبة البلياردو من الممهدات الى اصابة اللاعب بها وذكر الدكتور بكرل ان لعبة البلياردو تساعد على هضم المأكولات لما ينفذه الانسان اثناء الاشتغال بها من الحركات اللطيفة المعتدلة

وفي الواقع فان التمرين اللطيف والحركة المعتدلة التى تشترك فيها عضلات الجسم بأكمله لمن أقوي العوامل على اسراع التنفس والدورة الدموية وتحريض شهية الاكل وتعجيل الهضم كل ذلك خلاف ما ينال الجسم من الارتياح والانبساط والانشراح

وقال الدكتور موتن ان البلياردو هو احسن التمرينات التى ينبغي أن يتفرغ لها كل من شعر في جسمه كله أو في عضو من أعضائه اعوجاجاً بسبب انحنائه اثناء تأديته اعماله اليومية المعيشية وذكر الاطباء ان البلياردو لعبة حربة

---

(١) بقلم صاحب المجموعة

بالتفات النساء اليها فقالوا اذا كانت المرأة متزوجة تضطرها اشغالها اليومية وهي الحياكة والتطريز وما ماثل الى الانحناء ثم خصصت من يومها ساعة تقضيها في الاشتغال بلعبة البلياردو زال عنها ما تولاها من العناء واستقام جسمها بعد الانحناء واذا كانت بكرا او طفلة لم تتزوج فانها تكسب اعضاءها تناسباً وقوامها اعتدالا وذوقها سلامة وحكمها عدالة ونظرها فراسة وبالجملة فانها تهديها من الفوائد الادبية والمادية ما لا يحصيه عدد

ومن غرائب الاحصاء انه اذا لعب اللاعب مئة دور بالتوالى فان متوسط مجموع ما يقطعه من المسافات حول الملعب في الادوار المذكورة لا يقل طوله عن الفي متر فيؤخذ من هذا ان هذه اللعبة تفيد الكثيري الاقامة في المدن حيث انها تقوم لديهم مقام التنزه بالهوينا على ضفاف الانهار وفي ممرات البساتين وتنفع المرضي الذين لا يقدرون على اجراء الحركات الشاقة والشيوخ الذين لا يقدرون على قطع المسافات البعيدة لتبديد ما يغشاهم في كل برهة من خمول الشيخوخة وكسل الكهولة

وتنفع ايضاً المشلولين والمصابين بداء لين العظام او بسوء الهضم

ويرى الدكتور مونن نفسه ان البلياردو هو الدواء الوحيد والعلاج النافع من داء الاسكوليوز وفرط السمن ومرض البول السكرى الذي لا حاسم له سوى الحركة المستمرة ولما كانت الحركة الدائمة على الاقدام في طريق او في بستان متعبة جدا فضلا عن انها تلحق بالجسم اضرارا جسيمة فخير الادوية لهذا الداء هو ولا شك البلياردو الذى من خواصه النفيسة ايضاً تسكين البال واراحة الخاطر مما يمر به من الوساوس والافكار المكدرة غير انه لا تتوفر فيه المزايا التى اسلفناها الا اذا وضع في مكانٍ اجتمعت فيه الشروط الصحية بأكملها كأن

يكون فسيحا متجدد الهواء ساطع النور ولا بد من ملاحظة لبس الملابس المتسعة قبل اللعب وعدم اللعب مباشرة بعد الاكل لكيلا تتعطل مبادي الهضم

﴿ محاورة بين مكروبين (١) ﴾

ارتفع فذان من المكروبات الى الطبقات العليا من الجو فقذفتهما الرياح الى مدينة جميلة البنيان آهلة بالسكان مشهورة بنظافة شوارعها وجريان الهواء بين ربوعها ومعيشة اهلها في الرغد والسعادة فوقفا هنيهة يجيلان فيها النظر ويسرحان الطرف ترويحاً للنفس حتى اذا قضيا لبانتهما من ذلك قال المكروب الاول للثاني

أين نحن الآن يا أخا العرب فاني لم اعتد على هذه المناظر ولم تخطر لي بخاطر

الثاني اني وابيك لمثلك في عدم الوقوف على هذا السر المكنون وغاية ما اعلمه هو ان الرياح حملتنا من معهدنا الاصلي ومربعنا الاولى ولا بد ان نكون في بقعة من البقاع وصقع من الاصقاع

الاول نعم لابد ان نكون كذلك فكلامك اذن من البديهيات التي لاتحتاج الى اثبات

الثاني حقاً اذ اني أرى منازل شامخة وبيوتاً باذخة فالمكان الذي نحن فيه الآن انما هو مدينة من المدائن المشهورة

(١) بقلم صاحب المجموعة

الاول بما ان هذه مدينة فلا بد ان يكون بها سكان و بذلك يسهل علينا السكنى بها

الثاني والمبادرة بذلك من أوجب الواجبات اذا ارانى قد شعرت بالزمهرير في طبقات الاثير

الاول ان ماقلته في مكانه من الصواب ولكن ماذا نفعل اذا رآنا اولياء الامور نرتع في طبقات الهواء فيحسبوننا من الهمل المتشردين

الثاني ليس هذا كسرا لايجبر او خطأً لايتدارك اذ لا اسهل لدينا من الايواء الى كهف منيع وحصن حصين

الاول أي نعم وليس يليق لسكنانا الاصدر سليم او رئة قوية نقضي فيها بهناء ووئام مابقى لنا من الايام

الثاني انظر انظر الى ذلك الشخص الحثيث السير فان له خدين غليظين كل منهما بحجم التفاحة الكبيرة وهو فيما اعلم دليل على قوة رئتيه اللتين سنتخذهما لنا سكناً فسيح الجوانب واسع الفناء

الاول لندخل في هذا القصر المنيع للتمتع بلذة سكناه ولكن لماذا لا أري هذا الشخص الاحمق لايتنفس

الثاني وانا الآخر لا اعلم لذلك سبباً ولكن هاهو قد تنفس فبادر بالدخول

الاول لا ادخل الا بعدك

الثاني لندخل معاً (ثم دخلا)

الاول تالله ان مانراه الآن من احوال هذا القصر المنيف قد جاء مطابقاً لما ظنناه فيه انظر الى هذا الاثث الفاخر وما هو عليه من النظافة ودقة النسيج ورشاقة الشكل فلا بد ان يكون صانع هذا من امهر الصناع

وليس له مثيل في قوة الاختراع

الثاني ان معيشتنا هنا ستكون باذن الله في خفض ورخاء وسرور وهناء اذ بهذا القصر من الذخائر والمؤن ما يكفينا و يكفي عائلتنا وما يتناسل منها لزمن طويل

الاول حيث اتيت على ذكر العائلة فانا اطلب منك ان نربط نسبنا بعقدة القران لنعيش في هناء وامان

الثاني لا بأس في ذلك انما كنت اود ان يحضر حفلة القران شهود كثيرون ومأذون شرعي لكي يتم على شكله القانوني ووجهه المشروع ولكن حيث لا سبيل الى ذلك فلا حيلة في رد القضا اذا نزل

الاول لاشك في انا من اسعد الناس طالعاً واوفرهم حظاً اذ في هذا المساء نرى لنا آلوفاً وآلوف آلوف من الذراري والولدان الذين تطيب بهم نفوسنا وتقر عيوننا

الثانى وجميعهم يتقاسمون خليات صاحبنا ليتناولوا منها غذاء طيباً و يمرحون فيها كيف شاؤا ولكن قل لي ما الذي يضحكك

الاول الذي اضحكني هو ماطرأ على فكري الآن من ان تلك الذرية البشرية الحمقاء قد امضت قروناً متوالية في درس احوالنا واكتشاف سرنا فحكمت باننا نوجد فيهم من زمان وننتقل فيهم على توالي الذريات والاعقاب وقد قام من افراد تلك الذرية رجل يسمى باستور وآخر يدعى كوخ باختراع مواد وآلات لاهلاكنا وقتلنا ولكنها لم تنجح لانها مؤسسة على ذلك الزعم الفاسد

الثاني وقد ذهب آخرون الى انه لاوجود لنا في هذا العالم وهو

خطأ فاحش لاننا اذا كنا معدومين فليس لنا حق في ان نبقى بهذه الرئة

الاول اني اشعر بحرارة زائدة وضيق في النفس فاذا استمر الحال على هذا المنوال فاني اموت اشنع موتة

الثاني اذا كان الامر كذلك فلا بد ان نموت هنا لكيلا يفرح فينا ذينك الطبيبان وكل من سلك طريقهما

الاول ولكن الا تعلم اننا بناء على زعم الفريق الثاني لانوجد في هذا العالم فاذا كان الامر كذلك فلنسرع بالخروج من هذا المكان

الثاني ولنعد الى بطون المؤلفات

الاول أي نعم لانها احسن مقام لنا واوفق مسكن مادمنا الى الآن في دائرة تخمينات العلماء ونظرياتهم العلمية

﴿ الوقاية الصحية [١] ﴾

ايها المصريون اخواني أبناء وطني وخلاني لقد سنح لي أن أطرح على مسامعكم دستورا في الوقاية الصحية الواجب على كل شخص اتباعها ليعيش رافلا في حلل الصحة متمتعاً بتمام العافية وان كنت لست ممن حاز قصب السبق في هذا المضمار الا اني اردت أن أتمثل بزي الرجال الذين جالوا في هذه المواضيع وعرفوا منها الغث والسمين متمسكا في ذلك بقول القائل

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالرجال فلاح

فلهذه الغاية الشريفة دعتني الغيرة الوطنية ان أنشر هذا الدستور فعساه ان يقع لديكم موقع القبول فاكون سعيدا و ينتشر نفعه بين الخاص والعام وما

حملني على ذلك الا ما شاهدته من نبذ تلك النصائح المفيدة مع انه لا يسوغ ذلك وقد وجدنا في هذا العصر الذي نشرت فيه المعارف الويتها على الآفاق وعلم كل فرد مزاياها وسعي خلفها لاجتناء ثمارها المفيدة فكيف مع هذا نطرح اهم الامور وهي الوقاية الصحية التي متى جرينا على منوالها حفظت صحتنا وتمكنا من اتمام اشغالنا فنعيش سعداء في ارغد عيش واهنا معيشة فاقول وبالله التوفيق ان الغرض الاصلى من الوقاية الصحية انما هو معرفة كل فرد ما يجب عليه ان يفعله لنفسه كي يعيش متمتعاً بالصحة وبما ان اول شيء مهم للحياة هو الاغذية فوجب الابتداء بها والالتفات اليها من حيثية نوعها وما يلزم فعله لكي يصير الهضم صحيحاً فيجب ان تكون الاغذية مكونة من مواد أزوتيه اى رباعية العناصر لانها مكونة من الاكسيجين والادروجين والازوت والكربون كاللحوم والبيض واللبن الخ وغير ازوتيه أي ثلاثية العناصر (ايدروكربونية) وهي مكونة من الاكسيجين والايدروجين والكربون وذلك كالخبز والبطاطس والذرة والارز وباقي النشويات والمواد الدسمة والسكرية فالاولي تنفع لتعويض ما فقده الجسم من عناصره الاصلية اي من تركيبه بظاهرة التحليل كما وتنفع في نمو الجسم الذى لم يبلغ تمام نموه والثانية وهي غير الازوتية تنفع للاحتراق اي انها تحترق في الجسم لتولد له الحرارة الكافية لحفظ حياته وتوليد الشحم ايضاً وبما ان الجسم الانسانى ليس قاصرا فقط في تركيبه على المواد الازوتيه وغير الازوتيه ان يدخل في تركيبه ايضاً جواهر اخرى كالجير في العظام والفوسفور في المخ والحديد في الدم والكبريت وكربونات قلوية وقلويات تركيبية وكلورورات وفوسفات وسكر وغيرها وجب والحالة هذه ان لا يقتصر على التغذية بهذه المواد الازوتية وغير الازوتية فقط اذ لو اقتصر على

تعاطيها مع استمرار البنية على التحليل والتركيب « كما هي العادة في كل جسم متمتع بالحياة » لاتى زمن فيه تفقد هذه المواد من الجسم فيضمحل و يحف وتضعف القوى و يقع الشخص في خطر جسيم فينبغي حينئذٍ اعطاء الجسم كمية من هذه المواد لكى تعوض ما يفقده منها نعم وان تكن بعض تلك المواد توجد في المواد الازوتيه كاللحوم مثلا الا انها بمقادير قليله جدا تكاد لا تذكر لكنها كثيرة في الخضروات كالكرنب والكرنبيت فانهما يحتويان على فوسفور وكبريت بمقدار عظيم والباميا والملوخيا والباذنجان والفجل والاخير يحتوي على املاح بوتاسيه وصوديه ولذا ان التغذية تنفع به في تقوية الدم والقرع والعدس والاخير يحتوي على مقدار عظيم من الحديد ينفع للدم والفول يحتوي على مقدار عظيم من البقولين الذى هو مغذ جدا و يقابل الجلوتين الذى هو الاصل المغذي في القمح فبناء على ما ذكر وجب اضافة هذه الرتبة الى اللتين سبقتاها ليكون الغذاء كاملا وبما ان تأثير المصير المعدي حمضي فيجب لزيادة تأثيره وسهولة هضمه للاغذية وجود غذاء محتو على حمض كى يساعد فعل هذا العصير كالجبن فانه يحتوي على حمض اللبانيك الذي نسبت اليه اغلب الفسيولوجيين النمساويين انه هو الحمض المعدي ولكي يصير الهضم جيدا يلزم ان يبتدىء في التغذية بتعاطى بعض اشياء منبته تؤثر على اعصاب المعدة فتنبه عذرها لتفرز العصير المعدي المهضم لكي يستعد لهضم الاغذية التي سيصير تعاطيها وذلك كالشوربة مثلا فانها تفعل هذا الفعل ومما ينبه شهية الطعام ايضاً المتبلات كالسلطات مثلا وقصارى الامر يجب ان يجمع الانسان في طعامه المواد الآتية وهي الشوربه والخضروات واللحوم والارز والسلطه ثم الجبن والحلوي والخبز ولا يلزم الانسان أن يجمع في طعامه

جملة اصناف متعددة فان هذا مما يفسد الهضم واثناء الاكل يجب الاكثار من المضغ لانه يفتت مواد الغذاء فتصير سهلة الهضم في الاحشاء كالمعدة والامعاء ومن جهة اخرى يجد اللعاب المفرز من الفم زمناً كافياً يؤثر فيه على المواد النشوية الموجودة مثل الخبز والارز والبطاطس مثلاً يحوله الى جليكوز «اي سكر حصلت فيه استحالة مخصوصة» فان النشاء لا يدخل في البنية ويتمثل بها بحالته التي هي عليها البتة بل ليمتص وتنتفع منه البنية لا بد وانه يستحيل الى جليكوز وهذا يحصل بتأثير اللعاب وان كانت بعض السوائل المفرزة من البنكرياس والغدد المعوية تحدث هذه الاستحالة الا انها بمقدار قليل جداً وينتفع بكثرة المضغ ايضاً في التوقي من الضرر الذي يحصل اذا ابتلع الانسان بلعة غذائية لم يكمل مضغها ووقفت في البلعوم فيمكنه ان يضغط على الجدار الخلفي للحنجرة فيمتنع التنفس فربما فقد الحياة وعند الاكل يجب الشرب من ماء نظيف مرشح من نحو زير او خرقة او خلافه ومتى انتهى الاكل يجب الامتناع كلية عن تعاطي الماء ساعتين على الاقل لانه في هذا الوقت يخفف العصير المعدي فيضعف فعله ويحصل عسر في الهضم ولكن اذا طرأ على الشخص عطش شديد وهو المسمى بالعطش الكاذب فيتغرغر فقط بالماء ولا يبتلعه مطلقاً فيمتص منه كمية قليلة بواسطة الغشاء المخاطي وتسير في تيار الدورة مع الدم وتكون كافية لاطفاء العطش وعند تمام الاكل يجب غسل اليدين والفم وخصوصاً الاسنان ويخرج ما بينها من قطع الطعام كاللحوم مثلاً لانها تتعفن ويتولد عنها مواد نوشادريه ذات رائحة كريهة فيكتسب الفم هذه الرائحة وهذا يشاهد خصوصاً وقت الصباح عند الاطفال لعدم معرفتهم غسيل اسنانهم وعدم اعتناء اهلهم بذلك ومن جهة اخري فان غسل الاسنان مهم عقب تعاطي المواد السكريه

فان لم يعتن بغسلها يتحد السكر مع الجير الداخل في تركيب الاسنان ويكون سكرات الجير فينحل تركيب الاسنان وتسقط ولذا وجب الالتفات الي غسل الاسنان جيدا عقب مص قصب السكر ومتي تم الاكل لايلزم النوم مباشرة لان الاعضاء ومن ضمنها المعدة لا تتم وظائفها اثناء النوم كما في اليقظة لخمود وظائف المخ في الحالة الاولى وتنبهها في الحالة الثانية فبذا يضطرب الهضم ويعسر عسرا وقتياً يصير مزمناً اذا تمادي على هذه الحالة وتزداد هذه الحالة صعوبة اذا نام الشخص على جانبه الايسر بعد الاكل مباشرة لان الكبد في هذا الوقت يضغط على المعدة (الممتلئة بالطعام والضعيفة الفعل بسبب النوم) بثقله الذي هو كيلوجرامان فيضغط المعدة على الاوعية والاعضاء المجاورة لها فيحصل عسر تنفس وخمود في الجسم « وهذه الحالة تعرف عند العوام بالكابوس » واحتقان في المخ فتنبه وظائفه ويعرف ذلك بكثرة الاحلام المزعجة فيقوم الشخص فزعا من نومه وبه ثقل في المعدة والم محرق ممتد من الفؤاد « رأس القلب عند العامة » الى الحلق ولا يلزم الانسان ان يعدو كثيرا او يشتغل بشغل جسماني عقب الاكل حيث بذلك يخرج الدم من الاعضاء الحشوية الباطنة التى منها المعدة فيضعف فعلها وينشأ عن ذلك عسر هضم واذا كان العدو او الشغل الجسماني كثيرا واستغرق زمناً طويلا فيحرم الاحشاء الباطنية من الدم فجأة وتحصل التخمة المعدية التى تؤدي الى الموت الفجائي ولا يجب الاستحمام عقب الاكل مباشرة لانه اذا كان بماء ساخن فبتأثيره على الجلد تتمدد جدر الاوعية الشعرية وتمتلئ بالدم الذي يأتي لها من الاحشاء الباطنة فتفتقر الاخيرة منه والمعدة فيحصل عسر هضم واذا كان باردا فالنتيجة واحدة لانه عند صب الماء البارد ينطرد الدم الى الباطن لكن متى

حصل رد الفعل يخرج جميعه الى الظاهر ويحصل ماحصل في الحمام الساخن ولا يصح مطلقاً الجماع بعد الاكل مباشرة بما ان الدم يتجه الى جهة الجهاز التناسلي الكثير التنبه في هذا الوقت ويترك الاحشاء الاخرى فيقل فعل المعدة ويمكن ان يقف فعلها كلية وتحصل التخمة المعدية وتعقب بالموت الفجائي ويكثر حصول هذه الحالة على الدوام عند الشيوخ ومما يلزم ترك استعماله بعد الاكل القراءة والكتابة والاشتغال باي شغل عقلي حيث ان الدم اثناء ذلك يتجه اغلبه نحو المخ ويترك الاعضاء الحشوية الاخرى فيقل فعل المعدة ويلزم ان تكون مرات الاكل ثلاثة في كل يوم في اوقاتها المعتاد عليها

وما ذكرته من انواع الاغذية لايتيسر الحصول عليه الا عند ذوي اليسار في المعيشة اما الفقراء فيمكنهم ان يحصلوا على اغذية بخسة الثمن كثيرة التغذية كالفول والعدس والذرة واللوبيا والبطاطس واللبن والجبن وغير ذلك ويلزم ان يتبعوا الاحتياطات الصحية بعد الاكل واذاحصل بعد الاكل تجش او ثقل في المعدة او فواق او قلس او ألم محرق يمتد من الفؤاد الى الحلق يؤخذ ملء نصف فنجال من ماء النعنع او الزهر مضافاً الى ملء فنجالين من الماء او يستعمل مضغ اللبان ولا غرابة في ذلك حيث كثيرا ماشاهدت زوال عسر الهضم الوقتي بمضغ اللبان لانه يكثر سيلان اللعاب فمتى نزل في المعدة يهضم الموادالنشوية التي لم تهضم في الفم او يؤخذ نصف درهم من بي كربونات الصودا او سفوف مدلسى واما اذا حصل عقب الاكل انتفاخ في البطن يؤخذ درهم من مسحوق الفحم بعد غسله وزوال ما عليه من الهباب ثم يدق او يؤخذ درهم من مسحوق الشمر او الانيسون او المانزيا المكلسة او بي كربونات الصودا واذا طرأ على الشخص بعدتعاطي

الطعام ثقل في الرأس وملل وفتور عمومي في الجسم دل ذلك غالبـاً على حصول امساك فيبادر بأخذ مسهل من مغلي السنامكي او منقوع التمرهندي او مغلي ازرار الورد اوقدر أوقية من ماء اللفت او درهم من مسحوق جذور الراوند او اوقية من الملح الانكليزى او سلفات الصودا وقد يحصل الاسهال بعد تعاطي اكلة عظيمة محتوية على مواد عسرة الهضم ففى هذه الحالة يؤخذ اوقية من زيت الخروع والغالب زوال هذه الحالة من نفسها بدون معالجة متى خرجت المواد العسرة الهضم بالبرز واذا حصل عند الشخص عقب الاكل مغص معوي يأخذ فنجال من ماء النعنع او يضع قليلا من الاثير على قطعة من السكر ويمصها او يأخذ اوقية زيت خروع مع جرامين من صبغة الافيون او يؤخذ ثمانية جرامات من الكلورودين هذا مع استعمال اللبخات او الخبز الساخن على جدر البطن اما اذا استمر حصول احد هذه الاعراض عقب كل اكلة دل ذلك على طرو مرض فيجب المبادرة باستشارة الطبيب قبل ان يعضل الداء ويعز الدواء

اما مايجب من الوقاية الصحية لماء الشرب فهو وجوب وضعه في اناء نظيف جدا يغسل في الاسبوع مرتين ويبخر بخور مضاد للعفونة كبخور المصطكى والاولى عدم الشرب من هذا الاناء ولو مع هذه الاعتناآت بل يوضع اسفله اناء آخر فيرتشح الماء من الاول وينزل في الثاني وهذا الاخير هو الاجود في الشرب انما لايلزم ان يكون الاناء الثاني اي الموجود اسفل الاول معرضاً للهواء فينزل فيه الناموس والذباب فيلقي فيه بويضات بعض الامراض التى يتحمل بها من جسم الانسان خصوصاً بويضات الرمد الصديدي وغيره ولتنقيه المياه يلزم ان توضع في الازيار قطع من الفحم بعد

ازالة ماعليها من الهباب بواسطة الغسل المكرر او توضع نواة المشمش او يرج في الماء قليل من الشبة او يوضع فيه قليل من الرمل او الزلط ومن اراد زيادة التحفظ فليغل الماء ومتى برد يرشح ويضاف اليه قليل من ماء النعنع او الزهر واني انصح اخواني الفلاحين ان يعدلوا عن شربهم من القنوات الجارية بين الغيطان او من الترع مباشرة حيث كثيرا مايولد هذا المياه عندهم حصوات كلوية ومثانية وبلهارسيا والاخيرة تعرف بنزول بعض نقط من الدم في آخر البول ويتولد عنها اورام مثانية ونواصير بولية وشرجية وعجانية

ومما يلزم فيه مراعاة الشروط الصحية المساكن اذ يجب فيها ان تكون متجددة الهواء على الدوام بان تكون الشبابيك في مقابلة بعضها البعض وتفتح بعد القيام من النوم وتترك مفتوحة مدة النهار ومتى اتى وقت النوم تغلق وانما لا يلزم غلقها كلية بل لابد من ترك بعض منافذ يمر منها الهواء ويجدد هواء الاودة واذا لم يمكن الشخص النوم في محل فيه بعض منافذ فعليه أن يغلق جميع منافذه شرطاً ان لايدخل فيه الا عند النوم ولا ينبغي له مطلقاً ان يجتمع مع عائلته ويقضي مدة سهرته في هذا المحل المغلق لانهم يتلفون هواءه مدة سهرهم ومتى دخل لينام فلا يلزمه ان يوجد معه مصابيح كثيرة للاستضاءة لانها تحرق هواء الاودة وتبدله بحمض كربونيك كما وان الانسان لايلزمه ان يوجد معه بعض نباتات عطرية بما انها تأخذ الاوكسيجين مدة الليل وتترك حمض الكربونيك فتتلف هواء المحل ومن هنا يعلم انه لاينبغي مطلقاً النوم في البساتين مدة الليل واما في مدة النهار فيستحب النوم فيها لان النباتات مدة النهار تمتص حمض الكربونيك الموجود في الجو وتحلله بواسطة تاثير الاشعة الشمسية على المادة الملونة الخضراء (الكلوروفلا) فتخرج الاكسيجين

الى الخارج فينتشر في الجو ويصلحه اما الكربون الذي انفصل منه الاكسيجين (اللذين كانا باتحادهما مكونين لحمض الكربونيك الذي امتصته النباتات) فيتحد مع العناصر الاخرى للنبات ويكون المركبات النشوية للقمح والارز والبطاطس وخلافها ومما يلزم التنبيه عليه والالتفات اليه جيدا او عدم استعماله مطلقاً انقاد الفحم داخل محلات الجلوس او حمامات المنازل اوغيره لانه فضلا عن الاخطار التى يحدثها من الاحتراق سواء كان للاشخاص الموجودين او لامتعة المنزل فانه في حد ذاته مضر حيث ينتشر منه في ابتداء احتراقه كمية عظيمة من حمض الكربونيك وقليل من اكسيد الكربون والاخير سم قتال ومتي احترق جيدا وصفي (هذه كلمة تستعملها العامة) فينتشر منه كثير من اكسيد الكربون وقليل من حمض الكربونيك ومع كون هذه الحالة مثبوته اثباتاً جلياً ارى ان اغلب اخواني المصريين راسخ باذهانهم ان الفحم لا يكون مضرا الا في ابتداء احتراقه فقط ومتى احترق وصفى يكون غير مضر مع ان الحقيقة ان الفحم مضر في الحالتين وانما يشتد ضرره في الحالة الثانية أي متى احترق وصفي لانه في الحالة الاولى أى في ابتداء احتراقه يكون التأثير المضر منسوباً لحمض الكربونيك والاخير ليس سما بل الضرر الذي يتأتي منه يكون منسوباً لتراكمه على كرات الدم ومنعه لها من كونها تؤدي وظيفتها التي خلقت لها وهي امتصاصها الاكسيجين من الهواء وهو السبب في استدامة الحياة فمتى امتنع دخوله في الجسم فقدت الحياة ومتى دخل الحمض الكربونيك في الجسم يحدث ثقل في الجسم والم في الرأس ودوخان وظلمة في الابصار وطنين في الاذنين وصداع وتهوع وقيء ثم تنتهي الحالة بكوما عميقة تستمر الى الموت ان لم يسعف الشخص بخروجه لمحل طاق الهواء

فني هذه الحالة يتصاعد حمض الكربونيك و يترك الكرات الدموية فترجع تؤدى وظيفتها بالثانى ويتمتع المصاب بصحته ثانياً اما اكسيد الكربون الذى ينتشر بكثرة متي تم احتراق الفحم وصفي فانه متى دخل بسبيل التنفس يتحد بالكرات الحمراء ويتلف تركيبها بحيث لا تعود لحالتها الاصلية مطلقاً ولو اخرج الشخص الى محل طلق الهواء لان اكسيد الكربون يعسر خروجه من الجسم متى اتحد بالكرات الحمراء ولو تصاعد جزء فيه بتيار الهواء (وهو الذي لم يتم اتحاده بالكرات) وترك الكرات الحمراء فلا ترجع تؤدى وظيفتها بما انه تلف تركيبها فبسبب جميع ما ذكرته احذر اخواني المصريين كل الحذر من استعماله مطلقاً واذا اضطر له فيوضع في محل زمناً قليلا شرطاً ان يوضع فيه قطعة من الحديد الذي يتحد به حمض الكربونيك او اكسيد الكربون ويتكون اكسيد الحديد ويفرد الكربون وعلى هذا اسس استعمال المدافئ ذات الغطاء الشباكي والاولى رفض استعمال الفحم كلية للتدفئة واستعاضته بماء ساخن يوضع في المحل فينتشر بخاره فيه او تستعمل المداخن كالموجودة في القصرالعيني ومن هذا القبيل ايضاً انصح اخواني الفلاحين سكان الارياف بعدم نومهم في قاعاتهم على ظهر الافران بعد احراقهم فيها كثيرا من الحطب وروث المواشي ثم خروجهم وقت الصباح الى الخلاء فانهم يتعرضون لتأثير حمض الكربونيك واكسيد الكربون وجملة ابخرة عفنة آتية من احتراق الروث فان سلموا من ذلك لا يسلمون من خروجهم وقت الصباح من هذه المحلات الساخنة الي السهول الشاسعة فانهم يتعرضون فيها لجملة امراض شتى ومما ينبغي تجنبه أيضاً تغطية الوجه زمن النوم بما ان الشخص يتنفس في زمن يسير الكمية القليلة من الهواء الموجودة تحت الغطاء ويمضي بقية مدة نومه بان يتنفس

هواء غير صالح للتنفس فيصبح الشخص ومعه هبوط في الجسم واصفرار في الوجه ومع الزمن يضعف الجسم و ينتهي بالوقوع في امراض خطرة كالسل الرئوي فان بعض علماء الامراض الباطنية جعل سببه تغطية الوجه عند النوم والتنفس بالهواء الفاسد وربما يحصل للشخص اختناق مدة نومه بدون أن يشعر به احد ممن جاوره ومن لوازم المساكن ان تكون المراحيض في الجهة القبلية لها و بعيدة عن محلات النوم والجلوس ويلزم ان يلقي فيها يومياً كمية قدر رطلين من رماد الفحم او رماد الفرن لانه يمتص الغازات العفنة و يقي المنزل من انتشارها فيه اوالزاج الاخضر او محلول حمض الفينيك ٥ ٪ اى خمسة اجزاء من حمض الفينيك و ١٠٠ من الماء او الكربولين ٥ ٪ او محلول سائل حيس ٥ ٪

ويلزم ايضاً أن لا يكون بجوار المنازل مستنقعات فانه ينتشر منها رائحة كريهة تورث الحمى المتقطعة واذا وجد شخص في بلد بها مستنقعات فلا يلزمه الخروج من منزله عند شروق الشمس ولا عند غروبها لان الشمس متى اشرقت تؤثر على سطح المستنقع فيتصاعد منه مقدار عظيم من المواد العفنة فيستنشقها المار فيصاب بالحمى المتقطعة ومتى غربت تتكاثف تلك المواد وتنزل بالثانى في المستنقع فاذا تواجد شخص مارا من هذه الجهة واستنشق بعضاً من هذه المواد فيصاب بالحمى المتقطعة فيلزم لمثل هؤلاء الاشخاص ان لا يخرجوا من منازلهم الا بعد شروق الشمس بساعة على الاقل وقبل الغروب بنصف ساعة ولا ينبغي السكنى في المحلات الرطبة ولا في الادوار السفلى للمنازل خصوصاً مدة الشتاء فان ذلك يوجب امراضاً شديدة كالروماتيزم وغيره كما ولا يلزم السكنى بمحل طليت جدرانه حديثاً بالبويه بما انه يتصاعد

منه كثير من حمض الكربونيك ويهلك انسا كنين به فالاولي في مثل هذه الاحوال ان لا يسكن بالمنزل الا بعد مضي شهر على الاقل من طليه و يلزم ان تكون الاصطبلات كالمراحيض في الجهة القبلية للمنزل والاولى جعلها بعيدة عن محلات السكن وعزلها بمفردها وتتعهد خدمها بنظافتها ورشها بمحاليل مضادة للعفونة كالتي ذكرت في المراحيض ومتى اصيب شخص بمرض معدى وبائي كالجدري او الحصبة او القرمزية او الحمرة او النوشه او الدفتيريا الخ فيلزم بعد شفائه او موته ان تحرق جميع الامتعة الموجودة بمحله وان لم يمكن ذلك فتغلق جميع منافذ هذا المحل ويوقد داخله الكبريت العمود و يتركه مغلقاً وداخله بخار الكبريت (حمض الكبريتوز) مدة اسبوع ثم يفتح وتطلى جدرانه بالجير مرتين او ثلاثاً اما الملابس التي كانت على المريض والفراش الذي كان نائماً عليه فيتحتم حرقها و بعد طلي المحل بالجير يتركه معرضا للهواء مدة اسبوعين وبعد ذلك يستعمل للجلوس او غيره حسب ارادة اهل المنزل ومما ينبغي مراعاة الشروط الصحية فيه الملابس اذ يلزم ان يكون اتساعها مناسباً بحيث لا تضبط على أعضاء الجسم فتمنع نموها وتعوق حركتها وذلك مثل الجبة والقفطان وعكسها الجكيته والسترة والبنطلون والصديري فان جميع الملابس الاخيرة مضرة بالجسم لضغطها على الاعضاء التي تحتها ومنعها لها من النمو والحركة كذلك العمامة البيضاء فهي أعظم أنواع ملابس الرأس لانها تقيها من التغييرات الجوية فضلا عن امتصاصها لاشعة الشمس فتمنع تأثيرها المضر على الرأس وهذا خلاف الطربوش فانه يمتص الاشعة الشمسية ويوصلها الى الرأس فتوءثر عليها تأثير مضر؛ اما القميص واللباس فالاحسن ان يكونا من القطن وليس من الصوف وبما ان قطرنا في المنطقة المعتدلة فلا يحتاج للبس

الصوف وانما من اراد زيادة التحفظ فليلبس حزاما من الصوف على الدوام صيفا وشتاء وأما ملابس النساء فاحسنها الطرز البلدي المصري الذي ملابسه متسعة ومما يجب رفض استعماله كلية التمنطق بالمنطقة المسماة (بالبوسط أو الكرسيه) وبالاخص عند البنات الابكار فانها تمنع نمو الرحم والمبيض عندهن فبعد زواجهن يصير رحمهن صغيرا فلا يتحمل الحمل ولذا يكون عرضة دائماً للاجهاض هذا فضلا عن ضغطها على الاحشاء الاخرى المهمة كالكبد فيعوق وظائفه وعلى المعدة فيعوق الهضم وعلى الامعاء فيوقف سيرها وهلم جرا

وقد يتسبب من الاستمرار على لبسها تولد مرض عضلي بسبب استمرار ضغطها على عضو مهم كالكبد مثلا ويترتب على ذلك هلاك المرأة ومما يلزم رفض استعماله ايضاً عند الرجال والنساء لبس الشال اذ بوضعه على الرأس تصير هي والوجه متحملين بحرارة عظيمة للغاية وعند رفعه يتعرضان دفعة واحدة لتأثير برودة الجو فيصاب الشخص بالتهابات اذنية ونكفية وشلل في العصب الوجهي وجملة امراض اخرى

هذا ما أمكنني ذكره في هذا الموضوع الذي طالما حدثتني نفسي بنشره حتى أتاح لي الحظ ما كنت أتمناه ومكنتني الفرص من ابرازه من حيز الفكر الى حيز الذكر فعسى أن يقابله ابناء وطني العزيز بآذان صاغية ومن يجد منهم هفوة فليغض الطرف عنها حيث اني لست من رجال هذا المجال الشاسع او يتنازل بمناظرتي فيما يغمض عليه وها أنا مستعد للاجابة والله على ما أقول شهيد

(بقلم الدكتور احمد صادق زكي افندي الحكيم)

﴿ معالجة الكوليرا في البلاد الروسية (١) ﴾

بالنظر لانتشار داء الكوليرا في البلاد الروسية الى حد يفوق التصور تعددت طرق علاجه ووسائل الشفاء منه وظل فريق من الاطباء يستعملون في معالجاتهم طريقة (فولوفسكي) لما بدا فيها من علائم النجاح سنة ١٨٧٢ مسيحية وهي قاصرة على غمر المريض في حمام تبلغ درجة حرارته ٣٠ من درجات مقياس حرارة (ترمومتر) ريومور مع وضع مثانة من الثلج على رأسه وعكف فريق آخر منهم على استعمال طريقة احد الاطباء بمدينة [كييف] من اعمال روسيا وهي الطريقة المعدلة للتوكسين « السم المفرز من الجراثيم في البنية » والمخرجة له بواسطة الكالوميل « الزيبق الحلو » والنفتالين وذلك باستعمال الاول منهما بمقادير مسهلة والثاني بكميات مضادة للعفونة بالتناوب مع شراب الروم الذي يقصد به التحفظ من الكولابسوس (خمود الجسم) كل نصف ساعة

وتستعمل الحمامات الحارة وصبغة « الولريانا » و « الكونفالاريا » من ٣٠ : ٥٠ نقطة يومياً ضد الاعتقالات ويستعمل الحقن في النسيج الخلوي تحت الجلد بالماء المملح بملح الطعام بنسبة ٧ من ١٠٠٠ مضافاً اليه كربونات الصودا ضد الكولابسوس متى ظهر مايدل على قربه وقد توخي اطباء الروس في معالجتهم سبيلا مهما الا وهو تجنب مركبات الافيون التي يدل على ضررها ماعلمه الاطباء من كيفية نمو الباسيل الواوي

وقد افاد الطبيب [ايفانودروف] المقيم بمدينة « بتونيف » ضم

(١) بقلم المرحوم الدكتور محمد افندي الطفي

السالول الى حمض الكلوردريك طبقاً للدلالتين المهمتين في علاج الكوليرا وهما جعل القناة الهضمية حمضية — ومضادة للعفونة وهما شرطان لابد منهما لمنع نمو الباسيل الواوي بل لقتله ايضاً

وكتب الطبيب « روزنيو » في تأثير بعض مضادات العفونة كالتيمول « روح الزعتر » وحمض ساليسليك « مستخرج من الصفصاف » والشب وحمض البوريك وحمض الفينيك والريزرسين واليودوفورم وكبريتور الكربون ومحلول الانيلين على الباسيل الواوي نورد هنا ملخصها عن لسانه اتماماً للفائدة وهو (استعملت كل هذه الجواهر بصفة محاليل مخففة أي بالمقادير الممكن استعمالها بها في العيادة بدون خوف من التسمم العلاجي فوجدت ان محلول التيمول منها بنسبة ١ : ١٠٠٠ يقتل الباسيل في ٥ دقائق) وقد أوصى هذا الطبيب بغسل المعي باربعة لترات من هذا المحلول في مدة خمس دقائق وقد كتبت بهذه المعلومات جملة تذاكر طبية لمعالجة الكوليرا وقد اطنب مستعملوها في مدحها ولذا أحببنا ان نأتي في هذه المقالة بصور بعض منها تعميما للفائدة

يستعمل احد المركبات الآتي شرحها ضد قيء الكوليرا بشرط ان يعقب كل نوبة من تعاطيه بتناول قطعة من الثلج

(١) النقط اليودو فرميه للاستاذ جراسيه

يودوفورم	من ١ : ٢	جرام
صبغة الفاليريانا الاثيرية	١٠	جم
لودنم سيدنام	٥	جم
الكؤلات الميليسا	٥	جم

عطر النعنع	١٠	نقط

يؤخذ من هذا المركب ٣٠ نقطة عقب كل نوبة تبرزهيضي و يعقب ذلك بتعاطى قطعة ثلج كما سبق بيانه

(٢) الجرعة الاثيرية اللودنيه

أثير كبريتيك	٥	جم
لودنم سيدنام	٣٠	نقطة
شراب الليمون	٤٠	جم
الماء المقطر لزهر البرتقال	٤٠	جم
ماء الزيزفون	٨٠	جم

تؤخذ في مسافة الـ ٢٤ ساعة بالملعقة الكبيرة

(تنبيه) يمكن استعواض الاثير بالكلوروفورم او يستعمل الكلوروفورم بطريقة « ديبريز » الآتي ذكرها

(٣) جرعة « ديبريز » الكلوروفورمية

كلوروفورم	١	جم
كؤل	٨	جم
خلات نوشادر	١٠	جم
ماء مقطر	١٠٠	جم
شراب المورفين	٤٠	جم

يؤخذ منها ملعقة كل نصف ساعة

وفي الدور الجليدي تستعمل النقط الكافورية الافيونية للطبيب (ببرجر) والحقن الاثيرية الافيونية

(٤) النقط الافيونية الاثيرية لبمبرجر

كافور	١	جم
أثير خليك	١٠	جم
صبغة أفيون	١١	نقطة

يؤخذ منها من ٨ : ١٢ نقطة كل نصف ساعة وهذا المركب يشبه مزيج (أبو زابر)

[٥] الحقن الافيونية الاثيرية

اثير كبريتيك	٢ر٥٠	جم
لودنم سيدنام	٠ر٥٠	جم
ماء	٢٠٠	جم

تعمل حقنة شرجيه واحدة

وتستعمل المركبات الآتية من الظاهر في الدور الجليدي بنجاح تام :

كؤل في درجة ٩٠	١٠٠	جم
جلسرين	٢٠	جم
عطر الخردل	١٠	جم

يستعمل هذا المركب دلكا من الظاهر واستعمل الطبيب (تورد) المركب الآتي

صبغة الزراريح	١٥	جم
بلسم فيورافانتي	٧٥	جم
كؤل كافوري	٣٠	جم
عطر الترمنتينا	٢٠	جم

صبغة الجاوي	٢	جم

[٦] جرعة «سننمبرجر» وتؤخذ منها ملعقة كبيرة كل ساعة أو ثلاث ساعات

ريزورسين	٢٠	جم
حمض كلوردريك طبي	١٫٥٠	جم
لودنم سيدنام	١٫٥٠	جم
منقوع البابونج	١٨٠	جم
شراب قشر النارنج	٢٠	جم

[٧] جرعة «ماندل» و«سيمون» وتستعمل قبل الدور الجليدي بان يؤخذ منها في مبدأ الامر ملعقة كبيرة كل ساعة حتي يزول القيء فيؤخذ منها حينئذٍ ملعقة كبيرة كل ساعتين وهي

حمض كلوردريك طبي	٢	جم
كلوريدرات كوكائين	٠٫١٢	سنتجرام
لودنم سيدنام	٢	جم
ماء مقطر	١٧٠	جم
شراب بسيط	٣٠	جم

فبهذه المركبات ينقطع القيء تماماً ويقل الاسهال بسرعة وإن كانت طرق العلاج بها ليست حديثة غير اننا استحسنا ذكرها بالنسبة للحالة الراهنة باوروبا ولم نتعرض لذكر الوسائط الواقية من غائلة ذلك الداء الخبيث كالتطهير المتعذر عمله بكافة شرائطه لطول شرحها وضيق المقام دون ايرادها غير انه لما كان الماء في اعتبار الاطباء وفي الواقع ونفس الامر هو أكبر الوسائط في نقل الداء فلا بد للجمهور من معرفة الطرق اللازمة لتنقيته وتطهيره حتي

لايكون التناول منه مضرا بالصحة على العموم ومؤدياً الى الاصابه بالكوليرا في أزمان تفشيها على الخصوص

﴿ علة تحريم لحم الخنزير [١] ﴾

حرم في الدين الاسلامي اكل لحم الخنزير بما جاء في آية (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) وحرم في شريعة سيدنا موسى عليه السلام بما جاء في آية — لاتأ كل رجساً — وبعد ان عدد الحيوانات المحللة والمحرمة قال عطفاً على ماحرم والخنزير لانه يشق الظلف لكنه يجتر فهو نجس لكم فمن لحمها لاتأ كلوا وجسمها لاتلمسوا . وكان قدماء المصريين يعدون آكله كمن أتي أثماً كثيرا

وأما الاوروبيون وان لم تحرمه ديانتهم فقد اضطروا الى الالتفات اليه بنوع خاص لما شاهدوه من الاخطار الناتجة عن اكله فقد حدث ان اهالي حارة بتمامها من مدينة باريز اصيبوا في وقت واحد بالقيء والاسهال عقب تناولهم لحم خنزير مصاب بالدودة الحويصلية وكانوا معتادين على ذبح هذا الحيوان وتفرقته على بعضهم وقد نبهت هذه الحادثة الحكومة الفرنسوية الى انشاء مسالخ خاصة بالخنزير لايذبح منه فيها الا ما كان سالماً من العاهات واما المصاب بها فكان يقتل ويدفن ويحاكم صاحبه وتواردت بعد ذلك عدة من الحوادث دعت تلك الحكومة الى وضع كشافين على الحدود لفحص لحوم الخنزير الواردة من امريكا وافضى هذا الامر الى وقوع نزاع شديد وجدال

(١) بقلم الدكتور علي افندى حلمي حكيم سجن الاستئناف والاصلاحية حالا

عنيف بين اعضاء مجلس الوزراء من اراد الوقوف عليه فليراجع صحف الحوادث القديمة او يطالع كتب التاريخ وبالجملة فان الاوروبيين وان فطنوا الى الضرر غير ان الوسائل التي استعملوها لملافاته كالفحص الدقيق والتأثير بالحرارة وغير ذلك لاتجدي نفعاً ان لم يكن لارتشاء المكلف بالفحص فلقلة صبره او لجهله او لغش التاجر

أما الارتشاء فقد اثبتت وقوعه الحوادث واما قلة الصبر فلأن لحوم الخنازير المصابة بالتريكين (وهو نوع من الدود متناه في الدقة ويوجد في عضلات الخنزير) لاتظهر عليها اعراض تدل على اصابتها فلا بد حينئذ من معرفة كونها مصابة او غير مصابة من استعمال النظارة المعظمة (المكرسكوب) ولكن هذه النظارة مع كونها تكبر الاشياء عن اصلها آلافاً مؤلفة فقد لايتمكن الباحث بواسطتها من وجود الدودة المذكورة في الخنزير الا بعد تحضير يتكرر من ٣٠ الى ٤٠ مره واما غش التاجر فلأنه يستأصل الدودة الحويصلية من أسفل اللسان في حين ان وجودها هو العلامة الوحيدة التي تدل على مرضه هذا فضلا عن ان الخنزير المصاب بهذه الدودة يكون سميناً فينغش الشاري ويقبل عليه

وأما الفحص بتأثير الحرارة فلا يفيد فى القطع اللحمية العظيمة لخنزير مصاب بالتريكين لانها اذا اثرت على ظاهرها فلا تؤثر على باطنها وعندئذ يظل التريكين الموجود في باطنها حياً وكذلك الطرق المستعملة لحفظ اللحوم كالتجفيف والتدخين وغيرها فانها لاتقتل هذه الديدان اصلا وبفرض ان الحرارة تبيد الديدان الحويصلية فان تعاطي اللحم المصاب لايخلو من الخطر لان الاكياس الديدانية تنقبض وتتصلب بالطبخ فيحس بها كالرمل تحت

الاسنان وتصير جسما غريباً على الجهاز الهضمي فتورثه الالتهاب وتصيب متعاطي اللحم بالاسهال ومن العجيب ان اللحم يتحول طعمه الاصلي الى طعم كريه وتقل تغذيته عن اللحم السليم الذي من نوعه

مما تقدم يعلم ان الله عز وجل قد رحمنا واشفق علينا بنهينا عن اكل لحم الخنزير خصوصاً مع وجود الانعام المحللة النافعة كالضان والبقر وغيرهما وانه لم يبق باب يقرع للتنديد على الديانة الاسلامية بانها لم تراع ظروف الزمان والمكان بتحريم ماحلله غيرها من الاديان الاخرى وانها الى غير ذلك مما لا حاجة الى ذكره هنا

هذا ولو تأملنا الى لحم الخنزير بصرف النظر عن اصابته بالامراض نجده اعسر هضماً من باقي اللحوم على اختلاف انواعها ولا يخفى انه لابد لصحة الغذاء من شرطين سهولة اهتضامه لكي يعوض مافقده الجسم من العناصر وتوليد الحرارة وهما شرطان متلازمان لاغنى للواحد منهما عن الآخر

والمواد العسرة الهضم فهي مع عدم استفادة الجسم منها تلحق به الضرر لانها تستدعي الجهاز الهضمي الى بذل مجهود اكبر من المجهود العادي فيتهيج و يذهب فريسة الامراض الالتهابية التى تفضي بالمعدة والامعاء الى الاصابة بالنزلة المعدية المعوية وهو يدل على ان الخنزير لم يخلق لان يكون غذاء اذ لو كان كذلك لخفف الله في لحمه اولقوى الجهاز الهضمى على هضمه ومن الدلائل على ذلك ان الجهاز الهضمي يهضم عقب كل اكلة مقدارا عظيما من الغذاء بدون تعب ولكن اذا دخل فيه مقدار ولو يسير من المواد الغريبة يتهيج و يتأثر فيحصل القيء او الاسهال او هما معاً و بناء على ذلك فعسر هضم الخنزير دليل طبيعي على انه ليس من عداد الاغذية النافعة وحيث برهنا

الآن على انه ليس من الاغذية بالدلائل المبنية على المشاهدة والتجربة فلا بأس هنا من توضيح ماينجم عن اكله من الاضرار فنقول ان لحم الخنزير يحتوي على ديدان مضرة فاذا اكله الانسان وانتقلت هذه الديدان الى جسمه اصيب بامراض عاقبتها الموت العاجل والاهم من هذه الديدان نوعان الدودة الوحيدة والتريكين فاما الدودة الوحيدة فهي عبارة عن الدودة الحويصلية التى سبقت الاشارة اليها اذا بلغت الحد النهائي من النمو وهي لايمكنها ان تبلغ نهاية نموها اي ان تصير دودة وحيدة شريطية الا اذا انتقلت من حيوان الى آخر

ولنبين كيفية انتقالها من الخنزير الى الانسان و بالعكس وانما تمهيدا لذلك نبتدىء بشرح الدودة الوحيدة شرحاً وجيزا نصل منه الى الغاية المقصودة فنقول ان الدودة الوحيدة هي دودة شريطية الشكل وصفت بالتفرد لانه لا يوجد منها في الانسان غالباً الا واحدة فقط يبلغ طولها سبعة أمتار وأكثر وجسمها يتكون من قطع عريضة تشبه لب القرع ولذا سميت بالقرعية وهى تستغنى بنفسها عن غيرها في التوالد والتناسل لانها تحتوى على عضوي الذكر والانثى في آن واحد

وتكون الدودة القرعية لدي انتقال الدودة الحويصلية من الخنزير للانسان بان تأخذ الحد النهائي من نموها ثم تتخلص من الحويصلة فيتكون في أسفل رأسها قطعة قرعية لا تلبث زمناً حتى يتكون بينها و بين الرأس قطعة اخري ثم بين الحديثة والرأس قطعة ثالثة وهلم جرا بحيث يكون موقع القطعة الحادثة دائماً عقب الراس يستنتج من هذا أن اول قطعة تكونت من الراس تكون هي ذنب الدودة وان ما سواها جسمها ولما كانت كل قطعة متجددة

اصغر من التى تواجدت قبلها ترى ان الدودة الوحيدة تأخذ في الدقة من الذنب الى الرأس بمعنى ان ذنبها اكبر حجماً من راسها وباقي جسمها ويحصل الاخصاب في جهة الذنب عادة فاذا اخصب الذنب تنفصل منه البيوض وتخرج مع المواد البرازية وعندئذ تؤثر الشمس والرطوبة وغير ذلك من الاعراض الجوية عليها فيتمزق غشاؤها وتخرج منه ديدان صغيرة غاية في الدقة

ولما كان الخنزير يلتقط غذاءه من القاذورات والروث التي تحتوي على ديدان هذا النوع فلا بد ان تصل الى جوفه منها حتى اذا استقرت في معدته اخذت تثقب جدرها فتصل الى لحمه وعند ذلك يكون قد تم نموها بالشكل المخصوص بها أي بشكل دودة حويصلية فاذا ذبح وتناول الانسان من لحمه وهو مصاب بها ترتقي هذه الدودة من الحالة الحويصلية الى الشكل الشريطى الذى سبق الكلام عليه ثم تتحول منه الى دودة وحيدة شريطية

والمضار التى تحصل منها فهي المغص والاسهال وتغير اللون وانحلال الجسم والاحوال الانعكاسية العصبية التى منها الصرع وقد لا يكون للمعالجة على هذه الامراض تأثير قوي فعال حيث انه مهما شرب الانسان من المسهلات لابرازها فانه لا يخرج منها الا القطع القرعية فقط واما الرأس فتبقى متعلقة بالامعاء وما دامت كذلك فانه لا يكون للعلاج أية ثمرة حيث ان الدودة تتكون مرة ثانية بواسطة الرأس فقط على النمط الذي تقدم ذكره

وأما الدود المسمى بالتريكين فانه أكثر خطرا على الانسان من الدودة الوحيدة ومصدره الوحيد هو الخنزير وسبب ذلك هو انه يتعاطى المواد البرازية الحيوانات مريضة فيصاب بما تحتوي عليه من جراثيم الامراض وقد جرت

العادة ان تكون الانثي من التريكين أكثر عددا من الذكور وتلد الف جرثومة حية تقريباً و يحتوي القيراط المكعب من اللحم المصاب بها على اكثر من ٤٨ الي ١٨٠٠ جنين يتولد منها في مدة قصيرة نحو المليون دودة تريكينية ومتى وصلت هذه الديدان الى الجهاز الهضمي للانسان تستحيل فيه الى ديدان تريكينية معوية وكانت تسمي قبل ذلك لدي وجودها في لحم الخنزير بالديدان التريكينية العضلية .

والفرق بين الديدان التريكينية المعوية والعضلية هو ان الاولي تكون ذات أعضاء تناسلية وتزداد كثيرا في الطول بخلاف الثانية واستحالة الديدان التريكينية من عضلية الى معوية تحصل في الخنزير كما تحصل في الانسان فانه اذا تناول الانسان قطعاً لحمية محتوية على التريكين العضلى الذى هو فقس التريكين المعوى يستحيل في الجهاز الهضمى الى تريكين معوي ثانياً ثم يتكرر الفقس على حسب ما تقدم فالتريكين المعوى المتربي في بطن الانسان واصله من التريكين العضلى للحم الخنزير يثقب الامعاء قاصدا القطع اللحمية وقد يكون وصوله اليها مع الدم فيتركز فيها

والعوارض التى تنشأ عن هذا الدود خطرة مهلكة خصوصاً اذا سرت الي جهة البريتون بعد ثقب الامعاء فانها تحدث فيه التهاباً بريتونيا مميتاً ومنها الاسهال والقيء الغزيران الشبيهان حينئذٍ بما يحصل لدى الاصابة بالكوليرا الهندية والحمي الشبيهة بالتيفوس والالتهاب العضلي والانحطاط الجسدي والعقلى والآلام المتنقله والاوزيما والنحافة الخ

واما الطرق العلاجية فلا تفيد بالمرة وهو امر من البداهة بمكان ظاهر اذ كيف يتسني ايصال الادوية الى داخل العضلات وان امكن فمن يضمن

عدم تضرر الجسم بنفس الدواء كل هذا سوى ما يتعين من وجوب تنقية الجهاز الهضمي مما اعتوره وغير ذلك من العناية الدقيقة التى ربما قادت الى اكبر الاضرار في حين ان الغرض هو المنفعة المحضة

وهذا البيان اراه كافياً لاظهار الحكمة الشرعية في تحريم هذا الرجس في ديننا القويم

﴿ أدوية جديدة (١) ﴾

ترو با كوكائين

يوجد هذا الجوهر في نبات يشبه « الكوكا » وهو نبات ينمو في بلاد اليابان وأول من فصله منه هو العالم جزول في سنة ١٨٩١ وقد فحصه ودرس خواصه العالم ابرمستر فرأي انه مركب مزدوج مكون من «تروبئين» و«حمض بنزوئيك» أي حمض الجاويك وعليه فيكون هذا الجوهر من رتبة البنزوئيل تروبئين

خواصه الكيماوية – قليل الذوبان في الماء البارد ويكون املاحاً قابلة للتبلور وسهلة الذوبان في الماء

خواصه الفسيولوجيه — التأثير الموضعي له · يستعمل التروبا كوكائين النقي عادة محلولا في الماء بنسبة ١ : ١٠٠ فاذا وضع في العين شيء منه تخدرت القرنية في دقيقة واحدة كما ذكر ذلك الدكتور (شدبرن) الذي جربه مرارا عديدة وتمكث مدة تخديره اكثر من مدة تخدير الكوكائين

(١) بقلم الدكتور محمد افندي لطفي حكيم بتفتيش صحة بورسعيد

وحده بدون حصول شيء من التهيج او من انيميا الملتحمة ويصحبه احياناً تمدد الحدقة

ويحقنه تحت الجلد يحدث تخديرا موضعياً يشبه تخدير الكوكائين الا انه يمكث اكثر منه ويعم سطحاً اكثر اتساعاً ودائرة اوسع نطاقاً مما يعم فيه تخدير الكوكائين

التأثير العمومي — متى حقن تحت الجلد حدث عنه تنبيه انعكاسي زائد وتشنجات وتقلصات ثم شلل يفضي الى الموت ونتج عنه غير ذلك ثوران في حركات التنفس وزيادة في ضغط الدم وقوة في ضربان القلب وتستمر جميع هذه الظواهر لحد الوفاة غير انه يمكن تأخيرها بواسطة التنفس الصناعي

والمقادير العالية من هذا الجوهر تؤدي الى الموت بدون حصول دور التهيج فيحدث الشلل مباشرة ويكون هذا الشلل مصحوباً بارتفاع في الحرارة ولذا يقال ان التروبا كوكائين تفضي الى الموت عقب اصابة المراكز التنفسية بالشلل ولا يزال هذا البحث موضوع جدال كثير من العلماء الى اليوم ويمكن القول بالاختصار ان تأثيره الفسيولوجي كتأثير الكوكائين الا ان فعله السمي اخف منه

استعماله — يستعمل كعوض للكوكائين ولذلك اكثر الرمديون من استعماله ومنهم العلامة شفيجر فانه مدحه لسرعة تخديره غير ان البعض ذهب الي انه يحدث احتقاناً ملتحمياً وشعورا بحرقة خفيفة لدي استعماله

كيفية استعماله —

« ١ » — يحضر منه محلول بنسبة ٣ : ١٠٠ ويستعمل تقطيرا في العين

« ٢ » — يكرر التقطير متى احتيج الى زيادة مدة تخدر العين

وهذا الجوهر وان لم ينسب المؤلفون والباحثون للآن اخطارا اليه غير انه لا يجب البت بخلوه منها ولذا يتعين عدم التهافت على استعماله حتي تظهر تحقيقات الباحثين فانها هي الحكم الفصل في ذلك

الكلورالاميد

اجتهد الدكتور فون مبرنج منذ زمن ليس باليسير في اكتشاف جوهر يعوض الكلورال و يقوم مقامه فوصل بجده واجتهاده الى اكتشاف ذلك الجوهر ثم عرضه على محك تجارب كثير من مشاهير الاطباء منهم بيشمن ورابووهاجن وهوفلر ومتروس وكني وروبنسن الخ

تركيبه الكيماوى — مركب من اتحاد الكلورل بالفرميامید وقانونه الكيماوي هو ك ك ل ٠ ازيذك يذا

خواصه الكيماوية — يكون على شكل بلورات عديمة اللون والرائحة مرة الطعم غير كاوية تذوب في الماء البارد بنسبة ١ : ٩ وفي جزء ونصف من الكؤل النقي بدرجة ٩٠ ولا تقبل الذوبان في الاثير وتتحلل بالماء الساخن في درجة ٦٠ مئينية فوق الصفر وكذا بالقلويات وعليه فيجب الالتفات اثناء استعمال هذا الجوهر الى درجة حرارة الماء المذاب فيه ولا يجب مزجه مع محلول قلوي ايا كان وتفضل اذابته في محلول حمض خفيف

واما خواصه الفسيولوجية فتشبه خواص كلورال بلا كوكي ويفسر ذلك بازدواجه في الدم لكونه قلويًا الي كلورال فرميامية

ومقدار ٢ : ٣ جرامات منه تكفي لتنويم الانسان في مدة تختلف من ٢٠ : ٣٠ دقيقة او من ٣٠ : ٤٠ دقيقة بحيث تستمر مدة من ٦ : ٨ ساعات

واما قوته المنومة فهي اقل من قوة الكلورال حيث ان ما تحدث عنه بمقدار ٣ جرامات يعادل النوم الذي يحدث عنه جرامان فقط من الكلورال واذا استيقظ المنوم به لا يجد في جسمه انحلالا او خمودا او الماً في الرأس كما يتبادر الى الذهن غير ان له عيوباً منها ان تجعله ذا استعداد سريع على رأي البعض وبطيء على رأى البعض الآخر الى الاصابة بالامراض كالآلام المعدية وقد جرب على احد الحيوانات فحصل له منها فيما بعد تكدرات معدية معوية

واما تأثيره على الجهاز الدوري والمجموع القلبي الوعائي فغير معروف جيدا وغاية ما يعلم من أمره انه لا ينوع الدورة ابدا ولا ينقص التوتر الوعائي وذهب بعضهم الى انه يزيد التواتر الدموى وتجاه هذا التباين الشاسع والاختلاف البين يحسن انتظار نتائج ابحاث العلماء فيه حتى اذا زالت الريبة وانحسر الشك أمكن استعماله في معالجة كثير من الامراض وعليه فلا ينبغي اتخاذه الآن دواء للمصابين بالامراض القلبية أو المهيئين لهـا حرصاً على صحتهم ووقاية لحياتهم

والعلماء الآن على اتفاق بانه لا تأثير له على الجهاز التنفسي اذ قد تبين لهم عدم وجود السم فيه ولكنهم قالوا ان مقدار ما يعطي منه للرجل لا ينبغى ان يتجاوز من ٣ : ٤ جرامات وللانثى من ٢ : ٣ جرامات وما زاد عن هذه المقادير فمؤكد حصول تأثير سمي منه

دلالاته العلاجيه — لا يوجد لهذا الجوهر سوي دلالة واحدة علاجية وهي الارق وقد استعمله الدكتور (بيبر) في تنويم العصبيين المصابين بالارق وفي احوال النوارستنيا واستعمله الدكتور (هاجن) في الآلام العصبية

لاسكاوروزو القرون الخلفية للنخاع الشوكي المسماة في الامراض العصبية « نابس » واستعمله ايضاً الدكتور (هفلر) في الآلام العصبية والمعدية العصبية والمغص الكبدي بتعريض النوم فقط لانه رأى انه يسكن النوم بدون ان يسكن الآلام

وصرح الدكتور هاجن السالف الذكر باستعماله في ارق المصابين بالامراض القلبية وقد ناقضه في ذلك الدكتور روبنسن ونحن نصادق على مناقضته ومعارضته حتى تبدي لنا الابحاث العلمية والتجارب اليومية من الدلائل ما يرشدنا الى محجة التحقق والتأكد ويبعدنا عن طريق الشك والتخمين ولا ننسي ما له من الفضيلة في أرق المدمنين على المشروبات الروحية

المقدار — للرجل ٣ جرامات وللانثى جرامان وللطفل ذكرا كان او انثى ٠٫٥٠ من جرام يومياً

كيفية التعاطي — يمكن تعاطيه بكيفيات مختلفة تارة على شكل برشام وكلورالاميد وفي هذه الحالة يكون تركيبه بالصفة الآتية

كلورالاميد نقي مسحوق	٢ جم

يصنع منه ثمانية برشامات تؤخذ على مرتين في اليوم بحيث يتخلل دفعات التناول في كل مرة بعض دقائق ويشرب قليل من الماء القراح عقب كل دفعة مباشرة

وطورا على شكل جرعة كلورالاميد وتركيبها هو

كلورالاميد	من ٢ : ٣ جم
حمض كلوردريك مخفف	من ٤ : ٥ جم
ماء مقطر	من ٣٠ : ٩٠ جم

شراب عنب الذئب ١٠ جم

يمزج و يصنع جرعة تؤخذ دفعة واحدة وقت الاستعداد للنوم ·

وحيناً على شكل حقنة الكلورالاميد وهي

كلورالاميد	من ٢:٣ جم
حمض كلوردريك مخفف	من ٢:٣ نقط
ماء فاتر	١٠٠ جم

تستعمل بصفة حقنة شرجية

وآونة بمثابة حقنة تحقن تحت الجلد بالكلورالاميد وتركيبها هو

كلورالاميد	١ جم
ماء فاتر	٢٥ جم

يصنع محلول يحتوى كل سنتمتر مكعب منه على ٠٤ ر· جم من الكلورالاميد وتستعمل منه حقنة واحدة او حقنتان تحت الجلد من ١ : ٢ سنتي مكعب وعند الاحتياج يكرر الحقن حتي ينام المحقون

﴿ نصائح صحية ﴾

قال حكيم كن شهما عند الخطر فان العاقل يقتحم المخاطر بجنان ثبت وعزيمة صادقة · كن نظيف الجسد والملبس والمسكن فان الشجاعة والقناعة والنظافة احسن الوسائل لدفع الامراض والآلام · اجعل يومك اقساماً لكل قسم عمل خاص وتجنب مجامع الناس · احذر تناول الادوية مادامت صحتك في عافية · لا تزر مريضاً الا اذا الجأك الواجب الى الزيارة · لا تخالط

المصابين بالامراض ولا تختلف الى اماكن المرض · لا تبارح منزلك بلا ضرورة فان الانتقال ربما كان جالبة النكال واعلم ان ملازمتك بيتك تدعوك الي الاشتغال بالمفيد · لا تضع في فمك الا ما يصلح للتغذية · اشرب قليلا من الماء ما امكن ولكن من الماء الذي تعرف مصدره بعد ان ترشحه او تغليه · قد تكون مياه الآبار والصهاريج معمورة بجراثيم الادواء فدعك من شربها لا يصح ان تستعمل للشرب او لغسل عضو من اعضائك ماء كان موجودا في قاعة مريض الا بعد غليه فان جراثيم المرض تموت بتأثير الحرارة ولكن لا تنس ان جراثيم اخري يمكنها ان تتولد فيها بعد قليل من الزمن · لتنقية ماء الشراب من الاجسام الغريبة ضف الى ملء الكوبة الواحدة قليلا من حمض الترتريك او نقطتين من حمض الكلوردريك · لتكن اواني الماء غاية في النظافة · الشاي واللبن والكاكاو من المسموح شرب منقوعها او مغليها ولكن بكميات قليلة · تجنب تناول الثلج والمشروبات المثلجة · لا تشرب الماء الا في اقداح غسلت بماء ساخن · مسموح شرب المياه المعدنية على شرط انها من ينبوع حقيقي · لا تشرب لبناً لم يغل · تعيش جراثيم الكوليرا في الجبن والزبد فاذا كانت هذه المواد واردة من جهات مصابة بداء من هذه الادواء فاجتنب التناول منها · لا تأكل البقول والفواكه الا مطبوخة ولا بد من معرفة جهة ورودها · تجنب الافراط في الاكل والشرب فانه يضر بالمعدة · لا تأكل ولا تشرب شيئاً في قاعة المريض فان الذباب وما ماثله ينقل جراثيم الامراض الي الاغذية · ليكن قدماك جافين وجسمك ساخنا · اغسل يديك عدة مرات في اليوم وخصوصاً قبل الاكل واذا لمست شيئاً مشبوهاً فيه فاغسل يديك في محلول قدره ٢ في المائة من الجير ثم اغسلها بالصابون

والماء النقي · تجنب الادمان على الاستحمام في البحر · لا تدخل في المراحيض العمومية لقضاء حاجتك الا في الاحوال الضرورية ويلزم ان تنظف تلك المحلات بالماء المذاب فيه الصابون · لا يخفى ان جراثيم الكوليرا توجد بكثرة في براز المرضى بهذا الوباء فتجنب هذه القذارة لانه اذا لم يحترس منها الانسان التصقت بملابسه فتحصل العدوى · يجب تطهير امتعة المرضى بوضعها مدة ساعة في محلول الجير وكلوروره واذا لم تتيسر هذه المواد فلا بأس من تعريضها للهواء والشمس مدة ستة ايام متوالية فان جراثيم الداء تموت اذا جففت تجفيفاً جيدا · اذا حصل لك ارتباك معدي فلا يختلجك خوف بل ادع الطبيب ولا تتوان وفي اثناء انتظارك اياه تناول مشروباً ساخناً وتمنطق بالصوف ولازم فرشك ثم اضطجع اذا شعرت بشدة وليكن غذاؤك قاصرا على شوربة اللحم والخبز الخفيف بلا دهن · كن شجاعاً حتى في مرضك فان الخوف والجبن يؤثران تأثيرا رديئاً على الجسم والعقل



﴿ فهرست كتاب لباب الآداب ﴾

صحيفه

صحيفه